



۱۱۳



MILLET GENEL KÜTÜPHANESİ

KİTAP: H. Alipaşa

ESKİ KAYIT NO: 113

YENİ KAYIT NO.

TASNİF NO.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وما توفيق الا بالله عليه توكلت واليه انيب
تفسير قول الله عز وجل يا بني ادم قد انزلنا عليك لباسا
يوارى سواتكم اعلم ان الله عز وجل لما امر ادم وحواء عليهما اللام بالهبوط الى الارض وجعلها
 مستقرا لهم انزل عليهم كلما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا. فكان مما انزل عليهم
 اللباس الذي يحتاج اليه في الدين والدنيا. فاما منفعته في الدين فانه ستر للعورة
 وسترها شرط في صحة الصلاة. واما منفعته في الدنيا فانه يمنع الحر والبرد فامتثل الله
 على عباده بان انزل عليهم لباسا يوارى سواتهم فقال تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليك لباسا
 يوارى سواتكم يعني لباسا تسترون به عوراتكم. فان قيل اما معنى قوله انزلنا عليكم لباسا
 قوله ذكر العلماء فيه وجوها. احدها انه معنى خلق اي خلقنا لكم لباسا. او معنى رزقناكم
 لباسا. الوجه الثاني ان الله تعالى انزل المطر من السماء وهو سبب نبات اللباس فكانه
 انزله عليهم الوجه الثالث ان جميع بركات الارض تنسب الى السماء والى الانزال كما قال تعالى
 وانزلنا الحديد والله اعلم. وقال بعضهم ايضا جعل الله تعالى اللباس منزلا من السماء هو له
 قد انزلنا عليكم لباسا لان ستر العورة انما يكون باللباس واللباس من النبات والنبات لا يد
 له من ماء. فقال تعالى مشيرا الى منته عليهم به قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سواتكم والسوات
 واحدها سوة سميت سوة لانها تسووا حياها بانكتافها من جسده. قال كثير من
 العلماء في هذه الالة دليل على وجوب ستر العورة لقول الله تعالى يوارى سواتكم وقال بعضهم
 ليس فيها دليل على ما ذكره وانما فيها دلالة على الانعام فقط. والاول اصح ومن جملة
 الانعام ستر العورة لان الله تعالى سزاه جعل لذرية ادم ما استرون به عوراتهم ودل على
 الامر بالستر ولا خلاف بين العلماء في وجوب ستر العورة عن عيني الناس واختلافوا في العورة
 ماهي فقال ابن ابي ذيب هي من الرجل الفرج نفسه القبيل والدبر دون غيرها. وهو قول داود
 الظاهري وابن علية والطبري لقول الله تعالى يوارى سواتكم وقوله بدت لهما سواتهما وقوله
 ليريهما سواتهما ولما روى البخاري عن انس رضي الله عنه في قصة فتح خيبر وفيه فاجرى نبي الله
 صلى الله عليه وسلم في زقا وخبير وفيه ثم حسر الارض عن فخذ حتى انى لانظر الى بياض فخذ

بني صلى الله عليه وسلم وقال الامام مالك والامام ابو حنيفة ان السرة ليست من العورة
قال مالك واكره للرجل ان يكشف فخذه كحضر زوجته وانركبه عورة عند الامام ابو حنيفة
وهو قول عطاء وعنه والامام الشافعي في السرة قولان وجبة الامام مالك ومن وافقه قول
النبي صلى الله عليه وسلم لجرهد غطا فحظك فان الفخذ عورة خرج به البخاري تعليقا وقال
حدثنا اسامة وحدثنا جرهد اخرا حتى يخرج من اختلافهم وروى ان امرأة قبل سرة
الحسن بن علي رضي الله عنه وقال قبل منك ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل ولو كنت
السرة عورة ما قبلها ابو هريرة ولا مكن الحسن منها واما المرأة الكفرة بجميع بدنها عورة
الا الوجه والكفين وعلى هذا اكثر اهل العلم لقول النبي صلى الله عليه وسلم من اراد ان تتزوج امرأة
فلينظر الى وجهها وكفيها ولا يكشف ذلك واجب في الاحرام وقال ابو بكر بن عبد الرحمن
ابن الحارث بن هشام كل شي من المرأة عورة حتى ظفرها وروى عن اوليدانه سئل كيف تصلي
ام الولد فقال تغطي راسها وقدميها لانها لا تشبع وتصلي كما تصلي الحرة ويروى هذا ايضا
عن الامام احمد بن حنبل واما الامة فالعورة منها ما تحت ثدييها ولها ان تبدى راسها
ومعصمها وقبل حكمها حكم الرجل وقبل يكره لها كشف راسها وصدرها وكان عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ضرب الاما على تغطيتهن روسهن ويقول لا تسبهن بالحراير
وقال اصبح من اصحاب الامام مالك ان انكشف فخذها اعادت الصلاة في الوقت واما
الصبي الصغير فلا حرمة لهورته فاذا بلغت ابحارية الوحي تاخذ العين وتشتفي سترت
عورتها وقال ابو بكر بن عبد الرحمن بن هشام كل شي من الامة عورة حتى ظفرها
وهذا القول خارج عن قول العلماء لاجماعهم على ان المرأة الكفرة لما ان تصلي الفريضة وبيها
ووجهها مكشوف فالامة اولى واما الولد اغلظ حالا واجتج ابو بكر بن عبد الرحمن يقول
الله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيقهن وحدث
ام سلمة رضي الله عنها انها سئلت ماذا تصلي منه المرأة من الشاب فقالت تصلي في الدرع والحمار
السابع الذي يغيب ظهور قدميها وقد روى هذا الحديث مرفعا والذي وقفوه على امر
سلمة اكثر واحفظ فيهم الامام مالك وابن اسحق وغيرهما قال ابو ردد ورفعته عبد الرحمن

ابن عبدالله بن دينار عن محمد بن زبير عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير عن ابي بصير
صلى الله عليه وسلم قال **ابن عبد البر** عبد الرحمن هذا ضعيف مندم الا انه قد خرج
الخيارى بغير حديثه والاجماع في هذا الباب قوي من الخبر والله اعلم من ذلك قول الامام
ابن ابي عمير قد ارنا عليكم لسانا سوارى سواتكم **ابن المطر** الذي في سب القطر والحان وتقيم الجاهل
التي في الاسراف والاوزار والاشجار وهذا بيان لقوله وانزل لكم من الانعام مما منه اذواج
وعزلة لكم من الامان المجازية على ما سيذكر ان شاء الله **وقيل** انزال اللباس الذي ذكره في هذه
الاصحفة وهو انزال شيء من اللباس مع ادم **وحكاية** في ذلك مثالا غيره **وقال** سعيد
ابن جبير معنى قوله تعالى انزلنا عليكم اي خلقنا لكم **لقد انزل** لكم من الانعام اي خلق لكم على ما
ما في صانته **وهو** هو العمامة تعالى لنا كفيه صنعته والله اعلم باسرار كلامه العظيم
وقول تعالى **وريشا** قال اهل اللغة الریش الطائر معروف وهو لباس وزنته كاللياب
للانسان فاستعمل للانسان لانه لباسه وزنته والمعنى انزلنا عليكم لباسين لسانا يوارى
سواتكم ولباس الزنتكم لان التزين فرض صحيح كما قال في الانعام لتركبوا وزيته **وقال** ابن
ولكم فيها جمال **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال **واختلف** العلماء
في معنى الریش المذكور في الآية **فقال** ابن عباس رضي الله عنه **وريشا** يعني مالا وهو قول جماعة
والضحاك والسدي لان المالا مما يترزين به **وقال** ترمذی الرجل اذا تحول **وقال** ابن زبير
الریش الجمال وهو يرجع الى الزينة ايضا **وقيل** ان الریش في كلام العرب الالباب وما ظهر من
الشباب والمتاع مما يلبس او يفرش **والریش** ايضا المتاع والا موال عندهم وربما استعملوه
في الشباب والكسوة دون سائر المال **يقال** انه لحسن الریش يعني لحسن الشباب **وقيل** الریش
والریش يستعمل ايضا في الخصب ورفاهية العيش والله اعلم مراده **وقوله** **ولباس التقوى**
اختلف العلماء ايضا في معنى لباس التقوى فمنهم من جملة على نفس الملبوس وحقيقة ومنهم
من جملة على المجاز اما من جملة على نفس الملبوس فاختلفوا ايضا في معناه **فقال** ابن ابي برك
لباس التقوى هو اللباس الاول وانما اعاده اخبارا ان ستر العورة من التقوى وذلك خير
وقال زيد بن علي لباس التقوى آلات الحرب **وقيل** انما اعاده لاجل ان خبر عنه بانه

خير لان العرب في جاهليته كانوا يتعبدون بالثعربى وخلع الشاب في الطواف بالبيت فاخبر
تعالى ان ستر العورة في الطواف هو لباس التقوى وذلك خير وقال زيد بن علي لباس التقوى
الات الحرب التي تتقي بها في الحروب كالدرع والمظفر ونحو ذلك وقال لباس التقوى هو الصلوة
والخش من الشاب التي يلبسها اهل الزهد والورع وقال هو ستر العورة في الصلاة واما
من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا في معناه فقال قمارة والسدى لباس التقوى هو
الامان لان صاحبه تتقي به من النار وقال ابن عباس لباس التقوى هو العمل الصالح وقال
الحسن لباس التقوى هو الحياء لانه كحش على التقوى وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه لباس التقوى
هو السميت الحسن وقال عروة ابن الزبير لباس التقوى خشة الله وقال هو استشعار التقوى
له عز وجل فيما امر به ونهى عنه وانشر بعضهم

اذا المر لم يلبس ثيابا من التقي ثقيل عريانا وان كان كاسيا
وخير لباس المرطاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا

وقال الكلبى لباس التقوى هو العفاف فعلى هذه الاقوال ان لباس التقوى خير لصاحبه
اذا اخذ به مما خلق الله له من لباس التجد وزينه الدنيا وهو قوله تعالى ذلك خير معنى
ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وانشر وفى المعنى
اذا انت لم تلبس ثيابا من التقي عريت وان وارك القمص قميص
وقرى ولباس التقوى بالنصب عطفا على قوله لباسا وقال انه منصوب بفعل مضمر تقديره
وانزلنا لباس التقوى وهذه قرأه الكسائى واهل المدينة وقرالباقون بالرفع على الابتداء
وقوله ذلك نعمته وخير خير المبتدا والمعنى ولباس التقوى المشار اليه الذى علمتموه خير لكم
من لباس الشاب التى توارى سواتكم ومن الرش الذى انزل عليكم والبسوه وقال ارتفع باضمار
هو اى وهو لباس التقوى اى وهو ستر العورة وقوله تعالى ذلك من ايات الله معنى انزال
اللباس عليكم يا بنى ادم من ايات الله الداله على معرفته وتوحيده لعلمهم بذكرون معنى لعلمهم بذكرون
نعمته عليهم فيشكرونها قوله تعالى يا بنى ادم لا يفتنكم الشيطان كما اخرج ابو بكر من الجنة
فلهذا خطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عرا والمعنى لا تخدعنكم بغروره ولا يضلنكم فيزين

لكم كشف عوراتكم في الطواف. وإنما ذكر تعالى قصة آدم هنا وشده عداوة ابليس له لتحذر
 بذلك اولاد آدم. فقال تعالى يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما اخرج ابويكم نعي آدم وحواء من الجنة
 والمعنى ان من قدر على اخراج ابويكم بسوسته وشده عداوته في ان بقدر على فتنكم بطرق
 الاولى فحذر الله عز وجل بني آدم وامرهم بالاحترار عن وسوسة الشيطان وغروره وترسه
 القبائح وحسينه الافعال الردية في قلوب بني آدم فهذه فتنته التي نهى الله عباده عنها وحذرهم
 منها. وقوله **ينزع عنهما لباسهما** قال العلماء انما اضاف سبحانه نزع اللباس الى الشيطان
 وان لم يشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسوسته الشيطان وغروره فاستدل به واختلفوا
 في اللباس الذي نزع عن آدم وحواء فقال ابن عباس كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطية نزع
 عنهما وبقيت الاظفار تذكرة وزينة ومناخ. وقال وهب بن منبه كان لباس آدم وحواء
 نورا. وقال مجاهد كان لباسهما التقى وفي رواية عنه التقوى. وقال كان لباسهما من ثياب
 الجنة وهذا القول اقرب لان اطلاق اللباس يطلق عليه. ولان النزع لا يكون الا بعد اللبس
 وقوله **ليبريها سواتهما** يعني ليري آدم عورة حواء وتري حواء عورة آدم. وكان قبل ذلك لا
 يرى بعضهم سوة بعض. وقوله **انه يراكم هو وقبيله** يعني ان ابليس يراكم يا بني آدم هو وقبيله
 وانما اعاد الكناية في قوله هو ليجس العطف والقبيل جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة
 التي تقابل بعضهم بعضا. وقال الليث كل جيل من جن او انس قبيل ومعنى يراكم هو وقبيله
 اي من هو من نسله. وحكى ابو عبيد عن ابي يزيد ان القبيل ثلاثة فصاعدا من قوم شتى
 واجمع قبيل والقبيلة بنو اب واحد. وقال الطبري يعنى صنفه وجيله الذي هو منهم وهو
 واحد جمع قبلا وهم الجن. وقال مجاهد قبله الجن والشاطين. وقال ابن زيد قبيله
 نسله. وقال ابن عباس هو وولده. وقوله **من حيث لا ترونهم** يعني انتم يا بني آدم. قال العلماء
 ان الله تعالى خلق في عبود الجن ادراكا يرون بذلك الادراك الانس ولم يخلق في عبود الانس هذا
 الادراك فلم يروا الجن. وقال المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون الجن لرقه اجسام الجن
 ولطافتها. والوجه في روية الجن للاس لكثافة اجسام الانس والوجه في روية الجن بعضهم
 بعضا ان الله تعالى ثوى شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى يرى بعضهم بعضا. ولو جعل في ابصارنا

هذه القوي لراسناهم ولكن لم يجعلها لنا. وحكى الواحدى وابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنه
انه قال ان الله تعالى جعلهم بحرون من ابن ادم مجرى الدم. وجعل صدور بني ادم مساكن لهم
الا من عصمه الله تعالى كما قال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنه والناس فهم يرون
بني ادم. وبنوا ادم لا يرونهم. وقال مجاهد قال ابليس جعل لنا اربع نرى ولا نرى
ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى. وقال مالك بن دينار عدوا يراك ولا
تراه لشدة المرونة الامر عصم الله. وقال بعضهم فى قوله تعالى من تحت لا ترونهم يدل على
ان الجن لا يرون الا فى وقت نبى لسكون ذلك دلالة على نبوته لان الله عز وجل خلقهم خلقا لا
يرون فيه وانما يرون اذا نقلوا عن صورهم وذلك من المعجزات التى لا يكون الا فى وقت الانبياء
صلوات الله عليهم. وقال القشيري اجرى الله العادة بان بني ادم لا يرون الشياطين اليوم
وفى الخبر ان الشيطان مجرى من ابن ادم مجرى الدم. وقال الله تعالى الذى يوسوس فى صدور
الناس. وقال النبى صلى الله عليه وسلم ان للملكة وللشيطان لمة. فاملتة الملكة فايعاد
بالخير وتصدق بالحق. واملتة الشيطان فايعاد بالشر وتكذب بالحق. وقد تقدم
فى سورة البقرة. وقد جات فى رويتهم اخبار صحيحة منها ما روى البخارى عن ابي هريرة رضى الله عنه
قال وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان. وذكر قصة طويلة ذكر فيها انه
اخذ الجنى الذى كان ماخذ من التمر. وان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما فعل اسيرك البارحة
وقد تقدم فى سورة البقرة. وفى صحيح مسلم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال والله لولا اخى سليمان
لاصبح موثقا يلعب به ولدان اهل المدينة. يعنى العفريت الذى تفلت عليه. وساتى فى سورة
ص ان شا الله تعالى. وقوله تعالى **انا جعلنا الشياطين اولياء لعلنا نقرنا للذين لا**
يؤمنون اى جعلناهم زيادة فى عقوبتهم وسوينا بينهم فى الذهاب عن الحق. وقال الزجاج
يعنى سلطانهم عليهم يزيدون فى غيهم **واذا فعلوا فاحشة** **فالوا وجدنا عليها ابانا والله امرنا**
بها قال ابن عباس ومجاهد واكثر المفسرين الفاحشة هى طوافهم بالبيت عراة الرجال والنساء.
وقال عطاء والحسن هى الشرك والكفر. والفاحشة اسم لكل فعل قبيح. فدخل فيه جميع المعاصى
والكبائر. فمكن حملها على الاطلاق. وان كان السبب مخصوصا بما ورد من طوافهم عراة.

ولما كانت هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون انها طاعات وهي في
انفسها فواحش ذمهم الله عليها ونهاهم عنها فاحتجوا عن هذه الافعال بما اخبر الله عنهم وهو
قوله تعالى **قالوا وجدنا عليها ابائا** والله امرنا بها فذكروا لانفسهم عذرا من احدهما
محض التقليد وهو قولهم وجدنا على هذا الفعل ابائا وهذا التقليد باطل لانه لا اصل له
والعذر الثاني قولهم والله امرنا بها وهذا العذر ايضا باطل وقد اجاب الله عنه بقوله
ان الله لا يامر بالفحشا والمعنى ان هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها هي في انفسها
قيح منكرة فكيف يامر الله بها والله لا يامر بالفحشا بل يامر بما فيه مصالح العباد ثم
قال تعالى **ردا عليهم اتقولون على الله ما لا تعلمون** يعني انكم ما سمعتم كلام الله ابتدأ من غير
واسطة ولا اخذتموه عن الانبياء الذين هم وسائط بين الله وبين عباده في سلبه او امره ونواهيته
واحكامه لانكم تنكرون بنوه الانبياء فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون **قوله** تعالى
قل مررت بالقسط اي قل يا محمد لهو لا الذي تقولون على الله ما لا يعلمون امر ربي بالقسط يعني
بالعدل وهذا قول مجاهد والسدي **وقال** ابن عباس رضي الله عنه معنى امر ربي بالقسط اي بلا
اله الا الله فالامر بالقسط في هذه الالة مشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله
وانه واحد لا شريك له **وقوله** **واقموا وجوهكم عند كل مسجد** اي وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم
في الصلاة الى الكعبة وهذا قول مجاهد والسدي **وقال** الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وانتم عند
مسجد فضلو ايقينه ولا يهولن احدكم اصلي في مسجدى او في مسجد قومي **وقيل** معناه اجعلوا اسحوكم
له خالصا فان **قل** قوله قل امر ربي بالقسط خبر **وقوله** **واقموا وجوهكم عند كل مسجد**
امر وعظما الامر على الخبر لا يجوز فما معناه **قل** له فيه اضرار وحذف بقدره فل امر
ربي بالقسط **وقال** واقموا وجوهكم عند كل مسجد **قوله** **قال** له الالة **ومعنى** الالة
في قول مجاهد والسدي وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلاة الى الكعبة **وقوله** **وارعوه**
مخلص له الدين اي واعدوه مخلصين لعبادة والطاعة والدعاء لله عز وجل لا لغيره **كما بداكم**
تعودون **قال** ابن عباس رضي الله عنهما عز وجل **بدا خلقني آدم مومنا وكافرا** **كما** قال تعالى هو الذي خلقكم
فمنكم كافرو ومنكم مومن **بم** يعيدهم يوم القيامة **كما** بدا خلقهم مومنا وكافرا **وحجة** هذا القول

٢٠٢
قوله في ساق الالة **فرىقا هدى و فرىقا حق عليهم الضلالة** فانه كالتفسر له ويدل على
صحة ذلك ما روى عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث كل عبد
على ما مات عليه اخرج به مسلم و زاد البغوى في روايته المؤمن على ايمانه والكافر على كفره
وقال محمد بن كعب من ابتداء الله خلقه على الشقوة صار الى ما ابتداء عليه خلقه وان عمل
بما عمل اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل اهل السعادة ثم صار الى الشقا ومن ابتداء
خلقته على السعادة صار اليها وان عمل بما عمل اهل الشقا كما ان السحرة كانوا يعملون بعمل اهل
الشقا ثم صاروا الى السعادة وصح هذا القول ما روى عن ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل يعمل الزم الطويل بعمل اهل الجنة ثم ختم له عمله بعمل اهل
النار وان الرجل يعمل الزم الطويل بعمل اهل النار ثم ختم له عمله بعمل اهل الجنة اخرج
مسلم وقال الحسن ومجاهد في معنى الالة كما بدأكم فخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيا فاحياكم
ثم يميتكم كذلك تعودون احياء يوم القامة وشهد لصحة هذا القول ما روى عن ابي عباس
رضى الله عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة فقال ايها الناس انكم محشورون
الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق بعينه وعدا علينا انا كما فاعلين اخرج البخارى
ومسلم رحمهما الله وقوله تعالى فرىقا هدى يعنى هداهم الله الى الايمان به ومعرفته ووقفهم
لطاغته وعبادته و فرىقا حق عليهم الضلالة للسابقة التى سبق لهم فى الازل بانهم اشتقوا
وفى دليل على ان الهدى والضلال من الله تعالى وما روى عن عبد الله بن عمرو بن
العاص رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق خلقه فى ظلمة فالتقى
عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل اخرج الترمذى رحمه الله
وقوله تعالى **انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله** يعنى ان الفرق الذين حق عليهم الضلالة
اتخذوا الشياطين نصرا واعوانا اطاعوهم فيما امرهم به من الكفر والمعاصى والمعنى ان
الداعى الذى دعاهم الى الكفر والمعاصى هو انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله لا ان الشياطين
نقدروا على اضلال احد وقوله **وكسبون انهم مهتلون** يعنى انهم مع ضلالهم يظنون
وكسبون انهم على هدى وحق وقوله دليل على ان الكافر الذى يظن انه فى دينه على الحق

والمجاهد والمعاد في الكفر سوا. **قوله** عز وجل **يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد**
اي خذوا ثياب زينتكم وهذا خطاب لجميع العالم وان كان المقصود بها من كان يطوف من
العرب بالبيت عربيا فانه عام في كل مسجد للصلاة لان العبرة للجموع لا للبيت ومن العلماء من
انكر ان يكون المراد به الطواف لان الطواف لا يكون الا في المسجد الواحد والذي يعمر كل مسجد
هو الصلاة وهذا قول من خفي عليه مقاصد الشريعة وروى مسلم في صحيحه عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوفا فتجعله على
فرجها وتقول.

اليوم بيّدتُ وابعضه او كله وما بدامنه فلا اُحله.
فتزلت هذه الالة خذوا زينتكم عند كل مسجد وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وذكر البيت زاد في رواية
اخرى عنه فامرهم الله تعالى ان يلبسوا ثيابهم ولا تتعروا. وقال مجاهد كان حي من اهل
اليمن كان احدهم اذا قدم حاجا او معتمرا يقول لا ينبغي لي ان اطوف في ثوب قد عصيب فيه
فتقول من يعيرني تطوفا فميز را فان قدر عليه والاطاف عربيا فانزل الله فيه ما تشعرون
خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهري ان العرب كانت تطوف بالبيت عراة الا الخمس
وهم قرش واهلهم فمن جاء من غير الخمس وضع ثيابه وطاف في ثوب احسن فانه لا يجل له ان
يلبس ثيابه فان لم يجد من يعيره من الخمس فانه يلقي ثيابه ويطوف عريانا وان طاف في ثياب
نفسه القاها اذا قضى طوافه تكريمها فيجعلها حراما عليه فلذلك قال الله تعالى خذوا
زينتكم عند كل مسجد وفي صحيح مسلم ايضا عن هشام بن عروة عن ابيه قال كانت العرب تطوف
بالبيت عراة الا الخمس والخمس قرش وما ولدت كانوا يطوفون بالبيت عراة الا ان يعطيهم الخمس
ثيابا ويعطي الرجال الرجال والنساء النساء وكان الخمس لا يخرجون من المزدلفة وكان الناس كلهم
يقفون بعرفات وفي غير رواية مسلم ويقولون نحن اهل الحرم فلا ينبغي لاحد من العرب ان يطوف
الا في ثيابه ولا ياكل اذا دخل ارضا الا من طعامنا فمن لم يكن له من العرب صدقة تمسكه يعيره
ثوبا ولا يسا رستاجره به كان بين احد امرئنا اما ان يطوف بالبيت عربيا واما ان يطوف

في ثيابه فاذا فرغ من طوافه القى ثوبه عنه فلم يمسسه احد فكان ذلك الثوب سمي اللقا
وقال فايل من العرب

كفى حزنا كرى عليه كانه لقي بس ايدي الطايفين حريم

فكانوا على تلك الجهالة والبدعة والضلالة حتى بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل
عليه هذه الالة ما بنى ادم خذوا زنتكم عند كل مسجد واذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان لا يطوف بالبس عريان قال بعضهم ومن قال المراد الصلاة فرسنتها النعال المحذ
الذي رواه كرز بن وبره عن عطاء عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ذات يوم خذوا زينة الصلاة قبل ما رسول الله وما زينة الصلاة قال البسوا نعالكم فضلوها فيها
ودلت هذه الالة على ان المراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة وقال مجاهد معنى قوله
خذوا زنتكم اي ما يوارى عورتكم ولو عباءة وقال الكلبى الزينة ما يوارى العورة عند كل
مسجد لطواف وصلوه وقوله تعالى خذوا زنتكم امر وظاهره الوجوب ففنه دليل على ان
ستر العورة واجب في الصلاة والطواف وفي كل حال لذا ذكره بعضهم وذهب جماعة من العلماء
الى ان ستر العورة فرض من فروض الصلاة وقال الابهرى هي فرض في الجملة وعلى الانسان ان
سترها عن عيني المخلوق في الصلاة وغيرها وهذا هو الصحيح لقول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
ان من محرمات ارجع الى ثوبك فخذها ولا تمسها وعراة اخرجها مسلم وذهب بعضهم الى ان ستر
العورة من سنن الصلاة واحتج انه لو كان فرضا في الصلاة لكان العريان لا يجوز له ان
يصلى لان كل شئ من فروض الصلاة يجب الاتان به مع القدرة عليه او بدله مع عدمه
او تسقط الصلاة جملة وليس كذلك والصحيح الاول واختلف العلماء فيما اذا راي عورة
نفسه وهو في الصلاة فقال الامام الشافعي اذا كان الثوب صيقا يبرره او تخله بشئ ليلا
يتجافى القميص فيرى من الجنب العورة فان لم يفعل وراى عورة نفسه اعاد الصلاة وهو
قول الامام احمد ورض الامام في الصلاة في القميص محلول الا اذا رايه سرا ويل وهو
قول الامام ابي حنيفة وابي ثور وكان سالم يصلي محلول الا اذا رايه سرا ويل وهو
عظم اللحية فلا يباس به فان كان اما ما فلا يصلي الا بردا يه لانه من الزينة وقيل

زينة الصلاة رفع الايدي في الركوع والرفع منه قال ابن عمر رضي الله عنه لكل شي زينة وزينة
الصلاة التكرور ورفع الايدي وقال عمر رضي الله عنه اذا اوسع الله فوسعوا جمع رجل عليه
ثابه صلى في ازار وردا في ازار وقيص في ازار وقيبا في سراويل وردا في سراويل وقيص
في سراويل وقيبا واحسبه قال في تبان وقيص في تبان وردا في تبان وقيبا رواه
الخوارزمي والدارقطني وقال بعضهم اذا انتبه الانسان من نومه وقام من فراشه فليلبس ثوبه
بنية ستر العورة وذلك واجب ثم لا تخلوا الثوب اما ان يكون مما يتزين به ام لا فان كان
كذلك ضم اليه الواجب امثال السنة في اطهار نعم الله تعالى للمحدث الوارد عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان يركب ثوبه عليه فينوي بلبس الثوب
مبادرته الى ما يحبه الله منه وان كان الثوب مما لا يتزين به فينوي بلبسه التواضع لله تعالى
والانكسار والتذلل برأيه واطهار الحاجة والسكينه والفقرا اليه وامثال السنة ايضا
للمحدث الوارد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ترك اللباس وهو قادر عليه كساه الله عز وجل
يوم القيامة من طي القلوب او كما قال وروى ابو داود في سننه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من ترك لبس ثوب جمال وهو قادر عليه احسبه قال تواضعا كساه الله حله الكرامة
هذا اذا كان ممن له سعة وترك اللباس وهو قادر عليه واما اذا لم يكن له غير ذلك الثوب
فقد تعسر على الوجوب لسه لكن يضم اليه الوجوب الرضا بما قسم الله له وترك الاختيار على
الله تعالى والتسليم له في حكمه وهذا اعظم اجرا اذا حسنت نيته وان كان ممن يحتاج اليه
ثاب كثره لا بدله منها ويلبسها لاجل حرا وبرد فينوي بذلك دفع البرد والحرج عنه
ممثلا في ذلك حكمة الله تعالى واطهار الحاجة اليه والاضطرار في لبسه مع اعتقاد اليه
ان ذلك لا يدفع حرا ولا بردا الا بمشئة الله تعالى وحكمته وعلى هذا المعنى حكى عن بعض الفضلاء
انه كان في بعض الايام جالسا في بعض الدروس فاراد ان يحول ثوبه واوما لذلك وتحرك
الله ثم رجع عنه وجعل يستغفر الله تعالى فسيل عن ذلك فقال حانت مني التفاتة الى ثوبي
فرايت قد لبسته مقلوبا فعزمت على تعديله ثم تذكرت اني كنت لبسته حين قدمت من
الفراش بنية ستر العورة فاستغفرت الله تعالى مما اردت فعله قال بعضهم ان هذا

السيد رحمه الله انما جعل يستغفر الله تعالى لانه قد يكون لم يخلص له اليه بحضرة من كان
 معه في الوقت او خلعت وخاف ان شوبها بشر ما لاجل حضورهم فترك اليه او اراد
 يترك ذلك على حاله واستغفاره مما اراد فعله تعلم للطلبة كيفه الافعال كلها
 فكان لبس الثوب منه تشبها على بايها والالوه حوله ذلك الوقت وعدله بنية اكمال الرتبة
 وانها رالنعم على ترضت حكمة الله تعالى في ذلك لم يكن ذلك عضا داليته الاولى لكن هذه
 الطائفة اخذت بالمجد والحزم فصرها وقع لهم شي مما من الشوايب او توهم ما بطرف ما
 تركوا الفعل البتة والله اعلم وقوله تعالى **وكلوا واشربوا** قال الكلبى كانت بنوعا مسر
 لا ياكلون في امام حجيم الا قوتا ولا ياكلون دسما يعطون بذلك حجيم فقال المسنون نحن
 احق ان نفعل ذلك ما رسول الله فانزل الله عز وجل **وكلوا واشربوا** بعنى اللحم والدم **ولا**
تسرفوا بعنى تحريم ما لم يحرمه الله من اكل اللحم والدم **ولا تسرفوا** قال ابن عباس رضى الله عنه
 كل ما شرب واشرب ما شرب واليس ما شرب ما اخطا تترك حصلتان سرف ومخيلة فاما
 ما تدعوا الحاجة اليه وهو ما سد الجوعة وسكن الظما فنسب اليه عقلا وشرعا لما
 فيه من حفظ النفس وحراسة الكواس ولذلك ورد الشرع بالنهى عن الوصال لانه يضعف
 البدن ويميت النفس ويضعف عن العبادة وذلك يمنع منه الشرع ويرفعه العقل
 وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظ من بر ولا نصيب من زهد لان ما حرمها من فعل
 الطاعة بالعجز والضعف اكثر ثوابا واعظم اجرا وقد اختلف في الزايد على قدر الحاجة
 على قولين قال بعضهم انه حرام وقال بعضهم انه مكروه وهو الصحيح فان قدر الشبع اختلف
 باختلاف البلدان والازمان والاسنان والطعمان ثم قل له قل له الاكل منافع كسره
 منها ان يكون الرجل اصح جسما واجود حفظا وادق فهما واقد نوما واخف نفسا
 وفي كثره الاكل كط المعدة ونش التخمه وتتولد منه الامراض المختلفة فحتاج من
 العلاج اكثر مما يحتاج اليه القليل الاكل وقال بعض الحكماء الكبر الدوا تقدر الغذاء
 وقد بنى النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى سانا شافيا يخشى عن كلام الاطباء فقال ما
 ملا ابن ادم وعاشرا من بطنه بحب ان ادم لقمات يقمن عليه فان كان لا محاله فثقت

التصريف في

للعامة وبلت لشرابه وبلت لنفسه اخرجته الترمذي من حديث المقدم بن محدي كرب
قال العلماء لوسع بقراط هذه القصة لعجب من هذه الحكمة . يذكر ان هرون
الرشيد كان له طبيب نصراني هادق . فقال لعلي بن الحسن ليس في كتابكم من علم الطب شيء
والعلم علمان علم الاديان وعلم الابدان فقال له علي قد جمع الله تعالى الطب كله في نصف
ايه من كتابه العزيز فقال ما هي قال قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا . فقال
النصراني ولا يوتر عن رسولكم شيء من الطب فقال علي رضي الله عنه قد جمع سدرا سؤل الله
صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ سيرة . قال المعدة بيت الداء . والحكمة رأس كل دواء . واعط
كل جسد ما عودته . فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا ينبيكم لجالينوس طبيا . وقال بعضهم
تقال ان معالجة المريض بصفات نصف دواء ونصف حمية . فان اجتمعا فكانت بالمرضى
وقد برأ وصح ما ذن الله عز وجل . والافاحية به اولى . اذ لا ينفع دواء مع ترك دواء الحمية .
ولقد تنفع الحمية مع ترك الدواء . ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اصل كل داء الحمية
والمعنى بها والله اعلم ان الحمية تغني عن كل دواء . ولذلك يقال ان الهند جل معالجتهم
الحمية سمح المرض من الاكل والشرب والكلام عدة ايام فيبر ما ذن الله عز وجل ويصح .
وروى مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الكافر
ما كل في سبعة امعا . والمومن ما كل في معا واحد . وهذا منه صلى الله عليه وسلم حظ
على التقليل من الدنيا والزهد فيها . والقناعة بالبلغة . وقد كانت العرب تمتدح بقوله

اهل

الاكل وتدم بكثريه كما قال قائلهم

نكفه فلدة كبد ان الم بها من الشوا وپروى شربة العمر .

وقالت ام زرع في ابن ابي زرع وشبعه ذراع الجفرة . وقال حاتم الطائي

يذم بكثرة الاكل

فانك ان اعطيت طنك سوله وفرجك نالامنتهى لذم اجمعا .

وقال الخطابي معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم المومن ما كل في معا واحد انه ما كل دون
شبعه ويوتر على نفسه ويبقى من زاده لغيره فيبقعه ما اكل . والتاويل الاول اولى والله اعلم

وقوله على اللام الكافر باكله
 سعة المعاليين على غيره
 لان الشاهد تدرجته
 فانه قد يوجد كافر اقل
 اقل من جوع وسب
 الكافر فلا نقل كله ولا
 يزيد وفيه

وقيل هو اشارة الى معين . ضاف النبي صلى الله عليه وسلم صيف كافر . يقال انه اجهجاه
 الغفاري . وقيل شامة بن اثال الحنفي . وقيل بضلة بن عمر والغفاري . وقيل بصره بن ابي
 بصرة الغفاري . فشرى حلاب سبع شياه ثم انه اصبح فاسلم فشرى حلاب شاة فلم يستمه
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك . فكانه قال هذا الكافر بعينه والله اعلم . **وقيل** ان القلب
 لما تنور بنور التوحيد نظر الى الطعام بعين التقوى على الطاعة . فاخذ منه بقدر الحاجة .
 وحين كان مظلم بالكفر كان اكله كالبهيمة ترتع حتى تغلط . واختلف في هذه
 الامعا هل هي حقيقة ام لا فقل حقيقة . ولها اسما معروفه عند اهل العلم بالطب
 والتشريح . **وقيل** هي كنايات عن اسباب سبعة باكل بها البهيم . ماكل للحاجة . وللحس
 وللنظر . والشم . واللمس . والذوق . ويزيد استغنا . **وقيل** المعنى باكل من له
 سبعة امعا . والمومن لخفة اكله ماكل من ليس له الامعا واحدا . فيشارك الكافر في
 جرو من اجزا اكله . ويزيد الكافر عليه سبعة امثاله . والمعاني هذا الحديث هو
 المعدة . اذا تقرر هذا فاعلم انه يجب للانسان غسل اليد قبل الطعام وبعده لقول
 النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام وبعده بركة . وكذا هو مذكور في التوراة . رواه
 زاذان عن سلمان رضي الله عنه . وكان الامام مالك يكره غسل اليد النظيفه . والاقدا بالحديث
 اولى . ولا باكل طعاما حتى يعلم احار هو ام بارد . فانه ان كان حارا فرمما تاذى . وروى
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ابردوا بالطعام فان احار غير ذي بركة . ولا يشمه .
 فان ذلك من عمل البهايم . بل ان اشتهاه اكله وان كرهه تركه . وصغر اللقمة . وبكثر
 مضغها ليلا يعد شرها . **وسمي** الله تعالى في اوله . وحده في آخره . ولا ينبغي ان يرفع صوته
 بالحمد الا ان يكون حلساوه قد فرغوا من الاكل . لان في رفع الصوت منعا لهم من الاكل .
واداب الاكل والشرب كثره سندكرها من طرق على حسب التيسر ان شا الله . وفي صحيح
 مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اكل احدكم فلما اكل يمسه .
 واذا شرب فليشرب بيمينه فان الشيطان باكل شماله ويشرب بشماله . **وقول** الله تعالى
 ولا تسرفوا اي في كثره الاكل . وصل بكرة الاكل والشرب . وذلك لانه ثقيل المعدة وشيط الانسان

عن خدمة ربه عز وجل. والخذل حظه من نوافل الخير. فان تغدى ذلك الى فوّه مما
 يمنعه القيام بالواجب عليه حرم عليه. وكان قد اسرف في مطعمه ومشربه. وروى
 اسد بن موسى من حديث عون بن ابي حنيفة عن ابيه رضي الله عنهما قال اكلت ثريد بئر لخم
 سمين. فانت النبي صلى الله عليه وسلم وانا الجشي. فقال الكفف عليك من حشايدك ابا حنيفة.
 فان اكر الناس شبعاً في الدنيا اهلهم جوعاً يوم القيامة. فما اكل ابو حنيفة ما يلا بطنه
 حتى فارق الدنيا. كان اذا تغدى لا تشعشع. واذا عشى لا تتغدى. **فان** وقد يكون هذا
 معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن باكل في معا واحد. اى التام الايمان. لان من حسن
 اسلامه وكمل ايمانه كما بحنيفة تفكر فيما يصير اليه من الموت وما بعده ومنعه الخوف
 والاشفاق من تلك الاهوال من استيناف شهواته. والله اعلم. **وقال** ابن زيد معنى قوله تعالى
 ولا تسرفوا اى لا تاكلوا حراماً. **وقيل** من السرف ان تاكل ما اشتهت. رواه انس بن مالك
 عن النبي صلى الله عليه وسلم حرجه ابن ماجه في سننه. **وقيل** من الاسراف الاكل بعد الشبع
 وكل ذلك محذور. **وقال** لقمان لابنه يا بني لا تاكل شبعاً فوق شبع. فان كان تبتذله للكلب
 خير من ان تاكله. **وسال** سمرة بن حذاف عن ابنه ما فعل. **قال** والوايشم البارحة. **قال**
 بشم والواشم **قال** اما انه لو مات لم اصل عليه. **وقيل** ان العرب في اجاهليه كانوا لا
 ياكلون دسماً في ايام حجههم. وسكفون باليسير من الطعام. ويطوفون عراة فقل لهم خذوا
 زنتكم عند كل مسجد واكلوا واشربوا ولا تسرفوا في تحريم ما لم يحرم عليكم. **فصل** ذكر
 صاحب كنز العباد طريقاً في ادب الاكل والشرب. **قال** رحمه الله اعلم ان في الاكل فريضة
 وسنة ومستحبا. وادبا ومنهيا. ومكروها. وحراما. اما الفريضة فاربعة ان لا تاكل الا
 من الحلال. وان يعلم انه من الله تعالى. وان يكون راضياً به. وان لا يعصى الله فيه ما دام قوة
 الطعام فيه. واما السنة فتلات وعشرون. ان تخلع نعليه. وان يغسل يديه الى الرسغين
 قبل الطعام. فانه ينفي الفقر. وان يوضع الطعام على السفرة وهي على الارض. وان تكون
 القصة من خرف او خشب. وان يحضر الخل والبقل على المائدة. لقول النبي صلى الله عليه
 وسلم نعم الادم الخل. ولقوله صلى الله عليه وسلم من اكل الخل قام على راسه ملك يستغفر له حتى يفرغ

ما مله عليه

في زواجر الاكل

٢٠٦
منه وروى ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها بقل وان يجلس على رجله اليسرى
وينصب اليمنى يضبا وان جلس محتفزا جاز وهو من فعل النبي صلى الله عليه وسلم وان
جثى على ركبته فهو ايضا فعله صلى الله عليه وسلم وان يقول بسم الله الرحمن الرحيم
فان سقى اوله فليقل في آخرة او اذا ذكره وسبغى ان يرفع صوته بالتسمية حتى يلقن من
معه ومن لم يسم الله تعالى شاركه الشيطان في طعامه وان يقول اللهم بارك لنا فيه
وزدنا خيرا منه وان كان لنا بقول اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وان ياكل باليمين
فان الشيطان ياكل شماله وشرب شماله وان يبدأ بالملح ويختتم به لقول النبي صلى الله
عليه وسلم لعلي رضي الله عنه ابدأ بالملح واختم به فانه شفا من سبعين داء منها الجنون والحذام
والبرص ووجع البطن ووجع الاضراس وان يرفع الملح باصبعيه المسبحة والابهام
ويكره وضع المملحة على الخبز لان فيه الاستخفاف بالخبز لكن يوضع الملح وحده على الخبز
وان يرفع الخبز سديه ولا يكسر الصبح مادام يجد مكسورا وان ياكل سلاسه اصابع
وان كان ثريدا فبالابهام والمسبحة والتي يليها ولا ياكل بالابهام والمسبحة ولا بالخنس
وان ياكل مما يليه الا الفاكهة وان لا ياكل من وسط الشيء لقول النبي صلى الله عليه وسلم
تنزل البركة في وسط الطعام فكلوا من جوانبه ولا ياكلوا من وسطه وقال صلى الله عليه وسلم
لا ياكلوا الطعام من فوق فان البركة تنزل من فوق وان ياكل ما سقط من المائدة
بالتعظيم لقول النبي صلى الله عليه وسلم من اكل ما سقط من المائدة لم ينزل في سعة من الرزق
ودفع عنه الحمق وعن ولده وولد ولده وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا سقط لقمه احدكم فليأخذها وليمط عنها الاذي ولا ياكلها ولا يدعها للشيطان
وقال صلى الله عليه وسلم كلوا ما سقط من المائدة فان ذلك مهوور المحور العين وان
بلعوا القصة فانها ستغفر لمن بلعها وان حمد الله تعالى اذا فرغ من الطعام ولا ينبغي
ان يرفع صوته بالحمد الا ان يكون حلسا وه قد فرغوا من الاكل لان في رفع الصوت من العالم
من الاكل وان يلعق اصابعه قبل الغسل قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته
يصلون على الذين يلعقون اصابعهم قال هشام بلعق الوسطى بم السبابة ثم الابهام

وَأَنْ يَخْلُدَ سِنَانَهُ بَعْدَ الطَّعَامِ • وَلَا يَخْلُدَ بِالْأَسِّ وَالرِّمَانِ وَالْقَصَبِ وَالطَّرْفَا وَالرِّحَانِ وَالْبُرِّي •
بَلْ يَخْلُدُ مِنَ الْخَلَالِ الْأَسْوَدِ وَالْأَصْفَرِ وَمِنْ شَجَرٍ مُشْرِئٍ وَلَا يَبْتَلَعُ مَا خَرَجَ مِنْ سِنَانِهِ بِالْخَلَالِ •
بَلْ يَرْمِيهِ • وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ صَيِّفًا عِنْدَ النَّاسِ فَتَخْلُدُ فَلَا يَسْبِغِي أَنْ يَرْمِيَ بِالْخَلَالِ أَوْ بِالطَّعَامِ
الَّذِي خَرَجَ مِنْ سِنَانِهِ • لِأَنَّ ذَلِكَ يَفْسُدُ ثِيَابَ النَّاسِ • وَلَكِنَّهُ مَسْكَةٌ فَإِذَا أُتِيَ بِالطَّسْتِ
لَغَسَلَ الْأَيْدِيَ الْقَاهِ فِيهِ • ثُمَّ يَغْسِلُ يَدَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْمَرْوَةِ • وَإِنْ غَسَلَ الدُّنْزَ إِلَى
الرِّسْفِ بَعْدَ الطَّعَامِ • فَإِنَّهُ نَفَى اللَّيْمَ • وَهُوَ الْجَنُونَ • قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْمَعُوا وَضُوكُمْ
بِجَمْعِ اللَّهِ شَمَلَكُمْ قِيلَ الْمُرَادُ بِهِ هَذَا • وَاللَّهُ أَعْلَمُ فَمَهْدُهُ ثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً لِلْأَكْلِ • وَأَمَّا
مَسْتَحْبَاتُهُ فَارْبَعَةٌ • أَنْ يَجْتَمَعَ عَلَى الطَّعَامِ حِمَاةٌ • وَلَوْ كَانُوا مِنْ أَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ • قَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ سَارِكًا لَكُمْ فِيهِ • وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحِبَّ الطَّعَامَ مَا
إِلَى اللَّهِ مَا كَثُرَتْ عَلَيْهِ الْأَيْدِي • وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَكْلُ مَعَ الْأَخْوَانِ شِفَاءٌ • وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَرَّ النَّاسِ مَنْ أَكَلَ وَحْدَهُ • وَضُرِبَ عِبْدُهُ • وَمَنْعَ رَفْدِهِ • وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجْمَعُوا
الْأَكْلَ مَعَ الْأَخْوَانِ شِفَاءً • وَإِنْ بَكَوْنَ عَلَى الطَّعَامِ مِنْ اسْمِهِ مُحَمَّدٌ تَبَرَكَ بِاسْمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ •
وَإِنْ لَا يَرْفَعُ يَدَهُ عَنِ الطَّعَامِ فِي الْجَمْعِ حَتَّى يَرْفَعَ الْقَوْمَ أَيْدِيَهُمْ • لِأَنَّهُ يَجْعَلُ جَلِيْسَهُ بِذَلِكَ فَيَقْتَضِ
يَدَهُ • وَعَسَى أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الطَّعَامِ حَاجَةٌ • لِمَا رَوَى أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَكَلَ مَعَ قَوْمٍ
كَانَ آخِرَهُمْ أَكْلًا • وَإِنْ مَسَّحَ بِإِصْبَعِهِ عَيْنَهُ إِذَا فَرَّغَ مِنْ غَسْلِ الطَّعَامِ • لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَسَلَّمَ إِذَا تَوَضَّأْتَ فَاْمَسَحُوا عَيْنَيْكُمْ بِأَيْدِيكُمْ • وَلَا تَنْفِضُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا مَرَاوِحُ الشَّيْطَانِ • قَدْ لَانِي
هَرِيرَةٌ فِي الْوُضُوءِ وَعَنْهُ قَالَ نَعْمَ فِي الْوُضُوءِ وَغَيْرِهِ • وَذَكَرَ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ أَنَّهُ مَسَّحَ بِإِصْبَعِهِ عَيْنَيْهِ
وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ • فَهَذِهِ مَسْتَحْبَاتُ الْأَكْلِ • وَأَمَّا آدَابُهُ فَثَلَاثَةٌ وَعِشْرُونَ آدَابًا • أَنْ
يَأْكُلَ بَعْدَ الْجُوعِ • وَأَنْ يَمْسَكَ عَنِ الطَّعَامِ قَبْلَ الشَّبَعِ • وَأَنْ لَا يَمْسَحَ بِإِصْبَعِهِ بِإِصْبَعِهِ إِذَا غَسَلَ قَبْلَ
الطَّعَامِ بَلْ يَتْرُكْ حَتَّى يَجْفَ لِيَكُونَ أَثَرُ الْغَسْلِ بَاقًا عِنْدَ الْأَكْلِ • وَإِنْ قَوْلَ بِسْمِ اللَّهِ خَيْرًا لِاسْمَاءِ
بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ • بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ • وَحَكَى أَنَّهُ كَانَ لِأَبِي سَلَمَةَ الْخَوْلَانِي جَارِيَةٌ وَكَانَتْ تَسْقِيهِ السَّمَّ لِمَوْتِهَا لِأَنَّهَا كَانَتْ
تَبْغِضُهُ لِكِبَرِهِ • وَكَانَ لَا يَجْعَلُ فِيهِ السَّمَّ • فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ قَالَ لَهُ أَنِّي اسْتَفِدْتُ السَّمَّ مِنْهُ طَوِيلًا

٢٠٧
فكيف لا يجعل فك. قال لما ذاسقيتني السم. قالت لانك صرت شحا كبيرا. فامتحها. وقال لها
اني اقول عند الاكل بسم الله خيرا لاسما. بسم الله رب الارض والسما. بسم الله الذي لا يضر مع اسمه
شيء في الارض ولا في السما وهو السميع العليم. وان لا يستدى بالطعام حتى يستدى المقدم او
الشح او العالم او السلطان او الامير. لما روى حذيفة رضى الله عنه قال كما اذا حضرنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم طعاما لم يضع احدنا يده حتى يبارس رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وان يصغر اللقمة. وان مضغها مضغا بالغا. وان ماكل من طرف القصة. وان لا يرفع لقمة
قبل ابتلاع الاولى. وان لا يرفع راسه. وان لا يفتح فاه فتحا بالغا. وان يقول في اول كل لقمة
بسم الله الرحمن الرحيم. وفي اخر كل لقمة الحمد لله رب العالمين. وان يكون بصره الى ما ماكل. وان
يحول وجهه اذا اسعدا وعطس. وان يصرف وجهه عن الطعام. وياخذ بيساره اذا خرج
شيء من فيه كالعظم ونحوه. وان لا يغمس اللقمة الدسمة في الخلد. ولا الخلد في الدسومة. لانه
يكرهه غيره. وان لا يغمس اللقمة التي قطعها بالسنة في الخلد والمرقة. وان لا يدخل يده في القصة
حتى يرفع صاحبه يده منها. وان لا يرمى العظم وقشر البيطخ وما اشبه ذلك بل يضعه بين يديه.
وان لا يجبر احدا على الاكل الا ان يكون ضيفا او مريضا. وان يرفع اللقمة ليلا لترشح منها
شيء على القصة او السفارة. وان ياخذ الاشارة بيد اليمنى. فاذا فرغ يردده باليمنى ايضا.
وان يدعوا للذي يصب الماء على يديه فنقول له طهرك الله من الذنوب. وان يصب الماء من فيه
في الطست يرفق. كيلا يخرج رشاشه على الفراش واصحابه. وان لا يشرب الماء اذا اشتغلا وبفضل
الابدى حتى يخرج الطست من بين ايديهم. وان يصلي ركعتين بعد الفراغ من الطعام شكر الله تعالى
على نعمته. فهذه اداب الاكل. واما منهاثة فاربعة عشر. ان يكره من الطعام شيئا الا
ما يضره. لما روى ان ابا هريرة رضى الله عنه قال ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط.
ان اشتهاه اكله والتركه. وان ماكل من وسط الخبز وترك جوانبه. وان ماكل في الظلمة.
وان ترك الطعام اذا وقع الذباب فيه بل يحقل الذباب الواقع مقللا ويخرجه ثم ماكل.
وان ماكل قائما او ماشيا. لان فيه دناءة. وان يقطع اللحم بالسكين لقول النبي صلى الله عليه وسلم
لا تقطعوا اللحم بالسكين كما تقطعه الا عاجم. ولكن انفسوه نهسا فانه اهنا وامركي. وان

يقطع الخبز بالسكين للنهي الوارد عنه **وَأَنْ يَنْفُذَهُ فِي الْقِصْعَةِ وَأَنْ يَقْدِمَ رَأْسَهُ عِنْدَ وَضْعِ**
اللِقْمَةِ فِيهِ **وَأَنْ يَقُومَ لِمَجِي أَحَدٍ عَلَى الْمَائِدَةِ** **وَأَنْ يَقُومَ إِلَى امْرُؤٍ بِغَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى الطَّعَامِ**
إِلَّا أَنْ خَافَ فُوتَ الْجَمَاعَةَ **وَأَنْ يَقُومَ عَنِ الْمَائِدَةِ بَعْدَ الْفِرَاقِ قَبْلَ رَفْعِ الْمَائِدَةِ مِنْ سُرْدِيهِ مَا**
رَوَى عَنْ ابْنِ عَمْرِو بْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا وَضَعْتَ الْمَائِدَةَ فَلَا يَقُومُ أَحَدٌ
حَتَّى تَرْفَعَهُ **فَهَذِهِ مِنْهُنَّ مِنَ الْأَكْلِ** **وَأَمَّا مَكْرُوهَاتُهُ فَأَشْنَاءُ عَشْرًا** **أَنْ يَكُونَ الْأَوَّلِيُّ مِنَ الصَّفْرِ**
وَالنَّخَاسِ **وَأَنْ يَضَعَ الْقِصْعَةَ وَغَيْرَهَا عَلَى الْخَبْزِ إِلَّا مَا يُوَكَّلُ بِهِ** **لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْرَمُوا**
الْخَبْزَ فَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ **وَأَنْ يَأْتِيَ بِمُقَدِّمِ الطَّعَامِ إِلَيْهِ** **لأنه استهانته به وترفعه عليه**
بل يقدم هو إلى الطعام **وَأَنْ يَنْفُخَ فِي الطَّعَامِ** **مَا رَوَى عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ**
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ النَّفْخَ فِي الطَّعَامِ يَذْهَبُ بِالْبِرْكَهَةِ **وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لِمَنْ يَكُنْ رَسُولَ اللَّهِ**
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْفُخُ فِي الطَّعَامِ وَلَا فِي الشَّرَابِ **وَأَنْ يَشْتَمَ الطَّعَامَ** **لأن ذلك من عمل البهائم**
وَأَنْ يَأْكُلَ طَعَامًا حَارًّا **مَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ أَبْرِدُوا الطَّعَامَ فَإِنَّ الْحَارَّ غَيْرُ**
ذِي بَرَكَهَةٍ **وَأَنْ يَنْظُرَ إِلَى لِقْمَةٍ غَيْرِهِ** **وَأَنْ تَسْكُتَ حَالَهُ الْأَكْلَ** **لأنه تشبه بالمجوس بل سكتهم**
بالمعروف وتحدث حكايات الصالحين في الأكل في الطعمه وغيرها **وَأَنْ يَكْثُرَ الْأَكْلُ حَتَّى يَمْلَأَ بَطْنَهُ**
لِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاشِرُ مِنْ بَطْنِهِ **قَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَّاضٍ حَضَلَتَانِ**
تَقْسَانِ اللَّحْبِ كَثْرَةُ الْأَكْلِ وَكَثْرَةُ الْكَلَامِ **وَأَنْ يَمْسَحَ الْأَصَابِعَ أَوْ السَّكِينَ بِالْخَبْزِ إِلَّا إِذَا أَكَلَ بَعْدَ**
ذَلِكَ **وَأَنْ يَمْسَحَ الْيَدَ بِكَأَنَّهَا غَدِيءٌ لِلْكَأَبَةِ** **وَأَنْ يَأْكُلَ فِي الطَّرِيقِ** **فهذه مكرهات الأكل**
وَأَمَّا أَحْرَامُهُ فَثَنَانٌ أَحَدُهُمَا أَنْ يَأْكُلَ فَوْقَ الشَّبَعِ الثَّانِي أَنْ يَرْفَعَ السَّمَاطَ مَا لَمْ يَقْلُ
صَاحِبُ الْبَيْتِ أَوْ فَعُوا **وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقَالَ صَاحِبُ الذَّخِيرَةِ السَّرْفُ فِي الطَّعَامِ أَنْوَاعٌ مِنْ ذَلِكَ**
أَنْ يَأْكُلَ فَوْقَ الشَّبَعِ فَإِنَّهُ حَرَامٌ **وَأَسْتَشِي بَعْضَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَأْتِيَ صَيفِي بَعْدَ مَا أَكَلَ**
قَدْ رَاحَتُهُ فَإِنَّهُ يَأْكُلُ لِأَجْلِ الصَّيْفِ حَتَّى لَا يَنْجَلِ **أَوْ يَرِيدُ صَوْمَ الْغَدِ مَا كَلَّ فَوْقَ الشَّبَعِ**
وَقَالَ صَاحِبُ كُنُزِ الْعِبَادِ وَبِأَكْرَمِ الْعَدَا مَا اسْتَطَاعَ فَفِيهِ فَوَائِدٌ لِلْبَدَنِ وَالطَّبْعِ وَتَقْشِي
قَلْبًا **وَلَا يَتْرَكُ الْعِشَاءَ فَإِنَّ تَرْكَهُ مَهْرَمَةٌ** **وَبِكَثْرَةِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ كُلِّ أَرَضَةٍ**
فَإِنَّهُ مِنْ جَوْهَرِ أَوْ دَعِ نُورِ نَبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا فَارَقَهُ النُّورَ انشأ وابنت فصار حَبَابًا

وتبرك ماكل البيطخ فان فيه قطرة من ماء الكعبة من اراد شراه وقل عند تقليب
 بسم الله الرحمن الرحيم ان الهرة ثاب علينا وانما ان شاء الله لمهتد ون فاذا اراد قطعه
 فليقل فذبحها وما كانوا يفعلون فان الله تعالى يطيب له وان استطاع ان لا يطبخ شيئا من
 بزرة وقشره فليفعل وكان النبي صلى الله عليه وسلم ياكل الخبز بيضا والبطخ يساره وياكل
 من هذا ومن هذا ولا بأس بان يستعمل يساره في الاكل عند الحاجة وفي الحديث عن
 ابي هريرة رضي الله عنه قال كان احب الثمار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم البطخ والرطب
 وان استشفى بالعسل من جميع الامراض فانه سادك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحذر الدبا
 وهو القرع وفي الحديث ما من من الاوفى قطرة من ماء الكعبة فسبحي ان لا يطبخ من حبه
 شيئا ويا كله بشحمة فانه دباغ المعدة ومن السنة ان ياكل العنب كجبه وان ياكل القشأ
 بالملح وان يبدا ما لا ياكل من اسفلها ولا بأس باكل البصل والثوم مطبوخا ولا ماكل النبي
 فانه يودي الملائكة والسنة في اكل الفجل ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في اول قضمة
 لملا يوجد ركه وذكر صاحب روضة العلماء انه ليس بشي اضرم الكرام وذلك لان ادم
 عليه السلام لما تناول من الشجرة تقيما عمر اطويلا وصار ذلك التي سما قابلا الى يوم القامة
 واصد السم من ذلك التي ولما تناول من الشجرة بقى قوتها في يديه فخرج حواجر ما تاب
 فخرج من حواجر قابيل فقتل اخاه هابيل فانظر كيف ضرر احرام بعر جيب وهو طيل فما ظنك
 اذا كان عامة طعامك منه فهذا ما ذكره صاحب كثر العباد في اداب الاكل واما
 اداب الشرب فكثيرة قال رحمه الله اذا اراد ان يشرب الماء فليأخذ الكوز بيمنه وينظر
 في الماء ويشرب ثلاثه انفاس وهو قاعد ويقول في ابتدا النفس الاول بسم الله وفي اتمائه
 الحمد لله وفي ابتدا النفس الثاني بسم الله الرحمن الرحيم وفي اتمائه الحمد لله رب العالمين وفي
 ابتدا النفس الثالث بسم الله الرحمن الرحيم وفي اتمائه الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وشرب
 مصا لا عبا لقول النبي صلى الله عليه وسلم مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا فان الاكسال من العب
 وراعى اسفل الكوز حتى لا يقطر عليه ولا شرب بالشمال ولا بنفس واحد فانه من اداب الدواب
 ولا شرب قائما لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك الا ان يكون في زمزم فانه رخصه قائما

ملاء اداب الشرب

ولا شربه مضطربا ولا متكاما ولا من غير المقادير لان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك ولا
يشرب الا من ثلثة الاثلاث لا يجمع الوسخ ولا شرب على الريق فانه ينقص القوة ولا
كثير الشرب في اثنا العظم الا اذا فسر بالقتل ولا شرب في الشرايين ولا تنفس ولا شرب من
النهر والجوز كرمه ولا يجمع في البطن من البيوت كما النهي حتى يستوي الماء الاول
ويشرب انما كتبت شرب الماء بالليل بعد ما نام فانما يوجب المعدة ويخاف منه العلة الا
ان يكون رجلا قد غلب عليه كراهه او يكون بهي وقال ان شرب الماء البارد قبل الطعام
يطلق بالمعدة ويبرد الطعام من المعدة والبدن واذا اكل فاكهة مثل السفرج والمشمش
والفواكه والزيب وكثير ذلك فلا ينبغي ان يشرب الماء على اثره فان ذلك يفسد المعدة وينجي ان
تظرب جدا كله ساعة او ساعتين او اكثر ثم يشرب الماء فانه اقل ضررا واذا اكل شاحارا
او شامرا الحار او باردا فلا شرب على اثره ما دام ذلك يفسد الاسنان واذا اراد
ان يشرب فلما اكل لقمته اول قمتين من الخبز ثم يشرب فان ذلك اقل ضررا واذا استسقاء قوم
فليبدأ بالشح فيقتنم اولا ويشرب هو في اخر القوم واذا ادمير الكوز على القوم يدار
سنة وتبرك بسور اخيه المؤمن لاسيما بسور الكاثير لقول النبي صلى الله عليه وسلم من شرب
من سور اخيه المسلم كتبه عشر حنات وفي رواية سبعون حسنة والله اعلم فلهذا ادا
ذكورها صاحب كثر العباد وذكر الامام الغزالي وغيره من اهل التحقيق للاكل ايا اكثره فيها
زيادات كسره على ما ذكرنا منها ما خسر المنقر وهو بلاء اقسام الاول في الاداب التي تقدم على
الاكل وهي سبعة الاول ان يكون الطعام بعد كونه حلالا في نفسه طيبا في وجهه مكسبه
موافقا لسنة والورع لو كتبت بسبب مكرهه في الشرع ولا يحكم هو في ومداهنة في دين
وقدم امره تعالى باكل الطيب وهو الحلال وقد مر النهي عن الاكل بالباطل على القتل تفخيما
لامر المحرم وبعضها لبركة الحلال فقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم سنم بالباطل
الايه والاصل في الطعام كونه طيبا وهو من الفرائض واصول الدين الادب الثاني غسل
اليدين قال النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر ويجده ينفي الهم وفي رواه ينفي
الفقر قبل الطعام ويجده لان اليد لا تتناولوا عن تلوث في تعاطي الاعمال فغسلها اقرب الى النظافة

والترهة. ولأن الأكل لقصدا لاستعانة على الدين عبادة. فهو جدير بأن يقدم عليه
ما يجرك منه مجرى الطهارة من الصلاة. **الأدب الثاني** أن يوضع الطعام على السفره الموضوعة
على الأرض. فهو أقرب إلى فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفعه على المائدة. كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا أتى بطعام وضعه على الأرض. فهذا أقرب إلى التواضع. فإن لم يكن فعلى
السفرة. فإنه بذكر السفر. وتذكر من السفر سفر الأخره. وحاجته إلى زاد التقوى. قال
النسري رضي الله عنه ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة. فدل فعلى ما إذا كانوا
ما يكون. قال على السفر. وفيه أربعة أحداث بعد النبي صلى الله عليه وسلم الموائد والمناخل
والأشنان والشبع. **الأدب الرابع** أن يحسن الجلسة على السفره في أول جلوسه ويستريحها.
فذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم. ربما جثى للأكل على ركبتيه وجلس على ظهر قدميه.
وربما نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى. وكان يقول لا أكل متكما. إنما أنا عبد أكل كما أكل
العبد. واجلس كما يجلس العبد. **الأدب الخامس** أن ينوي بأكله التقوى على طاعة الله تعالى.
لأن مطيعا بالأكل. ولا يفسد التلذذ والتعم بالأكل. وحكى عن إبراهيم بن شيبان رحمه الله
أنه قال منذ ثمان سنين ما أكلت شاة شهوتى. ويعزم مع ذلك على بعليل الأكل. فإنه إذا أكل
لأجل قوه العبادة لم تصدق نيته إلا ما أكل ما دون الشبع. فإن الشبع يمنع من العبادة. ولا
يقوى عليها. فمن ضروره هذه اليه كسر الشرة. وإيثار القناعة على الانتعاش. قال النبي صلى الله
عليه وسلم ما ملأ ابن آدم وعما شرب من بطنه. حسب ابن آدم لقمات يقمن صلبه. فإن لم يفعل
فثلث طعام. وثلث شراب. وثلث للنفس. ومن ضروره هذه اليه أن لا يمد يده إلى الطعام إلا
وهو جايح. فكون الجوع أحد ما لا بد من تقديمه على الأكل. ثم ينبغي أن يرفع اليد قبل الشبع.
ومن عمل ذلك استغنى عن الطبيب. **الأدب السادس** أن يرضى بالموجود من الرزق والكافى
من الطعام. ولا يجتهد في الشعم. وطلب الزيادة وانتظار الأدم. بل من كرامة الخبز أن لا
تطربه الأدم. وقد ورد الخبر بأكرام الخبز. فكل ما يديم الرهق وتقوى على العبادة فهو
خير كبير لا ينبغي أن يستحقه. بل لا ينتظر بالخبز الصلاة. وإن كان قد حضر وقتها إذا كان في
الوقت متسع. لقول النبي صلى الله عليه وسلم إذا حضر العشاء والعشا ظبدا بالصبا. وكان ابن عمر

رضي الله عنه ربما سمع قراءة الامام ولا يقوم من عشائه • ومهما كانت النفس لا تتوق الى الطعام
ولم يكن في باختر الطعام ضرر فالاولى بتقديم الصلاة • فاما اذا حضر الطعام واقمت الصلاة
وكان في التاخير ما يبرد الطعام او شوش امره فنقدمه احب عند اشباع الوقت سوا
تاقت النفس ولم تنق • لعموم الخبر • ولا زال القلب لا تخلوا عن الالتفات الى الطعام الموضوع
وان لم يكن الجوع غالباً • **الادب السابع** ان يجتهد في كبر الابدى على الطعام ولو من اهله
وولده • قال النبي صلى الله عليه وسلم احنموا على طعامكم سارك الله لكم فيه • وقال انس رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياكل وحده • **واما** اداب حاله الاكل • فهو ان يبدا باسم الله
في اوله • وبالحمد في اخره • ولو قال مع كل لقمة بسم الله فهو احسن حتى لا يشغله الشرة عن ذكر الله
ويقول مع اللقمة الاولى بسم الله • ومع الثانية لسم الله الرحمن الرحيم • ومع الثالثة لسم الله
الرحمن الرحيم • ويجهر به ليذكر غيره • وياكل باليمين • ويبدا بالملح • ويختم به • ويصغر اللقمة
ويجود مضغها • وما لم يتلحها فلا يمد يده الى الاخرى • فان ذلك عجلة في الاكل • وان لا يذمر
ما كولا • لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يجيب ما كولا قط • كان ان اعجبه اكله والانتزكه
وان ما كل مما يليه الا الفاكهة • فان له ان يجيل يده • وان لا ياكل من ذروه القصة ولا من
وسط الطعام • بل ياكل من استدارة الرغيف • الا اذا قل فيكسر الخبز • ولا يقطع بالسكين • ولا
اللحم ايضا • فقد نهى عنه • قال صلى الله عليه وسلم اهبشوه نهشا • ولا يوضع على الخبز قسعة ولا غيرها
الا ما يوكل به • قال النبي صلى الله عليه وسلم اكرموا الخبز • فان الله انزله من بركات السما • ولا يمسح يد
بالخبز • قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا وقع لقمة احدكم فلما خذها فليمط ما كان بها من اذى
ولا يدعها للشيطان • ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه • فانه لا يدرك في اى طعامه البركة
ولا يفتح في الطعام الحار • فانه منهي عنه • بل يصبر الى ان يسهل اكله • وياكل من التمر وترا سبعا
او احد عشر • او احدى وعشرين • او ما تيسر • ولا يجمع بين التمر والنوى في الطبق • ولا يجمعه في
كفه • بل يضعه من فيه على ظهر كفه ثم يلقها • وكذا كل ما له عجم وثقل • وان لا يترك ما
ما استرذله من الطعام وا طرحه في القسعة • بل يتركه مع الثفل حتى لا يلتبس على غيره • فياكله
وان لا يكثر الشرب في اثنا الطعام • الا اذا غص بلقمة • او قوى عطشه • فقد يقال ان ذلك مستحب

٢١٠
في الطب وانه دباغ المعدة • **واما الشرب** فادبه ان ماخذ الكوز بمينه • ويقول لسيد الله
وشربه مصا لا عبا • قال النبي صلى الله عليه وسلم مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا • فان لم يكن من العبا
ولا شرب قائما ولا مضطجحا • فانه صلى الله عليه وسلم نهى عن الشرب قائما • وروى انه صلى الله عليه
وسلم شرب قائما • ولعله كان لعذر • وراعي اسفل الكوز حتى لا ينظر عليه • ونظر في الكوز قبل
الشرب • ولا يتجشئ في الكوز • بل يخيه عن فمه بالحمد • ويرده بالتسميه • وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا برحمته • ولم يجعله ملحا اجاجا بذنونا • واذا ادير
الكوز او القدر على قوم فيدار منه لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرب وابوبكر عن
شماله واعرابي عن يمينه وعمر ناحية • فقال عمر يا رسول الله اعط ابا بكر فناول الاعرابي وقال
الايمس فالاييس • وشرب في يلاه انفا س محمد الله في اخرها • وسمى الله في ا • ولها • ويقول في اخر
النفس الا اول الحمد لله • والثاني يزيد رب العالمين • وفي الثالث يزيد الرحمن الرحيم • فهذا قريب من
عشر ترادبا في حاله الاكل والشرب دل عليها الاخبار والاثار • **واما ما استحب** بعد
الطعام فهو ان مسك قبل الشبع • وان بلعوا صابحة ثم مسحها بالمنديل ثم غسلها • وبلتقط
فتات الطعام • قال النبي صلى الله عليه وسلم من اكل ما سقط من المائدة عاش سعة • وعوفي في ولده
وان يتخلل ولا يتلع ما خرج من اسنانه بالخلال • وشمضم بعد الخلال • ففنه اثر عن اهل
البيت • وان بلعوا القصعة • وان شكر الله بقلبه على ما اطعمه • فيرى الطعام نعمة منه • قال الله
كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا نعمة الله • ومهما اكل حلالا والحمد لله الذي سعتته ثم الصالحا
وتنزل البركات • اللهم اطعمنا طيبا • واستعملنا صالحا • وان اكل شبهة فليقل الحمد لله على كل حال
اللهم لا تجعله قوة لنا على محبتك • ونقرا بعد الطعام قل هو الله احد وليلاف قرش • ولا نقوم
عن المائدة حتى ترفع اولا • فان اكل طعام الغير فليدع له • وليقل اللهم بارك له فيما رزقته • وسير
له ان يفعل منه خيرا • وقنعه مما اعطيته • واجعلنا واياه من الشاكرين • وان افطر عند قوم
فليقل افطر عندكم الصائمون • واكل طعامكم الابرار • وصلت عليكم الملائكة • وذكركم الله فممن عنده
ولكثر الاستغفار والحزن على ما اكل من شبهة ليطفي بدموعه وحزنه حر النار التي تعرض لها
يقول النبي صلى الله عليه وسلم كل لحم نيب عن حرام فالنار اولى به • وليس من ماكل وسبكي كمن ماكل ويليهو •

ولمقل إذا اكل بنا اللهم بارك لنا فما قدر رزقنا وزدنا منه • وإن اكل غيره قال اللهم بارك لنا فما
رزقنا وارزقنا خيرا منه • وذلك الدعاء ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبي لعموم
نفعه • وسحب عقب الطعام أن يقول الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا واوانا سيدنا ومولانا يا
كافي كل شيء • ولا يكفي منه شيء اطعمت من جوع وامنت من خوف فلك الحمد • آية من بيت • وهديت
من ضلالة واغنيت من عيلة • فلك الحمد حمدا كثيرا دائما طيبا نافعا مباركا فيه كما أنت اهله
ومستحقه • اللهم اطعمنا طيبا فاسعملنا صالحا • اجعله عوننا لنا على طاعتك • ونغوذ بك أن
ستعين به على معاصيك **فصل** فما يزيد من الآداب سبب الاجتماع والمشاركة في الأكل وهي
سنة الآداب الأولى أن لا يتدى بالطعام ومعه من يستحق التعظيم بكبر سن أو زيادة فضل إلا أن
يكون هو المنتوع والمقتدى به • فحينئذ ينبغي أن لا يطول عليهم الانتظار إذا اشربوا الأكل
واجتمعوا له • الآداب السابعة أن لا سكتوا على الطعام • فإن ذلك من سيرة العجم • ولكن يكلمون
بالمعروف ويتخذون بحكومات الصالحين في الأكلة وغيرها • الآداب الثامنة أن يرفق
برفقته في القصة • فلا يقصد أن يأكل زيادة على ما يأكله • فإن ذلك حرام أن لم يكن موافقا لرضا
رفيقه • مهما كان الطعام مشتركا • بل ينبغي أن يقصد الأيثار • ولا يأكل شريش في دفعه • إلا إذا
فعلوا ذلك واستأذنهم • فإن ولد رفيقه سطره ورغبه في الأكل • وقال له كل • ولا يزيد عليه
في قوله كل ثلاث مرات • فإن ذلك الحاح وإفراط • كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خوطب في شيء
بلا ألم تراجع بعد ثلاث • وكان صلى الله عليه وسلم يكرر الكلام بلا ما فليس من الآداب الزيادة
عليه • وأما الحلف على الصيف بالأكل فممنوع • قال الحسن بن علي رضي الله عنهما الطعام أهون من
أن يحلف عليه • الآداب الرابعة أن لا يحوج رفيقه إلى أن يقول له كل • قال بعض الآداب
أحسن الآكلين كلام من لا يحوج صاحبه إلى يفقه في الأكل وحصل عن حنيه مونة القول •
ولا ينبغي أن يبدع شيئا شهية لئلا ينظر الغير إليه • فإن ذلك تصنع • بل يجري على المعتاد • ولا
ينقص من عادته في الوحدة • ولكن يعود نفسه حسن الآداب في الوحدة حتى لا يحتاج إلى التصنع
عند الاجتماع • نعم لو قلل من أكله انشأ لآخوانه ونظر اللهم عند الحاجة إلى ذلك فهو حسن •
وإن زاد في الأكل فلا بأس به إذا كان على يديه المساعدة وتحريك نشاط القوم في الأكل • بل هو

حسن كان عبد الله بن المبارك رحمة الله عليه يقدم فاخر الرطب الى اخوانه ونقول من اكل اكثر
 اعطته بكل نواة درهما وكان يعد النوى فيعطى كل من له زيادة نوى بجدده دراهم وذلك
 لكسر الحيا وزيادة النشاط في الانبساط وقال جعفر بن محمد احب اخواني التي اكرمهم اكل
 واعظمهم لقمته واثقلهم على من يحوجني الى تعهده في الاكل وكل هذا اشارته الى الجرك
 على المعتاد وترك التصنع وقال جعفر ايضا تبين محبة الرجل لاحنه بجودة اكله في منزله
 الادب الخامس ان غسل اليد في الطست لا بأس به وله ان تتخم فيه ان اكل وحده
 وان كان معه غيره فلا ينبغي ان يفعل ذلك واذا قدم الطست اليه غيره اكراما فليقبله
 لما روي انه اجتمع انس من مالك وثابت البناني على طعام فقدم الطست انس اليه فامتنع بابت
 فقال انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته ولا تردّها فانما يكرم الله عز وجل وروى ان
 هرون الرشيد دعا ابا معاوية الضير فضب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ قال يا ابا
 معاوية تدري من صب على يدك قال لا قال صبه امير المؤمنين فقال يا امير المؤمنين انما اكرمت
 العلم واجلسته فاجلك الله واكرمك كما اجلت العلم واهله ولا بأس بان يجتمعوا على غسل
 الايدي في الطست في حاله واحدة فهو اقرب الى التواضع وابتعد عن طول الانتظار فان لم
 يفعلوا فلا ينبغي ان يكب مآكل واحد بل يجمع الماء في الطست قال النبي صلى الله عليه وسلم
 اجتمعوا وضوكم جمع الله شملكم قيل ان المراد به هذا وكتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار
 لا يرفع طست من يدك الفوم الاملوة ولا تشبهوا بالجم وقال ابن مسعود رضي الله عنه
 اجتمعوا على غسل الايدي في طست واحد ولا استنوا سنة الاعاجم واما الطست
 ففنه تسعة اداب ان لا يبرق فيه وان يقدم به المتبوع وان يقبل الاكرام بالتقديم
 وان يدار منة وان يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما وان
 يجمع الماء من فمه ويرسله من يده برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه وليصب صاحب
 المنزل نفسه الماء على يده ضيفه هكذا فعل الامام مالك بالامام الشافعي في اول نزوله
 عليه وقال لا يرعدك ما رأت مني فخرمة الصيف فرض الادب السادس ان لا
 ينظر الى اصحابه ولا يراقب اكلهم فيستحيون بل يفضضه ويستغل بنفسه ولا مسك قبل اخوانه

إذا كانوا محتشمون الأكل بجد • بل سدا ليد ويقبضها وتناول قليلا إلى أن يستوفوا •
فإن كان قليلا الأكل توقف في الابتداء • أو قل الأكل حتى إذا توسعوا في الطعام أكل معهم آخرا •
وقد فعل ذلك كثير من الصحابة • وإن امتنع لسبب اعتذر إليهم • دفعا للنجاسة عنهم • **الأدب** •
السابع إن لا يفعل ما استفد به غيره • فلا تنفض يده في القصة • ولا تقدم إليها رأسه
عند وضع اللقمة في فيه • وإذا أخرج شام من فيه صرف وجهه عن الطعام • وعنده بيصاره •
ولا يغس اللقمة الدسمة في الخدم من الدسومة • فقد يكرهه غيره • واللقمة التي قطعها
سنة لا يغس بقيتها في المرقة والخلد • ولا تتكلم بما يذكر المستقذات **فصل** وأما
آداب تقديم الطعام إلى الإخوان الزائرين ففيه فضل كثير • قال جعفر بن محمد إذا قدم
مع الإخوان على المائدة فاطيلوا اجلس فانها ساعة لا تحسب عليكم من أعماركم • وقال الحسن
كل نفقة سفقها الرجل على نفسه وأبويه فمن دونهما محاسب عليها • الا نفقة الرجل على إخوانه
في الطعام • فإن الله تعالى يستحي أن يسأله عن ذلك • هذا مع ما ورد من الأخبار في الطعام •
قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تزال الملائكة تظلي على أحدكم ما دامته ما بدته موضوعة بين
يديه حتى ترفع • وروى عن بعض علماء خراسان أنه كان يقدم إلى إخوانه طعاما كبيرا لا
يقدرون على أكل جميعه • وكان يقول بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الإخوان إذا
رفعوا أيديهم عن الطعام لم يحاسب من كل فضل ذلك الطعام • فإنا أحب أن استكثر ما أقدم
إيكم لنا كل فضل ذلك • وفي الخبر لا يحاسب العبد على ما يأكله مع إخوانه • وكان بعضهم يكثر
الأكل مع الجماعة لذلك • وينقل إذا أكل وحده • وفي الخبر أيضا ثلاث لا يحاسب عليها العبد •
أكله السمور • وما أظطر عليه • وما أكل مع الإخوان • وقال علي كرم الله وجهه لأن أجمع إخواني
على صاع من طعام أحب إلي من أن أعتور قبة • وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول من كرم الرجل
طيب زاده في سفره وبذله لأصحابه • وكان الصحابة رضي الله عنهم يقولون الاجتماع على الطعام
من مكارم الأخلاق • وكانوا يهتمون على قراءة القرآن ولا تتفرقون إلا عن ذواق • **وقيل**
اجتماع الإخوان على الكفاية مع الأنس والألفة ليس هو من الدنيا • وفي الخبر يقول الله عز وجل
للعباد يوم القيامة يا إبراهيم جئت فلم تطعمني فنقول كيف وأنت رب العالمين فنقول جاع

٢١٢
اخوك المسلم فلم تطعمه ولو اطعمته كنت اطعمتني وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاكم
الزائر فاكرموه وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها
من باطنها هي لمن الان الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال صلى الله
عليه وسلم خيركم من اطعم الطعام وقال صلى الله عليه وسلم من اطعم اخاه حتى اشبعه وسقاه
حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيره خمسمائة عام
واما ادا به فبعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام اما الدخول فليس من السنة ان
تقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فدخل وقت الاكل فان ذلك من المفاجاة وقد
نهى عنه قال الله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظر من اناه يعني
منتظر من جيبه ونفجه وفي الخبر من مشى الى طعام لم يبدع اليه مشى فاسقا واكل حراما
ولكن حق الداخل اذا لم يتربص وانتقوان يصاد فهم على الطعام ان لا ياكل ما لم يؤذن له
فاذا قيل له كل نظر فان علم انهم لا يقولونه من محبة لمساعدته فليساعده وان كانوا يقولونه
حيامنه فلا ينبغي ان ياكل بل ينبغي ان تتعلل اما اذا كان جايعا ففقد بعض اخوانه ليطعمه
ولم يتربص به وقت اكله فلا بأس به قص رسول الله صلى الله عليه وسلم وابوبكر وعمر
منزل ابي الهيثم بن التهمان وابي ايوب الانصاري لاجل طعام ياكلونه وكانوا جياعا والدخول
على مثل هذه احواله اعانه لذلك المسلم على حيازة ثواب الاطعام وهي عادة السلف رضي الله عنهم
كان عون بن عبد الله بن مسعود له بلا مائة وستون صدقا يدور عليهم في السنة والآخر
بلاون يدور عليهم في الشهر والآخر سبعة فكان اخوانهم يعولونهم بدلا عن كسبهم وكان
قيام اولئك بهم على سبيل التبرك عادة لهم فان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واقفا
بصدائقه عالما بفرجه اذا اكل من طعامه فله ان ياكل غير اذنه اذا المراد من الاذن
الرضا لاسيما في الاطعمة فامرها على السعة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير
راض فاكل طعامه مكروه ورب غايب لم ياذن واكل طعامه محبوب وقد قال الله تعالى
او صدقكم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة واكل طعامها وهي غايبة وكان
الطعام من الصدقة قال صلى الله عليه وسلم بلغت محلها وذلك لعلمه بسر رها بذلك ولذلك

بحوزان يدخل الدار بغیر استیذان اکتفا لعلمه بالاذن . فان لم يعلم فلا بد من الاستیذان
اولا ثم الدخول . وكان محمد بن واسع واصحابه يدخلون منزل الحسن رضي الله عنه فما يكون
ما يجدون بغیر اذن . وكان الحسن يدخل ويرى ذلك فيسر . ويقول هكذا كما . وروى عن الحسن
انه كان قائما ما كل متاع بقال . ماخذ من هذه الجونة تينة . ومن هذه تسه . فقال له هشام ما
بذلك يا باسعيد في الورع . ما كل متاع الرجل بغیر اذنه . فقال يا لك اتل علي انة الاكل قتلي
عليه الي قوله تعالى او صدقكم . فقال من الصدوق يا باسعيد . فقال من استروحت الله النفس
واطمان اليه القلب . وجا قوم الي منزل سفن الثوري فلم يجدوه . ففتحوا الباب وانزلوا
السفرة وجعلوا ما كلون . فدخل الثوري فحعل يقول ذكرتموني اخلاق السلف هكذا كانوا .
وزا رقوم بعض التابعين ولم يكن عنده ما يقدمه اليهم . فذهب الي منزل بعض اخوانه فلم
يصادفه في المنزل . فدخل فنظر الي قدر طبخها والى جبر قد خبزها وغير ذلك فحملة كله
فقدمه الي اصحابه وقال كلوا . وجارب المنزل فلم يجد الطعام . فقتله قد اخذه فلان . فقال
قد احسن . فلما لقنه قال يا اخي ان عاد وافعد . فهذه اداب الدخول . فاما اداب التقديم
فترك الكلف اولا . ونقدم ما حضر . فان لم يحضر شي ولم يملك شيئا فلا تستقرض لاجل
ذلك فيشوق على نفسه . وان حضر ما هو محتاج اليه لاجل لقوته ولم يسمع نفسه بالقديم
فلا ينبغي ان يقدمه . دخل بعضهم على زاهد وهو باكل . وقال لولا اني اخذته بدر لا طعمتكم .
وقال بعض السلف في تفسير التكلف ان بطعم اناك ما لا ياكله انت . بل تقصد زيادة عليه
في الجودة والهيبة . وكان الفضل رحمه الله يقول انما يقاطع الناس بالكلف بدعوا احداهم
اخاه فسكف له فيقطع عن الرجوع اليه . وقال بعضهم لا ابالي من اتاني من اخواني . فاني لا
اتكلف له . انما اقرر ما عندي . ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومطلته . وقال بعضهم كند
ادخل علي اخ لي فسكف . فعلت له انك لا تاكل وحدك هذا ولا انا . فابالنا اذا اجتمعنا
اكلناه . فاما ان تقطع هذا الكلف . واما ان تقطع المحي . فقطع الكلف فدام اجتماعنا سببه .
ومن الكلف ان تقدم جميع ما عنده فيجوف بعياله وبوذي ولوبهم . وروى ان رجلا
دعا عليا كرم الله وجهه فقال له اني اجيئك على بلاه شرائط . لا تدخل من السوق وشا ولا تدخل

ما في البيب ولا تحف بالعيال وكان بعضهم يقدم من كل ما في بيته شيئا فلا يترك نوعا الا
 وكحضر منه شاة وقال بعضهم دخلنا على جابر بن عبد الله رضي الله عنه فقدم علينا خبزا
 وخلا وقال لولا انا فينا عن السكف لسكفت لكم وقال بعضهم اذا قضيت للزيارة
 فقدم ما حضر واذا استترت فلا تتوق ولا تذر وقال سلمان رضي الله عنه امرنا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ان لا نسكف للضيف بالبيس عندنا وان تقدم اليه ما حضر وفي
 حديث يونس النبي عليه السلام انه زاره اخوانه فقدم اليهم كسرا وجزلهم بقلان بزعه
 وقال كلوا لولا ان الله تعالى لعز المتكففين لسكفت لكم وعن اسير بن مالك وغيره من الصحابة
 رضي الله عنهم انهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون لا ندرك
 ايها اعظم وزرا الذي يحتقر ما تقدم اليه او الذي يحتقر ما عنده ان تقدمه هـ
الادب الثاني وهو للزايير ان لا تقروح ولا تتحكم بشيء عينه فربما شق على المرور اخفاره
 فان خيره اخوه بن طعامين فليختر ايسرهما عليه كذلك السنة وفي الخبر انه ما خير
 رسول الله صلى الله عليه وسلم بين شين الا اختار ايسرهما وروى الاعمش عن ابي وايل ان حال
 مضت مع صاحب لي نوور سلمان فقدم اليها خبز شعير وملح اجريشا فقال صاحب لو
 كان في هذا الملح زعتر كان اطيب فخرج سلمان ورهن مطهرته واخذ زعترا وجابه فلما
 اكلنا قال صاحب الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن
 مطهرتي مرهونه وهذا اذا تعذر ذلك على اخيه او كراهيته له فان علم انه يسر
 باقتراحه وقيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح كذلك فعل الامام الشافعي رحمه الله مع
 الزعفراني اذ كان نازلا عليه ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة مما يطبخ من الالوان
 وسلمها الى الجارية فاخذ الامام الشافعي الرقعة في بعض الالوان والحق بها لونا اخر خطه
 فلما قدم الطعام وراى الزعفراني ذلك اللون انكره وقال ما امرت بهذا فعرضت عليه
 الجارية خط الامام الشافعي ملحقا في الرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح بذلك واعتق
 الحارثة سرورا ما اقتراح الامام الشافعي عليه وطالب ابو بكر الكمانى دخل على سرى السقطي
 فجاءت بيت واحد فحعل بصفه في القدر فعملت له ايش هذا فعمل انا اشربه كله في مرة

نوهم

فضحك وقال هذا افضل لك من حجة وقال بعضهم الاكل على ثلاثة اقسام مع الفقرا بالايثار
ومع الاخوان بالانسان ومع ابنا الدنيا بالادب. **الادب** الثالث ان تشتهي المزور
اطاه الزاير ولبس منه الاقتراح مما كانت نفسه طيبة بفعل ما تقترح اى ما تشتهي فذلك
حسن وفيه اجر وفضل جزيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صادف من اجنيه شهوه
غفله ومن سوا خاه الموت فقد مر به عز وجل. وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه جابر
من لذة اطاه ما تشتهي كتب الله له الف الف حسنة ومحامنه الف الف سيئة ورفع له الف
الف درجة والمعه من ثلاث جنان حنة الفردوس وجنة عدن وجنة الخلد. **الادب**
الرابع ان لا تقول له هذا قدم لك طعاما بل ينبغي ان تقدم ان كان ذلك سفين الثوري كما اذا
زارك اخوك فلا تقل انا اكل او اقدم لك ولكن قدم فان اكل والاعارفع وان كان لا يريد
ان يطعمهم طعاما فلا ينبغي ان يظهرهم عليه او يجفه لهم قال الثوري اذا اردت ان لا تطعم عيالكم
مما تاكله فلا تجدتهم به ولا يرونه معك. وقال بعض الصوفية اذا قدم عليكم الفقرا
فقدوا الهم طعاما واذا دخل الفقها فاسالوهم عن مساله واذا دخل القرا فدلوهم على المحراب
فصل واما اداب الضيافة فمضان الادب فيها ستة الدعوة اولا ثم الاجابة ثم
الحضور ثم تقديم الطعام ثم الاكل ثم الانصراف. واما افضيله الضيافة فقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم لا تتكفوا للضيف فتبغضوه فانه من بغض الضيف فقد ابغض الله ومن ابغض الله
فقد ابغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم لا خير فمن لا يضيف. ومّر رسول الله صلى الله عليه وسلم
برجل له ابل وبقر كسره فلم يصفه ومراة لها شويهاث فدحتله فقال صلى الله عليه وسلم
انظروا اليهما انما هذه الاخلاق بيد الله فمن شا ان يسخه خلقا حسنا فعّل. وقال ابو رافع
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه نزل بالنبي صلى الله عليه وسلم صنف فقال قل لفلان اليهودي
نزل بي صنيف فاسلفني شامن الدقوا الى رجب فقال اليهودي والله لا اسلفه الا برهن
فاخبرته صلى الله عليه وسلم فقال والله اني لا امين في السما امين في الارض ولو اسلفني لاديتيه
فاذهب بذرعي وارهنه عنده وكان ابرهم الحليل عليه السلام اذا اراد ان ياكل خرج ميلا او
ميلين يلبس من يتخدا معه وكان يكنى ابا الصيفان ولصدق بيته دامت ضيافته في مشكاه

الى يومنا هذا فلا ينقض ليله الا وما كل عنده خلق من الناس **وسبى النبي صلى الله عليه وسلم**
ما الايمان فقال اطعام الطعام وبذل اللام **وقال صلى الله عليه وسلم** في الكفارات والدرجات
اطعام الطعام والصلوة بالليل والناس نيام **وسبى النبي صلى الله عليه وسلم** عن الحج المبرور فقال
اطعام الطعام وطيب الكلام **وقال** ان رضى الله عنه كل ست لا يدخله صنف لا يدخله الملائكة
والاخبار الواردة في فضل الضافة والاطعام لا تحصى فلنذكر احوالها **اما** الدعوه فيسبغ
للداعي ان يقصد بدعوته الاتقيا دون الفساق **قال النبي صلى الله عليه وسلم** اكل طعامك
الابرار في دعائه لرجله **وقال صلى الله عليه وسلم** لا تأكل طعامك الا اتقى **ولا** تأكل الا طعام
تقى **وقال صلى الله عليه وسلم** شر الطعام طعام الوليمة يدعى اليه الاغنيا دون الفقرا
وسبغى ان لا يهمل اقاربه في ضافته فان اهمالهم يحاش وقطع رحم **وكذلك** سماع الترسب
في صدقائه ومعارفه في تخصيص البعض كحاشا للباقي **وسبغى** ان لا يقصد بدعوته
المباهات والتفاخر بل استماله للوب الاخوان **والثنت** سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في اطعام الطعام وادخال السرور على قلوب المؤمنين **وسبغى** ان لا يدعوا الا من يعلم انه سيق
عليه الاجابة **واذا** حضر تاذى بالحاضرين سبب من الاسباب **وسبغى** ان لا يدعوا الا من حجت
اجابته **قال** سفر الثوري من دعا احدا الى طعام وهو يكره الاجابة فعليه خطية **فان** اجاب
المدعو فعليه خطيتان **لانه** حمله على الاكل مع كراهة **ولو** علم ما كان ياكله **والطعام**
التقى اعانه له على الطاعة **والطعام** الفاسق اعانه له على الفسق **وروي** ان خياط قال لابن
المبارك انا خياط اخيط شاب السلاطين فهل نخاف ان نكون من اعوان الظلمة **قال** لا
انما اعوان الظلمة من سبيح منك الخيط والابره **واما** انت فمن الظلمة انفسهم **واما**
اجابه الدعوة فهي سنة مؤكده **وقد** قيل بوجوبها في بعض المواضع **قال النبي صلى الله عليه وسلم**
لو دعيت الى كراع لاجبت **ولو** اهدى الى ذراع لقبلي **وللاجابة** خمسة اداب **الاول** ان لا
يميز الغنى بالاجابه عن الفقير **فذلك** هو الكبر المنهي عنه **ولا** جل ذلك امتنع بعضهم عن اصل
الاجابة **وقال** انتظر المرقه ذل **وقال** اخر اذا وضعت يدي في فصعة غيري فقد
ذلت له رقبتي **ومن** المتكبرين من يجيب الاغنيا دون الفقرا **وهو** خلاق السنة **كان** النبي صلى

الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد والامة والمسكين. وروى ان الحسن بن علي رضي الله عنه مر بقوم
 من المساكين الذين سالون الناس على قارة الطريق وقد نثر واكسرا على الارض في الرمل وهم
 ياكلون وكان على بخلته فيسلم عليهم فقالوا له هلم الى الغدا يا ابن رسول الله فقال نعم ان الله
 لا يحب المستكبرين فنزل وقد معهم على الارض واكل ثم سلم عليهم وركب. وقال قد اجبتكم
 فاجيبوني فالوا نعم فوعدهم وقام معلوما فحضروا فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس باكل معهم
 واما قول القايل اذا وضعت يدي في فضة غيرك ذلت له ربيتي فقد وال بعضهم هذا
 خلافا لسنة وليس كذلك فانه ذل اذا كان الداعي لا يفتح بالاجابة ولا يتقلد بها منه
 وكان يرى ذلك ندالة عند المدعو. والشي صلى الله عليه وسلم كان يحضر لعلمه بان الداعي له
 يتقلد منته ويرى ذلك شرفا وذخرا لنفسه في الدنيا والاخرة. وهذا يختلف باختلاف الحال
 فمن ظن به انه يستثقل الاطعام وانما يفعل ذلك مباهاة او كلفا وليس من السنة اجابته
 بل الاولى التقلد. ولذلك قال بعض الصوفية لا تجب الدعوة من يرى انك اكلت رزقك وانه
 سلمه اليك وديعة كانت لك عنده ويرى لك الفضل عليه في قولك اليك الوديعة منه. وقال
 سرى السقطي آه على لقمه ليس له قتها تبعه ولا مخلوق فيها منه. فاذا علم المدعو انه لامنة
 فلا ينبغي ان يرد. قال ابو تراب التخشي عرض على طعام فامتنعت فبليت بالجوع اربعة عشر
 يوما. فعلمت انه عقوبة. وفي المعروف الكرخي كل من رد عاك شماليه فقال انا صنف انزل
 حيث انزلوني الادب الثاني ان لا تمتنع عن الاجابة لبعده المسافة كما لا تمتنع لفقر الداعي
 وعدم جاهه بل كل مسافة ممكن احتمالها في العادة لا ينبغي ان تمتنع. يقال في التوراه
 او بعض الكتب سر ميلا عد مرصا. سر ميلين شمع جنازة. سر بلاه اميال اجب دعوة.
 سر اربعة اميال زراخا في الله. وانما اقدم اجابة الدعوة والزيارة لان فيه قضا خواكي
 فهو اولي من الميت. وقال صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع الغميم لاجبت وهو موضع على
 اميال من المدينة افطر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه وقصر عنده في سفره. الادب
 الثالث ان لا تمتنع لكونه صايمًا بل يحضر فان كان يسراخاه افطاره فليفطر ولحنتس في
 افطاره بنيه ادخال السرور على قلب احبيه ما حنتس في الصوم وافضل. وذلك في صوم النطوع.

في رمضان

وان لم يحق سرور قلبه به فليصدق في الظاهر وليفطر. وان يحقوا به متكلف فليتعطل.
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لمن امتنع بعذر الصوم تكلف لك اخوك. وتقول انا صائم.
وقد قال ابن عباس رضي الله عنه من افضل الحسنات اكرام اجلسا. فالافطار عبادة بهذه اليه
وحسن خلق فتوابه فوق ثواب الصوم. ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والمجمرة والحديث
الطيب فقد قيل الكحل والدر اخذ القرائين. **الادب الرابع** ان تمتنع من الاجابة اذا
كان الطعام طعام شبهة. او الموضع او البساط المفروش غير حلال. او كان مقام في الموضع
منكر من فرش ديباج او انا فضة. او تصوير حيوان على سقف او حائط. او سماع شيء من
المزامير والملاهي. او التشاغل بنوع من اللهو. والهزو. واللعب. فكل ذلك مما يمنع الاجابة
واستحبابها. ويوجب تحريمها. او كراهيتها. وكذا اذا كان الداعي ظلما. او مبتدعا او فاسقا.
او شريفا. او متكلفا طالبا للمباهاة والفخر. **الادب الخامس** ان لا يقصد بالاجابة قضا
شهوة البطن. فكون عاملا في ابواب الدنيا. بل بحسنية فيصير بالاجابة عاملا للاخرة.
وذلك بان ينوي الاقتداء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله لو دعيت الى كراع لاجبت.
وينوي الحذر من معصية الله تعالى. لقول النبي صلى الله عليه وسلم من لم يحب الداعي فقد عصى الله
ورسوله. وينوي اكرام اخيه المؤمن ابنا عال قوله صلى الله عليه وسلم من اكرم اخاه المؤمن فانا
يكرمه الله. وينوي ادخال السرور على قلبه امتثال لقوله صلى الله عليه وسلم من سر مومنا فقد
سرا الله عز وجل. وينوي مع ذلك زيارته ليكون من المتحابين في الله تعالى. اذ شرط رسول
الله صلى الله عليه وسلم التراور والتبازل لله عز وجل. وقد حصل البذل من احد الجانبين.
فحصل الزيارة من جانبه ايضا. وينوي صيانة نفسه من ان يسابه الظن في امتناعه
ويطلق اللسان منه بان يحمل على بكره او سو خلق او استحقار اخ مسلم او ما جرى مجراه.
فهذه ست نيات لمحق اجابته بالقربات احادها فكيف مجموعها. وكان بعض السلف
يقول انا احب ان يكون لي في كل عمل فيه حتى في الطعام والشراب في مثل هذا. قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله
فهجرته الى الله ورسوله. ومن كانت هجرته الى دينا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما

ما جريه • والنية انما توثر في المباحات والطاعات • اما المهمات فلا • فانه لو نوى ان يسر
 اخوانه بمساعدتهم على شرب الخمر او حرام اخر لم ينفع النية ولم يحزان نقل الاعمال بالنات •
 بل لو قصد بالغزو الذي هو طاعة المباشرة وطلب المال انصرف عن جهة الطاعة • وكذا
 المباح المراد ودين وجوه الخيرات وغيرها ملتحق بوجوه الخيرات بالنيات فتوثر اليه في هذين
 القسمين لا في القسم الثالث • واما الحضور فادبه ان يدخل الدار ولا يتصدر في اخذ
 احسن الاماكن بل يتواضع • ولا يطول الانتظار عليهم • ولا يجعل بحيث يفاجيهم قبل تمام
 الاستعداد • ولا يصق المكان على الحاضرين بالرحمة • بل ان اشار اليه صاحب الدار لم
 يخالفه البته • فانه يكون في نفسه قد رتب موضع كل واحد فمخالفته تشوش عليه •
 وان اشار اليه بعض الصنفان بالاربعاء اكراما فلتواضع • قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ان من التواضع لله تعالى الرضا بالدون من المجلس • ولا ينبغي ان يجلس في مقابلة باب حجرة النساء
 وسترهن • ولا يكثر النظر الى الموضع الذي يخرج منه الطعام • فانه دليل على الشره • ويخص بالخيمه
 والسوال من يقرب منه اذا جلس • واذا دخل صيف فليعرفه صاحب الدار عند الدخول القبلة
 وبيت الماء وموضع الوضوء • كذلك فعل الامام مالك بالامام الشافعي • وغسل الامام مالك يده
 قبل الطعام قبل القوم • وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت اولا • ولانه يدعو الناس الى
 كرمه فحكمه ان يقدم بالغسل • وفي اخر الطعام يتاخر بالغسل ينتظر ان يدخل من كل جهة •
 واذا دخل فرأى منكرا غيره ان قدر • والا انكر لسانه وانصرف • والمنكر هو فرش الدباج •
 واستعمال اواني الفضة والذهب والتصوير على الحيطان وسماع الملاحى والمزامير وحضور
 النسوة المتكشفات الوجوه وغير ذلك • فكله من المحرمات • حتى قال الامام احمد بن حنبل اذا رأى
 مكحلة راسها مفضض سعى ان يخرج • ولم ياذن في الجلوس الا في ضبة • وقال اذا رأى كلة سعى
 ان يخرج • فان ذلك يكلف بلا فائدة لا يدفع حرا ولا بردا ولا سترشيا • وكذا قال يخرج اذا رأى
 حيطان البيت مستوره بالدباج كما ستر الكعبة • وقال ايضا اذا اكرى بيتا او دخلها ما فرأى
 صورته ينبغي ان يحكمها • فان لم يقدر خرج • وكل ما ذكره صحيح • وانما النظر في الكلة وتزين الحيطان
 بالدباج فان ذلك لا انتهى الى التحريم اذا اكرى محرم على الرجال • قال النبي صلى الله عليه وسلم هذان

حرامان على ذكور امتي وما على الحيطان ليس منسوبا الى الذكور. ولو حرم هذا لحرم تزين
 الكعبة. بل الاولى اباحت لقول الله تعالى قل من حرم زينة الله لا سيما في وقت الزينة اذا لم
 يتخذها عادة للتفاخر. وان تحل ان الرجال سفحون بالنظر اليه فلا حرم على الرجل
 الاسفاح بالنظر الى الدباج مما لبسه الجوارى والنساء. فالحيطان في معنى النساء. اذ ليس
 موصوفا بالذكور. واما احضار الطعام فله اداب خمسة الادب الاول بعجيل
 الطعام وذلك من اكرام الضيف. قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يوم من بالله واليوم الآخر
 طمكره ضيفه. ومهما حضر الاكثرون وغاب واحد او اثنان وتأخر واعن الوقت الموعود
 بحق الحاضرين في العجيل اولى من حقواولئك في التأخير. الا ان يكون المتأخر فقرا ونكسر
 قلبه بذلك فلا بأس بالتأخير. واحد المعنيين في قوله تعالى هل انا لحدث صنف ابرهم
 المكرمين انهم اكرموا عجيل الطعام اليهم. دل عليه قوله تعالى فما لبث ان جاء بعجل حنيد.
 وقوله فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين والروغان الذهاب بسرعة وقيل الذهاب في خفة
 وفلجاء فخذ من لحم. وانما سمي عجلا لانه عجله ولم يلبث. وقال حاتم الاصم العجلة
 من الشيطان الا في حنن فانها من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الفسف وتجهيز
 الميت وتزويج البكر وقضا الدين والتوبة من الذنب. وسنح العجيل في الوليمة وقيل
 الوليمة في اول يوم سنة. وفي الثاني معروف. وفي الثالث رياء. الادب الثالث ترتب
 الاطعمة بتقديم الفاكهة اولا ان كانت وذلك اوفق في الطب فانها اسرع استحالة منبغى
 ان تقع في اسفل المعدة. وفي القران بنبيه على تقديم الفاكهة في قوله تعالى وفاكهة مما تتخرون
 ثم قال تعالى ولحم طير مما شئتمون. ثم افضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد. فقد
 قال النبي صلى الله عليه وسلم فضل عاشه على النيا كفضل الثريد على سائر الطعام. فان جمع اليه
 حلاوه بعده فقد جمع الطيبات. دل على حصول الاكرام ^{النساء} باللحم. قوله تعالى في صفا ابرهم ان
 احضر العجل الحنيد اى المحنوز. وهو الذي اجيد نضجه. وهو احد معنى الاكرام اعنى يقدم
 اللحم والادام. ولا يقوم عنده مقامه. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم سد الادام اللحم.
 وقال الله تعالى في وصف الطسات وانزلنا عليكم المن والسلوى المر العسل والسلوى اللحم. ثم قال

سمى سلوكي لانه يسلي به عن جميع الادم . ثم قال تعالى بعد ذكر المن والسلوك كلوا من طيات ما
رزقناكم فاللحم والحلاوه من الطيات . قال ابو سلمان الداراني اكل الطيات يورث الرضى
عن الله تعالى . وتتم هذه الطيات شرب الماء البارد وصب الماء الفاتر على اليد عند الغسل . قال
المامون شرب الماء شلح يخلص الشكر لله تعالى . وقال بعض الادبا اذا دعوت اخوانك والمعتمهم
حصرمية وبورانية وسقيتهم ماء باردا فقد اكمل الضيافة . وقال بعضهم الحلاوه بعد
الطعام خير من كثره الالوان . والتمسك على المايده خير من زيادة لونس . ونقال ان الملائكة يحضرون
المائدة اذا كان عليها بقل . وذلك ايضا مستحب لما فيه من التزين بالحضر . وفي الخبر ان المايده
التي انزلت على نبي اسرايل كان عليها من كل البقول الا الكراث . وكان عليها سمكه عند راسها
خل . وعند ذنبها ملح . وسبعة ارغفة على كل رغيف زيتون . ورمان . فهذا اذا جمع فحسن
للموافق . **الادب** السال ان يقدم من الالوان الطيفها حتى يستوفي منه ما يريد . فلا يكره
الاكل بعده . وعادة المترفس يقدم الغليظ لستانف حركه الشهوه مما دفعه اللطف بعد .
وهو خلا والسنة فانه حيله في استكار الاكل . وكان من سنة المتقدمين ان يقدموا جملة
الالوان دفعه واحده . ووصفوا القصاص على المايده لما كل كل واحد ما شتهى . وحكى عن
بعض ارباب المروات انه كان يكتسب نسخة مما استحضر من الالوان ويعرضه على الضيفان . وقال
بعض الشيوخ قدّم الى بعض المشايخ لونا بالشام فقلت عند ما بالعراق انما يقدم هذا خرا .
فقال وكذا عند ما بالشام ولم يكن له لون غيره فحجبت منه . وقال اخر كما جماعة في ضيافة
فقدم اليها الوان من الروس المشويه طبخا وقد يدا . وكما لانا كل شتطر بعدها لونا . فحانا
بالطست ولم يقدم غيرها . فنظر بعضنا الى بعض فقال بعض الشيوخ وكان مزاحا ان الله بعد
نقد ان يخلق روسا بلا ابدان . قال فبتنا بك الليله جيا عا نطلب قنسا للسمور . ولهذا
ستحبان تحضر الجميع او يخبر مما عنده . **الادب** الرابع ان لا يبادر الى رفع الالوان بل
مكثهم من الاستيفاء حتى يرفعوا الايدي عنها . فلعل فيهم من يكون بنية ذلك اللوز اشهى عنده
مما استحضره او بقی منه حاجة الى الاكل فنغص عليه بالمبادره . وهو من التمكن على المائدة
الذي يقال انه خير من لونس . ومحمّل ان يكون المراد به ترك الاستعجال . ومحمّل ان يرا دبه

سعة المكان وسخى ان لا يرفع صاحب المائدة يده قبل القوم لانهم يستخون بل ينبغي ان يكون
اخرهم اكله وكان بعض الكرام يخبر القوم بجميع الالوان ويتركهم يستوفون فاذا قاربوا
الفراغ جثى على ركبته ومد يده الى الطعام وقال ساعدوني بارك الله عليكم وكان السلف
يستخونون ذلك منه **الادب** الخامس ان يقدم من الطعام قدر الكفاية فان التقليل عن
الكفاية نقص في المروءة والزيادة عليه تضييع ومراياة لاسيما اذا كان لا تسمع نفسه بان ياكلوا
الكل الا ان يقدم الكبير وهو طيب النفس لو اخذوا الجميع حتى ان يترك بفضله طعامهم اذ في
الحديث انه لا يحاسب عليه وروى ان ابراهيم بن ادهم حضر طعاما كثيرا على ما دنته فقال له
سفن يا اسحاق اما تخاف ان يكون هذا اسرافا فقال ابراهيم ليس في الطعام سرف فان لم يكن له
هذه البنية فالكثير يكف قال ابن مسعود رضي الله عنه نفيا ان نجيب دعوة من سباهي بطعامه
وكره جماعة من الصحابة اكل طعام المباهات وهذا منه لانه كان لا يرفع من سبدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يقدمون الا قدر الحاجة ولا ياكلون تمام
الشبع وينبغي ان يعزلوا ولا يصب اهل البيت حتى لا تكون اعينهم طامحة الى رجوع شئ منه فلعله
لا يرجع فتضو صدورهم وتنطلق في الضيفان السننهم وما فضل من الاطعمة طيسر للضيفان
اخذه وهو الذي سمي الصوفه الزلة الا اذا صرح صاحب الطعام بالاذن منه عن قلب راض
او علم ذلك بقربنه حال وانه يفرح به فان كان يظن كراهيته فلا ينبغي ان يواخذوا اذا علم رضاه
فتتقى مراعاة العدل فلا ينبغي ان يواخذ الواحد الا ما خصه او ما يرضى به رفقة عن طوع
لا عن جبر **واما** الانصاف فله اداب ثلاثة الاولى ان يخرج مع الضيف الى باب الدار فهو
سنة وذلك من اكرام الضيف وقد امر باكرامه قال النبي صلى الله عليه وسلم من كان يومنا الله
واليوم الاخر فليكرم ضيفه وقال صلى الله عليه وسلم ان من سنة الضيف ان يشع الى باب الدار
قال ابو قتادة رضي الله عنه قدم وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يخدمهم بنفسه
فقال له اصحابه نحن نكفك ما رسول الله فقال انهم كانوا لاصحابي مكرمين وانا احب ان اكا فيهم
وتمام الاكرام طلاقه الوجه وطيب الحديث عند الدخول والخروج وعلى المائدة وقيل للادري
ماكرامة الضيف والطلاقه الوجه وقال يزيد بن ابي زياد ما دخلت على عبد الرحمن بن ابي ليلى

الاحد ثنا حد ثنا حسنا واطعنا طعاما حسنا. **الادب** الثاني ان تنصرف الضيف طببت النفس
وان جرك في حقه تقصير فذلك من حسن الخلق والتواضع. **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الرجل يبدرك بحسن خلقه درجة الصائم القايم. وحكى ان بعض السلف دعى برسول فلم
يصادفه الرسول فلما سمع حضر. وكانوا قد تفرقوا وفرغوا فخرج اليه صاحب المنزل وقال
قد خرج القوم فقال هل تبقى بقية قال لا. قال فكسرة ان بقى قال لم يبق شي. قال فالقدور
اسمها. قال غسلناها. فانصرف بحمد الله تعالى ففقد له في ذلك. فقال قد احسن الرجل دعانا
بينة وردنا بنية. فهذا هو معنى التواضع وحسن الخلق. وحكى ان استادا الى القاسم دعاه
صلى الى دعوة ابيه اربع مرات فردده الاب في المرات الاربع وهو يرجع في كل مرة نظسا لقلبه
الصبي في الحضور ولقلب الاب في الانصراف. فهذه نفوس قد ذلت بالتواضع به فاطمأنت
بالتوحيد وصار صاحبها شاهدا في كل رد وقبول عبرة فيما بينه وبين ربه. فلا ينكسر بما جرك
من العباد من اذلال. كما لا يستبشر بما جرك منهم من الكرام. بل يرون الكل من الواحد القهار.
ولذلك قال بعضهم اني لا اجيب الدعوة الا لاني اذكر بها طعام الجنة. اي هو طعام طب بحمدنا
كده وموثته وحسابه **الادب** الثالث ان لا يخرج الابرضا صاحب الدار واذنه ويراى قلبه
في قدر الاقامة. واذا نزل صيف فلا يزيد على ثلاثة ايام. فربما يترمر به ويحتاج الى اراحه.
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصنافة بلاه. فما زاد فصدقه. نعم لو ارح رب المنزل عليه
عن خلوص قلب فله المقام اذ ذاك. **وسنخ** ان يكون عنده فراش للضيف النازل لقول النبي صلى
الله عليه وسلم فراش للرجل. وفراش للمرأة. وفراش للضيف. والرابع للشيطان **فصل**
بجمع اذبا حسنة وغيرها حكى ان ابرهيم التبعي قال الاكل في السوق دناءة. واسند هذا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم واسناده غريب. وقد نقله عن ابن عمر رضي الله عنه انه قال كما
ماكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن مشى ونشرب ونحن قنم. ورؤى بعض مشايخ
الصوفية المعروفين ياكل في السوق ففقد له في ذلك. فقال وحكوا جوع في السوق فاكل في البست.
فقل تدخل المسجد. فقال استخى منه ان ادخلسته للاكل. **ووجه** الجمع ان الاكل في السوق
تواضع وترك تكلف من بعض الناس فهو حسن وخرق مروءة بعض الناس فهو مكروه. ويختلف

٢١٨
ذلك بعادات البلاد واحوال الاشخاص فمن لا يلبق ذلك سائر احواله حصل ذلك منه على قلة
المزوة وفرط الشرة. ويقدر ذلك في الشهادة ومن يلبق ذلك بجميع احواله واعماله في ترك
الكلف كان ذلك منه تواضعا. **الادب الاول** قال علي كرم الله وجهه من ابتدا غداه بالمح
اذه الله عنه سبعين نوعا من البلا. ومن اكل في يوم سبع سموات عجوة قلت كل دودة في بطنه
ومن اكل كل يوم احدى وعشرين زبنة حمرا لم ير في جسده شاي يكرهه. واللحم ينبت اللحم
والثريد طعام العرب. ولحم البقر داء. ولبنها شفا. وسمها دوا. ولن يستشفى شئ افضل من
الرطب. والسمك يذيب الجسد وقرارة القران. والسواك يذهب البلغم. ومن اراد البقا ولا
بقا فليباكر بالغدا. وليقل غشيان النساء. ولخف الردا. وهو الدب. **الادب الثاني** قال الكجج
لبعض الاطبا صف لي صفة آخذ بها ولا اعدوها. قال لانك من النساء الافتاة. ولا تاكل من
اللحم الا فتيا. ولا تاكل المطبوخ حتى ينعم نفعه. ولا تشرب دوا الا من عله. ولا تاكل من الفاكهة
الا نضجها. ولا تاكل طعاما الا اجرت مضغه. وكل ما احببت من الطعام ولا تشرب عليه.
فاذا شربت فلا تاكل عليه شيا. ولا تخبس الغايط والبول. واذا اكلت بالنهار فقم. واذا اكلت
بالليل فامش قبل ان تنام. ولو مائة خطوة. وفي معنى قول العرب تغد وتمد وتغش وتمش
ومعنى تمد اي تمدد كما في قول الله تعالى ثم ردها الى اهلها يتمطا اي يتمطط. ويقال ان حبس البول
يفسد من الجسد كما يفسد النهر ما حوله اذا سد مجراه. **الادب الرابع** في الخبر قطع
العروق مسقمة. وترك العشاء مهرمه. والعرب تقول ترك الغدا يذهب بشحم الكارة. يعنى
الالية. وقال بعض الحكماء لابنه ما بنى لا تخرج من منزلك حتى ياخذ حلمك. اي تتغذا. اذ به
يبقى اللحم ونزول الطيش. وهو ايضا اقل شهوة ما يرى في السوق. وقال حكيم لسمين اركى
عليك قطيفة من شبح اضراسك فما هي. قال اكل لباب البر وصغار المعز. واذ هن بجام
بنفسح والبس الكمان. **الادب الخامس** اعلم ان الحمية تضر بالصحيح كما يضر تركها بالمرريض هكذا
قيل. وقال بعضهم من احتتمى فهو على يقين من المكروه. وعلى شك من العوافى. وهذا حسن
حال الصحة. وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى صبيا ما كل ثمرا واحدى عينيه رمد.
فقال تاكل التمر وانت رمد. فقال يا رسول الله انما امضغ بالشق الاخر. فضحك رسول الله صلى الله

عليه وسلم **الادب السادس** سئخ ان محمد طعام الى اهل الميت . ولما جاني جعفر بن ابي طالب
رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان آل جعفر شغلوا سميتهم عن صنع طعامهم فاعملوا اليهم
ما يكون في ذلك سنة . واذا قدم ذلك الى اجمع حل الاكل منه الا ما يهيا للتوايح والمغضات
عليه بالبكا والجزع . فلا ينبغي ان يوكل معهم . **الادب السابع** لا ينبغي ان يحضر طعام ظالم
فان اكره فليقل الاكل . ولا يقصد الطعام الا لطيب . وحكي ان بعض المزمكس رد شهادته من
حضر طعام سلطان فقال له اني كنت مكرها . فقال رايتك تقصد الاطيب . وكبر اللقمة . وما
كنت مكرها عليه . واجبر السلطان هذا المزمكي على الاكل . فقال اما ان آكل واخلي التركيبة
او ازكي ولا آكل . فلم يجد وايدا من تركيبته فتركوه . وحكي عن ذي النون المصري انه حبس فلم
ياكل ايا ما في السجن . وكان له اخت في الله . فبعثت اليه من مغز لها طعاما على يد السجان
فامتنع فلم ياكل . فعاتبته المرأة بعد ذلك . فقال انه كان حلالا . ولكن جاني على طبق ظالم
اشار به الى يد السجان . وهذا غاية الورع . **الادب الثامن** حكي عن فتح الموصل انه دخل على
بشر الحافي زايرا . فاخرج بشر درهما ودفعه الى احمد الجلاخادمه . وقال اشتر به طعاما
جيذا واداما طيبا . قال فاشترت خبزا نظيفا . وقلت لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم لشي اللهم
بارك لنا فيه وزدنا منه سوى اللبن . فاشترت لبنا وتمر جيذا فقدمته اليه فاكل واخذ
الباقي . فقال بشر تدررون لم قلت اشتر وا طعاما طيبا . لان الطعام الطيب يستخرج خالص الشكر
تدررون لم لم يقل لي كل . لانه ليس للصف ان نقول لصاحب الدار كل . تدررون لم حمل ما بقي .
لانه اذا صح التوكل لم يضركم . وحكي ان رجلا اتخذ ضافة فاوقد فيها الف سراج . فقال
له رجل قد اسرفت . فقال ادخل فكل ما اوقدته لغير الله فاطفه . فدخل الرجل فلم يقدر على
اطفا واحدا منها فانقطع . **الادب التاسع** قال الامام الشافعي رحمه الله الاكل على اربعة
الحا . الاكل باصبع من المقت . وباصبعين من الكبر . وسلاط اصابع من السنة . وباربع وخمس
من الشرة . واربعة اشان تقوى البدن . اكل اللحم . وشم الطيب . وكثره الغسل من غير جماع .
ولبس الكمان . واربعة اشان توهن البدن كثره اجماع . وكثره الهمم . وكثره شرب الماء على الريق .
وكثره اكل الحموضة . واربعة اشان تقوى البصر . اجلس حيا للقبلة . والكحل عند النوم . والنظرة

سكينة

اخضره وتنظيف الملابس واربع توهن البصر النظر الى القدر والنظر الى المصلوب والنظر
 الى فرج المرأة والعود في استئداب القبلة واربع تزيد في الجماع اكل العصافير واكل
 الاطريفل الاكبر واكل الفستق واكل الجرجير والنوم على اربعة انحاء النوم على القفا
 وهو يوم الايشاع لهم الالم ينكرون في خلق السموات والارض ونوم على اليمين وهو نوم العلماء
 والعباد ونوم على الشمال وهو نوم الملوك لينهضم طعامهم ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين
 واربع تزيد في العقل ترك الفضول من الكلام والسواك ومجالسة الصالحين والعلماء
 واربع هن من العباد لا تخطو خطوه الا على وضوء وكثرة السجود ولزوم المساجد وكثرة
 قراءة القران وقال ايضا عجت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يوحرا لاكل بعد ان يخرج
 كف لاسموت وعجت لمن احتجم ثم تبادر الى الاكل كف لاسموت وقال رحمه الله لم
 ارشانا نفع في الوبا من البنفسج يدهن ويشرب ففذا ما تيسر لنا من الكلام في تفسير قول
 الله عرفوا جمل وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا **انه لا يحب المسرفين** يعني ان الله تعالى لا يحب من
 اسرف في الماكول والمشروب والملبوس وفي هذه الالة وعيد وتهديد لمن اسرف في هذه
 الاشياء لان محبة الله تعالى عبارة عن رضاه عن العبد وايصال الثواب اليه واذا
 لم يحبه علم انه تعالى لس راض عنه فدللت الالة على الوعيد الشديد في الاسراف والله اعلم **بعباده**
قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده يعني قل يا محمد لهؤلاء الاجمالة
 من العرب الذين يطوفون بالبيب عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده ان تتزينوا
 بها ولبسوها في الطواف وغيره فبين الله تعالى انهم حرموا من تلقا انفسهم ما لم يحرمه الله عليهم
 ثم في تفسير الزينة قولان احدهما وهو قول جمهور المفسرين ان المراد من الزينة ههنا اللباس
 الذي ستر العوره والقول الثاني انه تناول جميع انواع الزينة فندخل حته جميع
 انواع الملبوس والحلي ولولا ان النص ورد بتحريم استعمال الذهب والحري على الرجال
 لدخل في هذا العموم ولكن ورد النص بتحريمه على الرجال دون النساء وقال بعضهم
 الزينة هنا الملبس الحسن اذا قدر عليه صاحبه وروى عن ابن الحسين بن علي بن ابي طالب
 شيخ الامام مالك انه كان انه كان يلبس كسا خز خضراء دسار يلبسه في الشتاء فاذا

الجوجير هو
 الكبر او بزره
 وهو الخردل

كان في الصنف تصدق به . او باعه وتصدق بمنه . وكان يلبس في الصنف ثوبين من متاع مصر
ممشقين . ويقول من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق . واذا كان لذلك
فقد دلت الالة على لباس الرفيع من الشاب والتجمل بها في اجمع والاعباد . وعند لقاء الناس
ومن اورة الاخوان . قال ابو العالوية كان المسلمون اذا تزاوروا تجملوا . وفي صحيح مسلم من
من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه راى حلة سيرا تباع عند باب المسجد . فقال يا
رسول الله لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود اذا قدموا عليك . فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما يلبس هذا من لا خلاق له في الاخرة . فما انكر عليه ذكر التجمل . وانما انكر عليها كونها
سيرا . وقد اشترى بيمين الدار حلة بالف درهم كان صلى فيها . وكان ما كثر دينار يلبس الساب
العدنية الجياد . وكان ثوب الامام احمد بن حنبل اشترى بخوالدينار من هذا من
يرغب عنه ويوتر لابس الخشن من الكمان والصوف من الشاب . ولقول ولباس التقوى لا والله
بلهم اهل التقوى . واولوا المعرفة والنهي . وغيرهم اهل دعوى . وقلوبهم خالية عن التقوى .
قال خالد بن شبيب رحمه الله شهدت احسن رضي الله عنه واتاه فرقد . فاخذ احسن
لكسايه فمده اليه . وطالب بافريق . ما ابن ام فرقد ان الير ليس في هذا الكسا . انما
البر ما وفر في الصدور وصدق العمد . ودخل ابو محمد بن ابي معروف الكرخي على ابي
احسن بن شيار وعليه جبة صوف . فقال له ابو احسن يا ابا محمد صوفت قلبك . او جسمك .
صوف قلبك او صف قلبك . واللبس القوهي على القوهي . وقال رجل للشبلي قد ورد
جماعة من اصحابك وهم في الجامع فمضى فراهم عليهم المرقعات والقوط . فانسد بقول
اما الخيام فانها كخيامهم . واركى نسا اكي غير نسا بها .
قال الشيخ ابو الفرج الجوزي رحمه الله . وانا اكره لباس المرقعات والقوط لاربعة اوجه .
احدها انها ليس من لبس السلف . وانما كانوا يرفعون ثيابهم من الضرورة . الثاني ان لبسها
يتضمن ادعا الفقر . وقد امر الانسان ان يظهر حمة الله عليه . الثالث اظهار الترهة .
وقد امر الانسان بساتره الرابع انه تشبه بهولا المتزجر حين عن الشريعة . ومن تشبه
بقوم فهو منهم . وقال الطبري رحمه الله ولقد اخطا من اشترى لباس الشعر والصوف على القطن

والكان مع وجود القدرة عليه من حله. ومن كل البقول والعدس واختاره على خير
البر. ومن ترك اللحم خوفا من عارض شهوه النساء. وسبب لشر بن الحارث عن لبس الصوف
فشوعليه وتبين الكراهة في وجهه. ثم قال لبس الخنز والمعصفر اوجب الى من لبس الصوف
في الامصار. قال الشيخ ابو الفرج وقد كان السلف رضي الله عنهم يلبسون الثياب المتوسطة
لا المرفعة ولا الدون. وتخيرون اجودها للجمعة والعيدن ولقا الاخوان. ولم يكن
تخير الاجود عندهم قبيحا. واما اللباس الذي يزرى بصاحبه فانه يتضمن اظهار الزهد
واظهار الفقر. وكانه لسان شكوى من الله. ويوجب احتقار اللابس. وكل ذلك مكروه منه. **فان**
قال قايل تجويد اللباس منه هوى النفس. وقد امرنا بخالفه النفس. وتنزير للخلو.
وقد امرنا ان نكون افعالنا لله تعالى لا للخلق. فالجواب انه ليس كل ما نفواه النفس مذموم.
ولا كل ما يترتب به الناس يكره. واما ينهى عن ذلك اذا كان الشرع قد نهى عنه. او يكون
على وجه الريا في باب الدين. فان الانسان يحب ان يرى جميلا. وذلك حظ النفس. ولا يلام
فيه. ولهذا يسرح شعره وينظر في المراة. وسوى عمامته. ويلبس بطانة الثوب الخشنة
الى داخل. وظهارتها الحسنه الى ظاهر. وليس في شئ من هذا ما يكره ولا يذم. وقد روى
مكحول عن عائشة رضي الله عنها قالت كان نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه
على الباب فخرج يريدهم. وفي الدار ركوه فنهاها. ففعل بنظر في الماء وسوى شعره
ولحيته. فقلت يا رسول الله وانت تفعل هذا. قال نعم. اذا خرج الرجل الى اخوانه فليهيئ
من نفسه. فان الله جميل يحب الجمال. وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. فقال رجل ان الرجل
حسب ان يكون بوجه حسنا ونعله حسنة. قال ان الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط
الناس. والاحاديث في هذا المعنى كثيرة. تدل كلها على النظافة وحسن الهيئة. وروى محمد
ابن سعد قال اتانا الفضل بن دكين قال حدثنا مدد بن خالد بن معدان قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم سافرا بالمشط والمرأة والدهن والسواك والكحل. قال ابن جريح مشط
عاج ممتشط به. قال ابن سعد واخبرنا قبيصة بن عقبة قال اخبرنا سفيان عن سعد بن مسعود

عن يزيد الرقاشي عن ابن زبدي ما كرهه صلى الله عليه وسلم بكثرة
رأسه وسرح لجيئه بالماء. قال واحترنا يزيد بن هرون والحدسا عباد بن منصور عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مكحلة يكتحل بها عند النوم ثلاثا
في كل عين. وقوله تعالى **والطيبات من الرزق** يعني ومن حرم الطيبات من الرزق التي
اخرجها الله لعباده وحلقها لهم. واختلفوا في معنى الطيبات في هذه الآية على اقوال.
أحدها ان المراد بالطيبات اللحم والدم الذي كانوا يحرمونه على انفسهم امام الحج بعضهم ان ذلك
حجهم فردد الله تعالى عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق.
والقول الثاني وهو قول ابن عباس وقاده ان المراد بذلك ما كان اهدا لجاهلية حرمونه
من البجابر والسوايب. قال ابن عباس رضي الله عنه ان اهل الجاهلية كانوا يحرمون اشيا احلها
الله من الرزق وغيرها. وهو قول الله تعالى قد ارانتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما
وحلالا. وهو هذا. وانزل تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق.
والقول الثالث ان الآية على العموم وقد دخل تحته كل ما استلذ وشتهي من سائر
المطعمات الا ما ورد نص تحريمه. واختلفوا ايضا في ترك الطيبات والاعراض عن
اللذات. فقال قوم ليس ذلك من القربات. والفعل والترك سنو في المساحات. وقال
آخرون ليس قربية في ذاته. وانما هو سبيل الى الزهد في الدنيا. وقصر الامل فيها. وترك
الكلف لاهلها. وذلك مندوب اليه. والمندوب اليه قربية. وروى ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال انا لو شئنا لاتخذنا صلا. وصنابا. ولكن سمعت الله تعالى يذم اقواما
فقال اذهبتم طيباتكم في حسابكم الدنيا. وفي رواية لو شئنا لاتخذنا صلا وصرايقا بالسرا.
وهما جميعا الجرادق. وقتل الصلوات باللام ما يصلق من اللحم والبقول. والقيلان كسبر
الصاد والمثد هو الشواء. والصناب الخردل. بالزبيب واللبس وما اشبهه. وقال الجوهري
الصناب صباغ يتخذ من الخردل والزيت. وفروق آخرون بين حضور ذلك كله بكلفه
وبغير كلفه. قال ابو الحسن بن الفضل وهو الصحيح ان شا الله فانه لم ينقل عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه امتنع من طعام من اجل طيبه قط. بل كان يأكل الحلو والعسل والبييض.

والرشد

والرطب . واما يكره الكلف لما فيه من التشاغل شهوات الدنيا عن مهمات الآخرة والله علم .
 وذكره بعض الصوفية اكل الطيبات واحتج بقول عمر رضي الله عنه اياكم واللحم وازله
 ضراوة كضراوة الكحل . اجاب بعض الفقهاء ان هذا من عمر خرج على من خشي منه
 ايشار التمتع في الدنيا والمداومة على الشهوات . وشفا النفس من اللذات وسنيان الآخرة
 والاقبال على الدنيا . ولذلك كان رضي الله عنه بكت وهو خليفة الى عماله بقول اياكم والسقم
 وزكى اهل العجم . واخشو سنوا . ولم ير وجهه الله تحريم شئ احله الله . ولا تخظروا اباحة الله .
 وقول الله تعالى اولي مما اسد واعتمد عليه . قال سبحانه قل من حرم زينة الله التي
 اخرج لعباده والطيبات من الرزق . وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد ادام الدنيا والآخرة
 اللحم . وروى هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
 ياكل البطيخ بالرطب . ويقول يكسر حر هذا برد هذا . وبرد هذا حر هذا . والبطيخ لغة
 في البطيخ . وهو من الاسماء المقلوبة . والله اعلم . وقد ورد في سورة المائدة الرد على من اثار كل
 الخشن . وهذه الالة ترد عليه وغيرها . وقوله تعالى **قل هي للذين امنوا** يعني قليا
 محمد ان الطيبات التي اخرج الله من رزقه للذين امنوا في الحياة الدنيا غير خالصة لهم . لانه
 شركهم فيها المشركون **خالصة** اي لهم يوم القيامة . يعني لا يشركهم فيها احد . لانه
 لاحظ للمشركين يوم القيامة في الطيبات من الرزق . وقل معناه خالصة لهم يوم
 القيامة من التكدير والتغيص والغم . لانه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول
 الطيبات من الرزق كدر وتغيص . فاعلم سبحانه انها خالصة لهم في الآخرة من ذلك كله .
 وقال بعضهم قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا . كحقها من توحيد الله تعالى والتصد بوله .
 فان الله تعالى هو الذي ينعم ويرزق . فان وحده المنعم عليه وصدقه فقد قام بحق النعمة .
 وان كفر فقد امكن الشيطان من نفسه . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا احد
 اصبر على اذى من الله . يعافهم ويرزقهم وهم يدعون له صاحبة والولد . وتم الكلام
 على قوله في احكام الدنيا . ثم قال خالصة بالرفع . وهي قرأه ابن عباس ونافع . والمعنى تخلص
 الطيبات في الآخرة للذين امنوا . وليس للمشركين منها شئ كما كان لهم في الدنيا من الاشراك فيها .

ومجاز الالة قل هي للذين امنوا مشتركة في الدنيا مع غيرهم . وهي للمؤمنين خالصة يوم القامة .
 فخالصة كلام مستانف على خبر مبتدأ مضمرة . وهذا قول ابن عباس والضحك والحسن
 وقتادة والسدي وابن جرير وابن زيد . **وقيل** المعنى ان هذه الطيبات الموجودة هي
 خالصة يوم القامة للمؤمنين في الدنيا . وخصوصها انهم لا يعاقبون عليها ولا يعذبون .
فقوله في الحياه الدنيا متعلق بقوله امنوا . والى هذا يشير تفسير سعد بن جبير . وقرا
 الباقون قل هي للذين امنوا في الحياه الدنيا خالصة بالنصب على الحال والقطع . لان الكلام
 قد تم دونة . ولا يجوز الوقف في هذه القراءة على الدنيا . لان ما بعده متعلق بقوله للذين امنوا
 حالاً منه . بتقدير قل هي بآيته للذين امنوا في الحياه الدنيا في حال خلوها لهم يوم القامة .
 وهذا قول ابي علي الفارسي . وخبر الابتداء قوله للذين امنوا . والعامل في الحال ما في اللام من
 معنى الفعل في قوله للذين . واختار سيبويه النصب لتقدم الظرف . والله اعلم مراده . وقوله
كذلك تفصل الآيات بقوم يعلمون . يعنى كذلك بين الحلال مما احللت واحرام مما حرمت
 لقوم علموا انى انا الله وحدى لا شريك لى . فاحلوا احلالى وحرموا حرامى . **قوله**
عز وجل قل انما حرم رى الفواحش ما ظهر منها وما بطن . قال العلماء الفواحش جمع فاحشة .
 وهي ما قبح من قول او فعل . وقال بعضهم ايضا الفواحش الاعمال المفترطة في البغى . **قال الكلبي**
 لما لبس المسلمون الثياب وطافوا بالبيت غيرهم المشركون فنزلت هذه الالة . ومعناها قل
 يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجددون من الثياب ويطوفون بالست عراة وكرموز اكل الطيبات
 مما احل الله لهم ان الله تعالى لم يحرم ما تحرمونه انتم . بل احل الله لعباده وطيبه لهم .
 وانما حرم رى الفواحش من الافعال والاقوال . ما ظهر منها وما بطن . يعنى علانياتها وبواطنها .
وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا احد اعير
 من الله من اجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن . ولا احد احب اليه المدح من الله .
 من اجل ذلك مدح نفسه . **وقوله** لا احد اعير من الله العيرة تغير القلب وهي حارة الحفيظة
 سبب المشاركة فيما تختص به الانسان . ومنه عيرة احد الزوجين على الاخر لاختصاص
 كل واحد منهما بصاحبه . ولا يرضى ان يشاركه احد فيه . فلذلك يدب عنه ويمنعه من غيره .

واما الغيرة في وصف الله تعالى فهي منعه من ذلك وتحرمة له **و** يدل على ذلك قوله
 ومن غيرته حرمة الفواحش **وقد** يحتمل ان يكون غيرته تغييرا فاعل ذلك يعقاب **والله** اعلم
وقوله تعالى **والاثم** يعني وحرمة الاثم **واختل** فوا في الفرق بين الفاحشة والاثم
 فقل الفواحش الكماير **لانه** قد تفاحش فجها وتزايد **والاثم** عبارة عن الصغائر من
 الذنوب **فغلي** هذا يكون معنى الامة **قل** انما حرمة ربي الكماير والصغائر **وقل** الفاحشة
 اسم لما يجب منه الحد من الذنوب **والاثم** اسم لما لا يجب منه الحد **وهذا** القول هو قريب
 من الاول **واعترض** على هذين القولين **ان** الاثم في اصل اللغة هو الذنب **فندخل** فيه
 الكماير والصغائر **وقل** ان الفاحشة اسم للكبيره **والاثم** اسم لمطلق الذنب **سواء** كان
 كبيرا او صغيرا **والفائدة** فيه ان يقال لما حرمة الله تعالى الكبيره بقوله **قل** انما حرمة ربي
 الفواحش اردفه **ب** تحريم مطلق الذنب **ليلا** يتوهم متوهم ان التحريم مقصور على الكماير فقط
وقل ان الفاحشة وان كانت بحسب اللغة اسما لكل ما تفاحش من قول او فعل لكنه
 قد صار في العرف مخصوصا بالزنا **لانه** اذا اطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه الا ذلك
 فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا **واما** الاثم فقد قل انه اسم من اسماء الخمر وهو
 قول الحسن وعطاء **قال** الجوهرى **وقد** يسمى الخمر اثما **واستدل** عليه بقول **الشاعر**
 شربت الاثم حتى ضل عقلي **كذلك** الاثم يذهب بالعقول **و**

وقال احر

شربت الاثم بالصواع جهارا **وتركى** المثل مستعار **و**

وقال ابن سيدة صاحب المحكم **وعند**ى ان تسمية الخمر بالاثم صحيح **لان** شربها اثم
وبعد المعنى يظهر الفرق بين اللفظين **وانكر** ابو بكر ابن البارى تسمية الخمر بالاثم
قال لان العرب ما سمته اثما قط في جاهلية ولا اسلام **ولكن** قد يكون الخمر اذ خلا
 تحت الاثم **لقول** الله تعالى **قل** فهما اثم كبير **والله** اعلم **وقوله** **والبغي** اى وحرمة البغي
بغير الحق **والبغي** هو الظلم والكبر والاستطالة على الناس **ومجاوزة** الحد في ذلك كله
ومعنى البغي بغير الحق هو ان يطلب ما ليس له بحق **فاذا** طلب ما له بحق خرج من ان يكون بغيا **و**

وقال **ثعلب البغي** ان يقع الرجل في الرجل فسكلم فيه وبغى عليه بغير الحق الا ان تنصر
منه بالحق. واعلم ان الله تعالى اخرج الاثم والبغى من الفواحش وهما منه لعظهما وفحشهما.
فنصر على ذكرها تأكيدا لامرهما وقصدا للزجر عنهما. ثم قال **تعالى وان تشركوا بالله**
اي وحرر ان تشركوا بالله **ما لم ينزل به سلطانا** قال العلماء هذا الكلام منه تهكم بالمشركين
والكفار. لانه لا يجوز ان ينزل حجة وبرهاننا بان يشرك به غيره. لان الاقرار بشي ليس على
ثبوته حجة ولا برهان ممتنع. فلما امتنع حصول الحجة والنبية على صحة القول بالشرك
وجب ان يكون باطلا على الاطلاق. فان قيل **البغى** والاشراك داخلان تحت الفاحشة
والاثم لان الشرك من اعظم الفواحش واعظم الاثم. وكذا البغى ايضا من الفواحش والاثم. قوله
انما افردهما بالذكر للنسبة على عظيم قبحهما. كانه قال من الفواحش المحرمة البغى والشرك
فكانه بين حملته ثم يفصيلة وقوله **وان تقولوا على الله ما لا تعلمون** تقدم بفسيره
والكلام عليه قوله **تعالى ولكلامه اجل** قال العلماء الاجل هو الوقت الموقب لانقضاء
وقت المهلة. ثم في هذا الاجل المذكور في الالة قولان. احدهما انه اجل العذاب والمعنى
ان لكلامه كذبت رسوله وقتا معيننا واجلا مسمى امهلمم الى ذلك الوقت **فاذا جاء اجلهم**
يعنى فاذا حل وقت عذابهم **لاستأخرون ساعة ولا يستقدمون** يعنى فلا يؤخرون ولا
سهلون قدر ساعة ولا اقل من ساعة. واما ذكرت الساعة لانها اقل اسما الاوقات
في العرف. وهذا حين سألوا نزول العذاب. فاجبرهم الله تعالى ان لهم وقتا اذا جاء ذلك
الوقت وهو وقت هلاكهم واستيغالهم فلا يؤخرون عنه ساعة ولا يستقدمون. والقول
الثاني ان المراد بهذا الاجل هو اجل الحياة والعمر. فاذا انقضى ذلك الاجل وحضر الموت
فلا يؤخر ساعة ولا تقدم ساعة. وعلى هذا القول يلزم ان يكون لكل واحد اجل لا يقع
فيه تقدم ولا تاخير. واما قال تعالى **لكلامه لتفاوت اعما را هل كل عصر** وكانهم كالواحد
في مقدار العمر. وعلى هذا القول ايضا يكون المقبول ميتا باجله عند اهل السنة خلافا
للمعتزلة. فانهم يقولون ان القاتل قطع على المقبول اجله. وهذا قول باطل مخالف للشريعة.
وقال بعض المفسرين ايضا في معنى الالة **دلت هذه الالة على ان المقبول انما يقتل باجله** واجل

واجل الموت هو وقت الموت كما ان الدين هو وقت حلوله . وكل شئ وقت به شئ فهو اجل له .
 واجل الانسان هو الوقت الذي يعلم الله انه سموت الحى فيه لا محاله . وهو وقت لا يجوز
 تاخير موته عنه . لا من حيث انه ليس مقدورا تاخيره . وقال كبير من المعتزلة الامر شد
 منهم ان المقتول مات بغير اجله الذي ضرب له . وانه لو لم يقتل لحيى . وهذا غلط لان
 المقتول لم يمت من اجل قتل غيره له . بل من اجل ما فعله الله من ارهاق نفسه عند الضربة .
 فان قتل فان مات المقتول ما اجله فلم يفلون ضاربه وتقتصون منه قتلته نقتله
 لتعديبه وتصرفه فيما ليس له ان يتصرف فيه . لا لاجل موته وخروج الروح اذ ليس ذلك من
 فعله ولو بركة الناس والتعدي من غير قضاص لادى ذلك الى الفساد . ودمازال العباد .
 وهذا واضح لا سكر فيه . قوله عز وجل **يا بني ادم اما اتقونكم رسول منكم** قوله ايها هي ان
 الشرطية ضمت اليها ما موكره لمعنى الشرط . وجزا هذا الشرط . الفا وما بعدها من الشرط
 والجزا . وهو قوله فمن اتقى واصح بعنى منكم . واما قال رسول بلفظ الجمع وان كان المراد به
 واحد وهو النبي صلى الله عليه وسلم . لانه خاتم الانبياء وهو مرسل الى كافة الخلق . فذكره
 بلفظ الجمع على سبيل التعظيم . فعلى هذا يكون الخطاب في قوله يا بني ادم لاهل مكة ومن يلحق
 بهم . **وقل** اراد تعالى جميع الرسل . وعلى هذا فالخطاب في قوله يا بني ادم عام في كل نبى ادم .
 واما **وال منكم** يعنى من جنسكم ومسلكم من نبى ادم . لان الرسول اذا كان من جنسهم كانا قطع
 لعذرهم . وابنت للحجة عليهم . لانهم يعرفونه ويعرفون احواله . فاذا اتاهم بما لا يليق
 بقدرته او بقدره امثاله علم ان ذلك الذي اتى به معجزته له وحجة على من خالفه .
 وقوله **بعضون عليكم اياتى** يعنى بقراون عليكم كتابى وادلة احكامى وشرائعى الذى شرعت
 لعبادى **فمن اتقى** يعنى من اتقى الشرك ومخالفة رسلى **واصلح** يعنى العمل الذى امرته به
 رسلى فعمل بطاعتى وتجنب معصيتى وما بهيته عنه **فلا تخوف عليهم** يعنى من تخاف عنهم
 يوم القامة من العذاب **ولا هم يخربون** يعنى على ما فاتهم من نبيهم التى تركوها **والذين**
كذبوا باننا يعنى ومن حذوا اياتنا وكذب رسلنا **واستكبروا عنها** يعنى واستكبروا عن الايمان
 بها وما جات به رسلنا **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** يعنى لا يخرجون منها ابدا .

قوله تعالى **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا** يعني فمن اعظم ظلما ممن تقول على الله ما لم
يقله او يجعل لله شريكا من خلقه وهو منزله عن الشريك والولد **او كذب باياته** يعني و
كذب بالقران الذي انزله على عبده ورسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم **اولئك ينالهم نصيبهم**
من الكتاب يعني ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب في اللوح المحفوظ. واختلفوا في ذلك
النصيب على قولين احدهما ان المراد به هو العذاب المعين لهم في الكتاب. ثم اختلفوا فيه
فقال الحسن والسدي ما كتبت لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقه العيون
وقال ابن عباس في رواية عنه كتب لمن افترى على الله الكذب ان وجهه اسود. وقال
الزجاج هو المذكور في قوله فانذرتكم نارا تلتظي. وفي قوله اذا الاغلال في اعناقهم فهذه
الاشيا هي نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم. والقول الثاني ان المراد بالنصب
المذكور في الكتاب هوشى سوى العذاب. ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس في رواية اخرى
عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية في قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب والواهو
السعادة والشقاوة. وقال ابن عباس ما كتبت عليهم من الاعمال. وقال في رواية اخرى عنه
من عمل خيرا جزى به. ومن عمل شرا جزى به. وقال قتاده نصيبهم من الكتاب هو جزا
اعمالهم التي عملوها. وقيل معنى ذلك سالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير او شر.
وهذا قول مجاهد والضحاك وهو رواية عن ابن عباس ايضا. وقال الربيع بن انس ينالهم ما
كتبت لهم في الكتاب من الرزق. وقال محمد بن كعب القرظي عمله ورزقه وعمره. وقال
ابن زيد ينالهم نصيبهم من الكتاب من الاعمال والارزاق والاعمار. فاذا فني هذا
جانهم رسلنا تتوفونهم. وصح الطبري هذا القول الاخر. وقال لا والله تعالى اتنع ذلك
بقوله حتى اذا جانتم رسلنا تتوفونهم. فابان ان الذي ينالهم هو ما قدر لهم في الدنيا
فاذا فني توفتم رسلهم. قال الامام فخر الدين وانما حصل الاختلاف لان لفظ النصب
محمول لكل الوجوه. وقال بعض المحققين حملة على العمر والرزق اولى. لانه تعالى سن
انهم وان بلغوا في الكفر ذلك المبلغ العظيم فانه ليس بما يع ان ينالهم ما كتبت لهم من رزق
وعمر تفضلا من الله سبحانه وتعالى لكي يصلحوا او يتوبوا. وقال بعضهم الكتاب هاهو القران

٢٢٤
لان عذاب الله مذکور فيه. و في الكتاب اللوح المحفوظ. و ذكر الحسن بن علي الحلواني قال
املا علي بن ابي طالب من مدني قال سالت عبد الرحمن بن مهدي عن القدر. فقال لي كل شي بقدر.
قال وقد اعظم الفرية من قال ان المعاصي ليست بقدر. وقال لي عبد الرحمن بن مهدي
العلم والقدر والكتاب سوا. ثم عرضت كلام عبد الرحمن بن مهدي علي يحيى بن سعيد فقال
لم يبق بعد هذا قليل ولا كثير. و روي يحيى بن معين قال حدثنا مروان الفزاري قال حدثنا
اسماعيل بن سميع عن يكي الطويل عن مجاهد عن ابن عباس اولئك بنا لهم بضيهم من الكتاب
قال قوم يعملون اعمالا لا بد لهم ان يعملوها. قوله تعالى **حتى اذا جاءتهم رسلنا توفونهم**
بمعنى حتى اذا جاءت هؤلاء الذين كفروا علي الكذب رسلنا يعني ملك الموت واعوانه لقبض ارواحهم
عند استكمال اعمارهم وارتاقهم. لان لفظ الوفاة يفيد هذا المعنى **قالوا** يعني قال الرسل
وهم الملائكة للكفار **ان ما كنتم تدعون من دون الله** وهذا سوال توييح وقرع وبيكيت
لا سوال استعلام. والمعنى ان الذين كنتم يعبدونهم من دون الله ادعواهم ليدفعوا عنكم
ما نزل بكم. و قال ان هذا يكون في الآخرة. والمعنى حتى اذا جاءتهم رسلنا يعني ملائكة
العذاب توفونهم يعني ستوفون عددهم عند حشرهم الي النار. **قالوا** ان ما كنتم تدعون
بمعنى شركا واوليا تغيدونهم من دون الله فادعواهم ليدفعوا عنكم ما جاكم من امر الله.
قالوا يعني الكفار يجيبون للرسل **صلوا عنا** يعني بطلوا وذهبوا عنا وتركونا عند حاجتنا
اليهم فلم يشفعونا **وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين** بقول الله تعالى وسهد هؤلاء
الكفار عند معاينة العذاب انهم كانوا جا حدين وحادين الله واعترفوا على انفسهم بذلك
قوله عز وجل **قال ادخلوا في امم قد دخلت من قبلكم من الجن والانس** يعني يقول الله عز وجل
يوم القيامة لمن افترى عليه الكذب وجعل له شريكا من خلقه ادخلوا في امم اي في جملة امم
قد دخلت يعني قد مضت وسلفت. وانما قال قد دخلت ولم يقل قد دخلوا لانه اهل الضمير
على الجماعة يعني في جملة جماعات قد دخلت من قبلكم من الجن والانس **النار** اي ادخلوا
حسبا في النار التي هي مسقركم وما واكم. وانما عني بالامر الجماعات والاحزاب واهل الملل
الكافرة من الجن والانس **كلما دخلت امة** يعني كلما دخلت جماعة النار **لعنت اختها** يعني

كلما دخلت امة النار لعنت اختها من اهل ملتها في الدين لا في النسب **قال السدي** كلما
دخلت اهل مله النار لعنوا اصحابهم على ذلك الدين فيلعن المشركون المسركين واليهود اليهود
والنصارى النصارى والصاييون الصابسين والمجوس المجوس تلعن الاخرة الاولى **حتى**
اذا ادركوا فيها يعني تداركوا وتلاحقوا فيها جميعا يعني يلاحقوا واجتمعوا في النار
جميعا وادرك بعضهم بعضا واستقروا في النار. وقرأ الاعمش حتى اذا تداركوا وهو الاصل
ثم وقع الادغام فاجتجج الى الف الوصل. وحكى هذه القراءة المهدوي عن ابن مسعود. وروى
ابن ابي عمير وابن مسعود انه قرا حتى اذا ادركوا فيها ما ثبتت الالف على الجمع بين الساكنين **هـ**
وحكى عن ابن عمر وابن مسعود انه قرا حتى اذا ادركوا بقطع الف الوصل. وكانه سكت على اذا
للتذكر فلما طال سكوته قطع الف الوصل كما مبتدئ بها. وقد جاء في الشعر قطع الف
الوصل نحو قوله **هـ**

ما نفس صبرا كل حي لا قى **هـ** وكل اوشنن الى الفراق **هـ**

قالت اخراهم لا ولاهم قال ابن عباس يعني قال اخر كل امة لا اولها. **قال السدي** قالت
اخراهم الذين كانوا في اخر الزمان لا ولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين. **وقال** مقابل يعني
قال اخرهم دخول النار وهم الاتباع لا ولاهم دخولهم القادة لان القادة يدخلون النار
اولا **رساهوا لا اضلونا** يعني يقول الاتباع رساهوا القادة والروسا اضلونا عن الهدى
وزنوا الناطاعة الشيطان وقتل انما قال المتأخرون ذلك لانهم كانوا يعتقدون بعظم
المتقدمين من اسلافهم فسلكوا سبيلهم في الضلالة واتبعوا طريقهم فيما كانوا عليه من
الكفر والضلالة فلما كان يوم القيامة وتبين لهم فساد ما كانوا عليه والوارساهوا لا اضلونا
لانا اتباعنا سبيلهم **قائتم عذابا ضعفا من النار** اي اضعف علمهم العذاب **قال ابو عبيد**
الضعف هو مثل الشي مرة واحدة **وقال** الازهرى والذى قاله ابو عبيد هو ما استعمله
الناس في مجاز كلامهم. **واما** كتاب الله فهو عربي مبين. **وترد** بفسره الى موضوع كلام
العرب والضعف في كلامهم ما زاد. وليس بمفطور على مثلين. **وجايز** في كلام العرب هذا
ضعف اي مثلاه وبلاية امثاله لان الضعف في الاصل زياده عن محصورة. **واولى** الاشياء

به ان يجعله امثاله فاقبل الصعف محصور وهو المثل واكثره غير محصور وقال
 الزجاج في تفسير هذه الامة فانهم عذابا ضعفا اي مضاعفا لان الصعف في كلام العرب على
 ضربين احدهما المثل والاخر ان يكون في معنى بصعيف الشيء اي زيادته **قال** اي
 قال الله **لكل ضعف** يعني لا ولا كرم ضعف ولا خرا كرم ضعف **وقل** معناه للتابع ضعف
 والمتبوع ضعف لانهم قد دخلوا في الكفر جميعا **ولكن لا تعلمون** يعني ما اعد الله لكل
 فريق **وقل** لا تعلمون يا اهل الدنيا مقدار ما هم منه من العذاب **وقرئ** بالياء ومعناه
 لا يعلم كل فريق ما اعد الله من العذاب للفريق الاخر اذ لو علم بعض من في النار ان عذاب
 احد فوق عذابه لكان نوع سلوة له **قوله** تعالى **وقالت اولاهم** يعني في الكفر وهم
 القادة **لاخرهم** يعني للاتباع **فما كان لكم علينا من فضل** يعني قد ضللتكم كما ضلنا وكفرتم
 كما كفرنا **وقل** في معنى الامة **وقالت** كلامة سلفت في الدنيا لاخرها الذر جبا ومن
 بعدهم فسلكوا سبيل من مضى قبلهم فما كان لكم علينا من فضل **وقد علمتم** ما حلكم من
 عقوبة الله بسبب كفرنا ومعصيتنا اياه **وجا** لكم بذلك الرسل والنذر **فما رجعت** عن
 ضلالتكم وكفركم **فقد وقوا العذاب** وهذا احتمال ان يكون من قول القادة للاتباع
 والاولى للاخرى التي بعدها **ويحتمل** ان يكون من قول الله تعالى **يعني** يقول الله تعالى للجميع
فقد وقوا العذاب بما كنتم تكسبون يعني بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والاعمال الخبيثة
قوله عز وجل **ان الذين كذبوا باياتنا** يعني كذبوا لا يبدل التوحيد فلم يصدقوا بها ولم
 يتبعوا رسلنا **واستكبروا عنها** اي وكبروا عن الايمان بها والتصدق بقرانها وانفقوا عن اتاعتها
 والانتقاد لها والعمل بمقتضاها كبيرا **لا تفتح لهم ابواب السماء** يعني لا تفتح لارواحهم اذا خرجت
 من اجسادهم ولا تصعد لهم الى الله عز وجل في ووف حياتهم قول ولا عمل لان ارواحهم
 واقوالهم واعمالهم كلها خبيثة **وانما تصعد الى الله الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** **قال**
 ابن عباس لا تفتح ابواب السماء لارواح الكفار وتفتح لارواح المؤمنين **وفي** رواه عن ابن عباس
قال لا تصعد لهم قول ولا عمل **وقال** ابن جرير لا تفتح ابواب السماء لارواحهم ولا لاعمالهم
وروى الطبري بسنده عن البراء بن عازر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر فنصر روح

الفاجر فانه يصعد بها الى السماء. فالنصعدون بها فلا مسرون على ملا من الملائكة الا قالوا
ما هذا الروح الخبيث قال فنقولون فلان. ما قبح اسماءه التي كان يدعها بها في الدنيا حتى شتهوا
بها الى السماء فاستفتحون له فلا يفتح. ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب
السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط. وقبل في معنى الابه لا يرسل عليهم البركة
والخير لان ذلك لا ينزل الا من السماء. فاذا لم يفتح لهم ابواب السماء فلا ينزل عليهم من البركة
والخير والرحمة شي. وقبل لا تفتح لهم ابواب السماء اذا دعوا. وهذا قول مجاهد والنخعي
وقوله تعالى **ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط** الروح هو الدخول. والجمل
معروف وهو الذكر من الابل. وسم الخياط ثقب الابه. وكل ثقب لطف في البدن يسمى ثقبا. **سما**
وثقبا. وجمعه سموم. وجمع السم القاتل سام. وقرأ عبد الله حتى يلج الجمل الا صفر في
سم الخياط. وقرأ ابن عباس حتى يلج الجمل بضم الجيم وفتح الميم وشد يدها وهو جبل
السفينة الذي يقال له القلس. وهو جبل مجبوعة. وجمعه جملة. وقبل هو الجبل
الغليظ من القنب. وقبل هو الجبل الذي يصعد به النخل. وروى ايضا عنه وعن سعد بن
جبر انهما فدا حتى يلج الجمل بضم الجيم بضمين. كاسد واسد. وقرأ ابن سيرين في سم
الخياط بضم السين. والخياط ما خاط به بقول العرب خياط ومخيط. مثل ازار وميزر وقناع
ومقنع. والمراد به الابه في هذه الالة. وانما خص سبحانه الجمل بالذكر من سائر الحيوانات
لانه اكبر من سائر الحيوانات جسماء عند العرب. قال الشاعر

جسم الجمل واحلام العصافير

وصف من هجاه هذا بعظم الجسم مع صغر العقل. فحجم الجمل من اعظم الاجسام وثقت الابه
من اضيق المنافذ. فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الابه الضيق محالا. فكذلك
دخول الكفار الجنة محال. ولما وصف الله تعالى دخولهم الجنة على حصول هذا الشرط وكان
وقوع هذا الشرط محالا فثبت ان الموقوف على المحال محال. فوجب بهذا الاعتبار ان دخول
الكفار الجنة ما يوسا منه قطعا. وقال بعض اهل المعاني لما علوا به دخولهم الجنة
بولوج الجمل في سم الخياط وهو خرت الابه كان ذلك ثقيا لدخولهم الجنة على التابيد. وذلك

وذلك لان العرب اذا علق ما يجوز كونه مما لا يجوز كونه استحال كون ذلك الجائز. وهذا
 كقولك لا اتك حتى يشب الخراب وسيض القار. ومنه قول الشاعر
 اذا شاب الخراب انت اهلي وصار القار كاللبن الحليب.
 وقوله تعالى **وكذلك نجزي المجرمين** اي ومثل الذي وصفنا نجزي المجرمين بمعنى الكافرين
 لانه يقدم من صفتهم انهم كذبوا بايات الله واستكروا عنها وهذه صفة الكفار فوجب
 حمل لفظ المجرمين على انهم الكفار. وما يبين الله تعالى ان الكفار لا يدخلون الجنة ابدان
 انهم من اهل النار ووصف ما اعد لهم فيها. فقال سبحانه **لهم من جهنم مهاد** بمعنى لهم من
 نار جهنم فراش. واصل المهاد المتمد الذي تقعد عليه ويضجع عليه كالفراش والبطا.
ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهي الغطاء كاللحاف وكحوة. ومعنى الالة ان النار محيطة
 بهم من تحتهم ومن فوقهم. **قال محمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي المهاد الفراش**
والغواش اللحف وكذلك نجزي الظالمين يعني وكذلك نكافي ونشبت المشركين الذين وضعوا
 العادة في غير موضعها قوله عز وجل **والذين امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا**
الاوسعها قال المفسرون لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما اعد لهم في الآخرة اتبعه
 بذكر وعد المؤمنين وما اعد لهم في الآخرة. فقال **والذين امنوا وعملوا الصالحات** يعني
 والذين صدقوا الله ورسوله واقروا بما جاءهم به من وحي الله اليه وتتربوا له عليه من شرايع
 دينه وعملوا بما امرهم به واطاعوه في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لانكلف نفسا الاوسعها
 يعني لا نكلف نفسا الا ما سعه من الاعمال وما سهل عليها ودخل في طوقها وقد رتبها.
 وما اخرج منه عليها ولا ضيق. **قال الزجاج الوسع ما تقدر عليه** وقال مجاهد
 معناه الا ما افترض عليها. يعني الذي افترض عليها من وسعها الذي تقدر عليه ولا تعجز
 عنه. وقد غلط من قال ان الوسع بذل المجهود. **وقال اكثر اصحاب المعاني** ان قوله
 تعالى لا نكلف نفسا الاوسعها اعتراض وقع بين المبتدأ والخبر. **والنقدير** والذين امنوا وعملوا
 الصالحات **اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** وانما حسن وقوع هذا الكلام بين المبتدأ والخبر
 لانه من حسن هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان ذلك العمل من وسعهم وطاعتهم

وغير خارج عن قدرتهم وفيه تشبه للكفار على ان اكنه مع عظم قدرها ومحلاها وصل
الهما بالعمل السهل من غير تحمل كلفه ولا مشقة صعبة. **وقال قوم من اصحاب المعاني**
موصفه رفع من تمام الخبر والعايد محذوف كأنه قال لا يكلف نفسا منهم الا وسعها.
فحذف العايد للعلم به. **وقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل** يعني قلعنا
واخرجنا ما في صدور المومنين من غش وحقد وحسد وعداوة كانت بينهم في الدنيا.
ومعنى الاية ازلنا تلك الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فحعلناهم اخوانا على
سرر متقابلين لا يحسد بعضهم بعضا على شئ خسر الله به بعضهم دون بعض. ومعنى نزع
الغل تصفية الطباع واسقاط الوسوس ومنعها عن ان تترد على القلب. **قال النبي صلى الله**
عليه وسلم الغل على باب الجنة كجبارك الابل قد نزع الله من قلوب المومنين وروى عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال فينا والله اهل بدر نزلت ونزعنا ما صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين وروى عنه ايضا انه قال اني لارجوا ان اكون انا وعثمان وطلحة والسير
من الذين قال الله فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل. **وقال ان الحسد والغل يزول بدخولهم**
الجنة وبدل عليه ما روى البخاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال **قال رسول الله**
صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار فيحسبون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتصر
لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذر لهم في دخول الجنة.
قوالذي يقضي بده لاحدهم اهدى منزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا. **وقال السدي**
في هذه الاية ان اهل الجنة اذا سبقوا الى الجنة فبلغوا وجدوا عند بابها شجرة في اصل
ساقها عينان فشربوها من احدها فينزع ما في صدورهم من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا
من الاخرى فحرت عليهم بنصرة النعيم فلن يشعثوا ولن يشجبتوا بعدها ابدا. **وقال**
ان درجات الجنة متقاربة في العلو والكمال فبعض اهل الجنة اعلا من بعض واخرج الله
الغل والحسد من صدورهم وازاله عنهم ونزع من قلوبهم فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة
صاحب العالية. **واورد على هذا القول** كيف يعقل بان الانسان يركب الدرجات العالية
والنعم العظيمة وهو محبوس عنها ولا يبذل اليها. فكيف لا يبذل بطبعه اليها ولا يغتم بسبب

حرمانه عنها وان كان في نعيم ولذته **واجيب** عن هذا بان الله عز وجل قد وعد ما زاله
 الحقد والحسد من طوبى اهل الجنة حتى تحل لهم اللذة والسرور حتى ان احدهم لا يرك
 نفسه الا في كمال وزيادة من النعيم الذي هو فيه فيرضى بما هو فيه ولا يحسد احدا ابدا **هـ**
 وبهذا تم نعيمه ولذته وكمل سروره وبهجته **وقوله** تعالى **تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ**
 لما اخبر الله تعالى بما انعم على اهل الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم اخبر
 بما انعم عليهم من اللذات والخيرات **بقوله** **وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لهذا** يعني ان
 المؤمنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي وفقنا وارشدنا للعهد الذي هذا ثوابه وتفضل
 علينا برحمة منه واحسانا فله الحمد على ذلك **وصرف** عنا عذاب جهنم تفضله وكرمه **هـ**
وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله يعني وما كنا لنرشد لذلك العهد الذي هذا ثوابه لولا
 ان ارشدنا الله اليه ووفقنا بفضله ومنه وكرمه **وفي** الآية دليل على ان المهتدي من
 هداه الله **ومن** لم يهد الله فليس مهتدا **لقد جات رسل ربنا بالحق** يعني ان اهل النعيم اذا
 دخلوها وراوا ما اعد الله لهم فيها من النعيم قالوا **لقد جات رسل ربنا بالحق** يعني انهم راوا
 ما وعدهم الرسل عيانا **ونودوا ان تكلم الجنة** يعني ونادى مناد ما اهل الجنة ان هذه بلکم
 الجنة التي كانت الرسل وعدكم بها في الدنيا **واختلفوا** في المنادى فقل هو الله عز وجل
 وقل للملايكة ينادون بامر الله عز وجل **وقيل** ان هذا النداء يكون في الجنة **بديليل**
 ما رواه مسلم عن ابي سعيد واخي هريرة رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل
 اهل الجنة الجنة ما دى مناد ان لكم ان تحبوا فلا تموتوا ابدا **وان** لكم ان تفحوا فلا تستقنوا
 ابدا **وان** لكم ان تشبوا فلا تنهروا ابدا **وان** لكم ان تتعجبوا فلا تباسوا ابدا **فذلك** قوله
 عز وجل **ونودوا ان يكلم الجنة** اورثتموها بما كنتم تعملون **وقوله** تعالى **اورثتموها بما كنتم**
تعملون **روي** ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد الا وله منزل
 في الجنة ومنزل في النار **فاما** الكافر فانه يرث المؤمن منزله في النار **والمؤمن** يرث الكافر
 منزله من الجنة **زاد** في رواية **فذلك** قوله تعالى **اورثتموها بما كنتم تعملون** **قال** بعضهم لما
 سمي الله الكافر ميتا بقوله اموات غير احياء **وسمي** المؤمن حيا بقوله لسند من كان حيا وفي الشرع

ان الاحياء يرتون الاموات فقال تعالى اورثوها. يعني ان المومن حي وهو يرث الكافر منزله
من الجنة. لانه في حكم الميت. وقيل معناه ان امرهم يؤول الى الجنة. كما ان الميراث يؤول
الى الوارث. وقيل اورثوها عن الاعمال الصالحة التي عملتموها. لان الجنة جعلت جزاء
وثوابا لهم على الاعمال. ولا يعارض هذا القول ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لن يدخل احد الجنة بعمله. وانما يدخلونها برحمة الله. فان دخول الجنة برحمة الله تعالى
واقترام الدرجات والمنازل بالاعمال. وقيل ان العمل الصالح لن ياله المومن ولن يسلغه
الابرحة الله وتوفيقه. واذا كان العمل الصالح سبب الرحمة كان دخول الجنة في كنفه
برحمة الله وجعلها الله ثوابا وجزاء لهم على تلك الاعمال الصالحة التي عملوها في دار الدنيا
والله اعلم بوله تعالى **ونادي اصحاب الجنة اصحاب النار** يعني ونادي اهل الجنة اهل النار.
وهذا النداء انما يكون بعد استقرار اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار. يقول اهل
الجنة يا اهل النار ان **قلد وجدنا ما وعدنا ربنا** يعني ما وعدنا في الدنيا على السنن من
الثواب على الايمان به وبرسوله وطاعته **حقا** اي وجدناه وعدنا **حقا** **فهل وجدتم ما وعد**
ربكم حقا يعني من العذاب على الكفر **قالوا** مجيبين لهم **نعم** اي نعم وجدنا ذلك حقا. وقرا الاعمش
والكساى **قالوا نعم** بكسر العين. وهما لغتان بمعنى العدة والتصدق. والعدة اذا
استفهمت عن موجب نحو قولك ايقوم زيد فنقول نعم. والتصدق اذا اخبرت عما وقع
تقول قد كان كذا وكذا فيقول نعم. فاذا استفهمت عن منفي والجواب بلى نحو قولك لم
اكرمك فنقول بلى. فنعم لجواب الاستفهام الداخل على الاجاب كما في هذه الآية. وبلى
جواب الاستفهام الداخل على النفي كما قال تعالى الست ربكم قالوا بلى. فان قل هذا
النداء من كل اهل الجنة لكل اهل النار او من البعض لبعض. **قل** له ظاهر قوله ونادي اصحاب
الجنة اصحاب النار بعيد العموم. والجمع اذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من اهل
الجنة ينادى من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا. فان قل اذا كانت الجنة في السما
والنار في الارض فكيف يمكن ان يبلغ هذا النداء وكيف يصبح ان يقع **قل** له ان الله تعالى قادر
على ان يقوى الاصوات والاسماع فيبصر البعيد كالقريب والله اعلم بمراده **وقوله** تعالى

فَاذِّنْ مُؤَدِّنَ بَيْنَهُمْ يعني يادي مناد. واعلم ان اصل الاذان في اللغة الاعلام. والمعنى يادي
 مناد اسمع الفرقتين. وهذا المنادي من الملائكة. **وقيل** هو اسرافيل عليه السلام **ان لعنة**
الله على الظالمين يعني بقول المؤذن ان لعنة الله على الظالمين. **وحكى** عن الاشراف انه قرأ ان لعنة
 الله على الظالمين بكسر الهمزة ويكون هذا على اصمارة القول كما قرأ الكوفون فناداه الملائكة وهو
 قائم صلى في المحراب ان الله بكسر الهمزة. **وقرأ** البرقي وابن عامر وحمزة والكسائي ان لعنة
 الله على الظالمين بفتح الهمزة وهو الاصل. **وقرأ** الباقر بخفيف ان ورفع اللعنة على الاشراف
 وروى ان طاوسا دخل على هشام بن عبد الملك فقال له اتوا به واحذر يوم الاذان فقال
 وما يوم الاذان قال قوله تعالى فاذن مؤذن منهم ان لعنة الله على الظالمين. **ضعف** هشام
 فقال طاوس هذا ذل الصعقة فكيف ذل المعايين. ثم **فسر** الظالمين من هم فقال **تعالى**
الذير يصدون عن سبيل الله يعني الذين يمنعون الناس عن الدخول في دين الاسلام **ويبغونها**
عوجا يعني وكما ولوا ان يعيروا دين الله وطريقته التي شرع لعباده وابدلونها **وقيل**
 معناه انهم يصلون لغير الله تعالى **ويعظمون** ما لم يعظمه الله. وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة
 لغير الله **ويعظم** ما لم يعظمه فاخطوا والطريق وضلوا عن السبيل **وقم بالآخرة كافرين** يعني
 وهم يكون الآخرة واقعة جاحدون منكرونها **قوله** تعالى **وسنما حجاب** يعني وبين
 اجنه والنار حجاب **وقيل** من اهل الجنة واهل النار حجاب وهو المذكور في قوله تعالى **فضر**
بيهم سور له باب ما طنه فيه الرحمة وظاهره من قتله العذاب **قال** مجاهد هو الاعراف
 حجاب بين الجنة والنار **وقال** السدي **وسنما حجاب** هو السور وهو الاعراف **وقوله** تعالى
وعلى الاعراف رجال الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الارض **ومنه** قتل عرف الديك
 وعرف الفرس لارتفاعه عما سواه من جسده **سمى** بذلك لانه سبب ارتفاعه صار عرف
 وابين ما تحققت **وقال** السدي انما سمي الاعراف لان اصحابه يعرفون الناس **وقال** ابن
 عباس الاعراف الشيء المشرف **وعنه** ايضا **قال** الاعراف سور كعرف الديك **وعنه** ايضا
 ان الاعراف تلك بين الجنة والنار بحسب عليه ناس من اهل الذنوب بين الجنة والنار **وقال**
 يحيى بن ادم سالت الكسائي عن واحد الاعراف فسكت **فقلت** حدثنا اسرايل عن جابر عن مجاهد

عن ابن عباس انه قال الاعراف سور له عرف مثل عرف الديك فقال نعم ودعا غلامه وقال
هات القرطاس فكتبه واختلف العلماء رحمهم الله في صفة الرجال الذين احبهم الله عنهم
انهم على الاعراف وما السبب الذي من اجله صاروا هناك فزوى عن حذفه رضي الله عنه
انه سئل عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت حسناتهم وسئاتهم فقضت بهم سائرهم عن
الجنة وكلف بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هناك على السور حتى يعفى الله عنهم قال بعضهم
انما جعلوا على الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار فهم لا من اهل الجنة ولا من
اهل النار لكن الله تعالى يدخلهم الجنة بفضله ورحمته لانه ليس في الاخرة دار الاجنة او
النار وقال ابن مسعود رضي الله عنه بحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسابه اكثر بواحدة
دخل الجنة ومن كانت سئاته اكثر بواحدة دخل النار وان الميزان خفيف وسهل مثقال
حبة ومن استوت حسناته وسئاته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الاعراف فادانوا
الى اهل الجنة بادوا سلام عليهم واذا نظروا الى اهل النار والوارثا لا تحطنا مع القوم الظالمين
فمضوا كما يقول الله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون وكان الطمع دخولا قال ابن مسعود رضي الله عنه
ان العبد اذا عمل حسنة كتبت له بها عشر واذا عمل سيئة لم يكتب الا واحدة ثم قال هكذا من
غلب احاده اعشاره وقال ابن عباس الاعراف سور من الجنة والنار واصحاب الاعراف
قوم استوت حسناتهم وسئاتهم فهم بذلك المكان حتى اذا اراد الله ان يجازيهم انطلق بهم الى
بهر يقال له الحياة حافته قصب الذهب مكلبا للولوت ترابه المسك والقوافيه حتى يصلح
الوانهم وتبروا في خورهم شامة نضا يعرفون بها حتى اذا صلت الوانهم اتى بهم الرحمن
تبارك وتعالى فقال تمنوا ما شئتم فيتمنوا حتى اذا انقطعت امنيتهم قال لهم لكم الذي تمنيتم
ومثله سبعون ضعفا فدخلون الجنة وفي خورهم شامة نضا يعرفون بها سمون مساكن
اهل الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره وقال شرحبيل بن سعد اصحاب الاعراف قوم خرجوا في
الغزو وغير اذن ابايهم ورواه الطبري سنة النبي بن شبيل مولى لبني هاشم عن محمد بن
عبد الرحمن عن ابيه والسبيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم
قلوا عصاة لابيهم فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار ومنعهم معصية ابايهم ان يدخلوا

الجنة. زاد في رواية فهم اخر من يدخل الجنة. وقال قوم انهم قوم رضيا باوهم دون امهاتهم
 وامهاتهم دون ابايهم. وروى عن ابي صالح مولى التومر عن ابن عباس انهم اولاد الزنا ○
 وقل انهم الذين ماتوا في الفترة. وفيه بعد. لان احرام اصحاب الاعراف الجنة.
 وهو الا الذين ماتوا في الفترة الله اعلم بحالهم وهو متولى امرهم. وقل انهم اولاد المشركين الذين
 ماتوا اطفالا. وهذا القول يرجع معناه الى القول الذي قبله لانه داخل في حكمه. فهذه
 الاقوال تدل على ان اصحاب الاعراف دون اهل الجنة في الدرجة وان كانوا يدخلون الجنة
 برحمة الله. وقال مجاهد اصحاب الاعراف قوم صالحون فقها علماء. فعلى هذا القول
 انما يكون لبثهم على الاعراف على سبيل التزهة. او ليرى غيرهم شرفهم وفضلهم. وقل
 انهم ابنا حكي هذا القول ابن الانباري. وانما اجلسهم الله على ذلك المكان العالي مسرا
 لهم على سائر اهل القامة. واظهار الفضل لهم وعلو مرتبتهم. ولنكونوا مشرفين على اهل القامة
 الجنة والنار. ومطلعين على احوالهم. ومقادير ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار. وقال
 ابو مجلز اصحاب الاعراف ملائكة يعرفون الفرقين سيماهم. يعني يعرفون اهل الجنة واهل
 النار. فقل لا يمجزل ان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وان تقول انهم ملائكة
 فقال ان الملائكة ذكور ليسوا باناث. وضعف الطبري قول ابي مجلز قال لان لفظ الرجال
 في لسان العرب لا يطلق الا على الذكور من بني آدم دون اناثهم. ودون سائر الخلق ○
 وحاصل هذه الاقوال ان اصحاب الاعراف افضل من اهل الجنة لانهم اعلامهم منزله وافضل
 وقل انما اجلسهم الله في ذلك المكان العالي ليميزوا بين اهل الجنة واهل النار. وقال ابن
 عطية ايضا واللازم من الالة ان على الاعراف رجالا من اهل الجنة يتأخرون وخولهم ويقع لهم ما
 وصف به من الاعتناء في الفرقين. ويعرفون كلا سيماهم. اى بعلامتهم. وهي سائر الوجوه
 وحسنها في اهل الجنة. وسوادها وقبحها في اهل النار. الى غير ذلك من معرفة خبره هولا
 وهولا. والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه. وقوله تعالى **يعرفون كلا سيماهم** يعني يعرفون
 ان اصحاب الاعراف يعرفون اهل الجنة سيماهم. وذلك بياض وجوههم من نضرة النعم عليها.
 ويعرفون اهل النار سيماهم وذلك سواد وجوههم وزرقه عيونهم. والسيما العلامة الدالة

على الشئ واصله من السمعة. قال ابن عباس اصحاب الاعراف اذا راوا اصحاب الجنة عرفوهم
ببياض الوجوه. واذا راوا اصحاب النار عرفوهم بسواد الوجوه. **فان قلنا ان اصحاب**
الاعراف من استوت حسنا ثم وسياتهم وهم دون اهل الجنة في الدرجة فاقفهم الله على الاعراف
لكونوا درجة متوسطة بين الجنة والنار فاذا راوا اهل الجنة عرفوهم ببياض وجوههم
نادوهم ان سلام عليكم وهو قوله تعالى ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني يارك
اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني سلمتم من الافات وحصل لكم الامن والسلامة.
واذا راوا اهل النار عرفوهم بسواد وجوههم والوارثا لا تجعلنا مع القوم الظالمين.
وان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف والافاضل من اهل الجنة كان جلوسهم على
الاعراف ليطلعوا على احوال اهل الجنة واهل النار ثم لينقلهم الله الى الدرجات العلا في الجنة.
وقوله تعالى لم يردخلوها وهم يطعمون يعني في دخول الجنة. قال ابو العالمة ما
جعل الله ذلك الطمع فيهم الاكرامة يريد هافهم. وقال الحسن الذي جعل الطمع في ولو بهم
يوصلهم الى ما يطعمون. **وقوله تعالى واذا صرفت ابصارهم تلقا اصحاب النار** يعني واذا
صرفت ابصار اصحاب الاعراف تلقا اصحاب النار يعني وجاههم وحيالهم فنظروا اليهم والى
سواد وجوههم وما هم منه من العذاب **قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين** يعني الذين
ظلموا انفسهم بالشرك. وقال ابن عباس ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار عرفوهم
والوارثا لا تجعلنا مع القوم الظالمين. والمعنى ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار وما
هم منه من العذاب تضرعوا الى الله تعالى وسالوه ان لا يجعلهم منهم. وقال بعضهم اسعاذوا
بالله وفرعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم. وقال بعضهم سالوا ان لا يجعلهم منهم وقد
علموا انه لا يجعلهم منهم ولا معهم. فهذا على التلذذ كما بقول اهل الجنة ربنا انتم لنا
نورنا. ويقولون الحمد لله على سبيل الشكر لله عز وجل ولهم في ذلك لذة. **وقوله تعالى**
ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعني ونادى اصحاب الاعراف رجالا كانوا عظاما في الدنيا
وهم من اهل النار **عرفوهم بسيماهم** يعني سيما اهل النار **قالوا** يعني اصحاب الاعراف لهؤلاء
الذين عرفوهم في النار **ما اغنى عنكم جمعكم** يعني ما كنتم كحمون من الاموال والعدد في الدنيا.

وما كنتم تستكبرون **عنى** وما اعنى عنكم بكم عن الايمان شيئا **قال** الكلبى بناد ونهم وهم
على السور باوليد من المعيرة ويا ابا جهل بن هشام وما عنته من راحة وما فلان وما
فلان ثم سظرون الى الجنة فرون فيها الفقرا والضعفا ممن كانوا استهزون بهم مثل
سلمان وصهيب وخباب وبلال واشاهم فقول اصحاب الاعراف لا وليك الكفار **اهولا**
لفظ استفهام **عنى** هولا الضعفا **الذين اقستم اى** بالله تعالى **لاينا لهم الله برحمة** **عنى** انكم
حلفتم انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله تعالى لاصحاب الاعراف **ادخلوا**
الجنة بفضلى ورحمتى **لاخوف عليكم ولا انتم تخزنون** **وقد** ان اصحاب الاعراف اذا قالوا
لاهل النار ما اخبر الله عنهم قال لهم اهل النار ان اولئك دخلوا الجنة وانتم لم تدخلوها
فعبروا بهم بذلك ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا يسالهم الله برحمة فقول الملايكه
لاهل النار **عنى** اصحاب الاعراف **اهولا** الذين اقستم لاسالهم الله برحمة ثم يقول الملايكه
لاصحاب الاعراف **ادخلوا الجنة برحمة الله لاخوف عليكم ولا انتم تخزنون** **قول** عز وجل
ونادى النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء **قال** ابن عباس لما صار اصحاب الاعراف
الى الجنة طمع اهل النار فى الفرج فقالوا يا رب ان لنا قرايات من اهل الجنة فاذن لنا حتى
نراهم وبكلمهم فيا ذن لهم فينظروا الى قراياتهم فى الجنة وما هم منه من البغيم فنعمونهم
ونظروا اهل الجنة الى قراياتهم من اهل النار فلم يعرفوهم لسواد وجوههم فنادوا اصحاب
النار اصحاب الجنة باسمائهم فنادى الرجل امه واخاه فنقول قد احترقت افض على من
الماء فقال لهم اجيبوهم فيقولون ان الله حرهما على الكافرين ومعنى الالة ان اهل النار
ستغثون باهل الجنة اذا استقر وافئها وذلك عند نزول البلاء باهل النار وما يلقون
من شدة العطش والجوع عقوبة من الله على ما سلف منهم فى الدنيا من الكفر والمعاصى بقول
اهل النار لاهل الجنة ما اهل الجنة افيضوا علينا من الماء **عنى** صبوا علينا من الماء **او متا**
رزقكم الله **عنى** واطعمونا مما رزقكم الله واوسعوا علينا من طعام الجنة **فجيبهم** اهل الجنة
كما حكي الله عنهم **قالوا ان الله حرهما على الكافرين** وهذا الجواب بعيد الحرمان **قال**
بعضهم لما كانت شهواتهم فى الدنيا فى لذة الاكل والشرب عذبهم الله فى الاخرة شدة الجوع

والعش فسألوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من طلب الأكل والشرب فاجيبوا بأن الله حرهما
على الكافرين يعني طعام الجنة وشرابها. قال بعضهم إنما سأل أهل النار أهذا الجنة ما
سألوا مع ياسم عن الإجابة الآية حيرة في أمرهم لأن المتخير ينطق بما يفيد وبما لا يفيد
كما يفعل المضطر المستنجز. وإن الله تعالى منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما
حُرِّم عليه ويحظره كقول الشاعر
حرام على عيني أن تطعم الكرى

فالتحريم حرم منع كما في قوله تعالى وحرمننا عليه المراضع والله أعلم وفي هذه الآية
دليل على أن سقى الماء من أفضل الأعمال. وقد سئل ابن عباس أي الصدقة أفضل قال الماء
المرثروا إلى أهل النار حين استغاثوا بأهل الجنة أن أفينصوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله
وروى أبو داود أن سعد بن عبادة رضي الله عنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله أي الصدقة أعجب إليك قال الماء. في رواية قال فحفر يرا فقال هذه لامر سعد
وعن ابن رضي الله عنه قال قال سعد يا رسول الله إن أم سعد كانت تحب الصدقة أفينفعها
إن أتت صدق عنها قال نعم وعلك بالماء. وفي رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر سعد بن
عبادة أن يسقى عنها الماء. فدل على أن سقى الماء من أفضل القربات عند الله تعالى. وقد قال
بعض العلماء من كثرت ذنوبه فعليه سقى الماء. وقد غفر الله ذنوب الذي سقى الكلب فكيف
من سقى رجلا مؤمنا موحدا واحياها. وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال إذا سار رجل مشى بطريق اشتد عليه العطش فنزل يرا فشرب منها
ثم خرج فإذا كلب يكهت ما كل الثرى من العطش فقال لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل
الذي بلغ بي فملاخفه ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له. قالوا
يا رسول الله إن لنا في البهائم أجرا قال في كل كبد رطبة أجره. وروى مسلم عن عبد الله
ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عدت امرأة في هرة سجننتها حتى
ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها وسقيتها اذ هي حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش
الأرض. وهذا عكس الحدس الأول. وفي حديث عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم

وفنه ومن سقى مسلماً شربة ما حيث يوجد الماء فكأنما اعتورق به • ومن سقى مسلماً
 سرية ما حيث لا يوجد الماء فكأنما احياها • خرجه ابن ماجه في السنن • وقد
 استدرك هذه الالة من قال ان صاحب الكوض والقربة احق بماية وان له منعه
 ممن اراده لان معنى قول اهل الجنة ان الله حرمهما على الكافرين لاقول لكم فيها • وقد
 بوب البخاري رحمه الله على هذا المعنى باب **من راى ان صاحب الكوض والقربة**
احق بماية • وادخل في الباب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 والذي نفسي بيده لا ذودن رجالا عن حوضي كما تزداد الغرابة من الابل عن الحوض • قال
 المهلب لا خلاف ان صاحب الكوض احق بماية لقوله صلى الله عليه وسلم لا ذودن رجالا عن
 حوضي • ونقل بعض العلماء ان مما نورت الفقر والهيم والحاجة الى الناس منع الماء والخمير •
 قال ابن عباس رضي الله عنه منع الخمير نورت الفقر • ومنع الملح نورت الداء • ومنع الماء
 نورت الثلثه • ومنع النار نورت الشقاق والعداوة • قال النبي صلى الله عليه وسلم
 خمسة اشياء لا تمنع من منعها الله يوم القيامة خيرها • الماء والملح والنار والابرة
 والخمير • قالت عائشة رضي الله عنها فما نكون النار قال صلى الله عليه وسلم ايما اهدت
 اعطوانا را فما طبع بها فكأنما تصدق به • ومن سقى مسلماً او اعطاه وضوا خلق الله من كل
 نقطة ملكا يستغفر له الى يوم القيامة • ومن سقى مسلماً والماء موجود فكأنما اعتق
 سنين رقة من ولد اسمعيل • ومن سقى مسلماً في عطشه فكأنما احيا نفسا • ومن احياها
 فكأنما احيا الناس جميعا • ومن اعطى ابرة كان كحجة • ومن اعطى خيراً فما طيب به فكأنما
 تصدق به • ومن منع هذه الخمسة منعه الله يوم القيامة خيرها • روى هذا النقاش رحمه الله •
 وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما مومن سقى مومناً على ظم اسقاه الله يوم القيامة
 من الرجيق المختوم • رواه الترمذي وابوداود • وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول يوم القيامة ما ابن ادم مرضت فلم تعذبني •
 قال يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين • قال اما علمت ان عبدك فلانا مرض فلم تعده •
 اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده • ما ابن ادم استطعتك فلم تطعنني • قال يا رب

كف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه
اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندى ما ابن ادم استسقىتك فلم تسقى قال يا
رب كف اسفك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدى فلان فلم تسقه اما انك لو
اسفنته وجدت ذلك عندى رواه مسلم وعن اسر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان رجلا من اهل الجنة شرف يوم القامة على اهل النار فناد به رجل من اهل النار فنقول
يا فلان هل تعرفنى فنقول لا والله لا اعرفك من انت فنقول انا الذى مررت بى فى دار الدنيا
فاستسقىتنى شربة من ماء فسقتك والقد عرفت قال فاشفع لى بها عند ربك قال
فيسال الله تعالى فنقول يا رب انى اشرفت على النار فنادانى رجل من اهلها فقال هل تعرفنى
قلت لا والله ما اعرفك من انت قال انا الذى مررت بى فى الدنيا فاستسقىتنى شربة ماء
فسقتك فاشفع لى بها عند ربك فشفعنى فيه فنيشفعه الله فكا حربه فخرج من النار
رواه البيهقى وعن اسر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تصف الناس يوم
القامة صفوفا ثم يمر اهل الجنة فيمر الرجل على الرجل من اهل النار فنقول يا
فلان اما تذكر يوم استسقت فسقتك شربة قال فيشفع له وممر الرجل على الرجل
فنقول اما تذكر يوم ناولك طهورا فيشفع له وممر الرجل على الرجل فنقول يا فلان
اما تذكر يوم بعثتنى لحاجة كذا وكذا فذهبت لك فيشفع له رواه ابن ماجه والاصبهانى
وعن اسر بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رجلان سلكا مفازة
عابدا والاخر به رهق فخطش العابد حتى سقط فحجل صاحبه ينظر اليه وهو صريح
فقال والله ان مات هذا العبد الصالح عطشا ومعى ماء لا اصيب من الله حيرا ابدا ولين
سقىته ماءى لا موتى فتوكل على الله وعزم فرش عليه من مائه وسقاه فضله فقام
فقطعا المفازة فنوقف الذى به رهق للحساب فموربه الى النار فتسوقه الملائكة
فيرى العابد فنقول يا فلان اما تعرفنى فنقول من انت انا فلان الذى آثرتك على نفسى
يوم المفازة فنقول بلى اعرفك فنقول للملائكة قفوا فقفون فيحى حتى يقف فدعوا
ربه عز وجل فنقول يا رب قد عرفت بده عندى وكفى آثرنى على نفسه يا رب هبه لى

مسوية

فنقول هو لك . يحيى فناخذ بيده فندخله الجنة . رواه الطبراني في الاوسط والسهقي
 في الشعب . وقوله به رهق رهق هو الغشيان للحارم . وارثكاب الطغيان والمفاسد .
 وعن كدير الضبي رضي الله عنه ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اخبرني بعمل يقربني
 من الجنة ويباعدني من النار فقال النبي صلى الله عليه وسلم اوهما اعملتاك . قال نعم .
 قال تقول العدل وتعطي الفضل . قال والله لا استطيع ان افول العدل كل ساعة وما
 استطيع ان اعطي الفضل . قال تطعم الطعام وتغشي اللام . قال هذه ايضا شديده .
 قال فهل لك ابل . قال نعم . قال فانظر الى بعير من ابلك وسقا ثم اعمد الى اهل
 بيت لا يشربون الماء الا غيبا فاسقم . فلعلك لا يهلك بعيرك ولا يتحرق سقاوك حتى
 تجب لك الجنة . قال فانطلق الاعرابي يكبر فما اتحرق سقاوه ولا هلك بعيره حتى
 قتل شهيدا . رواه الطبراني والسهقي . وقوله اوهما اعملتاك اي بعثتاك واستعملتاك
 وحملتاك على الاتان والسؤال . وقوله لا يشربون الماء الا غيبا هو بكسر الغين المعجمة
 ونشد يد البالموحدة اي شربونه يوما دون يوم . رواه الطبراني والبيهقي . وراويه
 تابعي ولست له صحبه . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال اني اتى النبي صلى الله عليه وسلم
 رجل فقال ما عملت ان عملت به دخلت الجنة . قال انت ببلى بجلب به الماء . قال نعم .
 قال فاشتر بها سقا جديدا ثم اسق فيها حتى تحرقها . فانك لن تحرقها حتى تبلغ
 بها عمل الجنة . رواه الطبراني . وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ان رجلا جال الى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اتزع في حوضي حتى اذا ملاته لا بلى ورد
 على البعير لغيري فسقيته فهل في ذلك من اجر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 في كل ذات كبد حرركي اجر . رواه الامام احمد . وروى البخاري في تاريخه عن جابر
 رضي الله عنه مرفوعا من حضر ما لم يشرب منه كبد حررا من جن ولا انس ولا سبع
 ولا طائر الا اجره الله يوم القامة . وعن محمود بن الربيع ان سراقه من حوشم قال
 يا رسول الله الضالة تزد على حوضي فهل فيها اجر ان سقيتها . قال اسقها فان في كل ذات
 كبد حرركي اجر . رواه ابن حبان والسهقي وابن ماجه . وعن انس بن مالك رضي الله عنه

ش
اي حفر بيرا

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع تجرى للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علما
او اكرى بيرا او حفر بيرا او غرس نخلا او بنى مسجدا او ورت مصحفا او تزك ولدا
ستغفر له بعد موته رواه البزار وعنه وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ليس صدقة اعظم اجرا من ماء رواه البيهقي وعن جابر رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حفر بيرا لم يشرب منه كبد حري من جن ولا انس ولا
طائر الا اجره الله يوم القيامة رواه البخاري في بارئحه وابن خزيمة وعن علي بن ابي حمزة
شقيق قال سمعت ابا المبارك وساله رجل يا ابا عبد الرحمن قرحة خرجت في ركبتي منذ سبع
سنين وقد عالجت بانواع العلاج وسالت الاطباء فلم استفع به قال اذهب فانظر موضعا
يحتاج الناس الى الماء فاحفر هناك بيرا فاني ارجو ان ينبع هناك عين وممسك عنك الدم
ففعّل الرجل بيرا رواه البيهقي وقال وفي هذا المعنى حكاية شيخنا الحاكم ابي عبد الله
فانه قرح وجهه وعالج بانواع المعالجة فلم يذهب وبقي منه قربا من سنة فقال الاستاذ
ابا عثمان الصابوني ان يدعو له في مجلسه يوم الجمعة فدعاه واكثر الناس التامين
فلما كان من الجمعة الاخرى التقت امره رفعة في المجلس بانها عادت الي سنها واجتهدت
في الدعاء للحاكم ابي عبد الله ملك الليلة فرأت رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه يقول لها قولي
لابي عبد الله يوسع الماء على المسلمين فحجبت بالرقعة الى الحاكم فامر سقاية بنيب علي باب
داره وجين فرغوا من بنايها امر صب الماء فيها وطرح الحمد في الماء واخذ الناس في
الشرب فامر عليه اسبوع حتى ظهر الشفا وزالت تلك العكة الفزوح وعاد وجهه الى
احسن ما كان وعاش بعد ذلك سنين وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلائهم لا يكفهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزيكهم ولهم عذاب اليم
رجل علي فضل ما بفلاة تمنع منه ابن السبيل زاد في رواية يقول الله له اليوم امنعك
فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك رواه البخاري ومسلم وابوداود والنسائي وابراهيم
وعنه غاشة رضي الله عنها قالت يا رسول الله ما الشئ الذي لا يجمل منعه قال الماء والملح والنار
قالت قلت يا رسول الله هذا لما قد عرفناه فما بال الملح والنار قال يا حبيبا من اعطى نارا

في منامها

فكانما تصدق بجميع ما انفجت بك النار ومن اعطى ملحا فكانما تصدق بجميع ما طيبت بك
 الملح ومن سقى مسلما شربة من الماء حث بوجد الماء فكانما اعتورقته ومن سقى مسلما شربة
 من ماء حث لا بوجد الماء فكانما احياها رواه ابن ماجه وتقدم نظره في اول الباب
 وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمون شرك في بلادة
 في الماء والكلأ والنار وثمنه حرام قال ابو سعد يعني الماء الجارى رواه ابن ماجه ل
 رحمه الله والاحاديث في سقى المأكوه وفي هذا كفاية والله اعلم **رحمنا الى التفسير قوله**
الذين اتخذوا دِينهم لهوا ولعبا يعني انهم تلاعبوا بدِينهم الذي شرع لهم ولهوا عنه وحرموا
 واحلوا ما شاؤوا واصل اللهم ما شغل الانسان عما يعنيه ويهمه يقال لهوت بكذا
 ولهيت عن كذا اى اشتغلت عنه قال ابن عباس هم المستهزون وذلك انهم كانوا
 اذا دعوا الى الايمان سخر وامرذعاهم اليه وهزوا به اغتراروا بالله عز وجل وقتلوهما
 زين لهم الشيطان من تحريم الحماير والسوايب والمكاتب والتصدية حول البيت وسائر الخصال
 الذميمة التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقد معنى قوله اتخذوا دِينهم يعني عبدهم
 اتخذوه لهوا ولعبا لا يذكرون الله فيه **وعرثتم الحياة الدنيا** يعني وخذعتم عاجل
 ما هم فيه من خفض العيش والدعة وشغلهم ما هم فيه من ذلك عن الايمان بالله ورسوله
 وعن الاخذ بصيبهم من الآخرة حتى اتتهم المنيّة وهم على ذلك والعسرة غفلة في النقطة
 وهو طمع الانسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والحياه ونيل الشهوات فاذا
 حصل له ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب الخلاص لانه عزت في الدنيا لذاته وما هو فيه
 من ذلك وقال بعضهم يا ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله على وجل ولا تغترا
 بالامل وسيان الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها عداوة خداعة قد زخرت لكم بغرورها
 وفتنتكم بامانيها وتزينت بخصايها فاصبح كالعروس المتجلمة العيون اليها ناطرة
 والعلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة فكم من عاشق لها قتلت ومطيرس اليها خذلت
 فانظروا اليها بعين الكففة فانها دار كثر بوايقها وذمها خالقها حديد هايبلى
 وملكها يفتى وعزيرها يذل وكثيرها يقل وحيها يموت وحيثها يفوت فاستيقظوا

من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم فذل ان يقال فلان عليل او مدنف بقبل فهد على الدوا
دليل او هدا الى الطبيب من سبيل فيد عا لك الاطبا ولا يرجا لك الشفا ثم يقال فلان
او صا وماله احصا ثم يقال وقد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف حرانه عرف
عند ذلك حبينك وتتابع اينك وثبت يقينك وطمحت جفونك وصدق ظنونك
وبلج لسانك وبكى اخوانك وقيل هذا ابنك فلان واخوك فلان منعت الكلام فما سطق
وختم لسانك فما ينطق ثم حبل بك القضا وانتزعت نفسك من الاعضاء ثم عرج بها الى السماء
فاجمع عند ذلك اخوانك واحضرت الكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع عوادك واستراح
حسادك وانصرف اهلك الى مالك ونقب مرثنا ما عمالك **وقال محمد بن الحسين لما علم اهل العقدة**
والعلم والمعرفة والادب ان الله تعالى قذاهن الدنيا ولم ير ضحالا وليا به وانها عنده حقيره
وان رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر اصحابه من فتنها اكلوا منها قرضا وقدموا
فضلا اخذوا منها ما يكفي ويركوا ما يلهي لبسوا من الشاب ما ستر العوره واكلوا من الطعام
ادناه مما سد الجوعه نظروا الى الدنيا بعينها فانيه والى الآخرة انها ما فيه فتزودوا
منها كزاد الراكب فخرتوا الدنيا وعمرها بها الآخرة نظروا الى الآخرة نقلوهم فعملوا انهم
سينظرون اليها ما عينهم وارثلوا اليها نقلوهم لما علموا انهم سر حلون اليها ما بد انهم صبروا
قللا ونعموا طويلا احبوا ما احب لهم وكرهوا ما كره لهم فالحذر ثم الحذر ان تكونوا مثل
هؤلاء الكفار الذين اخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرثتم احيوة الدنيا **قال الله تعالى واليوم نساكم**
كما نسوا لقاء يومهم هذا يعني واليوم وهو يوم القامة نتركم في العذاب المهين جيا عا عطاشا
كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وهذا قول ابن عباس ومجاهد والسدي **قال ابن عباس**
سبهم من الخسر ولم ينسهم من الشر **وقل** معناه تعاملهم معاملة من شى فتركم في النار
كما تركوا العمل واعرضوا عن الايمان اعراض الناس **واعلم** ان الله تعالى سمي جزا سياتهم
بالنسيان على المحاز لان الله تعالى لا ينسى شى فهو كقوله وحراسية سبسة مثلها فكون
المراد من هذا النسيان ان الله تعالى لا يجيب دعاهم ولا يرحم ضعفهم وذلتهم بل يتركم في
النار كما تركوا الايمان والعمل **وما كانوا باثابا بخدون** يعني ونتركم في النار كما كانوا

دلايل وحدائنا بكذبون **قوله تعالى ولقد جيناهم نكباب** يعني ولقد جينا هولا
 الكفار بالقران الذي انزلناه عليك يا محمد **فصلناه** اي ميزنا حلاله وحرامه ومواعظه
 وقصصه **على علم** اي سناه على علم منا مما نفضله ونبيئه وفي رواية عالمين بكيفيته وبفصيل
 احكامه **هدى ورحمة لقوم يؤمنون** اي جعلنا القران هاديا وذريعة لقوم يؤمنون
هدى ينظرون الا ما وياه يعني هل ينتظرو هولا الكفار الذين كذبوا باياتنا وحدها ولم
 يؤمنوا بها الا ما وياه يعني هل ينتظرون ويتوقعون الا ما وعدوا به على السنة الرسل من
 العذاب وان مصيركم الى النار والتاويل ما يوول اليه الشيء وفي رواية هل ينتظرون
 اي ما ينتظرون الا عاقبة امرة وما يوول اليه من بيت صدقة وطهور صحة ما نطق به
 من الوعد والوعيد **يوم ياتي يا وياه** يعني يوم القيامة لانه يوم اجزا وما يوول اليه امورهم
يقول الذين رضوه من قبل يعني يقول الذين تركوا العمل بالقران ولم يؤمنوا به واعرضوا عنه
 يوم القيامة عند معاينة العذاب **قد جات رسلنا بالحق** اي تبين وصح انهم حقا وبالحق
 افروا على انفسهم حين لا سفعم الاقرار واعتروا حولا سفعم الاعتراف والمعنى ان الكفار
 افروا بان الذي جات به الرسل من الايمان والتصدق والحشر والنشر والبعث يوم القيامة
 والثواب والعقاب حق وصدق وانما افروا بهذه الاشياء لانهم شاهدوها معاينة وذلك
 حين لا سفعم ولمساروا انفسهم في العذاب قالوا **فهل لنا من شفعاء فشفعوا لنا** او نرد
فنعمل غير الذي كنا نعمل يعني انه ليس لنا طريق الى الخلاص مما نحن فيه من العذاب الا ان
 يشفع لنا شفيع عند ربنا فيقل شفيعته فينا فيخلصنا من هذا العذاب او نرد الى الدنيا
 فنعمل غير الذي كنا نعمل فيها فنبدل الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصي بالطاعة والانابه
قد خسروا انفسهم اي لم يشفعوا بها وكل من لم يشفع نفسه فقد خسرها وقتل خسروا
 النعم وحظ انفسهم منها **وقل الذي طلبوه لا حصل لهم** فتبين خسرا نعمهم وهلاكهم انفسهم
 لانهم كانوا في الدنيا اول مرة فلم يعملوا بطاعة الله ولوردوا الى الدنيا لعادوا لما كانوا
 عليه من الكفر والعصيان لسابق علم الله فيهم **وقوله وضل عنهم ما كانوا يفترون** يعني
 وبطل وزهد عنهم ما كانوا يزعمون وبكذبون في الدنيا من ان الاصنام تشفع لهم فلما

افضوا الى الآخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا انهم كانوا في دعواتهم كاذبين **قوله** عز وجل
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام بين الله تعالى في هذه الآية انه المنفرد
بقدره الاجاد فهو الذي يجب ان يعبد **فوقه** ان ربكم الله يعني ان سدكم وما لكم
ومصلح اموركم ويوصل الخيرات اليكم ويدفع عنكم المكروه هو الله الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام **واراد السموات والارض وما بينهما** وقد فصلها في حم السجدة **واصل**
المخلق في اللغة المقدير المستقيم **وسنعمل في ابداع الشيء من غير اصل سبق** ولا ابتدأ تقدم
فوقه خلق السموات والارض يعني ابدعها وانشاها خلقها على غير مثال سبق **وقدر**
احوالهما في ستة ايام **فان قيل** اليوم عبارة عن مقدار من الزمان وذلك المقدار هو
من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال في ستة ايام ولم يكن شمس ولا سما **فدل** له معناه
في مقدار ستة ايام فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا **يعني** على مقدار البكرة والعشى
في الدنيا لان الجنة لا يلد فيها ولا ينهار **واختلف** العلماء في اليوم الذي ابتداء الله تعالى
خلق الاشياء **فقيل** يوم السبت وهو قول محمد بن اسحق وغيره **ويدل** على صحة هذا القول
ما روى مسلم في افزاده من حديث ابي هريرة رضي الله عنه **قال** اخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم سدي فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر
يوم الاسبوع وخلق المكره يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق فيها الدواب يوم الخميس
وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة فمابن
العصر الى الليل **وهذا** الحديث وان كان في صحاح مسلم ففيه مقال وقد انكره بعض العلماء
لمانه من المخالفة للآلة الكرمة لان الله تعالى بقول خلق السموات والارض في ستة ايام
وقال في آية اخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام **فدل** بهذا
النص على ان جميع الخلق تم وكل في ستة ايام **والذي** في الحديث ان بعض الخلق
وقع في سبعة ايام وذلك مجموع ايام الاسبوع **فلهم** هذا السبب انكره من العلماء
وقد ذكر الازهر في كتابه يهدى اللغاة ما يقوى الحديث **فقال** وقال ابن الانبارك
السبت القطع **وسمى** يوم السبت لان الله تعالى ابتداء الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق الارض

ض
الار
خلقها السموات فخلقته قبل
ام الارض خلقت قبلها فذهب
ابن عباس رضي الله عنهما انه
خلق الارض باقواتها من غداة يوم
خلق السموات ثم استوزر الى السماء
فسد من سبع سموات ثم دعا الارض
بعد ذلك اذ يظلم حال العلك وهو
فما هو الامت وبه قال الجمهور في
من اهل الكفا **وقال** ان سموات
وبما فيها خلقت قبل خلق الارض
وهذا اخذ من خلق الارض في
وبعض اهل العلم في الحديث
من كذا السبب ار
دلائل الافكار

فيه رد زعم اليهود انه قال ابتداء
خلق العالم يوم الاحد وفرغ
منه يوم الجمعة **واستدل** بوجوه
قالوا ونحن نسترى فيه في ايام
الرب وهذا من جهة غباؤهم
وجعلهم اذ التقب لا يتصور الاعمال
والمال في الدنيا انما امرنا بالعبادة
اذ اردنا اة فنولم كن فيكون
تم بعض الحديث
سر هذا الحديث

في
وهذا الحديث انه خلق الارض
يوم الاحد والاسمات وخلق الارض
يوم السبت وخلق يوم الاربعاء والنور
والامم والاشجار والنيران والحيوانات
والانوار فخلق الارض في ستة ايام
وخلق يوم كمن السموات فخلق
الملائكة والجنم والانس في
يوم الجمعة الى خلق اسما
بقيت من يوم الجمعة فخلق في الساعة الاولى
الاشجار والاشجار ووالقائمة الارض
وفي الثانية ادم عليه السلام فخلق في الساعة
الثلثة من يوم الجمعة من الملائكة والانس

في قوله عز وجل ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام بين الله تعالى في هذه الآية انه المنفرد بقدره الاجاد فهو الذي يجب ان يعبد فوقه ان ربكم الله يعني ان سدكم وما لكم ومصلح اموركم ويوصل الخيرات اليكم ويدفع عنكم المكروه هو الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام واراد السموات والارض وما بينهما وقد فصلها في حم السجدة واصل المخلق في اللغة المقدير المستقيم وسنعمل في ابداع الشيء من غير اصل سبق ولا ابتدأ تقدم فوقه خلق السموات والارض يعني ابدعها وانشاها خلقها على غير مثال سبق وقدر احوالهما في ستة ايام فان قيل اليوم عبارة عن مقدار من الزمان وذلك المقدار هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال في ستة ايام ولم يكن شمس ولا سما فدل له معناه في مقدار ستة ايام فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يعني على مقدار البكرة والعشى في الدنيا لان الجنة لا يلد فيها ولا ينهار واختلف العلماء في اليوم الذي ابتداء الله تعالى خلق الاشياء فقيل يوم السبت وهو قول محمد بن اسحق وغيره ويدل على صحة هذا القول ما روى مسلم في افزاده من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم سدي فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاسبوع وخلق المكره يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وخلق فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد العصر من يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة فمابن العصر الى الليل وهذا الحديث وان كان في صحاح مسلم ففيه مقال وقد انكره بعض العلماء لمانه من المخالفة للآلة الكرمة لان الله تعالى بقول خلق السموات والارض في ستة ايام وقال في آية اخرى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام فدل بهذا النص على ان جميع الخلق تم وكل في ستة ايام والذي في الحديث ان بعض الخلق وقع في سبعة ايام وذلك مجموع ايام الاسبوع فلهم هذا السبب انكره من العلماء وقد ذكر الازهر في كتابه يهدى اللغاة ما يقوى الحديث فقال وقال ابن الانبارك السبت القطع وسمى يوم السبت لان الله تعالى ابتداء الخلق يوم السبت وقطع فيه بعض خلق الارض

السبت
لا يزيد

وقيل ان ابتداء الخلق كان يوم الاحد وهو قول عبدالله بن سلام وكعب الاحبار والصحاح
 ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري قال الطبري خلق الله السموات والارض في ستة ايام
 وذلك يوم الاحد والاسنن والبلانا والاربعاء والخميس والجمعة وروى سنده عن
 مجاهد قال بدأ الخلق العرش والماء والهواء وخلق الارض من الماء وبدأ الخلق
 يوم الاحد والاسنن والبلانا والاربعاء والخميس وجمع الخلق في يوم الجمعة ونهوت
 اليهود يوم السبت ويوم من السنة الايام كالف سنة مما تعدون وتعصف هذا القول
 ما حكاه صاحب المحكم ابن سيده قال وسمى سابع الاسبوع سبتا لان ابتداء الخلق كان
 من يوم الاحد الى يوم الجمعة ولم يكن في السبت خلق قال اصحاب الاخبار والسير
 والتواريخ ان الله عز وجل ابتداء خلق التربة التي هي الارض بلا رحو ولا بسط في يوم الاحد
 والاسنن ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات في يومين وهما البلانا والاربعاء ثم
 دحا الارض وسطها وطحاها واخرج ماها ومرعاها وخلق دوابها وجمع ما فيها في
 يومين وهما الخمس والجمعة وخلق آدم في يوم الجمعة اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات
 الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد ثم استوى الى السماء فخلقها وجميع
 ما فيها يوم الاسنن والبلانا ثم بدأ الارض ودحاها يوم الاربعا والخميس وخلق آدم يوم
 الجمعة واسكنه الجنة هو وزوجه حوا ثم اهبطها الى الارض في اخر ساعة من يوم
 الجمعة وقبل اول ما خلق الله القلور ثم اللوح فكتف فيه ما كان وما سيكون وما خلق
 وما هو خالق الى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم خلق السماء من
 درة بيضا ثم خلق التربة ثم خلق السموات وما فيها من نجوم وشمس وقمر ثم بدأ
 الارض وبسطها من التربة التي خلقها اولا ثم خلق جميع ما فيها من جبال وشجر ودواب
 وغير ذلك ثم خلق آدم اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات يوم الجمعة وفيه اهبط الى
 الارض فتكا من جميع الخلق في ستة ايام كل يوم مقدارا الف سنة وهذا قول جمهور
 العلماء وقيل في ستة ايام من ايام الدنيا فان قيل ان الله عز وجل قادر على ان
 يخلق جميع الخلق لحظة واحدة ومنه قوله تعالى وما امرنا الا واحدة كما يج بالبحر

ودحشها

قيل في اول حديثه الى قوله
 اية المراد من خلق التربة يوم السبت
 فسمي هذا اليوم بالجمعة لان يوم
 فلما حكم فلما خلق السموات والارض
 التي تحتها فخلق السموات والارض
 في ستة ايام واه المراد من خلق
 يوم الخميس فخلق الارض بعد خلق
 السموات واصرفها وحد الانبياء في
 جميع هذه ايام خلق السموات والارض
 في يومين مما ذكره من الخلق
 اول الخلق

فما الفائدة في خلق السموات والارض في ستة ايام وما الحكمة في ذلك **مسدله** ار الله سبحانه وتعالى وان كان قادرا على خلق جميع الاشياء في لحظة واحدة الا انه تعالى جعل لكل شئ حدا محدودا ووقتا معلوما فلا يدخل في الوجود الا في ذلك الوقت والمقصود من ذلك بعلم عباده التثبت والتأني في الامور **وقال** سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق السموات والارض في لحظة واحدة ولحظة فخلقهن في ستة ايام بعليهما الخلقه التثبت والتأني في الامور كما جاء في الحديث الثاني من الله **والعجلة** من الشيطان **وقال** ان الشئ اذا حدث دفعة واحدة فله ان يخطئ بالبعث ان ذلك الشئ انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا حدث شئ بعد شئ على سبيل المصلحة والحكمة كان ذلك ابلغ في القدرة واقوى في الدلالة **وقال** ان الله تعالى اراد ان يوقع في كل يوم امرا من امره حتى تستغظه الملائكة وغيرهم ممن شاهده **وقال** ان العجيد في الخلق ابلغ في القدرة والتثبت ابلغ في الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشياء بالتثبت كما اظهر قدرته في خلق الاشياء بكن وسكون **وقال** النبي خلقها في ستة ايام لاعتبار الملائكة شيا فشيا وللإعلام بالتأني في الامور وان لكل عمل يوما ولان انشأ شئ بعد شئ ادل على عالم مدبر مريد بصرفه على اختياره وجريه على مشيئته **وقوله** تعالى **استوى على العرش** قال العلماء العرش في اللغة السرير **وقوله** هو ما علا فاظلم **وسمى** مجلس السلطان عرشا اعتنا رابعه ويكنى عن العز والسلطان والمملكة بالعرش على الاستعارة والمجاز **نقال** فلان ثل عرشه معنى ذهب عزه وملكه وسلطانه **قال** الراغب في كتابه مفردات القرآن وعرش الله عز وجل مما لا يعلمه البشر الا بالاسم على الحقيقة وليس كما يذهب اليه اوهام العامة فانه لو كان كذلك لكان حاملا لاله تعالى من ذلك **وليس** كما قال قوم انه الفلك الاعلا والكرسي فلك الكواكب **واما** استوى بمعنى استقر فقد رواه السهقي في كتابه الاسماء والصفات بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها **وقال** اما الاستواء المتقدمون من اصحابنا كانوا لا يفسرونه ولا يسمونه منه كخوم ذهيبهم في امثال ذلك **وروى** بسنده **قال** كنا عند مالك بن اسحق فدخل رجل فقال يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف

استواؤه قال فاطرق مالك واخذته الرخصاً ثم رفع راسه فقال الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه ولا يقال له كلف وكلف عنه مرفوع وانت رجل سو صاحب بدعة آخر حوه فاخرج الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى قال كما عند مالك بن انس فجا رجل فقال يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كلف استواؤه فاطرق مالك براسه حتى علاه الرخصاً ثم قال الاستواء غير مجهول والكلف غير معقول والامان به واجب والسؤال عنه بدعة وما اراكم الا مبتدعا فامر به ان يخرج وروى السهقي بسنده عن ابن عيينة قال كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قال السهقي والآثار عن السلف في مثل هذا كبيرة وعلى هذه الطريقة يدل مذهب الامام الشافعي واليه ذهب الامام احمد بن حنبل والحسن بن الفضل الحلبي ومن المتأخرين ابو سليمان الخطابي قال البغوي اهد السنة بقولون الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كلف يجب على الرجل الامان به ونكل العلم به الى الله عز وجل وذكر حديث الامام مالك بن انس مع الرجل الذي ساله عن الاستواء وقد تقدم وروى عن سفن الثوري والاوزاعي والليث بن سعد وسفن بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علماء السنة في هذه الاماات التي تجت في الصفات المتشابهة امرؤها كما جات بلا كلف وقال الامام فخر الدين الرازي بعد ذكره الدلائل العقلية والسمعية انه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلماء الراشخين مذهبان الاول ان تقطع بكونه تعالى متعالياً عن المكان والجهة ولا تخوض في تاويل الالة على التفضيل بل تفوض علمها الى الله عز وجل وهو الذي قررنا في تاويل الالة على التفضيل تفسير قوله تعالى وما يعلم باويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امثابه وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول به ونعتمد عليه والمذهب الثاني ان تخوض في باويله على التفضل وفيه قولان ملحضان الاول ما ذكره القفال فقال العرش كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملك ثم جعل العرش كناية عن تقصير الملك يقال ثل عرشه اي اسقص ملكه واذا استقام له ملكه واطرد امره وحكمه فالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه هذا ما قاله القفال

والذي قاله الفقهاء حق وصواب ثم قال والله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية
تدبيره العالم على الوجه الذي افوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم عظمة الله تعالى حل
جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط بنفي التشبيه والمراد منه نقا القدرة وجريان
المشييه **قال** وبدل على صحة هذا القول قوله تعالى في سورة نون ثم استوى على
العرش يدبر الامر **فقوله** يدبر الامر جري مجرى التفسير لقوله استوى على العرش
واورد على هذا القول ما زانه تعالى لم يكن مستويا على الملك قبل خلق السموات والارض
والله تعالى منزله عن ذلك **واجيب** عنه ما زانه تعالى كان قبل خلق السموات والارض
مالكها لكن لا يصح ان يقال شبع زيد الا بعد اكله الطعام فاذا فسر العرش بالملك صح ان
يقال انه تعالى انما استوى ملكه بعد خلق السموات والارض **والقول الثاني** ان يكون
استوى بمعنى استولى وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه
بقول الشاعر

ثم استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهباق

وعلى هذا القول انما حضر العرش بالاجبار عنه بالاستئلاء له لانه اعظم المخلوقات
ورد هذا القول ما زانه العرب لا يعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى على كذا اذا لم
يكن في ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكا للاشياء كلها ومستولى عليها
فاي تخصيص للعرش هنا دون غيره من المخلوقات ونقل السهقي عن ابي الحسن الاشعري
ان الله تعالى فعل العرش فعلا سماه استوا كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا ونعمة او
غيرها من افعاله ثم لم يكتف الاستوا الا انه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم
استوى على العرش **وتم للتراخي** والتراخي انما يكون في الافعال وافعال الله تعالى يوجد
بلا مباشرة منه اياها ولا حركة **وحكى** الاستاد ابو بكر بن فورك عن بعض اصحابنا
انه قال استوى بمعنى علامن العلو **قال** ولا يزيد بذلك علوا المسافة والتخيز والكون
في المكان متمكنا فيه ولكن يريد معنى نفى الجيز عنه وانه ليس مما يحويه طبق او كيط
به قطر **ووصف** الله تعالى بذلك طريقه الخير ولا تتعدى ما ورد به الخبر **قال** السهقي

وهو على هذه الطريقة من صفات الذات وكلمة ثم علقته بالمستوى عليه لا بالاستواء
 قال وقد اشار ابو الحسن الاشعري الى هذه الطريقة حكاية **فعال** قال بعض اصحابنا
 انه صفة ذات **قال** وجوابي هو الاول وهو ان الله تعالى مستو على عرشه **وانه فوق الاشياء**
 بان منها **معنى انه لا تخله ولا يحلها ولا يماسها ولا يشبهها** ولست البيهقي به بالعزلة
 تعالى الله ربنا عن المحلول والمماسة علوا كبيرا **وقد قال** بعض اصحابنا ان الاستواء
 صفة لله تعالى سفي الاعوجاج عنه **وروي** ان ابن الاعرابي جاءه رجل فقال يا ابا عبد الله
 ما معنا قوله الرحمن على العرش استوى **قال** انه مستوى على عرشه كما اخبر **فعال** الرجل
 انما معنى قوله استوى اي استولى **فعال** له ابن الاعرابي ما يدريك العرب لا تقول
 استولى على الشيء فلان حتى يكون له منه مضاد **فايها غلب قيل** لمن غلب قد استولى عليه
 والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما اخبر **لا كما يظنه البشر والله تعالى اعلم** **وقال**
 بعضهم لا بد من حمل الاستواء وما شاكلة على ما يليق بعظمته وجلاله **ولقد دُهِش**
 في هذا واشأهه وتخير من قاس الصفات الازلية على الصفات المخلوقة فلم ينتظم
 قاسه لعدم الجامع بينهما **وقال** السفي اضاف الاستيلا الى العرش وان كان مكانه
 مستويا على جميع المخلوقات لان العرش اعظمها واعلاها **ويفسر العرش بالسرب والاستواء**
 بالاستقرار كما بقوله المشبهة باطل **لانه تعالى كان قبل العرش ولا مكان وهو الآن**
 كما كان لان التغير من صفات الاكوان **والمنقول عن الصادق والحسن والامام ابو حنيفة**
 والامام مالك ان الاستواء معلوم **والكيف منه مجهول والامان به واجب والكهوية كفر**
 والسؤال عنه بدعة **والله اعلم وقوله يغشي الليل النهار** يعني انه تعالى باثني الليل على
 النهار **معطية حتى يذهب بنوره** **وفنه حذف تقديره** ويغشي النهار الليل **واما**
لم يذكر النهار لدلالة الكلام عليه **وقيل** معناه يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل
وقيل يغشي الليل النهار بجعله كالغشا **اي يذهب نور النهار ليتم قوام الحياة في الدنيا**
سجي الليل والليل للسكون والنهار للمعاش **وقرأ حمزة والكسائي وابوبكر** يغشي الليل
 النهار **بالتشديد** **وقرأ الماقون** بالتخفيف **وهما الغتان اغشى وغشى** **والتغشيه والافشا**

الباس الشئ الشئ. وقرأ حميد بن ميسرة يغشى الليل النهار. ومعناه ان النهار يغشى الليل.
يطلبه حثيثا يعنى سريعا. وذلك انه اذا كان يعقب احدهما الاخر ويخلفه فكانه يطلبه.
وحكى الامام فخر الدين عن القفال انه قال ان الله تعالى لما اخبر عباده باستوايه على العرش
اخبر عن استمرار امور المخلوقات على وقومشيتها. وراهم ذلك فيما شاهدوه منها لينضم
العيان الى الخبر. وتزول الشبهة عن كل الجهات. **وقال** الامام فخر الدين وعلم ان الله سبحانه
وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة. وذلك لان تقايف الليل والنهار انما تحصل
بحركة الفلك الاعظم. وبلك الحركة اشد الحركات سرعة. فان الانسان اذا كان في اشد عدوه
فيمقدار رفع رجله ووضعها يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة الاف ميل. وهي الف فرسخ. ولهذا
قال تعالى يطلبه حثيثا لسرعة حركته. **والطالب هو الليل**. كانه بسرعة مضيه يطلب النهار.
وقوله والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اي وخلق الشمس والقمر والنجوم مسخرات.
يعنى مذلات. **والشخير** التذليل. وقرأ ابن عامر والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره.
اي تنصرفه ومشيته. **قال** النسفي هو امر تكون. **وقال** الزجاج وخلق هذه الاشجاريات
في مجاريها بامره. **وقال** المفسرون يعنى يتخيرهن تدليلهن لما يبراد منهن من طلوع وغروب
وسير ورجوع. اذ ليس هن قادرات ما نفسهن. وانما هن تنصرفن في متصرفاتهن على اراده
المدير لهن الحكيم في تدبيرهن وتصرفهن على ما اراد منهن. **والمراد** بالامر في قوله بامره
نفاذ ارادته. لان الغرض من هذه الالة تبين عظمة قدرته. ومنهم من حمل الامر على
الامر الذي هو الكلام. **وقال** انه تعالى امر هذه الاجرام بالسير الدائم والحركة المستمرة
الى انقضاء الدنيا وخراب هذا العالم. **فان** قل ان الشمس والقمر من النجوم فلم افردهما
بالذكر ثم عطف عليهما ذكر النجوم **قل** له انما افردتهما بالذكر لبيان شرفهما على
سائر الكواكب لما فيهما من الاشراق والنور. وبسيرهما في المنازل تعرف الاوقات. فهو
كقوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكاسل. وعطف جبريل وميكاسل
على ذكر الملائكة وان كانا من الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما على غيرهما من الملائكة. **○**
وقوله تعالى الاله الخلق والامر اي هو الذي خلق الاشياء وله الامر. **وقال** بعض الاله

الخلق والامر بعني له الخلق لانه خلقهم وله ان يامر فيهم بما اراد وله ان يحكم فيهم بما
 شاء وعلى هذا المعنى الامر هنا الذي هو نقض النهي واستخرج سفس بن عيينه من
 هذا المعنى ان كلام الله تعالى ليس مخلوق فقال ان الله تعالى فرق بين الخلو والامر فمن
 جمع بينهما فقد كفر بعني ان من جعل الامر الذي هو كلامه من جملة ما خلقه فقد كفر
 لان المخلوق لا يهود مخلوق مثله وقبل معناه ان جميع ما في العالم عز وجل والخلق
 لانه خلقهم وجميع الامور تجري بقضائه وقدره فهو تعالى مجربها ومنشئها فلا يبقى بعد
 هذا لاحد شئ وقبل المراد بالامر هنا الارادة لان الغرض من الية بعظيم القدرة
 وفي الية دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل ففسد رد على من يقول ان للشمس والقمر
 والكواكب تأثيرات في هذا العالم فاخبر الله تعالى انه هو الخالق والمدبر لهذا العالم لا الشمس
 والقمر والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد امر غيره فهو الامر والناهي الذي يفعل
 ما يشاء وحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه **تبارك الله** اي كثر خيره اودام برة
 من البركة والنماء او من البروك والنبات ومنه البركة وهي لفظ اخر سارك الله بعني تجدد
 وتكثير وارتفع وقال الزجاج تبارك تفاعل من البركة ومعنى البركة الكثرة من كل خير وهو
 معنى القول الاول وقبل تبارك الله اي تعالى وتكثير **رب العالمين** بعني انه هو الذي يستحق
 التكثير وذلك ان الله تعالى افتتح هذه الية بقوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وذكر
 اشياء من عظم خلقه وان له الخلق والامر والنهي والقدرة عليهم ختم الية بالثناء عليه
 لانه هو المستحق للمدح المطلق والثناء والتكثير وقال ابن عباس معناه جابك بركة
 وقبل تبارك معناه تقدس والقدس الطهارة وقبل معناه تبارك باسمه يتبرك في
 كل شئ وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت ودام كما لم ينزل ولا يزال واصل البركة
 الثبوت ونقال تبارك الله ولانقال متبارك ولا مسارك لانه لم يرد به التوقف والله اعلم
 وقد ورد في تفسير الفاتحة الكلام على العالمين قوله عز وجل **ادعوا ربكم تضرعا وخفية**
 قال العلماء هذا امر بالدعاء وتعبد به ثم قرن عز وجل بالامر صفات بحسن الدعاء معها
 وهي الخشوع والاستكانة والتضرع ومعنى ادعوا ربكم اي اعدوا ربكم لان الدعاء طلب الخير من الله

وهذه صفة العبادة • ولأنه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفا وطمعا • والمعطوف يجب
ان يكون مغايرا للمعطوف عليه • وقيل المراد به حقيقة الدعاء وهو الصيح • لان الدعاء
هو السؤال والطلب • وهو نوع من انواع العبادة • لان الداعي لا يقدم على الدعاء الا اذا عرف
من نفسه الحاجة الى ذلك المطلوب وهو عاجز عن حصيلة • وعرف ان ربه تبارك وتعالى سميع
الدعاء ويعلم حاجته • وهو قادر على اصالها الى الداعي • فعند ذلك يعرف العبد نفسه
بالعجز والنقص • ويعرف ربه بالقدرة والكمال • وهو المراد من قوله تضرعا عني ادعوا ربكم
تذلا واستكانة • وهو اظهار الذل الذي في النفس والخشوع • نقال ضرع فلان لفلان
اذا ذل له وخشع • وقال الزجاج تضرعا عني مملقا • وحقيقته ان يدعوه خاضعين
خاشعين متعبدين بالدعاء له تعالى • وقوله وخفيه عني سرا في انفسكم • وهو ضد العلاية •
والادب في الدعاء ان يكون خفا لهذه الالة • قال الحسن بن دعوة السر ودعوه العلاية
سعون ضعفا • ولقد كان المسلمون يحتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت ان كان الا
همسا بينهم وسر ربه • وذلك انه تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية • وان الله تعالى ذكر
عبدا صالحا ورضي فعله • فقال تعالى اذا نادى ربه ندا خفيا • وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال كما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجعل الناس كجھرون بالكبير • فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ايها الناس ارجوا على انفسكم • انكم لا تدعون اصم ولا غايبا • انكم تدعون سميحا
بصيرا وهو معكم • والذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحله • قال ابو موسى وانا
خلفه اقول لاحول ولا قوه الا بالله في نفسي • فقال ما عبد الله بن قيس الا ادلك على كثر من كنوز
الجنة • قلت بلي يا رسول الله • قال لاحول ولا قوه الا بالله • قوله صلى الله عليه وسلم ارجوا على
انفسكم عني ارفعوا بها • وافضروا عن الصباح في الدعاء • وقال بعض المفسرين ايضا معنى قوله
خفيه اي سرا في النفس لتعد عن الريا • وبذلك اثبت الله على سببه ذكر باعله اللام اذا قال
مخبرا عنه اذا نادى ربه ندا خفيا • وخوف قول النبي صلى الله عليه وسلم خير الذكر الخفي •
وخير الرزق ما يكفي • والشرعة مقررة ان السر فيما لم يفترض من اعمال البر اعظم
اجرا من الجهر • وقد تقدم هذا المعنى في سورة البقرة • قال الحسن ان الله تعالى يعلم القلب

التقي والدعا الخفي. ان كان الرجل لقد جمع القران وعلم الفقه الكبير وما يشعربه
 جاره ولا الناس. وان الرجل ان يطيل الصلاة وعنده الزور وما شعربه. وبين
 دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا. وقال الحسن بن ابي الحسن ادركنا اقواما ما
 كان على الارض عمل بقدر ان يكون سرا فيكون جهرا ابدا. وقد استدل اصحاب الامام
 ابي حنيفة بهذه الامة على ان اخفا امين اولى من ابهر بها لانه دعا. واختلف العلماء في
 رفع الدين في الدعاء فكرهه طايفة. منهم جبير بن مطعم وسعيد بن جبير وسعد بن المسيب
 وراى شرح رجلا رفع ايديه فقال من تتناول بهما لام لك. وقال مسروق لقوم
 رفعوا ايديهم فطعها الله. واختاروا ان الانسان اذا دعى الله في حاجة ان يشر باصبعه
 السبابة. ويقولون ذلك الاخلاص. وكان قتادة يشر باصبعه ولا يرفع يديه. وكره
 رفع الايدي عطا وطاوس ومجاهد وغيرهم. وروى جواز الرفع عن جماعة من الصحابة
 والتابعين وهو مروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره البخارى. وهو قول الامام ابي حنيفة.
 وقال ابو موسى رضي الله عنه دعا النبي صلى الله عليه وسلم ثم رفع يديه وراى بيضا رطبه.
 ومثله عن انس رضي الله عنه. وقال ابن عمر رضي الله عنه رفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه
 وقال اللهم انى ابرالك مما صنع خالد. وفي صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثمانمائة
 وثمانون رجلا. فاستقل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ما د ايديه فجعل يهتف
 بربه. وذكر احدث. وروى الترمذى عنه ايضا قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع
 يديه لم يخطهما حتى يمسح بهما وجهه. قال هذا حديث صحيح غريب. وروى ابن ماجه عن
 سهل رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ربكم جيبى كرم يستجيبى من عبدان
 يرفع اليه يديه فيردهما صنفا خايبين. واحتج الاولون بما رواه مسلم عن عمارة
 ابن ربيعة وراى لشر بن مروان على المنبر ارفع ايديه. فقال فتح الله هاتين اليدين.
 لقد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يزيد على ان يقول بيده هكذا وأشار باصبعه
 المسبحة. واحتجوا ايضا بما روى سعيد بن ابي عروبة عن انس بن مالك رضي الله عنه انه

حدثه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرفع يديه في شئ من الدعاء الا عند الاستسقاء وانه
كان يرفعهما حتى يركي بياض ابطيه والاول اصح طرقا واثبت من حديث سعيد بن ابي عروبة
فان سعيدا كان قد تغر عقله في اخر عمره وقد خالفه شعبة في روايته عن فائدة عن
النس فقال فيه ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه وقد
قل انه اذا نزل بالمسلمين نازلة ان الرفع عند ذلك جميل حسن كما فعل النبي صلى الله
عليه وسلم في الاستسقاء ويوم بدر **قلت** والدعاء حسن كيف ما تيسر وهو المطلوب من
الاسنان لاظهار موضع الفقر والحاجة الى الله عز وجل والتذلل والخضوع فان شئت استقل
القبلة ورفع يديه فهو حسن وان شئت لم يرفع فقد فعل ذلك كله النبي صلى الله عليه وسلم
حسب ما ورد في الاحاديث وقد قال الله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية ولم يرد صفة من
رفع يدين وغيرها **و** قال تعالى الذين يذكرون الله فيما ما وقعوا فمن جهم سبحانه ولم يشط
حالة غير ما ذكر وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم وهو غير مستقل القبلة **وقوله** تعالى
انه لا يحب المقتدرين يعني في الدعاء **وقال** ابو مجلز الذي سألون منازل الانبياء عن
عبد الله بن مخفل رضي الله عنه انه سمع ابنه يقول اللهم اني اسالك القصر الابيض عن من الجنة
اذا دخلتها **قال** اي نبي سئل الله الجنة وتغوزبه من النار **وذكر** اصحاب الامام ابي
حسبه ان من اداب الدعاء ان يسقبل القبلة بالدعاء ويرفع يديه وان لا يمسح بهما وجهه
بعده الدعاء وان لا يرفع بصره الى السماء لقول النبي صلى الله عليه وسلم ليبتئهن اقوام عن رفع
اصابعهم الى السماء عند الدعاء او لخطف اصابعهم وان كفض صوتته لقوله ادعوا ربكم
تضرعا وخفية وان لا تسكف **وباتي** بالكلام المطبوع عن المسيح لقول النبي صلى الله عليه
وسلم انا كرم والسج في الدعاء **وقال** بعضهم ادع بلسان الذلة والاحتقار لا بلسان
الفصاحة والانطلاق **وكان** السلف رضي الله عنهم لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات
فما دونها كما ترى في اخر سورة البقرة من قوله رسالنا لا نواخذنا ان سألنا الى اخر السورة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سأل احدكم ربه مساله فتعريف الاجابه فليقل
الحمد لله الذي سمعته تتم الصالحات **ومن** ابطاعيته من ذلك شئ وليقل الحمد لله على كل حال

ومن الآداب ان يفتح بالذكر ولا يبدأ بالسؤال. وعن ابي سلمان الداراني من اراد ان
سال الله حاجة فليبدأ بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يسأل حاجته ثم يختم
بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى يقبل الصلاة بين وهو اكرم من ان يدع
ما بينهما. وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزوا عن الدعاء
فانه لن يهلك مع الدعاء احد. وقال طاوس اني لفي الحجر ليله اذ دخل على نبي الحسن فقلت
رجل صالح من اهدت الخير لا سمعته دعاه. فسمعتة يقول عبديك بفنايك مسكينك
فنايك فقيرك ففنايك قال طاوس فما دعوت بهن في كرب الا فخرج عني. وقال العجلي
سالت الله تعالى حاجة منذ اربعين سنة ما قضاها لي وما ابست منها. وفي الخبر ان الله
ليبتلي العبد وهو كبه ليسمع نضرة. وروى ان معروف الكرخي قدس الله روحه مر
سقاير يقول برحم الله من شرب من هذا الماء فشرب وهو صائم. وقال عيسى الله ستيب
وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دعوا اطفال امتي مستجاب ما لم يقارفوا. وحكي
عن زبيد الياي انه كان يستتبع الصبيان الى المسجد وفي كفه اجوز. ويقول من شبعني منكم
اعطيته خمس جوزات فاذا دخلوا المسجد قال ارفعوا ايديكم وقولوا اللهم اغفر لزبيد
مفعلون فنقول اللهم استجب لهم فانهم لم يذنبوا. وروى انه رفع عن نبي اسرائيل العذاب
ثمانة سنه بقولهم ماشاء الله لا حول ولا قوة الا بالله حسبنا الله ونعم الوكيل
وروى ان موسى عليه السلام مر على قرية من قرى نبي اسرائيل فنظر الى اغنايم قد
لبسوا المسوح وجعلوا التراب على رؤسهم وهم قنم على ارجلهم تجرى دموعهم على خدودهم
فبكي رحمة لهم وقال الهي هولا بنوا اسرائيل حنوا الكحس الحمام وعووا عوا الذباب
ونجوا نجاج الكلاب فاوحى الله تعالى اليه ولم ذاك لان خزائني قد نفدت امر لان
ذات يدي قد قلت امر لست ارحم الراحمين ولكن اعلمهم اني اعلم بذات الصدور يدعوني
وقلوبهم غايبة عني ما يله الى الدنيا. وعن عقبة بن عبد الغافر دعوة في السر
افضل من سبعين دعوة في العلانية. فاذا عمل العبد في العلانية حسنا وعمل مثله في
السر قال الله تعالى للملائكة هذا عبدي حقا. وقوله تعالى انه حب المعتدين

بعضى فى الدعاء. وقال ابو مجلز هم الذين سالون منازل الانبياء. روى عن عبد الله بن
مغفل انه سمع ابنه يقول اللهم انى اسالك القصر الابيض عن يمن اجننه اذا دخلتها. قال
ابى بنى سأل الله الجنة ويعود به من النار. فاني سمعت رسولا لله صلى الله عليه وسلم يقول
سكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور والدعاء. اخرجهم ابو داود. وقال
ابن حريج من الاعتداء رفع الصوت والنداء والصياح في الدعاء. وقد الاعتداء المتجاوز
المحد في كل شىء وكل من خالف امر الله تعالى ونهيه فقد اعتدى ودخل تحت قوله تعالى
انه لا يحب المعتدين. وفتح بعض ارباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفة
هذا الافضل اظهار العبادات ام لا. فذهب بعضهم الى ان اخفا العبادات والطاعات افضل
من اظهارها لهذه الامة. ولكونها بعد عن الرياء. وذهب بعضهم الى ان اظهارها افضل.
لقتدى به الغير فيعمل مثل عمله. وتوسط الشيخ محمد بن على الحكيم الترمذى فقال ان
كان خائفا على نفسه من الرياء فالاولى اخفا العبادات صوتا لعمله عن البطلان. وان
كان قد بلغ في الصفا وقوه النقيى الى التكميل حيث صار مبينا عن ثابته الريا كان
الاولى في حقه الاظهار لحصل فائدة الاقتداء به. وذهب بعضهم الى ان اظهار العبادات
المفروضات افضل من اخفائها. فصلاة المكتوبة في المسجد افضل من صلاته في بيته.
وصلاة النفل في البيت افضل من صلاته في المسجد. وكذا اظهار الركوه افضل من اخفائها.
واخفا صدقة التطوع افضل من اظهارها. ونقاس على هذا سائر العبادات والله الموفق.
وذكر بعضهم ايضا في اداب الدعاء قال هي عشرة آداب. الاول ان ترصد لدعاءه الاوقات
الشريفة كيوم عرفة من السنة وشهر رمضان من الشهور. وتوم الجمعة من الاسبوع. ووقت
السحر من ساعات الليل. قال الله تعالى وبالاسحار هم يستغفرون. ولقول النبي صلى الله عليه وسلم
ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سما الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني
فاستجب له من سألني فاعطيه من استغفرني فاعفوله. وقال ان يعقور عليه اللام
لما قال لبسه سوف استغفر لكم ربي يعني ليدعوا لهم في وقت السحر. ولانه قام في وقت
السحر يدعوا لاولاده وهم يومنون خلفه. فادحى الله تعالى اليه انى قد عفرت لهم وجعلتهم

انبياء. الثاني ان نغتم الاحوال الشريفة. قال ابو هريرة رضي الله عنه ان ابواب السماء تفتح
 عند زحف الصفوف في سبيل الله. وعند نزول الغيث. وعند اقامة الصلاة المكتوبة.
 فاعتنوا بالدعاء فيها. وقال مجاهد ان الصلاة جعلت في خير الساعات. فعليكم بالدعاء
 خلف الصلوات. وقال النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد. وقال
 ايضا الصائم لا ترد دعوته. وبالْحَقِّقَهُ يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات ايضا. اذ
 وقت السحر وقت صفا القلب وخلصه وفراغه من المشوشات. وتومعرفة وتومعرفة
 وقد اجتمع الهمم وتعاون القلوب على استدرا رحمة الله تعالى. فهذا احد اسباب شرف
 الاوقات. سوى ما فيها من اسرار لا يطلع البشر عليها. وحالة السجود ايضا اجر
 بالاجابة. قال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد
 من ربه وهو ساجد. فكثروا من الدعاء. وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال اني نهييت ان اقرأ القرآن راكعا وساجدا. فاما الركوع فعظموا فيه الربيع.
 واما السجود فابتهلوا فيه بالدعاء. فانه فمن استجاب لكم. الادب الثالث ان يدعو
 مستقبلا القبلة. ويرفع يديه بحيث يرى باضرا طية. للاحداث الواردة في ذلك. فاذا فرغ
 من الدعاء مسح بهما وجهه. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى مسح بهما وجهه في اخر الدعاء. وقال ابن عباس رضي الله
 عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل يظونهما مما يلي وجهه. ولا
 يرفع بصره الى السماء عند الدعاء. لقول النبي صلى الله عليه وسلم لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم
 الى السماء عند الدعاء اولتخطف ابصارهم. الادب الرابع خفض الصوت بين المخافاة والجمهر.
 لما روى ان ابا موسى الاشعري رضي الله عنه قال قد مناع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
 دنونا من المدينة كبر الناس ورفعوا اصواتهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها
 الناس ان الذي تدعوا ليس اصم ولا غيب ان الذي تدعوا بينكم وبين اعناق ركابكم.
 وقالت عائشة رضي الله عنها في قول الله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخاف بها ايديك. الادب
 الخامس ان لا تتكلف السجع في الدعاء. فان حال الداعي ينبغي ان يكون حال متضرع.

والتكلف لا يناسبه. **قال النبي صلى الله عليه وسلم** سلكون قوم يعتدون في الدعاء وقد قال
تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين **وقيل** معناه التكلف للاسجاع والاولى
ان لا يجاوز الدعوات الماثورة فانه قد تتعدى في دعائه فيسال ما لا يقتضي مصلحة
فما كل احد يحسن الدعاء. **ولذلك** ورد في الخبر والاشارة **العلماء** يحتاج اليهم في الجنة
اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يعلموا من العلماء. **وقد قال النبي**
صلى الله عليه وسلم اياكم والسجود في الدعاء. **فحسب** احدكم ان يقول اللهم اني اسالك الجنة وما قرب
اليها من قول وعمل. واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل. **وفي الخبر** سألني
قوم يعتدون في الدعاء. **وروي** ان بعض السلف مترقا ص بدعوا بسجود فقال له اعلني الله
تناخ اشهد لقد رأت جيبا العجمي يدعوا وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم
لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخيرات. والناس يدعون من كل ناحية وراه. وكان
يتعرف بركة دعائه. **وتقدم** قول بعضهم ادع ادع بلسان الذل والافتقار. لا بلسان الفصاحة
والانطلاق. **وتقال** ان العلماء والابدال كان احدهم لا يزيد في الدعاء على سبع كلمات
فما دونها. **وشهد** له اخر سورة البقرة كما قدمنا. **واعلم** ان المراد من السجود هو المتكلف من
الكلام. فان ذلك لا يلام الضراعة والذلة. **والآفة** في الادعية الماثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم
كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم اسالك الامن يوم الوعيد
والجنة يوم الخلود. مع المقرين بالشهود. والركع السجود. والموفين بالعهود. انك رجيم وروود.
وانت تفعل ما تريد. **وامثال** ذلك فليقتصر على الماثور من الدعوات. **اولي** بلسان
التضرع من غير سجع وتكلف. **فالتضرع** هو المحبوب عند الله. **الادب** السادس التضرع
والخشوع والرغبة قال الله تعالى انهم كانوا سارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا.
وقال تعالى تضرعا وخفية. **وقال النبي صلى الله عليه وسلم** اذا احب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع
تضرعه. **الادب** السابع ان يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه. **قال**
النبي صلى الله عليه وسلم لا تقولن احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت لعزم المساله.
فانه لا مكره له. **وقال** صلى الله عليه وسلم اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظم شي

وقال صلى الله عليه وسلم اذا دعوتكم الله موقنين بالاجابة واعلم ان الله لا يستجيب دعوا قلب
 غافل وقال سفن بن عيينه لا يمنع احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله تعالى
 اجاب شر الخلق ابليس اذ قال رب فانظرني الى يوم يعصون قال فانك من المنظرين **○**
الادب الثامن ان يلج في الدعاء ويكرره بلايا **○** قال ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اذا دعا دعا بلايا واذا سال سال بلايا وسبغى ان لا يستبطن الاجابة
 لقوله صلى الله عليه وسلم استجاب لاحدكم ما لم يعجل فنقول دعوت فلم يستجب لي فاذا دعوت
 فاسال الله كثيرا فانك تدعوا كريما **○** قال بعضهم اني دعوت الله تعالى منذ عشر من سنة حاجة
 وما اجابني وانا ارجوا الاجابة سالت الله تعالى ان يوفقني لترك ما لا يعينني **○** **الادب**
التاسع ان يفتح الدعاء بذكر الله تعالى فلا يبدأ بالسؤال **○** قال سلمة بن الاكوع رضي الله عنه
 ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الدعاء الا استفتحته وقال سبحان ربى الاعلى الوها **○**
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سالتم الله حاجة فابدوا بالصلاة على فان الله تعالى اكرم
 من ان يسأل حاجتين فيقضى احدهما ويرد الاخرى **○** **الادب العاشر** وهو الادب الباطن
 وهو الاصل في الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال على الله تعالى بكنه الهمة فذلك هو
 السبب القرب في الاجابة **○** **وتروى عن كعب الاخبار انه قال** اصاب الناس فخط شديد
 على عهد موسى عليه السلام فخرج موسى بنى اسرائيل لسنسقى بهم فلم يسقوا ثم خرج ثلاث
 مرات ولم يسقوا فاوحى الله تعالى الى موسى انى لا استجب لك ولمن معك وفلكم تمام فقال
 موسى الهى ومن هو حتى تخرجه من سنا فاوحى الله تعالى اليه ما موسى انها كره عن النسيمة
 واكون نماما فقال موسى لى اسرائيل توبوا باجمعكم من النسيمة فتابوا وارسل الله عليهم الغيث **○**
وقال سعيد بن جبير فخط الناس في زمن ملك من ملوك بنى اسرائيل فاستسقوا فقال
 الملك ليرسل الله علما السما اولنوديته قتلته وكلف تقدر ان تؤذيه وهو فى السما **○**
 فقال اقتل اولياها واهل طاعته فكون ذلك اذى له فارسل الله السما **○** وقال سفن
 الثورى بلغنى ان بنى اسرائيل فخطوا سبع سنن حتى اكلوا الميته من المزابل واكلوا الاطفال
 وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال وتنزعون فاوحى الله تعالى الى ابياسيم لومشيم الى **○**

ما قدمكم حتى يحفي بكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكلموا عنكم عن الدعاء فاني لا اجب لكم
داعيا. ولا ارحم منكم ما كما حتى تردوا المظالم الى اهلها. ففعلوا فمطروا من يومهم. **وقال**
ما لك نرد نار اصاب الناس في بني اسرائيل فخط فخرجوا مرارا فادعى الله تعالى اليهم ان
احبرهم انكم تخرجون الى ما بدار نجسة. وترفعون الى الكفا قد سفكتم بها الدماء وملائم
بطونكم من الحرام. **الآن** قد اشتد غضبي عليكم. ولن تردوا وامنوا بعدا. **وقال ابو**
الصدوق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستسقي فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قواسمها
الى السماء تقول اللهم انا خلقو من خلقك ولا غنا بنا عن رزقك فلا تهلكنا بدون غرنا. **فقال**
سليمان ارجعوا فقد سفتم بدعوة غيركم. **وقال** الا وراعي خرج الناس يستسقون فقام
فهم بلال بن سعد فحمد الله تعالى واشى عليه ثم قال ما معشر من حضر الستم مقرين بالاساة
والوا اللهم نعم. **فقال** اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل وقد اقررنا بالاساة
فهل تكون مغفرتك الاملنا. اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا. ثم رفع يديه ورفع الناس
ايديهم فسقوا من ساعتهم. **وتروى** ان عيسى عليه السلام خرج يستسقي فلما اصحروا قال لهم
عيسى عليه السلام من اصاب منكم ذنبا فليرجع. فرجعوا كلهم ولم يسوق في المفازه الا رجل واحد.
فقال له عيسى امالك من ذنبي. **فقال** والله ما اعلم من شئ عنراي كنت ذات يوم اصلي فمرت لي
امراة فنظرت اليها بعيني هذه فلما جاوزت ادخلت يدي في عيني فانتزعتهما واسعت
المرأة بها. **فقال** له عيسى فادع حتى او من على عابك. **قال** فدعا فتجلد السما سحاما ثم
صبت فسقوا. **وقال** يحيى العناني اصاب الناس فخط على عهد داود عليه السلام فاختروا
بلانة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقون بهم. **فقال** احدهم اللهم انك انزلت في توراة تك ان
نعفوا عن من ظلمنا. اللهم انا قد ظلمنا انفسا فاعف عنا. **وقال** الثاني اللهم انك ارسلت في
توراة تك ان لا نرد المساكين اذا وقفوا بابوابنا. اللهم انا مساكينك وقفنا سا بك ولا نرد
دعانا. **وقال** الثالث اللهم انك انزلت في توراة تك ان نعتق ارقانا. اللهم انا ارقاوك واعتقنا.
قال فسقوا من ساعتهم. **وقال** عطاء السلمي منعنا الغيث فخرجنا نستسقي واذا نحن سعدون
المجنون في المقابر فنظر الى فقال ما عطا هذا يوم النشور او بعثنا ما في القبور. فقلت

لا ولكننا منعنا الغيث فخرجنا سنسقي فقال باعطا نقلون ارضيه امر معلوب سماوية .
 فعلت بل معلوب سماوية . فقال هجمات باعطا قل للسهر جس لا تبهرجوا فان الناقد
 بصير ثم رموا السما بطرفه وقال الهى وسيدى لا تهلك بلادك . بذنوب عبادك . ولكن
 بالمكنون من اسمائك وما قارب الحجب من الايك الا ما سقيتها غدا حتى به البلاد وتروى
 به العباد . ما من هو على كل شى قدير . قال عطا فما استتم دعاه حتى ابرقت السما واعدت
 وجادت بمطر كما فواه القرب . فولى وهو يقول نعم الراهدون والعابدون اذ ملوا لهم اجاعوا
 البطونا . اسهروا الاعين العليلة فيه . فانقضا ليلهم وهم ساهرونا . شغلتم عباد
 الله حتى قبيل فى الناس ان فيهم جنونا . وقال ابن المارك قدمت المدينة فى عام شديد
 القحط فخرج الناس سنسقون فخرجت معهم اذا قبل علام اسود عليه قطعا جلس قد
 انزربا حدهما والقى الاخرى على عاتقه فجلس الى جنبى سمعته يقول الهى اخلقت الوحوه
 عندك كثره الذنوب ومساوى الاعمال . وقد حبست عنا عين السما لتودب عبادك بذلك .
 فاسالك ما حلما اذا اناة . يا من لا يعرف عباده منه الا الجميل . ان نسقمهم الساعة الساعة .
 فلم نزل بقول الساعة حتى الست السما بالجماد . واقل المطر من كل مكان . قال
 ابن المبارك حجبت الى الفضيل فقال لى اراك كيبيا . فقلت سبقتا اليه غيرنا فتولاه دوننا .
 وقصص عليه القصة . فباح الفضل وخر مغشا عليه . وروى ان عمر بن الخطاب
 رضى الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه . فلما فرغ عمر من دعائه وقال العباس
 اللهم انه لم ينزل بلا من السما الا بذنوب . ولن يكشف الا بتوبة . وقد توجهت الى القوم الك
 لمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم . وهذه ايدينا الك بالذنوب . ونواصينا بالتوبة . وانت
 الداعى . لا تهمل الضالة . ولا تدع الكسير بدار مضيعة . فقد صرع الصغير . ورو الكبير .
 وارتفعت الشكوى . وانت تعلم السر واخفى . اللهم فاغثهم بغيا شك . فقل ان يقنطوا فيها لكوا .
 فانه لا يياس من روح الله الا القوم الكافرون . قال فما تم كلامه حتى ارفع السما
 مثل الجبال . وقال بعضهم ايضا استحب للداعى ان يرفع حاجاته الى الله تعالى باخلاص
 والحاح وتضرع ومسكنه . وان تاتى بشروط الدعاء وادابه . واكدها تجنب المحرام ما كالا

ومشربا وملبسا. والاحلاص به تعالى. وتقديم عمل صالح. والتوبة النصوح. والوضوء. واستقبال
القبلة. والصلاة. والسما على الله تعالى. والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم اولا واخرا.
وسبط يديه. ورفعهما حذو منكبيه. وكشفهما مع التاديب والخشوع والمسكنة والخضوع.
وان يسأل الله باسمائه العظام الحسنى والادعية الماثورة. وتتوسل الى الله تعالى بانبيائه
والصالحين بخفض صوت واعتراف بالذنب. وبدان نفسه. ولا يخص بفضله ان كان اماما
ويسأل بعزم ورغبة وجد واجتهاد. ويحضر قلبه ويحسن رجاءه. ويكرر الدعاء ويلج فيه.
ولا يدعوا يائسا ولا قطيعه رحيما. ولا يامر قد فرغ منه. ولا يستحيل. ولا يتجسس ويسأل
حاجاته كلها. ويومن بالداعي والمستمع. ويمسح وجهه بيديه بعد فراغه. ولا يستعجل او
يقول دعوت فلم يستجب لي. وترصد لدعاياه الاوقات الشريفة اوقات الاجابة.
وهي ليلة القدر. ويوم عرفة. وشهر رمضان. وليلة الجمعة. ويوم الجمعة. وساعة الجمعة.
وهي ما بين ان يجلس الامام الى ان تقضى الصلاة. والاقرب اليها عند قرانته الفاتحة حتى يومن
وليلة العيدين. واول ليلة رجب. وليلة نصف شعبان. وجوف الليل. ونصفه الثاني.
وليلة الاول. وليلة الاحير. ووقت السحر. وعند النداء بالصلاة. وسن الاذان والاقامة.
وبين الحيلتين للمحبت المكروب. وعند الاقامة. ودبر الصلوات المكتوبات. وفي السجود.
وعقب بلاوة القران لاسيما الختم. وعند قول الامام ولا الضالين. وعند شرب ما زمزم.
وصباح الديكة. واجتماع المسلمين. وفي مجالس الذكر. وعند نزول الغيث. واماكن
الاجابة هي المواضع المباركة. وروى الطبراني بسند جيد ان الدعاء مستجاب عند روي الكعبة.
وورد ايضا مجريا في مواضع كثيرة مشهورة في المساجد الملاية. وبين الجلالين من سورة
الانعام. وفي الطواف. وفي الملتزم. وفي داخل البيت. وعند زمزم. وعلى الصفا والمروة.
وفي المسعى. وخلف المقام. وفي عرفات. ومزدلفة. وفي منا. وعند اجمرات اللان. وعند
قنور الانبياء عليهم السلام. والذين استجاب دعواهم المصنطر والمظلوم مطلقا ولو كان
فاجرا او كافرا. والوالد على ولده. والامام العادل. والرجل الصالح. والولد البار بالديه.
والمسافر والصائم حسن بغير. والمسلم لاجنه بظهور الغيب. والمسلم ما لم يدع يائسا او قطيعه رحيما.

او بقول دعوت فلم يستجب لي . والتأيب . فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عتقني وكل
 يوم وليه لكل عبد منهم دعوة مستجابة . رواه الامام احمد . وعامة استجابته
 الدعاء الخشية . والبكاء . والقشعريرة . وربما حصل الرعدة . والغشي والغيبه . ويكون عقيقه
 سكون القلب وبرد الجاش وظهور النشاط باطنا . والخفة ظاهرا . حتى يظن الداعي انه كان
 على كتفه حمله ثقيله فوضعها عنه . وحينئذ فلا يغفل عن التوجه والاقبال . والصدقة
 والابتهاج . قال النبي صلى الله عليه وسلم ما يمنع احدكم اذا عرف الاجابة من نفسه فشفى من
 مرض او قدم من سفر بقول الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات . رواه الحاكم في المستدرک
 وسخت ان تضع الداعي صدره ووجهه وذراعيه **هنا** ما نثر ذكره على قوله
 بعالي ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين **وقوله ولا تفسدوا في الارض بعد**
اصلاحها يعني ولا تفسدوا ايها الناس في الارض بالمعاصي والكفر والدعاء الى غير طاعة الله
 بعد اصلاح الله اياها ببعثه الرسل وبيان الشرايع والدعاء الى طاعة الله عز وجل . وهذا
 معنى قول الحسن والسدي والضحاك والكلبي . وقال عطية لا تغصوا في الارض فتمسك الله
 المطر وبهلك الحرث بسبب معاصيكم . فعلى هذا يكون معنى قوله تعالى بعد اصلاحها اي
 بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب . **وقيل** معنى الآية **ولا تفسدوا في الارض** شأ بعد
 ان اصلاحه الله تعالى . فيدخل فيه المنع من ابلاق النفس بالقتل . او افسادها بقطع بعض الاعضاء .
 وافساد الاموال بالعضد والسرقة . واخذها من الغير بوجوه الخيل . وافساد الاديان
 بالكفر . واعتقاد البدع والاهواء المضلة . وافساد الانساب بالاقوام على الزنا . وافساد
 العقول بسبب شرب المسكر . وذلك لان المصالح المعنوية في الدنيا هي هذه الخمسة فمنع الله
 من ادخال الفساد في ما هيئتها . **وقال** بعضهم معنى قوله **ولا تفسدوا في الارض** بعد اصلاحها
 هو ان الله تعالى يهيئ كل فساد **قل** او **كبر** بعد صلاح **قل** او **كبر** فهو على العموم على النهج من
 الاقوال . **وقال** الضحاك معناه لا تغوروا في الماء المعين . ولا تقطعوا الشجر ضرارا . وقد
 ورد ان قطع الدراهم والدنانير من الفساد في الارض . وقد قلنا ان تجارة السلاطين
 والحكام من الفساد في الارض . **وقال** القسري معنى قوله **ولا تفسدوا** والايه اي لا تتركوا .

فهو نفى عن الشرك وسفك الدماء والهدج في الامر. وامر بلزوم الشرايع وقوله
بعد اصلاحها اي بعد ان اصلحها الله بعثه الرسل. وتقرر الشرايع. ووضوح ملة سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم. قال ابن عطية وقابل هذه المقالة قصد الى اكثر فساد بعد
اعظم صلاح فخصه بالذكر. واما ما ذكره الضحاك من ان المراد به تغوير العيون وقطع
الاشجار فليس على عمومته. وانما ذلك اذا كان فيه ضرر على المومن. اما ما يعود ضرره على
المشركين فذلك جازم. فان النبي صلى الله عليه وسلم قد غور ما قلب بدر. وقطع اشجار
المشركين. وساتي الكلام على قطع الدنانير في سورة هود عليه السلام وقوله **وادعوه خوفا**
وطمعا قال العلماء هذا امر بان يكون الانسان في حاله ترقب وتخوف وتامل لله عز وجل
حتى يكون الرجاء والخوف للانسان كالجنحين للطائر كحملانه في طريق استقامته. وان
انفرد احدهما هلك. قال الله تعالى نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم. وان عذابي هو العذاب الاليم.
فرجى وخوف. فدعوا الانسان خوفا من عقابه. وطمعا في رحمة ووباه. قال الله تعالى
ويدعونسا ربنا ورهباء. واصل الخوف انزعاج في الباطن لما لا يومن من المضار. وقبل
هو توقع مكروه يحصل فيما بعد. والطمع توقع محبوب يحصل له. وقال بعض اهل العلم
سبغى ان يغلب الخوف الرجاء طول الحياة. فاذا جا الموت غلب الرجاء. قال النبي صلى الله عليه
وسلم لا سموتن احدكم الا وهو يحسن بالله الظن. وقال ابن حريج معنى قوله خوفا وطمعا اي
خوف العدل وطمع الفضل. فان قلل الله تعالى قال في اول الآلة ادعوا ربكم بضرعا
وخفيه. وقالها وادعوه خوفا وطمعا وهذا عطف الشئ على نفسه. فما الفائدة في ذلك
قلل له الفائدة منه ان المراد بقوله تعالى ادعوا ربكم اي ليكن الدعاء مقرونا بالتضرع
والاجبات. وقوله وادعوه خوفا وطمعا ان فايده الدعاء احد هذين الامرين. وكان الآلة
الاولى في سان شرط صحة الدعاء. والآلة الثانية في سان فائدة الدعاء. وقلل معناه كونها
جامعين في انفسكم بين الخوف والرجاء في اعمالكم كلها. ولا تطمعوا انكم وفيتم خوالة في العماره
والدعاء وان اجتهدتم فيهما. وقال النبي قوله تعالى وادعوه خوفا وطمعا حالان اي
خافين من الرد طامعين في الاجابة. او خافين من النيران طامعين في الجنان. او خافين

او خاف من الفراق طامع في البلاق . او خاف من غيب العاقبة طامع في ظاهر
 الهداية . او خاف من العدل طامع في الفضل . عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يسخط الله له عند الشدايد فليكر من الدعاء في الرجاء .
 رواه الترمذي والحاكم رحمهما الله **ان رحمة الله قريب من المحسن** اصل الرحمة رقة
 تقتضي الاحسان الى المرحوم . وتستعمل تارة في الرقة المجردة . وتارة في الاحسان المجرد
 عن الرقة . واذا وصف بها البارى جل وعلا فليس يراد بها الا الاحسان المجرد دون الرقة .
 فرحمة الله عز وجل عبارة عن ارادة ايصال الخير والنعمة الى عباده . فعلى القول الاول
 يكون الرحمة من صفات الافعال . وعلى القول الثاني يكون من صفات الذات . فان قيل
 لم قال تعالى ان رحمة الله قريب ولم يقل قريبه . والجواب عنه من سبعة اوجه اولها
 ان الرحمة والرحم واحد وهي معنى العفو والغفران وهذا قول الزجاج الوجه الثاني
 ان الرحمة مصدر وحق المصدر التذكير . وهذا قول النضر بن شميل . لقوله تعالى فمن جاءه
 موعظة من ربه . وهذا القول قريب من الاول لان الموعظة بمعنى الوعظ . الوجه الثالث
 قل اراد بالرحمة الاحسان . ولان ما لا يكون ما يشه حقيقا حاز بذكره . ذكره الجوهري
 الوجه الرابع ان المراد بالرحمة هنا المطر . وهذا قول الاخفش . قال ويجوز ان يذكر كما
 يذكر بعض المونث . **وانشده**

فلا مزنة ودقت ودقها . ولا ارض ابقلا بقالها .

الوجه الخامس ان تذكير قوله قريب على تذكير المكان بمعنى مكانا قريبا . قال علي بن
 سلمان وهذا خطأ . ولو كان كما قال لكان قريب منصوبا في القران . كما يقولون ان رندا فرسا
 منك . الوجه السادس قل انه ذكر على السبب . كانه قال ان رحمت الله ذات قرب كما
 يقول امرأه طالق وحاص . الوجه السابع قال الفراء اذا كان القرب في معنى المسافة
 مذكروا بونث . واذا كان في معنى النسب بونث بلا اختلاف بينهم . يقول هذه المرأة قريبتى
 اى ذات قرابتى . ذكره الجوهري . وذكر غيره عن الفراء انه يقال في النسب قريبة فلان
 وفي غير النسب يجوز التذكير والثاني . يقال دارك منا قريب . وفلانة منا قريب .

وهذا قول الجوهري

قال الله تعالى وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا . وقال مرله كذا كلام العرب .

قال امر والقيس .

له الويل ان امسى ولا امرهاشم . قريب ولا البسباسة ابنة يشكرا .

قال الزجاج وهذا خطأ . لان سبيل المذكر والمؤنث جريان على افعالهما . والله اعلم مراد كلامه .

قوله عز وجل وهو الذي يرسل الرياح قال العلماء هذا عطف على قوله بغشى الليل البهار

وما قبله والمعنى ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وهو الذي يرسل الرياح نشر . اعلم ان

في قوله نشر سبع قرآت منها ما هو مشهور ومنها ما هو شاذ . قرا اهدا الحريمين وابوعمر

وهو الذي يرسل الرياح نشر ا بضم النون والشين جمع ناشر على معنى النسب اى ذات نشر مثل

شاهد وشهد . وكوران يكون جمع نشور . كر سول ورسول . يقال ربح نشور اذا انتربها هنا

وها هنا . والنشور معنى المنشور . كالركوب بمعنى المركوب . ومعناه وهو الذي يرسل الرياح

منشوره . وقرا الحسن وقاده وهو الذي يرسل الرياح نشر ا بضم النون واسكان الشين

مخففا من نشر . كما يقال كتبت ورسول . وقرا الاعمش وحمزة نشر ا بفتح النون واسكان

الشين على المصدر . اععمل فيه معنى ما قبله . كانه قال وهو الذي ينشر الرياح نشر ا .

يقال نشرت الشي فانشر . وكانها كانت مطوية فتتشر عند الهبوب . وكوران يكون مصدرا

في موضع الحال من الرياح كانه قال يرسل الرياح منشرة اى محيية . من انشر الله الميت

فنشر . كما يقال اتانا ركضا . اى راكضا . وقد قيل ان نشر ا من النشر الذى هو ضد الظمي

على ما ذكرنا فنصر كالمفتحة . وقد فسره ابو عبيد . بمعنى متفرقه في وجوهها على معنى انه

ينشرها هاهنا وهاهنا . وقرا عاصم وهو الذي يرسل الرياح بشر ا . بالباء واسكان الشين والنون

جمع بشر اى الرياح تبشر بالمطر . وشهد لهذا قوله تعالى الله الذي يرسل الرياح مبشرات .

والاصل في الشين الضم لكن اسكنت تخففا كر سول ورسول . وروى عنه انه قرا بشر ا بفتح

الباء . وقرا محمد المامى بشرى على وزن جلى . وقراة سابعة بشر ا بضم الباء والشين

والله اعلم . وقرا ابن كثير وحمزة والكساي وهو الذي يرسل الريح نشر ا . والريح هو

الهوا المتحرك ممنا ويسره . والريح اربح الصبا وهي الشرقية . والدبور وهي الغربية .

والشمال وهي التي تقب من تحت القطب الشمالي . والمجنوب وهي القبليه . وعن ابن عمر رضي الله
 عنه ان الرياح ثمان اربع منها عذاب وهي القاصف والعاصف والصرصر والعقيم .
 واربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات . وقوله **بن زيد**
رحمته يعني امام المطر الذي هو رحمته . وانما سماه رحمة لانه سبب لحياة الارض الميته .
 قال ابن الانباري اليدان يستعملهما العرب في المجاز على معنى التقديم . تقول هذه
 تكون الفتر بن زيد الساعة تردون قل ان يقوم الساعة تشبها وتثلا اذا كانت يدا
 الانسان تتقدمانه . كذلك الرياح مقدم المطر وتوذن به . عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
 اخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله ما بلغكم في
 الريح فلم يرجعوا الله شا . وبلغني الذي سال عمر عنه من امر الريح فاستحششت راحلتي
 حتى ادركت عمر وكنيت في موخر الناس فقلت يا امير المؤمنين اخبرت انك سالت عن الريح .
 فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله . تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب .
 فاذا رايتموها فلا تهبوها وسلوا الله من خيرها واستعيذوا بالله من شرها . رواه
 الامام الشافعي بطوله . واخرج ابوداود والمسند منه . وقال كعب الاحبار لو حبس الله
 الريح عن عباده بلاه ايام لان اكثر اهل الارض وهو **تعالى حواذا قلت سحابا**
ثقالا يقال اقل فلان الشئ اذا حمله . واشتقاق الاقلال من القلة . فان من يرفع شيا
 يراه قليلا . والسحاب جمع سحابة . وهو الغيم سوا كان منه ما اولم يكن . وسمى سحابا لاشابه
 في الهواء . والمعنى حتى اذا حملت هذه الرياح سحابا ثقالا بما فيها من الماء . قال السدي
 ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب من بين الخافقين وهو طرف السماء والارض
 حيث يلتقان فتخرجه من ثم تنشره فتبسطه في السماء كمن يشا ثم يفتح له
 ابواب السماء فيسيل الماء على السحاب ثم مطر السحاب بعد ذلك . وقد ان الله تعالى
 ذبر بحكمته ان الرياح تتحرك تحركا شديدا فتثير السحاب ثم تقيم بعضه الى بعض فيتراكم
 وينفقد ويحمل الماء ثم تسوقه الى حيث شا الله عز وجل . وهو قوله تعالى **سقناه لبلد**
ميت يعني الى بلد فتكون اللام معني الى . وصل معناه لاجل حياة بلد ميت . وانما

قال سقناه لان لفظ السحاب مذكر مذكر وان كان جمع سحابه وكان ورود الكفاية
عنه على سبيل التذكير جازيا نظرا الى اللفظ. قال الاهركى قال الليث البلد كل موضع
من الارض عاميرا وغير عامر خال او مسكون. والطائفة منها بلدة. والجمع بلاد. زاد
غيره والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن للوحش والجن. قال الاعشى
وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن بالليل في حافاتهما زجل. ومارعصم ايضا
والبلدة والبلد واحد البلاد والبلدان والبلد الاثر. وجمعه ابلاد. قال الشاعر
عرف الديار توها فاعتادها من بعد ما شمل البيلى ابلادها.
والبلد ايضا اُدجى النعام. يقال هو اذل من بضه البلد اى من بضه النعام التى
تتركها. والبلدة ايضا الارض. يقال هذه بلدتنا. كما يقال كرتناه. والبلدة ايضا منزلة
من منازل القمر. وهم ستة ا نجم من القوس تنزلها الشمس ا فصر يوم من السنة.
والبلدة ايضا الصدر. يقال فلان واسع البلدة اى واسع الصدر. ومعنى الالة انا
سُقنا السحاب الى بلد ميت محتاج الى الماء لم ينزل فيه عيث ولم تنبت خضرة فانزلنا
به الماء اختلف العلماء فى الضمير فى قوله تعالى به الى ما ذا يعود. فقال الزجاج وابن
الانبارى جازان يكون المعنى فانزلنا بالبلد الميت الماء. وجازان يكون المعنى وابرنا
بالسحاب الماء لان السحاب الة لانزال الماء فاخرجنا به اى بذلك الماء لان انزال الماء كان
سببا لاجزاع الثمرات. وقد حملان يكون المعنى فاخرجنا بذلك الميت من كل النبات
بمعنى فاخرجنا بذلك البلد بعد موته وجذوبه من اصناف الثمار والزرورع.
كذلك يخرج الموتى معنى كما احيينا البلد الميت كذلك يخرج الموتى احياء من قبورهم
بعد فناءهم ودروس اثارهم. واختلفوا فى وجه التشبه. فقل ان الله تعالى كما خلق
النبات بواسطة انزال المطر كذلك يحي الموتى بواسطة انزال المطر ايضا. قال ابو هريرة
واسر عباس رضى الله عنهما ان الناس اذا ماتوا فى النفخة الاولى امطر عليهم ما من تحت العرش يدعى
ما الحيوان اربعين سنة فينبئون كما نبت الزرع من الماء. وفى رواية اربعين يوما فينبئون
فى قبورهم نبات الزرع. حتى اذا استكمل احسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم النوم فسامون

في قبورهم فاذا نفع في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يحشرون من قبورهم وهم يجدون
 طعم النوم في رؤسهم واعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه وعند ذلك يقولون
 يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
 وقال مجاهد اذا اراد الله ان يخرج الموتى امطر السماء حتى ينشوا الارض ثم يرسل الارواح
 معود كل روح الى حسدها فكذلك يحيى الموتى بالمطر كما يحيى الارض وقت الامنا
 وقع التشبه باصل الاحياء والمعنى انه تعالى كما احيا هذا البلد الميت بعد خرابه وموته
 فانبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيى الله الموتى ويخرجهم من قبورهم احياء
 بعد ان كانوا امواتا وربما بالية لان من قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس
 قادر على ان يحيى الموتى ويخرجهم من قبورهم الى حشرهم ونشورهم **لعلمكم تذكرون** وهذا
 الخطاب لمنكري البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهي مزهرة مورقة مثمرة في ايام
 الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الازهار والاوراق والثمار
 ثم انه تعالى احياها مرة اخرى فالقادر على احياها بعد موتها قادر على احيا الاجساد
 بعد موتها والمعنى انما وصفت ما وصفت من التشبه والتمثل لكي تعتبروا وتذكروا
 وتعلموا ان من فعل ذلك كان هو الذي يعبد وخشي **وقال بعضهم لعلمكم تذكرون** فيورثكم
 التذكير الى الايمان بالبعث اذ لا فرق بين الاخراجين لان كل واحد منهما اعاد الشيء بعد
 انشائه وخرج البيهقي وغيره عن ابي رزين العقيلي رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله
 كيف يعيد الله الخلق وما آتاه ذلك في خلقه قال اما مررت بوادي قومك جذبا ثم
 مررت به خضرا **قال نعم** قال فتلك آتاه الله في خلقه **قال** الشيخ ابو حامد الغزالي رحمه الله
 اما اهل القبور فعلى اربعة احوال منهم القاعد على منكبهم حتى سن العين وبوزم الجثة
 ويعود اجسم ترايا ثم لا يزال بعد ذلك طوافا في الملكوت دون سما الدنيا ومنهم من
 يرسل الله نفسه فلا يدري ما فعل الله به حتى ينسبه مع النفخة الاولى ثم يموت ومنهم
 من لا يقوم على قبره الا شهرين او بلاه ثم تركب نفسه على طير يطير به في الجنة وجا
 في الحديث ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق بهم في شجر الجنة ومن الناس

من اذا بادت عينه عرج به الى الصور فلا يزال لازماله الى حين النفخ . والنوع الرابع
 خضبة الاولياء . ومنهم من اختار الارض تكون طوافاتها حتى يقوم الساعة . وكثير منهم
 يرون في النوم . واظن الصديق والفاروق منهم . والرسول صلى الله عليه وسلم له الخيار
 في طواف العوالم الثلاثة . وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم مر بابرههم وهو مسند ظهره
 الى البسا المعمور . وقد احدثه اولاد المسلمين . وعيسى عليه السلام في السما الخامسة وفي
 كل سما رسل وانبياء لا يخرجون منها ولا يبرحون حتى الصعقة . وليس لهم مر له الخيار
 الا خمسة . الخلد والكليم . والروح والصفى والجيب . وهو لا ينتهون حيث ارادوا من
 العالم . واما الذين منهم في الارض فانهم كحقوقون بالميت الصالح اذا اختصر حتى يصيبوهم
 رحاب المنازل . وربما كشف له فيراهم . ويفطن بهم . وقد رات بعض الاصحاب كشف
 عن صيرته فنظر الى ولده الميت قد ولج البيت والميت سوق . وتصور هذه الفوائد
 الملكوتية انما يكون للكرم على الله . ومع هذه المعرفة لا يعقل احد منهم تكوير الليل والنهار
 الا من كانت عينه باقيه لم يعرج به الى علو . فمنهم من جرف الجمعة والاعياد . واذا
 خرج احد من الدنيا اجتمعوا اليه وعرفوه . فهذا يسال عن زوجته . وهذا يسال عن
 ولده . وهذا يسال عن والده . وربما مات الميت فلم يلق احدا من معارفه . لان نفسه زاعت
 عند الموت والعباد بالله . فمات يهوديا او نصرانيا . فيصير الى عساكرهم . واذا قدم على
 الاموات احد من الدنيا يساله جيرانه ما علمك بفلان فنقول لهم قد مات فعولوزانا
 له وانا الله راجعون سفد به . فلا رونه ابدا . فاذا نفخ في الصور النفخة الاولى وفي
 الخلائق كلهم يقول الله تعالى لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد . ثم يجيب نفسه بان يقول لله
 الواحد القهار . ثم يفعل سبحانه فعلا هو اعظم من الاول . وهو ان يقبض السموات السبع
 والارض السبع ثم يهزهن ويقول انا الملك انا الملك اس الذين عبدوا من دوني واشركوا
 بي اين الجبارون اين المتكبرون لمن الملك اليوم . ثم يجيب نفسه بنفسه . ثم مكث سبحانه
 ما شاؤا وليس من العرش الى القمامة تسمة تعقل . وقد ضرب الله على اذان الكور العيين
 والولدان في حسهم . ثم كشف سبحانه عن سقر فخرج منها الهب النار فتشعل في اربعة عشر

ومنهم من اختار السما السابعة كابرهم الخلد عليه السلام

٤٨
بحرا كما اشتعل النار في الصوف المنفوش • مما تدع فيها قطره واحده • وتدع الارض حمله
سودا • والسماوات كانها عكر الزيت والنحاس المذات • فاذا همم اللهب ان تتعلو بغضان
السما زجر الله النار زجرة واحده فخذت ولا يرجع لها الهب • ثم يفتح الله تعالى خزانة
من خزان العرش فيها بحر الحياة فتمطر الارض • فاذا هي كمنى الرجال • ملقى الارض عطشانه
ميتة هامده فجي وتتهتز • ولا يزال المطر عليها حتى يعمها • ويكون الماء عليها اربعين
ذراعا • فاذا الاجسام قد نبتت من العصور • وفي الحديث ان الانسان بدأ من عجب
الذنب ومنه يعود • وفي رواية اخرى سبلى المتركه الا عجب الذنب منه بدأ ومنه
يعود • وهو عظم على قدر الحمصة ليس له مخ • فمنه تنبت الاجسام في مقابرها كما ينبت
البقل حتى يشتبك بعضها في بعض • فاذا راس هذا عند منك هذا • ومنك هذا عند راس
هذا • ويد هذا على جنب هذا • وفخذ هذا على فخذ هذا • لكثرة البشر • قال الله تعالى قد
علمنا ما تنتقص الارض منهم • وعندما كان حفيظ • فاذا تمت النشأة على حسبها الصبي صبي
والكهل كهل • والشخ شيخ • والفتى فتى • والشاب شاب • امر الجليل سبحانه ان تهب ريح من
تحت العرش فيها نار لطف فتكشف ذلك عن الارض • وتبقى الارض بارزه لا عوج فيها ولا
ولا امتا • قد عادت الجبال رمالا • ثم يحيى الله اسرافيل فصفح في الصور من صخره ست
المقدس • والصور قرن من نور له اربعة عشر دايره • الدائره الواحدة فيها ثقب بعدد
ارواح البرية • فتخرج البرايا لها دوى كدوى النحل • فتملا ما بين الخافقين • ثم تذهب
كل شمة الى جثتها • فسكان من بلهم اياها حتى الوحش والطير وكل ذى روح • فاذا
الكل كما قال الله تعالى ثم رفع منه اخرى فاذا هم قام ينظرون • قوله تعالى **والبلد**
الطيب • يعنى والارض الطيبه التربه السهلة السمحة **مخرج نباته ماذن ربه** • يعنى انه اذا
امابه المطر اخرج نباته ماذن الله عز وجل **والذي خبث لا يخرج الا نكدا** • يعنى والبلد
الذي خبث ارضه • هي سحة لا يخرج يعنى لا يخرج نباته الا نكدا • يعنى عسرا مشقة وكلفه •

وانشد بعضهم يذم اسانا •
لا تنجر الوعدان وعدت وان • اعطيت اعطيت تافها نكدا •

بمعنى التافه القليل. **وبالنكد العسر**. ومعناه انكرا اعطيت اعطيت الفليل بعسر ومسقه.
قال المفسرون هذا مثل ضرب به الله للمؤمن والكافر. فشبه المؤمن بالارض الطيبة وشبه
نزول القرآن على قلب المؤمن بنزول المطر على الارض الطيبة. فاذا نزل المطر عليها اخرجت
انواع الازهار والثمار. وكذلك المؤمن اذا سمع القرآن آمن به وانتفع به وظهرت منه
الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق الحميدة. **وشبه الكافر بالارض الردية الغليظة**
السخنة التي لا تنتفع بها. وان اصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لا ينتفع به ولا
بصدقه ولا يزيد الا اعتوا وكفرا. وان عمل الكافر حسنة في الدنيا كانت مسقة وكلفة
ولا تنتفع بها في الآخرة. **قال ابن عباس** هذا مثل ضرب به الله للمؤمن بقول هو طيب وعمله
طيب كما ان البلد الطيب ثمره طيب. ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السخنة المالحة التي
خرجت منها البركة. **فالكافر خبيث وعمله خيب**. **وقال مجاهد** هذا مثل ضرب به
لادم وذرته كلهم منهم خبيث وطيب. **وبدل على صحة هذا التاويل ما روى عن ابي موسى**
الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثلما بعثني الله به من
الهدى والعلم كمثل عيب اصاب ارضا فكان منها طائفه طيبة قبلت الماء فابنت الكلا
والعشب الكثير. وكان منها اجازب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوها وسقوا
وزرعوا. واصاب طائفه منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء. فذلك مثل
من فقه في دين الله عز وجل ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم. ومثل من لم يرفع بذلك
راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به. رواه البخاري ومسلم **وقوله تعالى كذلك نعرف**
الانبات لقوم شكرون يعني كما ضربنا هذا المثل كذلك نبس الانبات الدالة على التوحيد
والايمان آية بعد آية وحجة بعد حجة لقوم شكروا الله على انعامه عليهم بالهداية
وحيث جنهم سبيل الضلالة. **واما خص الشاكرين بالذكر** لا يهتمهم الذين ينتفعون بسماع
القرآن **قوله عز وجل لقد ارسلنا نوحا الى قومه** اعلم ان الله تعالى لما ذكر في الانبات
المتقدمة دلائل اثار قدرته وعزائب خلقه وصنعتة. **الدالة على بوحيدته وربوبيته**.
واقام الادلة القاطعة على صحة البعث بعد الموت اتباع ذلك بقصص الانبياء عليهم السلام وما

جرى لهم مع اسمهم وفي ذلك تشبهه للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه عن قول
 الحق فقط بل قد اعرض عنه غالب الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تشبيه على
 ان عاقبة اولئك الذين كذبوا الرسل كانت الى الخسار والهلاك في الدنيا وفي الاخرة الي
 العذاب العظيم ممن كذب سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبه مثل اولئك
 الذين خلوا من قبلهم من الامم المكذبة وفي ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوه سيدنا
 محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لا يقرأ ولا يكتب ولم يلق احدا من علماء زمانه وقد
 اتى بمثل هذه القصص والاجبار عن القرون الماضية والامم الخالية مما لم ينكره عليه احد
 علم لك انه انما اتى به من عند الله عز وجل وانه اوحى اليه ذلك وكان ذلك دليلا واضحا
 وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم فقوله تعالى لقد ارسلنا نوحا الي قومه
 لقد ارسلنا حواجا فسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا وهو نوح بن لوك
 وفي رواية ابن لامر بالفتح والكسر من متوشلح بميم مفتوحة ثم مشناة فوق مشددة
 مضمومة ثم واوساكنه ثم شن معجمة ثم لام مفتوحتين ثم خامعجة ونقال متوشلح
 ابن خنوخ تخامهمله ونقال معجمة ثم نون مضمومة ثم واو ثم خامعجة وقيل
 اخنوخ وهو ادرس عليه اللام بن يرد بمشناة من تحت ثم راساكنة بن مهليل
 ونقال مهلايل بن قين بن قينان بالقاف بن يانش ونقال انش ونقال
 انوش بالنون والشن المعجمة بن شيت بن ادم عليه اللام ومعنى قوله تعالى ارسلنا
 يعني بعثنا نوحا وهو اول نبي بعثه الله بعد ادريس وكان نجارا وقيل معنى الارسال
 ان الله تعالى حمّله رساله ليوردها الي قومه فعلى هذا التقدير فالرساله تكون متضمنه
 للبعث ايضا ويكون البعث كالتابع لانه اصله قال ابن عباس بعث الله تعالى نوحا
 وهو ابن اربع سنين وقيل وهو ابن خمس سنين وقيل وهو ابن مايس وخمس سنين وقيل
 وهو ابن مائة سنين وقال بعضهم ان نوحا عليه اللام اول رسول الى اهل الارض بعد ادم
 عليه اللام بتحرير البنات والاخوات والعمات والخالات واما شيت عليه اللام فهو
 افضل اولاد ادم واشبههم به واحبهم اليه وكان وصي ابيه وولي عهده وهو الذي

ولد البشر كلهم وانتهت اسباب الناس اليه وبني الكعبة بالطين وكان خيمة هناك
لا دم وضعها الله له من الجنة وانزل عليه حسون صحفه واما وصية شت لا ولده
فهوانه لما قام شت بامور ولده بعد ادم عليه السلام قام منهم خطيبا فقال الحمد لله الذي
من علينا بكرامته واختصنا سوا بغير غمته وشمنا بعافيته ووسط لنا فضل رزقه
والفنا بهدايته احمده على جميع الاليه واشكره على حسن بلايه واسال تمام ذلك باحسنه
ايها الناس اشكروا الله الذي من على ايكم برافته ووسط له توبته وقبل معذرتة واول
عشرته اعبدوه حق عبادته واشكروه كنه شكره وكونوا اياه تعبدون واليه
بايكم تنوسلون فاعتصموا بربكم يصلح لكم اعمالكم واصلحوا اسراركم يصلح لكم علائقكم
وتوكلوا على ربكم تكفوا مونه عدوكم وهذه وصيتي لكم واذني اياكم ولا قوة الا بالله العلي
العظيم وكان لشت يوم توفي ادم ستماية سنة وعاس بعد ذلك ماسي سنة وكان عمره
ثمان مائة سنة والله اعلم قال الشيخ ابن العربي من قال ان ادرس كان قتل نوح فقد وهم
والدليل على صحة وهم الحديث الصحيح في خبر الاسرا حين لقي نبيا صلى الله عليه وسلم ادم
وادرسين فقال له ادم مرجبا بالنبي الصالح والابن الصالح وقال له ادرس مرجبا بالنبي الصالح
والاخ الصالح ولو كان ادرسين ابانوح لقال مرجبا بالنبي الصالح والابن الصالح ولما قال
له والاخ الصالح دل على انه مجتمع معه في نوح ولا كلام لمصنف بعد هذا وقال القاضي
عياض وجا جواب الآبا ههنا كنوح وابراهيم وادم مرجبا بالابن وقال عن ادرس
بالاخ الصالح كما ذكر عن موسى وعيسى ويوسف وهرون ويحيى ممن ليس باب اتفاق للنبي
صلى الله عليه وسلم وقال المازري وقد ذكر المورخون ان ادرسين جد نوح عليها السلام
فان قام الدليل على ان ادرس بعث ايضا لم يصح قول الشا بن انه قتل نوح لما اخبره
اللام من قول ادم ان نوحا اول رسول بعث وان لم يقم دليل جاز ما قالوه وصح ان
يحمل على ان ادرس كان نبيا غير مرسل قال القاضي عياض وقد جمع بين هذا بان يقال
اختص بعث نوح لاهل الارض كما في الحديث كافة كنبينا صلوات الله عليه ويكور بعث
ادرسين لقومه كوسى وهود وصالح ولوط وغيرهم وقد استدل بعضهم على هذا بقول الله

٢٥٠
وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الاسقون وقد قل ان الياس هو ادرس
وقد قرى في الشواد سلام على ادراسين وقد روى عن ابن عباس ان نوحا عليه السلام
بعث وهو ابن اربعين سنة قال الكلبى بعث بعد ادم ثمان مائة سنة قال ابن عباس
وبقي في قومه بدعوتهم الف سنة الا خمس عاما كما اخبر الله تعالى ثم عاش بعد الطوفان
ستين سنة حتى كثر الناس وفشوا وقال وهب بن منبه بعث نوح عليه السلام وهو ابن
بلا مائة وخمسين سنة وفي كثير من كتب الحديث الترمذي وغيره ان جميع الخلق الا من
ذرية نوح عليه السلام وذكر النقاش عن سلمان بن ارقم عن الزهري ان العرب وفارس
والروم واهل الشام واهل اليمن من ولد سام بن نوح والهند والسند والزرنج والكبشة
والزط والنوبة وكل جلد اسود من ولد حام بن نوح والترك والبربر والصين وياجوج
وما جوج والصفالبة كلهم من ولديا فث بن نوح والخلق كلهم من ذرية نوح عليه السلام
واختلفوا في سبب سميته نوحا فقال ابن عباس انما سمي نوحا لكثرة ما نوح على نفسه ومدى
واختلفوا في سبب نوحه فقل لدعوته على قومه بالهلاك وقل لمراجعتة ربه في شأن
ابنه كنعان وقل لانه مر بكلب مجذوم فقال له احسن يا فتى فادحى الله اليه اعيتني
امر عبت الكلب فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اى قال نوح لقومه ما قوم
اعبدوا الله اى وحدوه فانه هو الذى يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله معبود
سواه فانه هو الذى يستوجب ان يعبد وقر الكساي ما لكم من اله غيره بالخفض على
الموضع اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم يعنى ان لم تقبلوا ما امركم من عبادة الله واتباع
امره وطاعته واليوم الذى خافه عليهم هو ما يوم الطوفان واهلاكهم فيه او يوم
القائمة واما قال اخاف على الشرك وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا
به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم ايعا جلمهم ام تاخر عنهم العذاب الى يوم القامة
قال املا اى الاشراف والسادة من قومه انا النراك في ضلال مبين يعنى انا النراك ما نوح
في خطأ وزوال عن الحق بين قال اى قال نوح مجيبا لهم ما قوم ليس بى ضلاله يعنى ما بى ما
تظنون من الضلال واما قال فى ليس بى ضلاله ولم يقل ضلال لان الضلاله احضر من الضلال

فكان ابلاغ في نفي الضلال عن نفسه . كانه قال ليس بي شئ من الضلال . كما لو قيل لك **ألك ثمرة** .
فتقول ما لي ثمرة **ولكني رسول من رب العالمين** . يعني هو ارسلني اليكم لانذرکم واخوفکم ان
لم تؤمنوا به . فان قيل كيف وقع قوله ولكني رسول استندراكا للانتفا عن الضلاله .
فقل له هو استندراك لتأكيد نفي الضلاله . لان كونه رسولا من الله مبلغا لرسالاته في
معنى كونه على الصراط المستقيم . فكان في الغاية القصوى من الهدى . وقوله **أبلغكم**
رسالات ربي وانصح لكم . يعني في حذرک يا کم عقابه على كفرکم ان لم تؤمنوا به . وقرك
أبلغكم رسالات ربي اى ما اوحى الى في الاوقات المتطاولة . او في المعاني المختلفه من
الوامر والنواهي . والمواعظ . والبشائر . والندائير . قال بعضهم قراءة التشديد من التبليغ
وقراءة التخفيف من الابلاغ . وقيل هما معنى واحد لغتان مثل قولهم اكرمه وكرمه .
وقوله **أبلغكم** كلام مستأنف بيان لكونه رسول رب العالمين . وقال بعضهم ايضا في قوله
وانصح لكم اى افضد صلاحكم باخلاص . يقال نصحت له . وفي زيادة اللام مبالغة
ودلالة على محاض النصيحة . وحقيقة النصيحة ارادة الخير لغيرك مما تريد لنفسك .
او النهائية في صدق العناية . وقال بعضهم هو اخلاص اليه من شوايب الفساد في
المعاملة . خلا والغش . قال بعضهم هذا اللغة ايضا يقال نصحت له . ونصحت له نصيحة ونصاحة
ونصحاً . وهو باللام افتح . وفي قول الله تعالى **وانصح لكم** . والاسم النصيحة . والنصح الناصح .
وقال قوم نصحاً . ورجل ناصح الجيب اى نقي القلب . وقال الاصمعي الناصح هو العسل الخالص
وعن غيره مثل الناصح . وكل شئ خلص فقد نصح . وانتصح فلان اذا قبل على النصيحة . يقال
انتصحتني انى لك ناصح . ومعنى الانية ان نوحا عليه اللام قال لقومه **ابلاغكم جمع بكلف**
الله وشرايعه وارشدكم الى وجه الاصلح والاصوب لكم . وادعوك الى ما دعاني اليه .
واجب لكم ما احب لنفسى . قال بعضهم والفرق بين ابلاغ الرسالة ومن النصيحة
هو ان مبلغ الرسالة ان يعرفهم جميع او امر الله ونواهيهم وجميع انواع التكليف التى
اوجبها الله عليهم . واما النصيحة فهو ان يرغبهم في قبول تلك الاوامر والنواهي والعبادات
وحذرهم عقابه ان عصوه **واعلم من الله ما لا تعلمون** . اى اعلم من صفات الله . معنى قدرته

الباهرة وشده بطشه على اعداياه وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين وفي لفظ اخر
 واعلم انكم ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان والغرق في الدنيا ويجذبكم في الآخرة عذاب
 عظيم **وقل اعلم ان مغفرة الله لمن تاب وعقوبته لمن اصر على الكفر** **وقل لعن الله**
اطلعه على سر من اسرارة فقال واعلم من الله ما لا تعلمون **أَوْعَجِبْتُمْ** الالف الفاستفهام
 والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام استفهام انكار معناه
 الكذب **وعجبتم ان جاكم ذكر من ربكم** **عني** وحيما من ربكم **على رجل منكم** تعرفونه وتعرفون
 نسبة وذلك لان كونه منهم نزيل التعجب **وقل المراد بالذكر الكتاب الذي انزل الله**
على نوح عليه السلام سماه ذكرا كما سمي القرآن ذكرا **وقل المراد بالذكر المعجزة التي جا**
بها نوح عليه السلام **فعلی هذا تكون علی معنی مع ای مع رجل منكم** **قال الفراء** **على هنا**
معنى مع وقوله لينذركم **عني** **جاكم** **لاجل ان ينذركم** **وحذركم** **عاقبه الكفر** **ولسقوا**
ای ولاجل ان يسقوا **اولتو** **وجد منكم التقوى** **وهي الخشية** **سبب الانذار** **ولعلمكم**
ترحمون لان المقصود من ارسال الرسول الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل
 ما لا ينبغي والمقصود بالتقوى الفوز بالرحمة في الدار الآخرة **قال الله تعالى** **فكذبوه**
عني **فكذبوا نوحا** **ای سبوه الى الكذب** **فابجينا** **عني** **من الطوفان والغرق** **والذريعة**
عني **من آمن من قومه معه** **وكانوا ثمانين اسنانا** **اربعين رجلا** **واربعين امرأة** **وقل**
كانوا سبعة بنوه **سام** **وحام** **ويافت** **وستة ممن آمن به** **وقل عند ذلك** **وقوله**
في الفلك **عني** **في السفينه** **وسندكر صفتها ان شاالله** **واعرقنا الذين كذبوا بانائنا** **عني**
الكفر **انهم كانوا قوما عجبين** **عني** **عن الحق** **وقال ابن عباس** **عميت قلوبهم عن معرفة الله**
والقول الاول قول الزجاج **وقال غيره** **عموا عن الحق والامان** **نقال** **رجل عم في البصيرة**
واعمى في البصر **واشدد** **واقول** **زهير**
واعلم ما في اليوم والامس قبله **ولكنني عن علم ما في عند عمي**
وقال مقاتل **عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق** **وروي** **البعلي** **رحمه الله** **قصة**
نوح **وبعثه الى اهل الارض** **فقال** **روي عن ابن عباس** **رضي الله عنه** **انه قال** **كان بطنان**

من ولد ادم احدهما سكن الجبل والاخر سكن السهل وكان رجال الجبل صباحا وفي
نساءه ذمامة وكان نساء السهل صباحا وفي رجاله ذمامة وار ابلير لعنه ارا د
فتنتهم فاتي رجلا من اهل السهل في صورة علام فاجر نفسه منه وكان خدومه
واخذ ابلير شيئا مثل الذي يرمونه الرعا فجامنه صوت لم يسمع الناس مثله قط
فبلغ ذلك من حولهم فانتابوهم ستمعون اليه واتخذوا عيدا يحتمون الله في السنة
فيتبرج النساء للرجال ويذل الرجال لهن وان رجلا من اهل الجبل هجم عليهم فرأى
النساء وجمالهن وصباحتهن فاتي اصحابه فاحبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم
فظهرت الفاحشة فيهم وذلك قول الله تعالى لسا النبي صلى الله عليه وسلم ولا تبرح تبرج
الجاهلية الاولى قال ابن عباس وكان ادم عليه السلام اوصى ان لا تزوج بنوشيت
بنى قابيل فجعل بنوشيت ادم في مفازة وجعلوا عليه حافظا لا يقربه احد من بنى
قابيل وكان الذين ماتونه ويستغفرون لهم بنوشيت ثم ان مائة من بنى شب صباحا
والوا لونها ما فعل بنوا عمنا يعنون بنى قابيل فهبط المائة اليهم الى نسا قباج من بنى
قاييل فاحتبس النساء الرجال عندهم ثم مكثوا ماشا الله ثم قال مائة اخرى لونها
ما فعل اخوتنا فهبطوا من الجبل اليهم فاحتبسهم النساء ثم هبط بنوا شب كلهم فجات
المعصية وتناكحوا واختلطوا وكثروا قابيل حتى ملوا الارض واكثروا الفساد
فبعث الله اليهم نبيه نوحا عليه السلام وهو ابن خمس سنين فمكث فيهم الف سنة الا خمس
عاما مدعوهم الى الله عز وجل وخوفهم باسمه وحذرهم سطوته كما قال الله تعالى محذرا
قال رب اني دعوت قومي لئلا ونهارا فلم يردهم دعائي الا فرارا وروى عن ابن عباس رضي الله عنه
قال كان نوح عليه السلام يضرب ثم يلف في ليد فيلقى في بيته يظنون انه قدم مات ثم
خرج فيدعوهم الى الله عز وجل حتى اذا يبس من ايمان قومه وجارجل ومعه ابنه يتوكا
على عصا فقال له ما بنى انظر هذا الشيخ لا يغررك قال يا ابت مكنتي من العصا فاخذها
ثم قال صغنى في الارض فوضعه ثم مشى اليه بالعصا فخر به بها شجبه في راسه شجبه
منكرة حتى سال دمه فقال رب قد ترى ما فعل بنى عبادك فان يكن لك في عبادك حاجة

فاهداهم. وان يك غير ذلك فضررتني الى ان تحكم وانت خير الحاكمين. فاحي الله اليه يا نوح
 انه لن يؤمن من قومك الا من قدامن. فلا تبتئس بما كانوا يفعلون. فأيسه الله من ايمان
 قومه واخبر انه لم يسق في اصلاب الرجال وارجام النساء مومن. فعند ذلك دعي عليهم نوح
 عليه السلام فقال رب لا تذر علي الارض من الكافرين ديارا. الى قوله ولا تزد الظالمين
 الا تبارا. اى هلاكا ودمارا. فاجاب الله دعاه وامره بصنعة الفلك في قوله واصنع
 الفلك باعيننا ووجينا. على ما تاتي بيانه في سورة هود ان شا الله تعذر. رجعا الى التفسير.
 قوله تعالى **والى عاد اخاهم هودا** اى وارسلنا الى عاد اخاهم هودا. فهو عطف على نوح.
 وقوله هودا عطف بيان لآخاهم. وعاد هو عاد بن عوض بن ارم بن سام بن نوح.
 وهو عاد الاولى. وهود هو ابن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح. كذا نسبه
 صاحب الكشاف وقال غيره هو هود بن عبد الله بن رباح بن اخلود بن عاد بن
 عوض بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام. بعثه الى عاد تبثا. وكان من اوسطهم
 سببا. وفضلهم حسبا. واتفقوا على ان هودا عليه السلام لم يكن اخاهم في الدين ثم اختلفوا
 في سبب الاخوة من ان حصلت قتلانه كان واحدا من القبلة. فيتوجه قوله
 اخاهم لانه واحد منهم. وقتلانه لم يكن من القبيلة. ثم ذكر وا في تفسير هذه الاخوة
 وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني ادم ومن جنسهم لا من الملائكة ويكفي هذا
 القدر في تسميته الاخوة. والمعنى انا ارسلنا الى عاد واحدا من جنسهم من البشر ليكون
 الفهم وليكون الالاس بكلامه اتم واكمل. ولم يبعث اليهم من غير جنسهم مثل الملك او
 الجن. والثاني انه اخاهم بمعنى صاحبهم. والعرب تسمى صاحب القوم اخاهم. **والى**
التعلى وكانت قصة عاد على ما ذكره المفسرون ان عاد كانوا ينزلون اليمن.
 وكانت منازلهم وجماعتهم حين بعث الله فهداهم هودا عليه السلام الاحقاف. والاحقاف
 رمال يقال لها رمل عالج ودهماء. وبيروني ما بين عمان الى حضرموت. وكانوا قد
 فسقوا في الارض كلها. وفقروا اهلها بفضل قوتهم التي جعلها الله فيهم. وكانوا اصحاب
 اوثان يعبدونها من دون الله عز وجل. صنم يقال له صكدا. وصنم يقال له صمود.

وصم يقال له الهبَاءُ. فبعث الله عز وجل فيهم هودا عليه السلام. وهو من وسطهم نبيا.
وافضلهم موضعا. فامرهم ان يوحدوا الله تعالى. ولا يحلوا معه الها غيره. وان يكفوا
عن ظلم الناس. ولم يامرهم بغير ذلك. فيما ذكر. فابوا عليه وكذبوه. وقالوا من اشد
مناقوه. وسوا المصانع وبطشوا بطشة جبار كما ذكر الله عز وجل. واتبع هودا منهم ناس
فامنوا به وهم يسير بكتهمون ايمانهم. وكان من صدقة وامن به رجل يقال له مرثد
ابن سعيد بن عفير. وكان بكنتم امانه. فلما اعتوا على الله تعالى وكذبوا بينهم واكثروا في الارض
الفساد وتجروا وسوا بكل ريج انة واتخذوا المصانع لعلمهم بخلدون فلما فعلوا ذلك
امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك. وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم
بلا وجهد فطلبوا الفرح من الله تعالى كما نطلبتم مكة عند سته الحرام مسلمهم ومشرِكهم.
وكان يجتمع مكة ناس كثير مختلفه اديانهم. وكلهم معظم مكة معترف بحرمتها ومكانها
من الله عز وجل. وكان البيت معروفا مكانه من الحرم. وكان سكان مكة يومئذ العماليق.
وانما سمو العماليق لان اباهم كان عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح. وكان سيد العماليق
يومئذ رجل يقال له معوية بن بكر. وكانت امر معاوية كهداة بنت الخبيري. وهو
رجل من عاد. وكان عاد اخوال معوية سيد العماليق. فلما فخط المطر عن عاد وجهدوا
قالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة ليستسقوا لكم. فانكم قد هلكتم. فبعثوا قَيْل بن عتر.
ولقيم بن هزال بن هزيل. وعُتَيْل بن صَدِ بن عاد الاكبر. ومرثد بن سعد بن عفير.
وكان مسلما بكنتم امانه. وجلبهمه بن الخبيري خال معوية بن بكر سيد العماليق.
بمبعثوا القمان بن عاد الاصغر بن صَدِ بن عاد الاكبر. فانطلق كل رجل من هؤلاء
القوم ومعهم رهط من قومه حتى بلغ عدة وفدهم سبعين رجلا. فلما قدموا مكة
نزلوا على معاوية بن بكر. وكان بظاهر مكة خارجا عن الحرم. فانزلهم واكرمهم.
وكانوا احواله واصهاره. فاقاموا عنده شهرا شربوا الخمر. وتغنمهم الجرادتان.
وهما قيتتان لمعوية بن بكر. فلما راي معوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم
قومهم يتغوثون لهم من البلا الذي اصابهم شق ذلك عليه. وقال هللك احوالي واصهارك.

وهو لا مقمور عندى وهم صيفى نازلون على . والله ما ادركى كفا صنع فاني استحي
ان امرهم بالحزوح الى ما بعثوا له فيظنون انه صيق منى بمكانهم عندى وقد هلك
من وراهم من قومهم جهدا وعطشا . فشكى ذلك من امرهم الى قيسية الجرادتين .
فالتا قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك ان حركهم . فقال
معوثة بن بكر .

بينما

أَلَا يَا قَيْدُ وَتَحَكُّمُ فَهَيْتُمْ . لَعَلَّاهُ يُصْبِحُنَا غَمَامًا .
فَيَسْقِي أَرْضَ عَادٍ إِنْ عَادَ . قَدْ أَمْسَوْا لَا يُبَيِّنُونَ الْكَلَامَ .
مِنَ الْعَطَشِ الشَّدِيدِ فَلَيْسَ يَرْجُوا . بِهِ الشَّخَّ الْكَبِيرَ وَلَا الْغَلَامَا .
وَقَدْ كَانَتْ نِسَاؤُهُمْ خَيْرَ . فَقَدْ أَمْسَتْ نِسَاؤُهُمْ عِيَامَا .
وَأَنَّ الْوَحْشَ تَأْتِيهِمْ جَهَا رَا . وَلَا تَخْشَى لِعَادِي سَهَامَا .
وَأَنْتُمْ هَاهُنَا فِيمَا اسْتَهَيْتُمْ . نَهَارَكُمْ وَلَيْلَكُمْ الْبِمَامَا .
فَقُحِّ وَفَدَكُمْ مِنْ وَفِدِ قَوْمٍ . وَلَا لُقُوا التَّحِيَّةَ وَالسَّلَامَا .

فلما اغنتهم الجرادتان بهذا الشعر قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم ليتغوثوا
بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم . وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا القومكم
فقال مرثد بن سعد بن عفير وكان قدام من يهود سرا انكم والله لا تسقون بدعايكم
ولكن ان اطعمت نبيكم . وانبتتم الى ربكم سقيم . واظهر اسلامه عند ذلك . وقال شعرا

عَصَتْ عَادُ رَسُولَهُمْ فَاَمْسَوْا . عِطَاشًا مَا تَبْلُغُ السَّمَاءُ .
لَهُمْ صَمٌّ يُقَالُ لَهُ صَمُّو د . يُقَابِلُهُ صَدَاءُ وَالْمَهْبَاءُ .
فَبَصَّرْنَا الرَّسُولَ سَبِيلَ شَدِيدٍ . فَاَبْصَرْنَا الْهُدَى وَجَلَّ الْعَمَاءُ .
وَأَنَّ إِلَهَ هُودٍ هُوَ الْهَى . عَلَى اللَّهِ التَّوَكُّلُ وَالرَّجَاءُ .

زادني رواية .

لقد حكم الاله وليس رجورا . وحكم الله اذ غلب الهوا .
على عاد وعاد شر قوم . فقد هلكوا وليس لهم نقاء .

وانى لى فارق دين هود **طوال الدهر اوى ياتى الفناء** .
فقال **جلهمة بن الحبير** كى خال معونة مجيبا لمرثد بن سعد حين فرغ من مقالته
وعرف انه قد اتبع دين هود وامر به .

ألا ياسعد انك من قبيل **ذوى كرم** وامر من **ثمود** .
فانا لن نطبعك ما بقينا **ولسنا** فاعلين لما تريد .
اتامرنا للترك دين رfid **ورمى** والصديق ثم العتود .
ونترك دين اباى كرام **وذوى راي** وتتبع دين هود .

ثم قال **جلهمة** لمعونة بن بكر وابنه بكر احبس عنا مرثد بن سعد فلا يقدم من
معنا مكة فانه قد اتبع دين هو وترك ديننا . ثم خرجوا الى مكة يستسقون بها العاد .
فلما ولوا الى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معونة حتى ادر كههم بها قبل ان يدعوا
الله عز وجل بشى مما خرجوا اليه . فلما انتهى اليهم قام يدعوا الله . وبها وقد عاد يدعون .

فقال **مرثد** اللهم اعطني سولى وحدى ولا تدخلنى فيما يدعوك به وقد عاد .
فقال **قيس بن عمرو** راس وفد عاد اللهم اعط قبيلا ما سالك . وقال الوفدمعه
واعطنا سولنا مع سوله . وكان قد تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد . وكان
سيدهم حتى اذا فرغوا من دعائهم قام لقمان فقال اللهم انى جيتك وحدى فى حاجتى

فاعطني سولى . وسال الله تعالى طول العمر **فعمير عمر سبعة ائسر** . وقال
قيس بن عتر يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا . وقال اللهم انى لم
اجى لمريض فاداويه . ولا لاسير فادايه . اللهم اسق عاد ما كنت تسقيه .

فانشأ الله تعالى سحابا ثلاثا **بيضا** . و**حمرا** . و**سودا** . ثم ناداه مناد من
السحاب يا قيس اختر لنفسك ولقومك من هذه السحاب ما شئت . فقال قيل قد اخترت
السحابة السوداء . فانها اكثر السحاب ما . فناداه مناد اخترت رمادا **رمدا** . لا
تبقي من آل عاد احدا . وساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيس بما فيها من
النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث . فلما راوها استبشروا بها .

عتر

عمر

وقالوا هذا عارض ممطرنا بقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم به . ريح فيها عذاب اليم
 تدمر كل شئ بامر ربها . اى كل شئ مرت عليه . وكان اول من ابصر ما فيها وعرف
 انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد . فلما تبينت ما فيها من العذاب
 صاحت ثم صعقت . فلما افاقت قالوا لها ما ذا رايت . قالت رايت ريحا فيها كشمس
 النار . اما مها رجال ينفودونها . فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما .
 يعنى دايمة . فلم تدع من آل عاد احدا الا اهلكته . واعتزل هود ومن معه
 من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه من الريح الا ما تليز عليه الجلود وتلتذ
 الانفس . وانها في قوتها لثمر بالظعن من عاد فتحملهم بين السما والارض وتدمغهم
 بالحجارة . وخرح وفد عاد من مكة حتى مروا بمعوية بن بكر فنزلوا عليه فيبناهم
 عنده اذ اقبل رجل على ناقة في ليله مقمرة . مساء ثالثة من مصارع عاد فاخبرهم
 الخبر . فقالوا له اين فارقت هودا واصحابه . قال فارقتهم ساحل البحر . وكانهم شكوا
 فيما حدثهم به . فقالت هذيلة بنت بكر صدق ورب مكة . وذكر العلماء ان مرثد
 ابن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عتر حين دعوا بمكة قيل لهم قد اعطيتم مناكر
 فاختروا وانفسكم . الا انه لا سبيل الى الخلود ولا بد من الموت . فقال مرثد اللهم اعطني
 بئرا وصدقا . فاعطي ذلك . وقال لقمان اللهم اعطني عمرا . فقتله اختر . فاختر
 عمر سبعة اشهر . فكان ياخذ الفريخ حين يخرج من بيضته وكان ياخذ الذكر لقوته
 فيربيه حتى يموت . فاذا مات اخذ غيره . فلم يزل يفعل ذلك حتى اتي على السابع .
 وكان كل شر بعيش سمانين سنة . وفي رواية ثمان مائة سنة . وكان السابع من
 السور اسمه لبك . فلما مات لبك مات لقمان معه . واما قيل فانه قال اختر
 ان يصيبني ما اصاب قومي فقيل له انه المهلاك . فقال لا ابالي . لا حاجة لي في البقا
 بعد قومي . فاصابه الذي اصاب عادا من العذاب فهلك . ومن معه من الوفد الذين
 خرجوا يستسقون لعاد . فانت الريح لما خرجوا من الحرم فاهلكتهم جميعا . فلما اهلك الله
 عاد ارتحل هود ومن معه من المؤمنين من ارضهم بعد هلاك قومه الى موضع يقال له

الشجر من بلاد اليمن فنزل هناك ثم ادركه الموت فدفن بارض حضرموت وروى عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان قبر هود عليه السلام بحضرموت في كتيب احمر وقال عبد
الرحمن بن سيبا بين الركن والمقام وزمزم قبر شعبة وشعس نبيا وان قبر هود
وصالح وشعيب واسماعيل في تلك البقعة وفي رواية اخرى كان النبي من الانبياء اذا هلك
قومه ونجى هو والصالحون معه اتي مكة من معه فعبدوا الله فيها حتى يموتوا
وقال السدي بعث الله تعالى على عاد الریح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال
نظروهم الریح بن السماء والارض فلما راوها تنادوا الى البيوت فدخلوها واغلقوا
الابواب فحاثت الریح فقلعت ابوابهم ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها ثم اخرجتهم من السور
فلما اهلكتهم ارسل الله تعالى عليهم طيرا سودا فتقلتهم الى البحر فالقتهم فيه وفسد الله
امر الریح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام حسوما يسمع لهم
ابن تحت الرمل ثم امر الریح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر
ولم تخرج ریح قط الا مكالم الا يومئذ فانها عنت على الخزان فغلبتهم فلم يعلموا كم
كان مكالمها وفي الحديث انها خرجت على قدر خرت الحاتم وعن عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده قال اوحى الله تعالى الى الریح العقيم ان تخرج على قوم عاد فتسقم له منهم فخرجت
بغير كيل على قدر منخرثور حتى رجفت الارض مما بين المشرق والمغرب فقال الخزان
يارب لانظيقها ولو خرجت على حالها لاهلكت ما بين مشارق الارض ومغاربها
فاوحى الله تعالى الى الریح ان ارجعي فاخرجي على قدر خرت الحاتم فرجعت فخرجت على
قدر خرت الحاتم وهي كحلقه وقال ابو الفضل عامر بن واثلثة سمعت علي بن ابي طالب
رضي الله عنه يقول لرجل من حضرموت هدرت كتيبا احمر خالطه مدرة حمرا اذا راك
وسيد كثير ساجية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا امير المؤمنين والله انك
لتتعبته نعت رجل رآه قال لا ولكني حدثت عنه قال احضري وما شانها يا امير
المؤمنين قال فيه قبر هود عليه السلام والله بعد اعلم فذلك قول الله تعالى والى عاد اظالم
هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيرة اى اعبدوا الله وحده ولا تجعلوا معه

هما آخر فانه ليس لكم اله غيره . ^{قوله في} والفرق بين قصة نوح فقال يا قوم . وهنا قال يا قوم .
 ان نوحا عليه السلام كان مواظبا على دعوته قومه غير متوان فيها . لان الفاتل
 على التعقب . واما هود عليه السلام فلم يكن كذلك . بل كان دون نوح في المبالغة في
 الدعاء . فاحبر الله عنه بقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره . **بمعنى** افلا تخافون
 عقابه بعبادتكم غيره . **ولما** كانت هذه القصة منسوقة على قصة قوم نوح وقد
 علموا ما حل بهم من العرق **حسن** قوله **افلا تتقون** **بمعنى** افلا تخافون ما نزل بهم من
 العذاب . **ولما** لم يكن قبل واقعة قوم نوح شئ **حسن** تخوفهم من العذاب فقال هناك
 اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم **قال الملائكة الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة**
بمعنى انا لنراك يا هود في حمق وحمالة وضلالة عن الحق والصواب . احبر الله تعالى عن قوم
 نوح انهم والواله انا لنراك في ضلال مبين . واحبر عن قوم هود انهم والواله انا لنراك في
 سفاهة . والفرق بينهما ان نوحا لما خوف قومه بالطوفان وطفق في عمل السفينة
 عند ذلك **قال** له قومه انا لنراك في ضلال مبين حيث تتعب في اصلاح سفينة في ارض
 ليس فيها من الماشي . واما هود عليه السلام فانه لما زيف عباره الاصنام ونسب
 من عبدها الى السفه وهو قلة العقل قابله مثلثة **فقالوا** انا لنراك في سفاهة .
وانا لنظنك من الكاذبين **بمعنى** في ادعايك انك رسول من رب العالمين **قال** **بمعنى** قال
 هود لهؤلاء الملائكة الذين نسبوه الى السفه **يا قوم ليس بي سفاهة** **بمعنى** ليس الامر كما تدعون
 ان بي سفاهة **ولكني رسول من رب العالمين** **بمعنى** اليكم **ابلغكم رسالات ربي** **بمعنى** اودري
 اليكم ما ارسلني به من اوامره ونواهيته وشرايعه وبكاليفه **وانا لكم ناصح** **بمعنى** فيما امركم
 به من عبادة الله عز وجل وترك ما سواه **امين** اي مامون على تليخ الرسالة واداء
 النصح **والامين** هو الثقة على ما اوتمن عليه . **حكى** الله عن نوح انه **قال** **والنصح لكم** . **وحكى**
 عن هود انه **قال** **وانا لكم ناصح** . **قال** **صل بصيغته الفعل** . والثاني بصيغته اسم الفاعل .
 والفرق بينهما ان صيغة الفعل تدل على تجدد النصح ساعة بعد ساعة . وكان نوح
 يدعو قومه ليلا ونهارا كما احبر الله عنه بقوله **قال** رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا .

ولما كان ذلك من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال وانضح لكم واما هود عليه السلام
ولم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتا دون وقت فلهذا قال وانا لكم ناصح امين ه
ومدح النفس باعظم صفات المدح غير لا يتوق بالعتقلا واما فعل هود ذلك وقال هذا
القول لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم في قولهم وانا
لنظنك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وانه امين في بليغ ما ارسل به من عند
الله ففيه تقرير للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه في موضع
الضرورة الى مدحها وقال بعض المفسرين ايضا ان في اجابة الانبياء عليهم السلام من
نسبهم الى الضلال والسفاهة مما اجابوا بهم من الكلام الصادر عن الجلم والاعضا وتزل
المقابلة مما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اصل الناس واسفهم ادب حسن
وخلق عظيم واجبار الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغيثون
عنهم وتُسبِلون اذ يالهم على ما يكون منهم وقوله **او عجبت ان جاءكم ذكر من ربكم على**
رجل منكم لينذركم يعني اعجبتم ان انزل الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم باس ربكم
وخوفكم عقابه **واذكروا اذ جعلكم خلتا من بعد قوم نوح** يعني واذكروا نعمته الله عليكم
اذا هلك قوم نوح وجعلكم تخلفونهم في الارض **وزادكم في الخلق بسطة** يعني طولا وقوه
وقرى بسطة بالصاد قال ابن عباس والسدى والكبي كانت قامت الطول منهم ما به
ذراع وقامة القصر متر ذراعا **وقل سبعون ذراعا** وفي روايه عن ابن عباس ايضا ما
ذراعا **وقال** مقاتل اثنان عشر ذراعا **وقال** وهب كان راس احدهم مثل القبه
العظيمة وهذه الزيادة كانت على خلق ابايهم **وقل** على خلق قوم نوح **وقال** وهب
اسميه كان راس احدهم مثل القبه العظيمة وكان عين احدهم يفرخ فيها السباع
وكذلك مناخرهم **وروى** شهر بن حوشب عن ابي هريره رضي الله عنه قال ان كان الرجل
من قوم عاد ليتخذ المصر اعين من حجارة لواجتمع عليها حسمانة من هذه الامة لم
يطيقوه وان كان احدهم ليغز بقدمه الارض فيدخل فيها **وقال** بعض اهل الباطن
لما هلك عاد ملكه بجد ابنه شداد وامر سنا ارم ذات العباد فوضعوا اساسها

الجزع . واقاموا في عمارتها بلا مائة سنة . ثم كهبوا للنقله اليها في عشرين سنة . وكان
 صر شداد حينئذ سبعائة سنة . فلما ساروا وبلغ منها مسرة يوم وليله بعث الله
 عليهم صحة من السماء فاهلكتهم جميعا . فملك بعده مرشد بن شداد . وكان قد خلفه
 على ملكه . وبنى له مغارة استودعها فيها . وحكى المفسرون ان شخصا يقال له بسطام
 وجد قبر شداد في جبل من جبال حضرموت مُطل على البحر في المكان الذي يركب منه
 اهل حضرموت في مغارة ينزل اليه بدرج . عرض الدرجة عشرون ذراعا في سُمك
 عشرة اذرع . وهي مقدار مائة درجة . وسُمك المغارة خمسون ذراعا . ثم مشوا
 هونا في طريقهم قبل الدرج . ثم افضوا الى ازج طوله مائة ذراع في عرض اربعين
 وسمكه خمائة ذراع . وفنه سرير من ذهب مرصع . والسرير بطول الازج وعليه
 شداد مضطجع على ظهره . مطليا بالمطر والصبر . والمغرة لم يسقط من جسده شئ .
 وعليه سبعون حلة على طوله . وطوله طول السرير . وذلك الازج يُضَيّ بنقبة عرضه
 ذراعا . وارتفاعه ثلاثة اذرع . وهناك لوح من ذهب مكتوب بالسنند . فاخذوا
 اللوح . واراوا قلع شئ من الفصوص فلم يقدر والوثاقتها . ولم يستطيعوا ان يرجعوا
 من حيث نزلوا . فمشوا في ذلك النقب فخرجوا الى كهف . وقد حُف بالكهف البحر فمكثوا
 ثلاثة ايام الى ان حملتهم مركب فنجوا . واراوا الرجوع من ذلك النقب فلم يعرفوه .
 وكان الذي في اللوح ابيات منها .

اعتبر بي ايها المغرور بالعمر المديد ؛ انا شداد بن عاد صاحب الحصن العميد ؛
 واخو القوة والباسا والملك الحشيد ؛ دان اهل الارض لي من خوف وعدي ووعيدك ؛
 ومكنت الشرق والغرب بسطان شديد ؛ وبفضل الملك والعدّة فيّه والعديد ؛
 فاني هود وكنا في ضلال قبل هود ؛ فدعانا لوقبلناهُ الى الامر الرشيد ؛
 فعصيناهُ وناديت اهل من مجيد ؛ فانتهمر صحة تهوى من الافق البعيد ؛
 فتوقفتم كزرع وسط بيت احصيد ؛

وقبل ان مرشد حمدا باه مطليا بالصبر والكافور الى حضرموت . وساتي القصة في سورة

والفجران شا الله وقوله تعالى **فاذكروا الآلهة** في استخلا فكم وبسط اجرامكم وما
سواها من عطاياها **وقل اذكروا نعم الله** وفيه اضماع بقديره واذكروا نعمته الله
عليكم واعملوا عملا يليق بذلك الانعام وهو ان تؤمنوا به وتتركوا ما اتم عليه من
عبادة الاصنام **لعلم بعلحون** يعني لكي يفوزوا بالفلاح وهو البقاء في الآخرة **قالوا اي**
والقوم هود مجيبين له اجيبتنا اي يهود **لعبدا لله وحده** ونذر ما كان يعبد ابائنا
يعني من الاصنام انكروا واستبعدوا اختصاصه وحده بالعبادة وترك دين الاباء في
اتخاذ الاصنام شركا معه **حبا لما نشؤ عليه** فهناك قالوا استهزاء **فاستجابنا**
تجدنا يعني من العذاب **ان كنت من الصادقين** يعني في قولك انك رسول الله **قال** يعني قال
هود مجيبا لهم **قد وقع** يعني نزل ووجب **عليكم من ربكم رجس** و**غضب** اي عذاب وسخط
جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب اليك بعض المطالب
قد كان ذلك **وروي عن حسان بن ثابت** ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل
فحماه بيكي فقال يا بني مالك **قال** لسعني طورت كانه **ملتفت في بردي حبره**
فصمته حسان الى صدره فقال يا بني قد قلت الشعر **اي توقع منه ان يقول الشعر بعد**
ذلك اتجاد لوني في اسما سميتها **انتم واباؤكم** يعني ان جدالكم اياي في اشياء ما هي الا
اسما ليس تحتها مسميات لانكم سموه الاصنام الهة وهي خالية عن معنى الالهية
والمراد بهذا الكلام الاستفهام على سبيل الانكار عليهم **لانهم سموه الاصنام بالالهة**
وذلك مقدم فيهم ما نزل الله بها من سلطان يعني من حجة وبرهان على هذه التسمية
وانما سميتها **انتم من عند انفسكم** غير دليل **فاستظروا** يعني العذاب **اني معلم من المنتظرين**
يعني نزول العذاب بكم **قال** الله عز وجل **فانجيها** يعني فانجسها هودا عند نزول العذاب
بقومه **والذين معه برحمة منا** يعني وانجيها اتباعه الذين امنوا به وصدقوه لانهم كانوا
مستحقين للرحمة **وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا** يعني واهلكنا الذين كذبوا هودا
من قومه **واراد بالآيات معجزات هود الداله على صدقه** وهذا هلاك استيصال فاهلكهم
جميعا ولم يبق منهم احدا **وما كانوا مومنين** يعني لانهم لم يكونوا مصدقين بالله ولا

ولا برسوله هود عليه السلام. قال السفي فايده نفي الايمان عنهم مع اثبات التكذيب
 بآيات الله الأشعار بان الهلاك خص الملكد بن. والله بعد علم قوله عز وجل **والى**
ثمود اخاهم صالحا يعنى وارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا. وثمود هو ابن غابر بن ارم بن
 سام بن نوح عليه السلام. وهو اخو جد يس بن عابر. وكان مساكين ثمود الحجر بن الحجاز
 والشام الى وادي القرى وما حوله. ومعنى قوله تعالى **والى ثمود اى** وارسلنا الى بنى ثمود.
 اخاهم صالحا. لان ثمود قبيلة. **قال ابو عمرو** بن العلاء سميت ثمود لقله ما يها. والتمد
 الماء القليل. **وقيل** سموا ثمود باسم ابيهم الذى ينسبوا اليه. **وقرى** **والى ثمود** بتاويل
 ايجى او باعتبار الاصل. لانه اسم ابيهم الاكبر. كما مر. ومنع الصرف بتاويل القبيلة. وكانوا
 قوما عربيا في سعة من معاشهم. فخالفوا امر ربهم وعبدوا غيره. وافسدوا ارض.
 فدعا الله اليهم صالحا عليه السلام نبيا. وهو قوله تعالى **والى ثمود اخاهم صالحا** يعنى فى النسب
 لافى الدين. وهو صالح بن عبيد بن اسف بن ماشح. بن عبيد بن هاذر بن ثمود. وكان
 من اوسطهم سنا. وفضلهم حسبا. فدعاهم الى الله عز وجل حتى شمت. ولم تبعه منهم الا
 قليل مستضعفون **قال باقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** يعنى **واللهم صالحا** حين ارسله
 الله اليهم باقوم وحدوا الله ولا شركوا به شيا فمالكم من اله يستخون يعبد سواه **قد**
جاتكم بينة من ربكم يعنى جاتكم حجة من ربكم وبرهان على صدقنى فمالكم من اله يستخون يعبد سواه **قد**
 من عبادة الله تعالى وعلى نضد نقي بانى رسول من الله اليكم. ثم فسر بك البينة بقوله
هذه ناقة الله لكم آية يعنى انها علامة على صدقنى. **قال العلماء** ووجه كون هذه الناقة آية
 على صدق صالح ومعجزة له خارقه للعادة خرجت من صخرة فى الجبل. وكونها لا من ذكر ولا
 انثى. وكما خلقها من غير حمد ولا تدريج. لانها خلقت فى ساعة واحدة وخرجت من
 الصخرة. **وقيل** وجه آيتها انه كان لها شرب يوم ولقبيلة ثمود شرب يوم. وهذا
 من المعجزات ايضا. لان ناقة تشرى ما يشربه قبيله معجز. وكانوا يحلبونها فى يوم شربها.
 قدر ما يكفيهم جميعهم ويقوم لهم مقام الماء. وهذا ايضا معجز. **وقيل** ان سائر الوحوش
 والحيوانات كانت تمتنع من شرب الماء فى يوم شرب الناقة. وتشرى الحيوانات الماء

في غريبوم الناقه وهذا ايضا معجز. **وامنا** اضافها الى الله تعالى في قوله هذه ناقه الله
على سبيل التفضل والتشريف كما يقال بيب الله. **وقل** لان الله خلقها بغر واسطة ذكر
وانثى. **وقل** لانه لم يملكها احد الا الله تعالى. **وقل** لانها كانت حجة الله على قوم صالح.
فذرورها باكل في ارض الله يعني فذروا الناقه تاكل العشب من ارض الله. فان الارض لله.
والناقه ايضا لله. وليس لكم في ارض الله شئ. لانه هو الذي انبت فيها العشب **ولا تمسوها**
بستوي يعني ولا تطردوها ولا تقربوها شئ من انواع الاذى. ولا تعقروها الا ما لا آية الله.
فياخذكم عذاب اليم يعني بسبب عقورها واذاها **واذكروا اذ جعلكم خلفا من بعد عاد**
يعني ان الله تعالى اهلك عادا وجعلكم تخلفونهم في الارض وتعبرونها **وبواكم** يعني واستكنم
وانزلكم. **والمبأة المنزل في الارض تتخذون من سهولها قصورا** يعني تبنيون القصور من
سهولة الارض لان القصور انما تبني من اللبن والاجر المتخذ من الطين السهل اللين.
وتتخذون الجبال سوتا يعني وتشقون سوتا من الجبال. **وقل** كانوا سكنون السهول
في الصيف والجبال في الشتاء. وهذا يدل على انهم كانوا متعجين مترفحين. **وقد استد**
بهذه الالة من اجاز بنا الرفيع كالقصور والمجالس ونحوها. **وبقوله** تعالى قل من حرم
زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق. **وذكر** ان ابنا لمحمد بن سيرين بنى دارا
وانفق فيها ما لا كثيرا. فذكر ذلك لمحمد بن سيرين. فقال ما ارى باسا ان بنى الرجل بنا
ينفعه. **وروي** عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا انعم الله على عبد احب ان يرى اثر
النعمة عليه. **ومن** آثار النعمة البناء الحسن. والشاب الحسن. **الانزي** ان الرجل لو اشرك
جارية جميلة مما لا كثير فانه يجوز. **وقد** يكفه دون ذلك. **فكذلك** البناء. **وكره**
اخرى ذلك منهم الحسن البصري وغيره. **واحتجوا** بقول النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد
الله بعبد خيرا اهلك ماله في الطين واللبن. **وفي** خبر اخر عنه صلى الله عليه وسلم انه قال
من بنا فوق ما يكفيه جابه يوم القامة بحملة على عنقه. **ولقوله** صلى الله عليه وسلم
وما اتقوا المومن من بقة فان خلفها على الله ضامن. **الا** ما كان في بنيان او معصية.
خرجه الدارقطني من رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه. **وقال** صلى الله عليه وسلم ليس لابن

٥٨
ادم حق في سوى هذه الخصال بيت سكنه وثوب نواري عورته وجلف الخبز والماء
خرجه الترمذي وقوله **فاذكروا الله اى فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروه عليها**
وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اشراط الساعة اذا
تطاول رعاة البهم في البنيان ففي هذا الحديث ايضا ذم التطاول في البنيان وقد ورد
ايضا في ذم تطويل البنيان صرحا ما اخرج ابن ابي الدنيا من رواية عمارة بن عامر رضي الله عنه
اذا رفع الرجل بنا فوق سبعة نودي يا فاستوا الى ابنه وفي سنده ضعف مع كونه
موقوفاً وفي ذم البناء مطلقا حدث حباب رفعه قال يوجر الرجل في بفقته
كلها الا البناء خرجه الترمذي وصححه قال بعض المحققين هذا كله محمول على ما لا
مس الحاجة اليه مما لا بد منه للتوطن وما يكثر من الحر والبرد وللطبراني من
حدث جابر رفعه اذا اراد الله بعبد سوا حسنه في اللبن والطين وفي المعجم الاوسط
من حديث ابي بشر الا يضاري رضي الله عنه بلفظ اذا اراد الله بعبد سوا انفق ماله في البنيان
واخرج ابوداود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال مر بي النبي
صلى الله عليه وسلم وانا اطين حايطا فقال الامر اعجل من ذلك وصححه الترمذي وابن
حبان واخرج ابوداود ايضا من حديث اشرفه اما ان كل بنا وبال على صاحبه
الا مالا الا مالا اى الاما لا بد منه والله هو الموفق للسنة وقوله **فاذكروا الله**
اى فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروه عليها ولا تعثوا في الارض مفسدين قال قتادة معناه
ولا سيروا في الارض مفسدين فيها والعيث اشد الفساد وقد اراد به النهي عن عقر
الناقة وقد هو على ظاهره فندخل فيه النهي عن جميع انواع الفساد **قال الملا الذين**
استكبروا من قومهم يعني قال الاشراف الذين يعظموا عن الايمان بصالح **لذين استضعفوا**
منهم يعني المساكين **لبن آمن منهم** يعني قال الاشراف المتعظمون في انفسهم لا يتابعهم الذين
امنوا بصالح وهم الضعفاء من قومهم **ان تعلمون ان صا كما مرسل من ربه** يعني ان الله ارسله
اليها واليكم **قالوا انا بما ارسل به مومنون** يعني قال الضعفاء انا بما ارسل الله به صالحا من
من الدس والهدى والحق مصدقون فان قل كلف صح قوله انما ارسل به مومنون جواباً

عنه **قل** له انهم سألوه عن العلم برسالة **فجعلوا** رساله امر معلوما مسلما لا يدخله ريب **كانهم** قالوا العلم برسالة وبما ارسل به لاشبهة فيه **وانما** الكلام في وجوب الامانة به **فخبركم** انا به مومنون **ولذلك** كان جواب الكفرة بقوله **قال الذين استكبروا انا بالذي امنتم به كافرين** فوضعوا امنتم به موضع ارسل به ردا لما جعله المومنون معلوما مسلما **ومعنى** قوله **قال الذين استكبروا** يعني عن امر الله والامانة به وبرسوله صالح **وقولهم** كافرين اي جاحدون منكرون **ثم انه** تعالى اخبر عن عقوبهم الناقة بقوله **فعفروا الناقة** اسند العقر الى جميعهم وان كان العاقر واحدا منهم وهو قذار رساله لان عقرها كان برضاهم **والعقر** قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناجر البعير بعقره ثم نخره **وقال** بعض اهل اللغة ايضا العقر هو الجرح **وقيل** هو قطع عضو يوتر في النفس **وعقرت** الفرس اذا ضربت قوائمها بالسيف **وخيل** عقاري **وعقرت** ظهر الدابة اذا دبرته **قال** امرؤ القيس

بقول وقد مال العبيط بنا معا **عقرت** بعيري يا امرؤ القيس فانزل **عقر**

يعني جرحته **وادبرته** وقوله **وعتوا عن امر ربهم** اي كبروا عن امر ربهم وعصوه **والعتوا** الغلوف في الباطل **والتكبر** عن الحق **والمعنى** انهم عصوا الله وتركوا امره في الناقة وكذبوا بنبيهم صالحا عليه السلام **قال** العلماء **امر ربهم** ما امروا به على لسان صالح عليه السلام من قوله **فذر وهاتها تاكل في ارض الله** **اوشان** ربهم وهو دينه **وقالوا** ما صالح **ايتنا مما نقرنا** يعني من العذاب **ان كنت من المرسلين** يعني ان كنت كما تزعم انك رسول الله فان الله ينصر رسوله على اعدائه **وانما** والوا ذلك لانهم كانوا مكذبين في كل ما اخبرهم به من العذاب **فنجعل** الله لهم ذلك **قال** الله تعالى **فاخذتهم الرجفة** **قال** الفراء والزجاج الرجفة الزلزلة الشديده العظيمة **وقال** مجاهد والسدى هي الصيحة **فمحملا** انهم اخذتهم الزلزلة من تخبتهم **والصيحة** من فوقهم حتى هلكوا **وهو** قوله **فاصبحوا في دارهم جاثمين** يعني فاصبحوا في ارضهم وبلدتهم جاثمين **ولذلك** وحّد الدار كما يقال دار الحرب اي بلد الحرب ودار بني فلان بمعنى موضعهم ومجمعهم **وجمع** في اية اخرى **فقال** في ديارهم **لانه** اراد ما لكل واحد

منهم من الدمار والمساكن. وقوله جاشين يعني باركين. والجثوم للناس والطيور منزله
 البروك للبعير. وجثوم الطير هو وقوعه لا طيا بالارض في حال نومه وسكونه بالليل.
 والمعنى انهم اصبحوا جاشين موتى على وجوههم لا يتحركون. وقال بعضهم احترقوا بالصاع
 فاصبحوا ميتين الارحلا واحدا كان في حرم الله تعالى. فلما خرج من الحرم اصابه ما
 اصاب قومه فتولى عنهم. وفي وقت هذا التولى قولان احدهما
 انه تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا. وبدل عليه قوله تعالى فاصبحوا في دارهم جاشين فتولى
 عنهم. والفا للتعقب. فدل على انه جعل هذا التولى بعد جثومهم وهو موتهم.
 والقول الثاني انه تولى عنهم وهم احياء قبل موتهم وهلاكهم. وبدل عليه مخاطبهم وقال
 يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي وصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وهذا الخطاب لا
 يليق الا بالاحياء. فغلب هذا القول بختم ان يكون في الالة بقديم وتأخير بقدره فتولى
 عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي وصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فاخذ بهم
 الرحمة فاصبحوا في دارهم جاشين. واجاب اصحاب القول الاول عن هذا انه خاطبهم
 بعد هلاكهم وموتهم توخا وتقربا. كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قبل
 بدر حين القوا في القليب فجعلنا ديمهم باسمائهم المحدث في الصحيح. وفيه فقال عمر
 يا رسول الله كيف تكلم قوما قد جيفوا. فقال ما ائتكم باسمع لما اقول منهم. ولئن لا
 يجيبون. وقال انما خاطبهم صالح بذلك لسكون عبرة لمن اتى من بعدهم فينزع عن
 مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها. وكانت قصة شؤد على ما ذكره محمد
 ابن اسحق ووهب ابن منبه وغيرهما من اصحاب السير والاحبار. قالوا جميعا ان عادا
 لما هلكت وانقضت امرها عمّرت شؤد بعدها واستخلفوا في الارض فدخلوا فيها وكثروا
 وعصروا حتى ان احدهم لبني المسكن من المدر فينهدم والرجل حتى فلما راوا ذلك
 اتخذوا من الجبال بيوتا. وكانوا في سعة من العيش والرخاء. فغثوا وفسدوا في الارض
 وعبدوا عن الله. فبعث الله اليهم صالحا من انبياء. وكان قوما عربا. وكان صالح من اولادهم
 لسبا وفضلهم ستا وحسبا. فبعثه الله اليهم وهو غلام فلم ينزل يدعوهم الى الله تعالى

والى عبادته حتى شمت وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون. فلما اح علمهم صالح
بالدعا والتبليغ واكثر لهم التحذير والتخوف سالوه ان يرسم اية تكون مصداقا على ما
نقول فقال صالح اى اية تريدون. فقالوا تخرج معنا الى عيدنا. وكان لهم عيد يخرجون
فيه اصنامهم. وذلك يوم معلوم من السنة. فالوا تدعوا الهك وتدعوا الهتنا. فان
فان استجب لكاتبناك. وان استجب لنا اتبعنا. قال لهم صالح نعم فخرجوا باصنامهم
الى عيدهم. وخرج صالح معهم فدعوا اولادهم وسالوا ان لا يستجاب لصالح في شئ مما
يدعوا به. ثم قال جندع بن عمرو بن جواس وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا
من هذه الصخرة لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاشبة ناقه مخترجة
جوا وبرا عشرة. والمخترجة ماشا كلت البخت من الابل. فان فعلت امننا بك
وصدقناك. فاخذ عليهم صالح مواشيهم ليئن فعلت لتصدقني ولتؤمنن بي. والوا
نعم. قال فضلى صالح ركعتين ودعا ربه عز وجل. فتمحضت الصخرة كما تخض التوح
لولدها. ثم تحركت الهضبة عن ناقه عشرة جوا وبرا كما سالوا ووصفوا. غير
انه لا يعلم ما بين حبيبيها الا الله عظاما وهم ينظرون اليها. ثم نتجت سقبا مثلها في
العظم. فامن به جندع بن عمرو ورهط من قومه. واراد بقية اشراف ثمود ان
يومنوا به وصدقوه فمنعهم دواب بن عمرو بن لبيد والحباب. وكانا صاحب اولادهم
ورباب بن صعير. وكان كاهنهم. وكانوا من اشراف ثمود. فلما خرجت الناقه من الصخرة
قال لهم صالح هذه ناقه لها شرب ولكم شرب يوم معلوم. فمكثت الناقه ومعها سقبا
في ارض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء. وكانت تبرد الماء غبا. فاذا كان يوم ورودها
وضعت راسها في بئر الحجر يقال لها بئر الناقه. فما ترفع راسها حتى تشرب كل ما فيها
فلا تدع قطره. ثم ترفع راسها فتفسح حتى تفجح لهم فحلبون ماشاوا من لبن فشربون
ويدجزون حتى سملوا واواينهم كلها. ثم تصد رالناقه من غير الفج الذي وردت منه
ولا تقدر ان تصد من حيث وردت حتى اذا كان من الغد كان يوم ثمود فشربون
ماشاء الله من الماء ويدجزون ماشاوا اليوم الناقه. فهم على ذلك في سعة ودعة.

وكانت الناقة تصيف اذا كان الحرن يظهر الوادي فتهرب منها مواشيهم الابل والبقر
 والغنم فتتهبط الى بطن الوادي فتكون في حره وجذبته. واذا كان الشتاء فتشتوا
 الناقة في بطن الوادي فتهرب المواشي الى ظهره فتكون في الجرب والبرد فاضر ذلك
 مواشيهم للامر الذي يريد الله بهم والبلاء والاختبار فكثر ذلك عليهم وعنوا عن
 امر ربهم وحملهم ذلك على عقور الناقة فاجمعوا على عقورها. وكانت امرأتان من
 ثمود يقال لاحدهما عنيز بنت غنم وكانت عجوزا مسنة وهي امرأة دواب بن عمرو
 وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم والمرأة الاخرى يقال لها
 صدوق بنت المحيا بن دهر. وكانت جميلة غنية ذات مواش كثيرة. وكانتا من اشد
 الناس عداوة لصالح عليه السلام. وكانتا تجاز عقور الناقة لما اضرت بمواشيها
 فتحيلتا في عقور الناقة فدعت صدوق رجلا من ثمود يقال له الحجاب لعقور الناقة
 وعرضت عليه نفسها ان هو فخل فابي عليها. فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن
 مهزج بن المحيا. وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة. وكان من احسن الناس وجها
 واكثرهم مالا فاجابها الى ذلك. ودعت عنيزه بنت غنم قذار بن سالف وكان رجلا
 احمر ازرق قصيرا. وبن عمون انه كان ابن زانية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه
 فعالت عنزة لقذار بن سالف اى بناتى شبا اعطيتك على ان تعقر الناقة. وكان قذار
 عزيزا منيعا في قومه. وفي الصحيحين عن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه
 وسلم يقول كخط وذكر الناقة والذي عقورها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث
 اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابي زمعة. قوله انبعث
 لعنى وام بسرعة. والعارم الحبيث الشرير. والعرامة الشده والقوة والشراسة
 والمنع الممنوع ممن اراده. قال اصحاب الاخبار فانطلق قذار بن سالف ومصدع
 ابن مهزج فاستغوثا غواة ثمود فاتبعم سبعة نفر. وكانوا تسعه رهط. فانطلق
 قذار ومصدع بن مهزج واصحابهما فرصدوا الناقة حتى صدرت عزالما وقد كمن لها
 قذار في اصل صخرة على طريقها. وكمن لها مصدع في اصل صخرة اخرى فصررت على مصدع

فرماها بسهم فانتظروا به عضلة ساقها . وخرجت امر عيزر وامرت ابنتها فكشفت
 عن وجهها . وكانت من احسن الناس وجهها ليراها قذار . ثم ذمرتة بعني خشته على عقرها
 واغرته به . فشد قذار على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاء
 واحده . فتخذ رسقبا من الجبل . ثم طعز قذار في لبثها فخرها . فخرج اهل البلده
 فاقتسموا لحمها . فلما راي سقبا ذلك اطلقها ربا حتى اتى جبلا منيعا يقال له صبور .
 وقيل فاره . واتى صالح عليه اللام فقل له ادرك الناقة فقد عقرت . فاقبل نحوها .
 وخرج اهل البلد تلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يا بنى الله انما عقرها فلان ولا
 ذنب لنا . فقال صالح انظروا هل تدركون فضيلها . فان ادركتموه فغسي ان يرفع عنكم
 العذاب فخرجوا في طلبه فراوه على الجبل . فذهبوا لياخذوه فاوحى الى الجبل ان تظاول
 فتظاول حتى ماتت له الطير . وجاء صالح عليه اللام فلما راه الفضيل بكى حتى سال دموعه .
 ثم رعى ثلاثا . ثم انفجرت الصخرة فدخلها . فقال صالح لكل دعوة اجل يوم . تمتعوا
 في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب . وقال ابن اسحق تبع السقبا ربعة
 نفر من الشعة الذين عقروا الناقة . وفيهم مصدع بن مهنح واخوه دواب فرماه
 مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جذب فانزله . والقوا لحمه مع لحمه . وقال لهم صالح
 اتهمكم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته . فقالوا وهم يهزؤون به ومتى ذلك
 ما صالح وما اية ذلك . وكانوا سمنون الايام في ذلك الوقت الاحد اوله والانيس
 اهون . والثلاثا دبار . والاربعاء جبار . والخميس مونس . والجمعة العروبه . والسبت
 شيار . وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء . فقال لهم صالح عليه اللام حين والوا ذلك
 يصبحون غدا يوم مونس ووجوهكم مصفرة . ثم يصبحون يوم العروبه ووجوهكم بحمره .
 ثم يصبحون يوم شيار ووجوهكم مسوده . ثم يصبحكم العذاب يوم اول . فلما قال لهم
 صالح ذلك قال الشعة الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا . فان كان صادقا عجلناه
 قبلنا . وان كان كاذبا كنا قد الحقناه بناقته . فانوه ليلا ليستوه في اوله فدمغتهم
 الملائكة بالحجارة . فلما ابطوا على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم وقد رضحوا

بالحجارة فلما ابطا وعلى اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم وقد رضخوا بالحجارة
 فقالوا لالصالح انت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشرته دونه وقالوا لا تقبلونه ابدا
 قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان كان صادقا لم تزيد وار بكم الا غضبا
 عليكم وان كان كاذبا فانتقم من وراما تزيدون فانصرفوا عنه بكل الليله فاصبحوا
 يوم الخميس ووجوههم مصفرة كما نطليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم واناسهم
 فاتفقوا بالعذاب وعرفوا ان صالحا صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتلوه فمضت منهم
 ولحق يحيى من بطون ثمود فقال لهم بنوا غنم فنزل على سيدهم واسمه نقيل وكنى بابي
 هذب وهو مشرك فمنع صالحا فلم يقدر واعليه فغمد والى اصحاب صالح ليدلوهم
 عليه فقال رجل من اصحاب صالح يقال له مبدع بن هزرميا بنى الله انهم يجذبونا
 لنذلهم عليك افند لهم عليك وال نعم فدلوهم عليه فاتوا ابا هذب فكلموه في امر
 صالح فقال هو عندى وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما نزل بهم
 من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما امسوا صاحوا كلهم
 باجمعهم الا قدمضى يوم من الاجل فلما اصبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة
 كما تخضب بالدم فصاحوا وصجوا وبكوا وايقنوا انه العذاب فلما امسوا صاحوا
 باجمعهم الا قدمضى يوما من الاجل وحضركم العذاب فلما اصبحوا اليوم الثالث
 اذا وجوههم مسودة كما نطليت بقار فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب
 فلما كان ليلة الاحد خرج صالح من منزلهم ومن اسلم معه الى الشام فنزل رملة
 فلسطين فلما اصبحوا في اليوم الثالث بكفوا وتحنطوا والقوا بانفسهم الى الارض
 فقلبون اصارهم الى السما مرة والى الارض مرة لا يدرون من اين ياتهم العذاب فلما
 اشتد الضجى من يوم الاحد اتتهم صيحة عظيمة من السماء فنها صوت كل صاعقه وصوت
 كل شئ له صوت في الارض فمقطعت فلو بهم في صدورهم وهلكوا جميعا الاجارية
 مقعده يقال لها ذريعة بنت سلف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح واطلق
 الله تعالى رجليها بعد ما عاينت العذاب وما اصاب ثمود فخرجت مسرعة حتى اتت

وادي القرى فاخبرتهم بما عاين من العذاب الذي يشود ثم استسقت ما استسقت
فما شربت مائت في الحال **وذكر السدي** في عقرة الناقة وجه اخر فقال
اوحى الله تعالى الى صالح عليه السلام ان قومك سيعقرون ناقةك فقال لهم ذلك صالح
فقالوا ما كنا لنفعل فقال صالح انه سيولد في شهر كرم غلام يعقرها فيكون هلاككم
على يديه فقالوا لا يولد لنا في هذا الشهر ولد الا قتلناه **قال** فولد لتسعة منهم في
ذلك الشهر اولاد فدكحهم ثم ولد للعاشر ولد فابى ان يذبحه لانه كان لم يولد له
قبل ذلك ولد وكان الولد الذي ولد له احمر ازرق فنبت نباتا سريعا وكان اذا
مر بالتسعة فراوه والوالو كان ابنا ونا حيا لكانوا مثل هذا الغلام فغضبت التسعة
على صالح لانه كان سبب قتل ابنايم فتقاسموا بالله **بعضي** فتخالفوا بالله لتبئته
واهلكه وقالوا نخرج فتركنا الناس انا قد خرجنا الى سفر فنادى الغار فتكون فيه
حتى اذا جاء الليل وخرج صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم رجع الى الغار فتكون
فيه ثم ننصرف الى رحلتنا فنقول ما شهدنا مهادنا مهاد اهله وانا لصادقون فيصدقونا
فيظنون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام معهم في القرية بل كان يبيت
في مسجده خارج القرية فاذا اصبحت اتاهم فيعظمهم ويذكرهم فاذا امسى خرج الى
مسجده فيتعبد فيه **قال** فاطلق التسعة الى الغار فدخلوا فنسقط عليهم فقلهم
فاطلق رجال ممن كان قد اطلع على امرهم لينظروا ما فعلوا وليك النفر فراوهم وهم راضح
فرجعوا الى القرية يصيحون ما رضى صالح بقتل اولادهم حتى قلهم فاجتمع اهل القرية
على عقرة الناقة **وقال** ابن اسحق كان التسعة قد تقاسموا على تبئيت صالح بعد
عقرة الناقة **وقال** السدي وغيره لما ولد للعاشر ولد سماه قذارا فكان
يشب سريعا فلما اكبر جلس مع انا بس شربون اخمر فارادوا ما ليمزجوا به شرابهم
وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد ذلك عليهم
والوا ما نضع نحن بلبن هذه الناقة ولو كنا نأخذ هذا الماء الذي تشربه الناقة
فنسقيه لانعامنا وزروعنا كان خير لنا **فقال** العاشر هل لكم ان اعقرها لكم قالوا

نعر فقورها. وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال لما مر رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم
 الا ان تكونوا باكين ثم قنع راسه واسرع السير حتى جاوز الوادي وفي رواية
 لمسلم لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ثم ذكر مثله. ولهم ايضا عنه رضي الله عنه
 ان الناس نزلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر ارض شؤد فاستقوا من ابارها
 وعجنوا به العجين فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهرقوا ما استقوه ويعلفوا
 الابل العجين وامرهم ان يستقوا من البير التي كانت تردها الناقة وللبخاري
 ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا من ابارها
 ولا يستقوا منها فقالوا قد عجننا منها واستقيننا فامرهم النبي صلى الله عليه وسلم
 ان يطرحوا ذلك العجين ويهرقوا ذلك الماء وفي بعض الاحاديث قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لا تسالوا رسولكم الا بالات هو لا قوم صالح سالوا رسولهم فبعث الله
 الناقة فكانت ترد من هذا الفخ وتصدر من هذا الفخ وتشرب ماءهم يوم وريدها
 وراهم مرتقى الفصيل من القارة فعتوا عن امر ربهم وعقروها فاهلك امر تحت
 اديم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الارجل واحد يقال له ابو رغال وهو
 ابو ثقيف كان في حرم الله فضعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب
 قومه فدفن ودفن معه عضو من ذهب وراهم قبر ابي رغال فنزل القوم فابتدروه
 باسيافهم وحفروا عنه فاستخرجوا ذلك العضو وكانت الفرقة المومنة من قوم صالح
 اربعة الاف خرج بهم صالح الى حضرموت فلما دخلها مات صالح فسمي حضرموت ثم
 بنى الاربعة الاف مدينة وسموها حاضورا وقال قوم من اهل العلم توفي
 صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمس سنة واقام في قومه عشرين سنة والله اعلم
 قوله عز وجل ولو طأذ قال لقومه قال الفرأ لو طأ مشتق من قولهم هذا
 اليط بقلبي اي الصق وقال بعضهم ان لو طأ يجوز ان يكون مشتقا من لطت الكوض
 اذا ملسته بالطين وهذا القول لا يصح لان الاسما الجمية لا تشق كاسحق فلا يقال من

من السحق وهو البعد وإنما صرف لوط لحفته لأنه على ثلاثة أحرف وهو ساكن الوسط
وقال سيبويه نوح ولوط اسماء العجمية الا انها خفيفة فلذلك صرف والله اعلم
وقوله تعالى ولوطا نعي وارسلنا لوطا وقيل معناه واذكرنا محمد لوطا وهو لوط بن
هاران بن تارح وهو ابن اخي ابراهيم وابراهيم عمته وقومه هم اهل سدوم واليهم كان قد
ارسل وذلك ان لوطا علمه اللام لما هاجر مع عمته ابراهيم عليه السلام الى الشام فنزل
ابراهيم ارض فلسطين ونزل لوط الاردن فارسله الله الى اهل سدوم بدعوهم الى الله تعالى
وسنهاهم عن فعلهم البشع وهو قوله تعالى **اتاتون الفاحشة** يعني اتفعلون الفعله الخبيثة
التي هي غاثة في البشع وكانت فاحشتم اتان المذكور مع الكفر بالله **ما سبقكم بها من احد**
من العالمين قال العلماء من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق
والثانية للاستغراق للتبعية والمعنى ما سبقكم ايها القوم بهذه الفعله الفاحشة
احد من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم وبقرح على فعلهم تلك الفاحشة
قال عمرو بن دينار ما نرا ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط والمحدون بزعمون
ان ذلك كان قبلهم والصدق ما ورد به القران وحكى النقاش ان ابليس كان اصل عملهم
بان دعاهم الى نفسه لعنه الله فكان ينيح بعضهم بعضا وقال الطي ان اول من عمل عمل
قوم لوط ابليس وذلك ان بلاد قوم لوط اخصبت وانتجعتها اهل البلدان فتمثل لهم ابليس
في صورة شاب ثم دعى الى دبره فنكح في دبره فامر الله السماء ان تخصبهم وامر الارض ان
تخصب بهم وقال الحسن كانوا يفعلون ذلك بالغربا ولم يكن يفعلها بعضهم بعضا وروى
ابن ماجه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف
ما اخاف على امتي عمل قوم لوط وقال محمد بن سيرين ليس شي من الدواب يجعل عمل قوم
لوط الا الخنزير والحمار قال وقوله تعالى اتاتون الفاحشة يعني اتان المذكور ذكرها
الله تعالى باسم الفاحشة لئلا يسهل انما زنا كما قال تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة
واختلف العلماء فيما يجب على من فعل ذلك بعد اجماعهم على تحريمه فقال الامام مالك
يرجم احصن ولم يحصن وروى عنه ايضا انه يرحم ان كان محصنا ويورد ان كان غير محصن

وقال الامام ابو حنيفة يعز المحض وغيره وهو رواية عن الامام مالك وقال الامام
 الشافعي كحد الزنا احتج الامام مالك بقول الله تعالى وامطرا عليهم حجارة من سجيل
 وكان ذلك عقوبة لهم وجزا على فعلهم وقال الامام ابو حنيفة انما كانت عقوبتهم على
 الكفر بالله والتكذيب كساير الامم ولان صغيرهم وكبيرهم دخلوا في العقوبة وهم خارجون
 في باب الحدود وقوله **انكم لتاتون الرجال** يعني اديبارهم **شهوة مزدون النساء** يعني
 ان اديبار الرجال اشهى عندكم من فروج النساء **بل انتم قوم مسرفون** اي بل انتم ايها القوم
 مجاوزون المحلال الى الحرام وانما اذمتهم وغيرهم ووجهم بهذا الفعل الخبيث لانه
 تبارك وتعالى خلوا الانسان وربك منه شهوة النكاح لبقا النسل وعمران الدنيا وجعل
 النساء محلا لتلك الشهوة وموضع النسل فاذا تركهن الانسان وعدل عنهن الى غيرهن
 من الرجال فكأنما قد اسرف وجار واعتدى لانه وضع الشيء في غير موضعه الذي
 خلقه لان اديبار الرجال ليس محلا للولادة التي هي مقصوده تلك الشهوة المركبة
 في الانسان وكانت **قصة** قوم لوط على ما ذكره محمد بن اسحق وغيره
 من اهل الاخبار والسير انه كان قري قوم لوط محضبة ولهم ثمار وزروع كثيرة
 لم يكن في الارض مثلها فقصدتهم الناس فاذوهم وضيقوا عليهم فغرض لهم ليس في
 صورة شيخ وقال لهم ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوت منهم فابوا فلما اح الناس عليهم
 وفسدوهم فاصابوا غلما ناصبا حا فاختنثوا واستحك ذلك فيهم ونقدم
 قول الحسن انهم كانوا الاسحون الا الغريباء **وقال** ان ذلك الفعل استحك فيهم حتى يك بعضهم
 بعضا ثم اخبر الله تعالى عن جوابهم لنبيهم لما نهاهم عن فعلهم القبيح بقوله **وما كان جواب**
قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريبتكم يعني وما كان جواب قوم لوط بلوط اذ وجهم
 على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله تعالى عليهم من العمل الخبيث الا ان قال بعضهم لبعض
 اخرجوا لوطا واتباعه واهل دينه من بلدكم **انهم اناس يتطهرون** يعني انهم يتنزهون
 عن فعلكم وعن اديبار الرجال لانه موضع النجاسة ومن تركه فقد تطهر **وقال** ان البعد
 عن المعاصي والامام يسمى طهارة فمن ساعد عن المعاصي والامام فقد تطهر **فلهذا**

قالوا انهم اناس يتطهرون يعني من فعل المعاصي والآثام. قال الله تعالى **فاجتنبوا** واهله
يعني فاجتنبوا لوطا ومن امن به واتبعه على دينه. **وقيل** المراد باهله المتصلين به سبب
النسب والمراد باهله ابنتاه **الا امراته** يعني زوجته **كانت من الغابرين** يعني كانت
من الباقيين في العذاب لانها كانت كافرة. **وقيل** معناه كانت من الباقيين المعجزين قد
اتي عليها دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط. **واما** قال من الغابرين ولم يقل
من الغابرات لانها هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين. بقول العرب
عبر الشئ اذا مضى وعبر اذا بقي وهو من الاضداد. **وقال** الزجاج كانت من الغابرين اي
الفاش عن النجاة **وامطرتنا عليهم مطرا** يعني حجارة من سجيل قد عجت بالكبريت والنار
وقيل ارسل الله عليهم نوعا من المطر عجيبا. **وقيل** خسف بالمقيمين منهم. **وامطرت** الحجارة
على مسافريهم. **نقال** مطرت السماء وامطرت. **وقال** ابو عبيد نقال في العذاب امطره
وفي الرحمة مطر. **نقال** مطرتهم السماء اصابتهم بالمطر. **وامطرتهم** اصابتهم بالعذاب الا
تركى الى قوله في سورة الشعراء فسا مطر المنذرين. **وقوله** **فانظر كيف كان عاقبة المجرمين**
يعني انظروا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا الفواحش كيف
اهلكناهم. **قال** مجاهد نزل جبريل عليه السلام فادخل حناحه تحت مداين قوم لوط
فاقتلعها ورفعها الى السماء ثم قلبها فجعل اعلاها اسفلها ثم اتبعوا بالحجارة ولما
جعل عاليها سافلها سمع اهل السماء نباح كلاهم وصياح ديكهم. **وامطرت** عليها حجارة من
سجيل. **قبل** امطرت الحجارة على من غاب منهم. **وادرك** امرأة لوط حجر فقتلها وكانت
معه. **وكانت** مداين قوم لوط اربع مداين. **وقيل** خمس مداين فيها اربعة الف.
وستاتي قصة لوط في سورة هود يابين من هذا ان شاء الله تعالى. **وروى** صاحب الكشاف ان
ان تاجر منهم كان في الحرم فبقي الحجر معلقا من السماء والارض اربعين يوما حتى قضى تجاره
وخرج من الحرم فوقع عليه فقتله. **وقوله** **فانظر كيف كان عاقبة المجرمين** قال العلماء
وان كان هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره من امنه لمعتبر واما جرك
على اولئك فبئزجروا بذلك الاعتبار عن الافعال البشعة والفواحش الخبيثة. والله اعلم.

قوله عز وجل **والى مدينا خاهم شجيبا** **عنى** وارسلنا الى مدينا ذهب اكثر المفسرين
 الى ان مدينا اسم رجل وهو مدني وقيل مديان بن ابراهيم الحليل عليه السلام فعلى هذا
 يكون المعنى وارسلنا الى ولد مدني ومدني اسم للقبيلة كما يقال بنوا تيم وبنو اعدى
 وبنو اسد وقيل مدني اسم للما الذي كانوا عليه وقيل هو اسم للمدينة وعلى
 هذين القولين يكون المعنى وارسلنا الى اهل مدني والصحيح هو الاول لقوله تعالى اخاهم
 شعبا **عنى** في النسب لا في الدين وشعب هو ابن توبة بن مدني بن ابراهيم عليه السلام
 وهذا قول عطاء وقال محمد بن اسحق هو شعبت ابن ميكيل بن شجر بن مدني بن
 ابراهيم عليه السلام وام ميكيل بنت لوط وقيل هو شعبت بن ثيرون بن ثوبت بن
 مدني بن ابراهيم عليه السلام وقيل هو شعبت بن شجر بن لاوي بن يعقوب بن اسحق
 بن ابراهيم عليه السلام وكان شعب اعمى وكان يقال له خطب الانبياء الحسن مراجعته
 قومه وكان قومه اهل كفر وبخر في المكال والميزان وقيل لم يكن اعمى لان اعمى
 نقص في حق الانبياء عليهم السلام على ما تاتي بيانه ان شاء الله **قال باقوم اعبدوا الله** اي وحدوا
 الله **ما لكم من اله غيره** اي ليس لكم معبود سواه **قد حاتم سنه من ربكم** **عنى** قد جاكم حجة
 وبرهان من ربكم بحقيقته ما اقول وصدق ما ادعى من النبوه والرسالة اليكم لانه لا
 يدل كل بني معجزة تدل على صدق ما جابه من عند الله تعالى غير ان تلك المعجزة التي
 كانت لشعب لم تذكر في القرآن ولست كل امات الانبياء المذكورة في القرآن وقيل
 اراد بالبينه محي شعبت بالرسالة اليهم وقيل اراد بالبينه الموعظة وهي قوله
فاوفوا الكيل والميزان وقال بعضهم ايضا معنى قوله قد حاتم سنه من ربكم اي معجزة
 شاهده بصحة نبوتى اوجبت عليكم الامان والاخذ بما امركم به والانتها عما نهاكم
 عنه فان قل ما معجزة **قيل** لم تذكر معجزاته في القرآن كما لم تذكر جميع
 معجزات نبيسا وسدا محمد صلى الله عليه وسلم منه **قالوا** ومن معجزات شعبت عليه السلام
 محاربة عصي موسى التنين حين نام وترك الغنم ترعى **وولادة الدرع خاصة**
 حين وعد موسى ان يكون له الدرع من اولادها **والدرع** من الشاء ما اسود

راسه و ابيض سايره . و يقال للانشى ذرعا . و وقوع عصي آدم على يده في المرات السبع .
و تغصن العصى و حملها اى ثمره شاموسى . و حملها متاع موسى و رعايه الغنم .
و محاربة عدو ان عرض له . و ان تصير كالذلو بسقى بها غنمه ان احتاج . فان
ذلك كله كان معجزه لشعب عليه اللام . لان موسى بعد لم يكن نبيا . و انما كان اجيرا
لشعب لرعايه غنمه . و لم تحصل له النبوه الا بعد تزوجه بنت شعب و توجهه بها
و باولاده فاصدا مصر لزيارة والدته و اخيه على ما يتبايانه عند قول الله تعالى فلما
فضى موسى الاجل و سار باهله أسر من جانب الطور نارا ان شا الله . و قوله فافوا الكلد
و الميزان اى اتوا الكلد و الميزان و اعطوا الناس حقوقهم . و هو قوله **ولا تخسوا الناس**
اشاهم يعنى لا تظلموا الناس حقوقهم . و لا تنقصوهم اياها فتطففوا الكيل و الوزن .
و كانوا يخسوا الناس كل شىء في مباحاتهم . يقال نخس فلان فى الكيل و الوزن اذا انقصه
و طففه . و قال صاحب الكشاف ان قوم شعب كانوا مكاسين . لا يدعون شاة الا مكسوه
كما يفعل امرؤ الكرمين . و قال غيره البخس هو النقص . و النقص تارة يكون فى السلعة
بالتعيب . و تارة يكون بالترهيد فيها . و تارة يكون بالمخادعة عن القيمة . و الاحتيال
و التزيد فى الكيل و النقصان و كل ذلك من اكل المال بالباطل . و ذلك منهي عنه فى الامر
المتقدمة على السنة الرسل عليهم اللام . و قوله **ولا تفسدوا فى الارض بجد اصلاحتها**
يعنى بعد ان اصلاحتها الله ببعثه الرسل و اقامة العدل . و كل شىء يبعث الى قوم فهو صلاحهم
و قال ابن عباس رضى الله عنه كانا لارض قبل ان يبعث الله شعيبا رسولا يحمل فيها بالمعاصى
و تستحل فيها المحارم و تسفك فيها الدماء . و ذلك فسادها . فلما بعث الله شعيبا عليه اللام
و دعاهم الى الله عز و جل صلت الارض . و قوله **ذلكم** يعنى الذى ذكرت لكم و امرتكم به من الايمان
بالله و وفا الكيل و الميزان و ترك الظلم و البخس **خير لكم** يعنى مما انتم عليه من الكفر و ظلم
الناس و قتل خير لكم فى الدارين **ان كنتم مومنين** يعنى ان كنتم مصدقين . فولى ذلكم خير لكم .
ولا تقعدوا بكل صراط توعدون يعنى ان شعيبا عليه اللام قال لقومه الكفار و لا تقعدوا
على كل طريق من طرق الدين و الحق تمنعون الناس من الدخول فيه و تهددونهم على ذلك .

وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يريد الايمان بالله ورسوله شيع
 وهو قوله **وتصدون عن سبيل الله من آمن به** يعني ومنعون من يريد الايمان بالله
 ويقولون ان شيعيا كذاب ويخوفونهم بالقتل **قال** ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يجلسون
 على الطريق فخيرون من اتى عليهم ان شيعيا الذي تريدون كذاب فلا تفتنكم عن دينكم
واختلف العلماء في معنى يعودهم على الطريق **على** بلاه معان **فقال** ابن عباس وقناة
 ومجاهد والسدي كانوا يتعدون على الطرقات المفضية الى شعب فتوعدون من
 اراد المجي اليه ويصدونه ويقولون انه كذاب فلا يذهب اليه كما كانت قرش يفعل
 مع النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ظاهر الاية **وقال** ابو هريرة رضي الله عنه هذا نهي عن
 قطع الطريق واخذ السلب وكان ذلك من فعلهم **وروي** عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
 قال رأت ليلا مسرى بي خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب الا شقته ولا شي الا خرقة
 فعلت ما هذا ناجيريل **قال** هذا مثل لقوم من امتك يتعدون على الطريق فيقطعونه
 ثم لا قول الله تعالى ولا تتعدوا بكل صراط توعدون الى اخرها **وقدم** في القول في
 اللصوص والمخاريس **وقال** السدي ايضا كانوا عشارين متقلبين **قال** العلماء ومثلهم
 اليوم هولا المكاسون الذين ياخذون من الناس مالا يلزمهم شرعا من الوظائف المالية
 بالفهر والجبر فضمنوا مالا يلزمهم من الزكوات والموارث والملاهي
 والمترتب في الطرق الى غير ذلك مما اكثر في الوجود **وعمل** به في سائر البلاد وهو
 من اعظم الذنوب واكبرها وافحشها **فانه** غضب وطم وعسف على الناس واذا عت
 للمنكر وعمل به ودوام عليه واقتراره **واعظمه** تضمين منصب الشرع والحكم
 والفضا فان الله وانا اليه راجعون **لم** يتو من الاسلام الا رسمه **ولامن** الدر الاسمه
وقوله **وتبغونها عوجا** يعني وتريدون اعوجاج الطريق عن الحق وعدولها عن القصد
 وقيل معناه ويلمسون لها الزبغ والهلاك **ولا** يستقيموا على طريق الهدى والرشاد
واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم يعني ان شيعا عليه السلام ذكرهم نعمة الله عليهم **قال** الزجاج
 يحتمل ذلك بلاه اوجه **كثر** عددكم **وكثر**كم بالغنا بعد الفقر **وكثر**كم بالقدره بعد

الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا فقرا ضعفا فهم منزله القليل والمعنى انه اكثركم
بعد القلة واعزكم بعد الذلة فاشكروا نعمة الله عليكم وامنوا به **وقال** ان مدبر
ابن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله في سلسها بالبركة والنمأ فكثروا **وانظروا**
كف كان عاقبة المفسدين يعنى وانظروا نظرا اعتبارا ما نزل من كان قبلكم من الامم السالفة
والقرون الخالية حين عتوا على ربهم وعصوا رسوله من العذاب والهلاك واقرب الامم
اليكم قوم لوط فانظروا كيف ارسل الله عليهم حجارة من السماء عصوه وكذبوا رسوله
قال بعض المفسرين في هذا دلالة على ان الله تعالى لم ياخذ امة بكفرها حسبت حتى يضيفوا
اليه ذنبا غيره **وان كان طائفه امنوا بالذي ارسلت به وطائفه لم يؤمنوا** يعنى وان
اختلفتم في رسالتى فصرتم فرقتين فرقة امنت بى وصدقتم رسالتى وفرقة كذبت
وحذرت رسالتى **فاصبروا** وفى هذا وعيد وتهديد **حتى يحكم الله بيننا** يعنى حتى يقضى الله
بيننا ويفصل بيننا فيجزى المومن المصدقين وينصرهم وبهلك المكذبن الكاحدين ويجذبهم
وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم وهو حث للمومن على الصبر واحتمال ما كان
يلحقهم من المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم **وقال** هو خطاب للفرقتين
ومعناه ليصبر المومنون على اذى الكفار والكافرون على ما يسوؤهم من ايمان من آمن منهم
حتى يحكم الله فيميز الجنة من الطيب **وهو خير الحاكمين** يعنى انه تعالى حاكم عادل منزله
عن الجور والميل والحيف في حكمه **واما** قال خير الحاكمين لانه قد سمي بعض الاشخاص
حاكما على سبيل المحاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة فلها قال وهو خير الحاكمين
ثم اخبر تعالى عن تواعد قوم شعبله بالخراج من بلادهم بقوله **والاملا الذر استكروا**
من قومه اى والجماعة من اشراف قومه الذر يكبروا عن الايمان بالله ورسوله وتعطوا
عن اتباع شعيب **لنخرجنك با شعبل** والذر امنوا معك من قريتنا اولئك قريتنا
يعنى ان قوم شعبل اجابوه بان والوا لا بد من احد امرين اما اخراجك ومن تبعك على
دينك من بلدنا اولئك جزى الى ديننا وملتنا وما نحن عليه **وهذا** فيه اشكال
وهو ان شعبا عليه اللام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه **فما** يعنى قوله

اولتعودون في ملتنا. واجيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعب كانوا قبل الاعمانيه
 على ملة اولئك الكفار. فخطبوا شعبيًا واتباعه جميعًا. فدخل هو في الخطاب وان لم يكن
 على ملتهم قط. وقبل معناه لتصيرن الى ملتنا. فوقع العود على معنى الابتداء كما تقول
 قد عاد علي من فلان مكروه. معنى قد لحقني منه ذلك. وان لم يكن قد سبق منه مكروه.
 فهو كما قال الشاعر.

فان تكن الايام احسن مرة. الى فقد عادت لهن ذنوب. و
 اراد فقد صارت لهن ذنوب. ولم يرد ان ذنوبها كانت لهن قبل الاحسان والله اعلم
 وقوله **والاولو كما كارهين** يعني لا تعود في ملتكم وان اكرهتمونا واجبرتمونا على الدخول
 فيها فلا تقبل ولا تدخل. والهمزة في اولو للاستفهام والواو للحال كذا ذكره بعضهم
 وقال بقدره اتعبد ونا في ملتكم في حال عدم كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا نعم.
 فقال شعب عليه اللام **قد افترنا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد ان نجانا الله
 منها** وهذا قسم على تقدير حذف اللام اي والله لقد افترنا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم
 بعد ان نجانا الله منها. وفي لفظ اخر ان شعبا عليه اللام اجاب قومه اذ دعوه ومن
 آمن الى العود الى ملتهم والدخول فيها. فقال **قد افترنا** اي قد اخترقنا على الله كذبا
 ونخرصنا عليه من القول باطلا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فساد ما انتم عليه
 من الملة والدين وقد انقذنا الله وخلصنا منها وبصرتنا خطاياها. وهذا ايضا
 منه من الاشكال مثل ما في الاول. وهوان شعبا عليه اللام ما كان في ملتهم قط حتى
 يقول ان عدنا في ملتكم بعد ان نجانا الله منها. والجواب عنه مثل ما اجيب عن
 الاشكال الاول. وهوان نقول ان الله تعالى نجى قومه الذين امنوا به من تلك الملة الباطلة
 الا ان شعبا نظر نفسه في جبلتهم وان كان بريًا مما كانوا عليه من الكفر فاجرى الكلام
 على حكم التغليب وقبل معنى قوله نجانا الله منها اي علمنا قبح ملتكم وفسادها فكانه
 خالصا منها. وقوله **وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان نشأ الله ربنا** يعني وما ينبغي
 وما يكون لنا ان نرجع الى ملتكم ونترك الحق الذي نحن عليه الا ان نشأ الله ربنا. يعني الا

ان يكون قد سبق في علم الله ان يعود فيها فحينئذ معنى قضاء الله وقدره فيما وسفد
سابق مؤمشته علينا. **وقال** الواحدى معنى العود هما الابتداء. والذي عليه اهل العلم
والسنة في هذه الامة ان شعنا عليه اللام واصحابه فالو اما كنا لنرجع الى ملتكم بعد اذ
وقفنا على انها ضلالة تكسب دخول النار الا ان يريد الله اهلا كما فامورنا راجعة
الى الله غير خارجة عن فضته. يسعد من شأنا بالطاعة. وشقى من شأنا بالمعصية.
وهذا من شعيب وقومه استسلام للمشية. ولم ينزل الا نبأ والا كما برحاقول العاقبة
وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل ارحم عليه اللام واجنبني ونى ان نعبدا الاضنام.
وكان سديا وسنا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول ما قبلت القلوب ثبت قلبى على
دينك. **وقال** الزجاج المعنى وما يكون لنا ان يعود فيها الا ان يكون قد سبق في
علم الله ومشيته ان يعود فيها. **قال** وهذا قول اهل السنة اى وما يقع منا العود الى الكفر
الا ان شاء الله ذلك. فكون الاستساق منقطعا. **وقال** الاستساق هنا على حمة التسليم لله
عروجك. كما قال وما توفى الا بالله. **والدليل** على هذا قوله بعده **وسع رسا كل شى علما**
بمعنى انه تعالى يعلم ما يكون فدان يكون وما سيكون. **وانه** تعالى كان علما فى الازل بجميع
الاشياء. **فالسعيد** من سعد فى علم الله تعالى. **والشقى** من شقى فى علم الله تعالى. **وقال** بعضهم
انه سبحانه عالم بكل شى فهو يعلم احوال عباده كيف تتحول. **وقل** لو بهم كيف تتقلب **على الله**
توكلنا اى على الله يعتمد واليه نستند فى امورنا كلها. **فانه** الكافي لمن يوكل عليه.
والمعنى على الله توكلنا لا على غيره. **فكانه** ترك الاسباب ونظر الى مسبب الاسباب. **وقال**
بعضهم على الله توكلنا فى ان ثبتنا على الاسلام. **ويوفقنا** لزيادة الاتقان **رسا افتح سننا**
وسن قومنا بالحق **قال** العلماء ان شعنا عليه اللام لما ايسر من ايمان قومه دعاهم هذا
الدعا فقال رسا افتح اى افض وافضل واحكم سننا وسن قومنا بالحق **بمعنى** بالعدل الذى
لا جور فيه ولا ظلم ولا حيف. **قال** فاده بعث الله شعنا الى اميين اهل مدنى واصحاب
الابكة **وقوله** **وان خير الفاتحين** **بمعنى** خير الحاكمين. **قال** الفران اهل عمان يسمون
القاضي الفاتح والفتاح. **وقال** غيره من اهل اللغة هي لغة مراد. **واشد** لبعضهم

الا ابلغ بنى عصم رسولاً فاني عن فتاحكم غني
 اراد انه غني عن حاكمهم وقاضيهم وقال ابن عباس رضي الله عنه ما كنت ما ادرك ما معنى
 قوله ربنا افتح سنا وسن قومنا بالحق وانت خير الفاتحين حتى سمعة ابنة ذي يزن
 تقول يقال افا فتحك يعني افاضك وهذا قول قتادة والسدي وابن جرير وجهور
 المفسرين ان الفاتح هو القاضي والحاكم سمي بذلك لانه يفتح اغلاق الاشكال من الخوضوم
 ويفصلها وقال الزجاج وجايز ان يكون معناه ربنا اظهر امرنا حتى يفتح سنا وبين
 قومنا ونكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يدل على كونهم مبطلين وعلى كون
 شعب وقومه محقين وعلى هذا الوجه فالفتح يراد به الكشف والتميز ثم اراد الله تعالى
 ذكر قول الاشراف للاتباع فقال محبر اعنهم **وقال الملا الذين كفروا من قومه لئن اتبعتهم**
شعسا انكم اذا الخاسرون يعني وقال جماعة من اشراف قوم شعب ممن كفروا به لآخرين منهم
 لئن اتبعت شعسا على دينه وتركتم دينكم وملتكم وما اتم عليه انكم اذا الخاسرون يعني انكم
 لمعبونون في فعلكم لغوات فوايد البحر والتطيف باتباعه لانه سهاكم عنهما ويامركم
 بالايضا والتسوية وجواب القسم الذي وطأته اللام في قوله لئن اتبعتم وجواب الشرط
 هو قوله انكم اذا الخاسرون فهو سد مسد الجوابين قال الله تعالى **فاخذتم الحفرة**
 يعني الزلزلة الشديده الذي زلزلت بها الارض واصطرت **فاصبحوا في ارضهم جامئين**
 قال ابن عباس وغيره فتح الله عز وجل عليهم نارا من جهنم فارسل عليهم حرا شديدا
 فاخذ بانفاسهم فلم يسمعهم ظل ولا مآ فدخلوا في الاسراب لتبرد وانها فوجدوها
 اشد حرا من الظاهر فخرجوا هربا الى البرية فععب الله عليهم سحابة فنهارج طيبة
 باردة فاظلمت وهي الظلة فوجدوا لها بردا وسيما فناردي بعضهم بعضا حتى اذا
 اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم الهبها الله عليهم نارا ورجفت بهم
 الارض من حثهم فاحترقوا كما احترق الجراد في المقللا وصاروا رمادا وروى ابيه
 تعالى حبس عنهم الريح سبعة ايام ثم سلط عليهم احر حتى هلكوا وقال قتادة بعث الله
 شعسا الى اصحاب الانكة والى اهل مدن فاما اصحاب الانكة فاهلكوا بالظلة واما

اهل مدین فاخذتهم الصحة . صاح بهم حر بل عليه اللام صحة هلكوا جميعا . قال ابن
 عباس رضي الله عنهما ان شعسا عليه اللام كان اكثر الصلاة . فلما طال تمارى قومه في كفرهم
 وعيهم وببس من صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح سبنا وسنقومنا بالحق الالة فاستجاب
 الله دعاه فاهلكهم بالرجفة . قال تعالى فاخذهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثم .
 وقال في سورة الشعرا فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم . قال
 ابن اسحق بلغني ان رجلا من اهل مدین يقال له عمرو بن جلهما لما رأى الظلة فيها العذاب انشد
 نقول يا قوم ان شعبا مرسل فذرُوا . منكم سميرا وعمران بن شداد .
 انى ارى عينه يا قوم قد طلعت . تدعوا بصوت على صمانة الوادى .
 فانه لن تروا فيها ضحا عيد . الا الرقيم تمسنى بين الجحاد .
 وسمير وعمران كاهنان لهم . والرقيم كلب لهم . قال ابو عبد الله البجلي كان ابو
 جاد . وهوز . وحطى . وكلمن . وسعفص . وقرشت اسما ملوك مدین . وكان ملكهم
 في يوم الظلة في زمان شعب كلمن فلما هلك قالت ابنته وقد اخته شعرا تبكيه
 وترثيه به .

غسة سحاب

كلمون هذر كنى هلكه وسط المحكة . سيد القوم اتاه الحتف نار تحت ظلة .
 جعلت نار عليهم دارهم كالمضحة .

وقوله تعالى **الذين كذبوا شجيا كانوا لم يغنوا فيها** يعنى كانوا لم يقيموا فيها ولم ينزلوها
 يوما من الدهر . يقال غيب بالمكان اى اقمته به . والمغاني المنازل التى بها اهلها واحدها
 مغنى . قال الشاعر

ولقد غنوا فيها بالنعمة عيشة . فى ظل ملك ثابت الاوتاد

اراد فيها اقاموا **الذين كذبوا شعسا كانوا الخاسرين** يعنى خسروا انفسهم بهلاكهم .
 وقال الجرجاني ان قوله تعالى الذين كذبوا شعسا كانوا لم يغنوا فيها كلام مستأنف معناه
 الذين كذبوا شجيا صاروا كأنهم لم نزلوا موتى . ويغنونوا يقيموا . يقال غيب بالمكان اذا
 اقمته به . وغنا القوم فى دارهم . اى طال مقامهم فيها . والمغنى المنزل . والجمع المغانى .

وقال **بيد** هـ . **استغاثت لبيبا** . **لو كان للنفس اللجوج خلود** .
 وغنيت سنا قبل مجرا داحس .
 وقال **حاتم طي** هـ . **غنا زمانا بالتصعك والغنا** . **فكلا سقيناها بكاسها الدهر** .
فما زادنا بغيا على ذي قرابة . **غنانا ولا ازرك بأحسانا الفقر** .
 وقوله تعالى **فتولى عنهم** . **عنى** فاعرض عنهم . **شعب** شاخصا من سن اظهرهم حين اتاهم
 العذاب . **وقال باقوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم** . **عنى** انه طال لهم ذلك لما تنقز
 نزول العذاب بقومه . **واختلفوا** اهل كان هذا القول . **قتل نزول العذاب** او بعده على قولين .
 سبقت في قصة هود . **وايه اعلم** . **وقوله فكيف آسى** . **اي كيف احزن على قوم كافرين والاسى**
اشد الحزن . **وانما اشتد حزنه على قومه** لانهم كانوا اكثر من . **وكان يتوقع منهم الاستجابة**
والايمان . **ولما نزل بهم ما نزل من العذاب عزي نفسه** . **فقال كيف احزن على قوم كافرين**
لانهم هم الذين اهلكوا انفسهم باصرارهم على الكفر . **وقيل** في معنى الآية ان شعاعا على اللام
قال لقد اعدت ايكلم في الابلاغ والنصيحة والتحذير . **فلم تسمعوا قولي ولم تقبلوا نصحي**
فكيف احزن عليكم . **معنى** انكم لستم مستحقين بان يحزن عليكم . **فعلى القول الاول** انه حصل
لشعب حزن على قومه . **وعلى القول الثاني** لم يحزن عليهم . **وايه اعلم** . **قوله تعالى وما**
ارسلنا في قرية من نبي . **في هذا الكلام** اضمار وحذف بقدره . **فكذبوه الا اخذنا اهلها**
بالباس والضرا . **قال ابن مسعود** رضي الله عنه **الباس** الفقر . **والضرا** المرض . **وهذا** معنى
قول الزجاج . **فانه قال** **الباس** كلما نالهم من الشدة في اموالهم . **والضرا** كلما نالهم من
 الامراض . **وقيل** **الباس** الشدة و **ضرا** العيش . **والضرا** الضر وسوا الحال **لعلم بضرعون**
عنى انما فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا . **والضرع** الخضوع . **والانقياد** لامر الله
عز وجل . **والمراد** من هذه الآية ان الله عز وجل لما عرف بنبيه سديا محمدا صلى الله عليه
 وسلم احوال الانبياء مع اممهم المكذبة وقصر عليه من اجبارهم وعرفه سنته في الامر
 الذي خلوا من قبله وما صاروا اليه من الهلاك والعذاب عرفه في هذه الآية انه قد

ارسل رسلا الى امم اخر فكد بوارسلهم فاخذهم بالباسا والضررا كما فعل من كذب رسله
وفنه تخويف وتحذير لكفار قرش وغيرهم من الكفار لينزجروا عما هم عليه من الكفر
والتكذيب ثم من تعالى انه لا يجرى تدبيره في اهل القرى على نمط واحد وسنة واحدة
انما يريد هم مما يكون الى الايمان اقرب وهو قوله تعالى **ثم بدلنا مكان السنة الحسنة**
لان ورود النعمة على البدن والمال بعد الشدة والضيق استدعى الانقضاء للطاعة
والاشتغال بالشكر **قال** اهل اللغة السيئة كل ما سوس صاحبه والحسنة كل ما
سبحه الطبع والعقل فالسنة والحسنة هنا الشدة والرخاء والمعنى انه تعالى
بدل مكان الباسا والضررا النعمة والسعة والحسنة والصحة في الابدان فاخبر تعالى
في هذه الاية انه باخذ اهل المعاصي والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخاء على سبيل الاستدراج
وهو قوله **حتى عفووا** يعني انه فعل ذلك بهم حتى كثروا وكثرت اموالهم من قولهم عفا
النبات اذا كثر وعفا الشعر اذا كثر وطال **قال** مجاهد كثرت اموالهم واولادهم
وقالوا يعني من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الى الرخا والسعة **قدمت ابا بالضررا**
والسرا يعني انهم والوا هكذا عادة الدهر قد يما وحدثنا لنا ولا باينا ولم يكن ما
مستنا من الشدة والضررا عقوبة لنا من الله على ما نحن عليه فكونوا على ما انتم عليه كما
كان اباؤكم من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما اصابهم ما اصابهم من الضررا والسرا
قال الله تعالى **فاخذناهم بغيته** يعني اخذناهم فجأة آمن ما كانوا ليكون ذلك اعظم
لحسرتهم وقد اخذناهم اشد الاخذ وافضعه وهو اخذهم بغيته اي فجاءه من غير
شعور منهم **وهم لا شعورون** يعني ينزل العذاب بهم **والمراد** بذكر هذه القصة اعتبار
من سمعها لينزجروا عما هو عليه من الذنوب **قوله** عز وجل **ولو ان اهل القرى امنوا**
واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض اعلم ان الله تعالى لما بين في الاية الاولى
ان الذين عصوا وتمردوا اخذهم بعذابه بن في هذه الاية انهم لو امنوا بعنى بالله ورسله
واطاعوه فيما امرهم به واتقوا بعنى ما نهى الله عنه وحرمه عليهم لفتح عليهم بركات من السماء
والارض وبركات السماء المطر وبركات الارض السات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات

والانعام والارزاق والامن والسلامة من الافات وكل ذلك من فضل الله واحسانه
على عباده واصل البركة ثبوت الخير الالهى في الشئ وسمى المطر بركة السماء لثبوت
البركة فيه وكذا ثبوت البركة في نبات الارض لانه نشأ عن بركات السماء وهى المطر
وقال البغوى اصل البركة المواظبه على الشئ اى تابعا عليهم بالمطر من السماء والنبات
من الارض ورفعنا عنهم القحط والجذب **ولكن كذبوا** يعنى فعلنا بهم ذلك لئلا يمتدحوا
ولكن كذبوا يعنى الرسل **فاخذناهم بما كانوا يكسبون** يعنى اخذناهم بسبب كسب اعمالهم
الخبیثة قوله تعالى **افان اهل القرى** هذا استفهام معنى الانكار وفيه وعيد
وتهدید وزجر والمراد بالقرى مكة وما حولها وقتل هو عام في كل اهل القرى
كفروا وكذبوا **ان ياتهم باسنا** يعنى عذابنا **بيانا** يعنى ليلا **وهم نايمون** روي ان ابنة
الريج بن خثيم قالت لا يبيها ما ابت ارى الناس نيامون وانت لا تنام فقال يا بنية ان اناك
تخاف البيات اراد قول الله تعالى انما بياتنا وهم نايمون وحكى صاحب روضة العلماء
ايضا ان الریح بن خثيم كان يداوم على السهر فعالت له ابنته ما ابت هلا تنام ليله
قال يا بنتاه ان اباك تخاف البيات فعالت له يا ابنت من افضل خلق الله عليك والافضل
خلق الله على تسذنا وجسا محمد صلى الله عليه وسلم قالت اسالك حبه عليك الامانت هذه
الليلة فعال يارب انك تعلم ان السهر احب الي ولكني انام لاجل حرمة نبيك صلى الله عليه
وسلم فنام تلك الليلة فرأى في منامه قابلا يقول له اذهب الى البصرة فان بها امه تقال
لها ميمونه الزخية وهى امراتك فلما اصبح خرج نحو البصرة فلما دخلها سمع اهلها يقدرونه
فتلقوه وقالوا يا سدى كما نحب ان تكون لك حاجة فتكتب بها اليها فحجت بنفسك والنعيم
فهلها هنا امراة تقال لها ميمونة الزخية والوانع وما تفعل يا سدى ميمونة وهى
مجنونة ترعى الغنم بالنهار وتشتري باجرتها تمرا وتفرقه على الفقرا وتضعه بالليل
على صومعتها لا تدع الناس ان يناموا من كثرة الصياح قال لهم وما تقول في صياحها
والواتقول

عجبا للمحب كيف ينام: كل نوم على المحب حرام: ﴿

فقال الربيع ما هذا كلام المجانين دلوني عليهما فالواهي في البراري ترعى الغنم فخرج
 اليها فوجدها قد اتخذت محرابا تصلي فيه وراى الاغنام ترعى والى جانبها ذياب
 كفظون الاغنام فلما فرغت من صلاتها سلم عليها فقال اللام عليك يا مموته قالت
 وعلك اللام يا ربيع قال وكف عرفت اسمي ولا حجة لي معك قالت ان الذي اخبرك
 باسمي في المنام قادر على ان يعرفني باسمك ولكن الذي اخبرك انى امراتك ليس هو في الدنيا
 وانما هو في الآخرة ثم قال لهما منذ كم ترعين ويالف الذياب الغنم قالت منذ الف
 الراعى بالمولى واناب اليه وترك الدنيا واختار الآخرة ثم قالت له اقر اعلى شيئا
 من القران فقرأ الرسع قول الله تعالى ان لدينا انكالا وحجيا وطعاما ذاعضة وعذابا ليليا
 فشهب شهقه وقعت ميتة فوقف الرسع دهشا متحيرا يريد تجهزها واذا جماعة
 من النساء قد قبلن وولن للرسع خن بكفكها فقال لهن الربيع ومن اين اتيتن وكف
 عزفتن بموتها فقلرانا كما نسمع دعائها وهي تقول اللهم لا سمتى الا بنى يدى الرسع بن خثيم
 فلما سمعنا حضورك علمنا اجابة دعائنا ثم جهزوها وصلوا عليها ودفنوها رحمة الله عليها
 وحكى ان الرسع بن خثيم حين اصابه الفالج قيل له لو تدراوت فقال لقد عرفت ان
 الدواحق ولكنى ذكرت عادا وثمودا وفرونا بن ذلك كثيرا كان فيهم الاوجاع وكان
 لهم الاطبا فما بقى المداوي ولا المداوى وكانت امر الربيع يقول له يا بنى الانام
 فقول يا اماه من حزن عليه الليل وهو كحاف البيات فحوله ان لا ينام فلما بلغ ورات
 ما يلقى من الكا والسهر قالت يا بنى لعلك قتلت قتلا قال نعم هي نفسى رضى الله بوعنه
 وقوله تعالى **وا من اهل القرى ان ياتيهم باسناضحى** يعنى بهارا لان الضحى صدر النهار
وهم يلعبون يعنى وهم ساهون لاهون غافلون عما يراد بهم والمقصود من الالة ان الله
 خوفهم ينزل العذاب وهم في غائة الغفلة وهو حال النوم بالليل وحال الضحى بالنهار
 لانه الوقت الذى يغفل على الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وامور الدنيا كلها لعب
 وحثم ان يكون المراد خوضهم في كفرهم وذلك لعب ايضا لانه يضرب ولا ينفع ثم قال
 تعالى **افامنوا مكر الله** يعنى افامنوا استدراجه اياهم بما انعم عليهم من الدنيا وقيل

المراد به ان ماتهم عذابه من حيث لا يشعرون. وعلى هذا الوجه فيكون معنى التحذير
 وسمى هذا العذاب مكرًا لتزوله وهم في غفلة عنه لا يشعرون به **فلا تاتوا من مكر الله الا**
القوم الخاسرون يعني انه لا ان يكون ما اعطاهم من النعمة مع كفرهم استدرجا الامن
 خسر في اخره وهلك مع الهالكين **اولم يهد** يعني اولم يبين **للذين يرون الارض من بعد**
اهلها يعني من بعد هلاك اهلها الذين كانوا من قبلهم فورثوها عنهم وخلفوهم فيها **ان لو**
نشأ اصبناهم بذنوبهم يعني لو نشأ اخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم لمن تقدمهم
 وفي لفظ اخر **اولم يهد** للذين خلفون من خلائقهم في ديارهم ويرثون ارضهم هذا
 الشأن وهو اننا لو نشأ اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم فاهلكا الوارثين كما اهلكا
 المورثين **ونطبع اى** ونحتم **على قلوبهم فهم لا يسمعون** يعني لا يسمعون موعظة ولا
 يقبلون الامان وقوله ونطبع منقطع عما قبله والمعنى ونحن نطبع على قلوبهم ويجوز ان
 يكون معطوفا على الماضي ولفظه لفظ المستقبل والمعنى ولو شاططنا على قلوبهم
 ثم قال تعالى لبينه صلى الله عليه وسلم **بلك القرى** يعني هذه القرى التي ذكرنا لك يا محمد
 امرها وامر اهلها وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب **نقص عليك**
من انبائنا يعني نخبرك عنها وعن اخبار اهلها وما كان من امرهم وامر رسلكم الذين
 ارسلوا اليهم لتعلم باحمدنا لتتضررسلنا والذين امنوا معهم على اعدائنا واعدائهم من اهل
 الكفر والعناد وكف اهلكاهم بكفرهم ومخالفتهم رسلكم **ففيه** تسلية للنبي صلى الله
 عليه وسلم وتحذير لكفار قريش ان يصيبهم مثل ما اصابهم **ولقد احاطتكم** يعني لا هدى لك
 القرى **رسلنا بالبينات** يعني جاتكم بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على صدقتهم **فما**
كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اختلف المفسرون في الشئ الذي كذبوا به من قبل فقتل
 معناه فما كان هو لا المشركون الذين اهلكاهم من اهل القرى ليؤمنوا عند ارسالنا اليهم
 رسلكم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم اخذ ميثاقهم حين اخرجهم من ظهر ادم عليه السلام
 فاقروا باللسان واصمروا بالكذب وهذا معنى قول ابن عباس والسدي **قال السدي**
 امنوا كرها يوم اخذ الميثاق **وقال مجاهد** فما كانوا لواحييناهم بعد اهلاكهم ومعايشتهم

العذاب ليومئذ بما كذبوا من قبل هلاكهم . **وقال** معناه فما كانوا ليومئذ عند محي
الرسول بما سبق لهم في علم الله انهم يكذبون به حين اخرجهم من صلب ادم عليه السلام .
قال ابي بن كعب رضي الله عنه كان سبق لهم في علمه يوم اقرؤا له بالميثاق انهم لا يؤمنون
وقال البرقع بن اسحق بن يحيى على العباد ان ياخذوا من العلم ما ابدى لهم ربهم . وان لا
تثاويلوا علم ما اخفى الله عنهم . فان علمه نافذ فيما كان وفيما يكون . وفي ذلك **قال** تعالى
ولقد جاءهم رسنا بالبينات فما كانوا ليومئذ بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب
الكافرين . **قال** نفذ علمه فيهم ايهم المطيع من العاصي حيث خلقهم في صلب ادم عليه
السلام . **قال** الطبري واولى الاقوال بالصواب قول ابي بن كعب والربيع بن اسحق . وذلك
ان من سبق في علم الله تعالى انه لا يؤمن به فلا يؤمن ابدا . وقد كان سبق في علم الله تعالى
لمن هلك من الامم الذين قصر خبرهم في هذه السورة انهم لا يؤمنون ابدا فاخبر عنهم انهم لم
يكونوا ليومئذ بما هم به مكذبون في سابق علمه قبل محي الرسل عند مجيهم اليهم **كذلك**
يطبع الله على قلوب الكافرين يعني كما طبخ الله على قلوب كفار الامم الخالية واهلكهم
كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم انهم لا يؤمنون من قومك **وما**
وجدنا الا اكثرهم من عهد يعني وما وجدنا الاكثر الامم الخالية والقرون الماضية الذين
فرضنا خبرهم عليك يا محمد من فاقا بالعهد الذي عهدناه اليهم واوصيناهم به يوم اخذ
الميثاق . **قال** ابن عباس رضي الله عنهما اهلك الله اهل القرى لانهم لم يكونوا يحفظوا
ما وصاهم به . **وقال** بعضهم الضمير لجميع الناس على الاطلاق . يعني ان اكثر الناس نقضوا
عهدهم وميثاقه في الامان **وان وجدنا اكثرهم لفاسقين** اي ما وجدنا اكثرهم الا
فاسقين خارجين عن طاعتنا وامرنا **قول** عز وجل **ثم بعثنا من بعدهم** هذا الضمير
للسل الذين تقدم ذكرهم . وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام **موسى** قال
العلماء هو موسى بن عمران . بن بصير . بن قاهث . بن لاوي . بن يعقوب . بن اسحق . بن ابراهيم .
عليهم السلام . **قال** كعب الاحبار كان هرون بن عمران فضيخ اللسان بين الكلام اذا تكلم
تكلم بتوادة وعلم . وكان اطول من موسى . وكان على اربنته شامة . وعلى طرف لسانه ايضا

شامة سودا. وكان موسى نبى الله رجلا آدم طوالا جدا كأنه من رجال سنوة. وكان
لسانه عقدة وثقل. وكانت فيه سرعة وعجلة. وكان ايضا على لسانه شامة سودا
كاحيه هرون. قال الله تعالى ثم بعثنا موسى **بآياتنا** لعني كحجنا وادلتنا الدالة على
صدقه مثل العصا واليد البيضاء ونحو ذلك من الآيات التي جاء بها موسى عليه السلام **الى**
فرعون وملايه قل ان كل من ملك مصر كان يسمى فرعون في ذلك الزمان مثل ما كان
يسمى ملك الفرس كسرى. وملك الروم قيصر. وملك الحبشة النجاشي. وكان اسم فرعون
الذي ارسل اليه موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن الريان. وكان ملك القبط. والملا
اشراف قومه. وانما حضوا بالذكر لانه اذا آمن الاشراف آمن الاتباع. وقوله **فطلبوا**
بها لعني فحردوا بها. لان الظلم وضع الشيء في غير موضعه. وقال بعضهم اجرى الظلم
مجرى الكفر لانهما من واحد. وان الشرك لظلم عظيم. **وقل** ظلموا الناس بسبب
الآيات حسن آذوا من آمن بها. اولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان
كفرهم بها ظمما حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان. وقال بعضهم لما
كانت هذه الآيات معجزات ظاهرة قاهرة ثم كفروا بها فوضعوا الكفر موضع الايمان قال
الله تعالى لبني اسرائيل عليه وسلم **فانظروا كيف كان عاقبة المفسدين** اي انظروا بمحمد بعين
العقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف اهلكناهم بالغرق في اليم. **ولما بعث الله**
موسى عليه السلام الى فرعون بآياته توجه موسى قاصدا اليه ليبلغه رسالة ربه فلما
دخل عليه **قال يا فرعون انى رسول من رب العالمين** لعني ان موسى عليه السلام لما دخل على فرعون
دعاه الى الله والى الايمان به وقال له انى رسول لعني مرسل اليك والى قومك من رب العالمين.
لعني ان الله تعالى خلق الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذى ارسلنى اليك. روى ان فرعون
اسمه قابوس في قول اهل الكتاب. وقال وهب بن منبه اسمه الوليد بن مصعب بن الريان.
وقال الثعلبي كان فرعون من القبط قد عمر اكثر من اربع مائة سنة. وقال اهل التاريخ
لمامات الريان بن الوليد فرعون مصر الاول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذى ولى
يوسف خزان الارض واسلم على يديه فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف

الثاني فدعاه يوسف الى الاسلام فابى وكان جبارا. وقبض الله تعالى يوسف في ملكه.
وطال ملكه ثم هلك. وقام بالملك بعده اخوه ابو العباس الوليد بن مصعب بن الريان بن
اراشة بن ثروان بن عمرو بن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام.
وكان اعنى من قابوس واكبر والفخر. وامتدت ايام ملكه. واقام بنو اسرائيل بعد وفاة
يوسف وقد كثروا وهم تحت ايدي العمالقة. وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف يعقوب
واسحق وابراهيم عليهم السلام شرحوا فيهم من الاسلام متمسكين به. حتى كان فرعون موسى
الذي بعثه الله اليه. ولم يكن منهم فرعون اعنى على الله ولا اعظم قولا ولا اقسى قلبا ولا
اطول عمرا في ملكه ولا اسوأ ملكه لبنى اسرائيل منه. وكان يعذبهم ويستعبدهم فجعلهم
خدما وخولا. وصنّفهم في اعماله. فصنّف سنون. وصنّف بحرثون. وصنّف سلخوز
السوارى من الجبال. وصنّف يتولون الاعمال القذرة. ومن لم يكن من اهل العمل وضع
عليه الجزية. كما قال تعالى سومونكم سوا العذاب. وقد استنكح فرعون منهم امرأه يقال
لها آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول فاسلمت على
بني موسى. قال مقاتل ولمسلم من اهل مصر الابلثة آسية. وخريل. ومرم بنت
ناموشا التي دلت موسى على قبر يوسف عليه السلام. والواقعة فرعون فيهم وهم تحت يده
عمر اطويلا. قال اربعانة سنة يسومهم سوا العذاب فلما اراد الله ان يفتح عنهم بعث
موسى عليه السلام. ثم قال موسى لفرعون **حقيق اى واجب على ان لا اقول على الله الا الحق**
يعنى انى رسول والرسول لا يقول على الله الا الحق في وصفه وتزيهه وتوحيده وانه لا
اله غيره. وقرانا نافع على ان لا اقول على الله الا الحق. اى واجب على ترك القول
على الله الا الحق. يعنى الصدق. وعلى هذه القراء بوقف على العالمين. وعلى القراء الاولى
بجوز الوصل **قد جيتكم ببينة من ربكم** اى يبرهان على صدقى فيما ادعى من الرسالة. والمراد
ببينة معجزته وهى العصا واليد البيضاء. ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ من سلبخ رسالته
رتب على ذلك الحكم فقال موسى **فارسل معى بنى اسرائيل** يعنى خذ عنهم واطلقهم من اسرك.
وكان فرعون قد استعبد بنى اسرائيل واستعملهم في الاعمال الشاقة كما تقدم **فلا**

اى والفرعون ان كنت جيب باية فات بها ان كنت من الصادقين يعنى ان فرعون قال
 لموسى عليه السلام بعد تبليغ الرسالة ان كنت جيت من عند من ارسلك بيينة تدل على
 صدقك فاشنى بها واحضرها عندى لتصح دعواك وسبت صدقك فيما قلت **فالى عصاه**
 اى القى موسى عصاه من يده **فاذا هي بعبان مبين** اى بين والتعبان المذكور من الحيات وصفه
 هنا بانه بعبان والتعبان من الحيات هو العظيم الضخم وصفه فى ايه اخرى كما انها جات
 والجبان الحية الصغيرة والجمع بين هذين الوصفين بانها كانت فى عظم الجثه كالتعبان
 العظيم وفى خفه الحركة كالحية الصغيرة وهى الجبان **قال** ابن عباس والسدى انه
 لما القى العصا صارت حية عظيمة صفرا شعرا فاعرة فاها وسن لحيها الاعلا والاسفل
 سمون ذراعا وارفعت من الارض بقدر ميل وقامت على ذنبها واصنعة لحيها الاسفل
 فى الارض ولحيها الاعلا على سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتاخذه فوثب فرعون
 عن سريره هاربا واحدت **وقيل** انه احداث فى ذلك اليوم اربعائة مرة **وقيل** انها
 اخذت قبه فرعون بين ابيها وحملت على الناس فانهمزوا وصاحوا وقتل بعضهم بعضا
 فمات منهم فى ذلك اليوم خمسة وعشرون الفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى انشدك
 بالذى ارسلك ان تاخذها وانا اومن بك وارسل معك بنى اسرائيل فعادت فى يده عصا
 كما كانت **قيل** اخذه البطر فى ذلك اليوم اربعائة مرة **قال** العلماء وفى كور التعبان
 المبين وجوه الاول انه تميز وبيان ذلك عما عملته السحرة من التثويه والتلبس
 وبذلك تميز معجزات الانبياء عن تثويه السحرة وتخليهم الوجه الثانى انهم شاهدوا
 العصا انها انقلب حية ولم يشبهه ذلك عليهم **ولذلك** قال ثعبان مبين اى بين
 الوجه الثالث ان ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه السلام كانه ابا ان صدق
 قول موسى فى انه رسول من رب العالمين **وقوله** تعالى **ويخرج بيده السبع** فى اللغة
 عبارة عن اخراج الشئ عن مكانه **فصل** نعت عصا موسى **وبدأ** امره **وختلا**
 العلماء فى اسمها والمنافع التى كانت فيها وما ظهر من دلالات قدره الله تعالى فيها
 روى العلماء شعبا عليه السلام لما استاجر موسى لرعاية الغنم امر ابنته ان ياربى موسى

بعصا يستعين بها في رعايته فتحاته بعصا موسى وكانت تلك العصا ودعة عند شعب
عليه السلام دفعها اليه ملك على صورة رجل فردها عليها شعب وامرها ان ياتيه
بعصا اخرى فما زالت ترجع وتاتيه بها بعينها لانها كانت كلما ردتها الى مكانها
وارادت ان ياخذ غيرها سقطت هي في يديها. فما زال ذلك دأبها حتى اخذها شعب
واعطاها موسى فلما اعطاها اياه ندم على ذلك لانها كانت ودعة عنده. وقال
رد على العصا فابي ان يردها عليه فتنازعا الى ان ادخلا سنيما اول رجل يلتقي بهما
ورضيا بحكمه فاتاها ملك مشي فتحا كما اليه. فقال صعدا على الارض فمن حملها فحمله
فوضعها موسى على الارض فعالجها الشيخ فلم يطق حملها واخذها موسى بيده فرفعها
فتركها شعب له. وفي رواية اخرى ان موسى لبث عند شعيب ما شا الله ثم استاذنه
في الانصراف فاذن له. وقال له ادخل البيت وخذ من العصى عصا تكون معك تدرا
بها السباع عندك وعن غنمك. وكانت عصى الانبياء عند شعب عليه السلام يومئذ فلما
دخل موسى البيت وثب اليه العصا فصارت في يده فخرج بها. فقال شعب ردها وخذ
غيرها. وذلك لان شعبا عليه السلام كان قد اخبر بامر العصا ولم يدر شعب بان صاحبها
هو موسى فردها موسى الى البيت والقاها. وذهب لياخذ غيرها فوثبت فصارت في
يده حتى فعل ذلك مرارا. فقال له شعب المراقلك خذ غيرها. فقال له موسى قد
رددتها مرات كل ذلك تظير في يدي. فعلم شعب ان ذلك امر يريد الله تعالى. فقال
له خذها. فاخذها موسى عليه السلام وزوجه ابنته ورعى له موسى عشرين سنين وولد
لموسى اولاد من ابنة شعب. ولما اخرج موسى من مدين ووافي مصر كان شعب يزوره
في كل سنة فاذا حضر الاكل قام موسى على رأس شعيب وجعل يكسر الخبز ويلقنه بين
يديه ويقول له كل فوالله ما نعرف عدده. قالوا وبقيت العصا في يد موسى عليه
السلام. وقال مقابل بل كان حبريل عليه السلام دفع العصا الى موسى وهو متوجه
الى مدين بالليل. وروى ابن اسحق عن من لا يثبتهم من اصحابه ان كعب الاحبار قدم مكة
وبها عبد الله بن عمرو بن العاص. فقال كعب سلوه عن ثلاث فان اخبركم فانه عالم.

سلوه عن شئ من الجنة وضعه الله للناس. وعن اول ما وضع في الارض. وعن اول شجرة
 عرست في الارض. فسيل عنها. فقال عبد الله اما الشئ الذي وضعه الله للناس في
 الارض من الجنة فهو هذا الركن الاسود. واما اول ما وضع في الارض فبرهوت باليمن
 ترده هام الكفار. واما اول شجرة وضعها الله في الارض فالعوسجة التي اقتلع منها
 موسى العصا. فلما بلغ ذلك كعبا فالصدق والجل والله عالم. فعلى هذا القول
 انما اقتلع موسى عصاه من تلك الشجرة. فظهر الله فيها قدرته ومعجزه موسى عليه السلام.
 وقال ابن عباس رضي الله عنه كنت صاحب الروم الى معويه يساله عن اربعة من الخلق
 لم يرتكضوا في رحم. فلما قرأ معاوية الكتاب والاخراة الله وما علمي سماها هنا فقل
 له ائت الى ابن عباس فساله. فكتبت اليه يساله عن ذلك. فكتبت اليه ابن عباس ما الاربعة
 الذين لم يرتكضوا في رحم فآدم وحواء والكبش الذي فدى به اسمعيل. وعصا موسى
 حيث القاها فصارت لعبا نامينا. وقال اكثر العلماء كانت عصي موسى من آس الجنة.
 وطولها عشرة اذرع على طول موسى حملها ادم معه من الجنة الى الارض فتوارثها صائر
 عن كابر الى ان وصلت الى شعب عليه السلام. فاعطاها موسى. واحتلوا في اسمها.
 فقال سعيد بن جبيرة اسمها ماشا. وقال مقاتل برسلما ن اسمها نفعة اوتبة.
 وقال مقاتل بن حيان اسمها عيات. وقال اخرون اسمها عليق. واما اصفيتها
 ولما آرب التي فيها موسى فقال اهل العلم باخبار الماضين كان لعصى موسى شعبتان
 ومجرتان في اصل الشعبتين. وسان حديد في اسفلها. وكان موسى اذا دخل مفارة
 ليلا ولم يكن قمر تضيئ شعبتها كالشعلتين من نار تضيئان له مد البصر. وكان
 اذا عوزه الماء اذ لاها في البير فحعلت تمتد على مقدار قعر البير بصير في راسها
 شبه الدلو يستقي بها. واذا احتاج الى الطعام ضرب بها الارض فمخرج ما ياكل يومه.
 وكان اذا اشتهى فاكهة من الفواكه عرزها في الارض فتغصنت اعضاء تلك الشجرة
 التي اشتهى موسى فاكهتها. واشمرت له من ساعتها. وقال ابن عباس ان عصي موسى كانت من
 شجر اللوز. وكان اذا قاتل عدوه يظهر على شعبتيها تينان يتناصلان. وكان

بضرب على الجبل الصعب الوعر المرتقى وعلى الحجر والعشب والشوك فينفرج له. وإذا أراد
عبور نهر من الأنهار بلا سفينة ضرب عليه فانطلق وبداله طريق مهيع مشي فيه. وكان
شرب احيانا من احدى شعبتها العسل ومن الاخرى اللبن. وكان اذا اعيا في طريقه
بركبها فتحمله اى موضع شاء من غير ركض ولا تحريك رجل. وكانت تدله على الطريق
وتقاتل اعداه. واذا احتاج الى الطيب فاح منها الطيب حتى تنضب ويطيب ثوبه. واذا
كان في طريقه لصوص يخشى الناس جانبهم تكلمه العصا. وتقول له خذ جانبك كذا ولا
تاخذ جانب كذا. وكان يمشي بها على عنقه. ويدفع بها السباع والحيات والحشرات.
واذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته ومقلاعه وكسائه
ولحاهه وسقاه. وروى ان شعاعا علمه اللام قال لموسى حين رآه ابنته وسلم اليه
اغنامه برعاهها اذهب بهذه الاغنام. فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على سارك. ولا
ياخذ على يمينك وان كان الكلابها اكثر. فان هناك تينا عظيما اخشى عليك وعلى الاغنام منه.
فذهب موسى بالاغنام فلما بلغ مفرق الطريق اخذت الاغنام ذات اليمين. فاجتهد
موسى على ان يصررها الى ذات الشمال فلم تطعه. فنام موسى والاغنام ترمي واذا بالتيث
قدجا فقامت عصاه وحاربتة فقتلته واثت فاستلقت الى جنب موسى وهي دامية.
فلما استيقظ رآها دامية والتنن مقتولا. فعلم ان في ذلك العصا قدرة وعرف ان لها شانا.
فهذه ما آرى موسى فيها اذا كانت عصا. وروى في الاخبار ان موسى وهرون علمها اللام
لما انصرفا من عند فرعون اصابهما المطر في الطريق. فأتيا على عجوز من اقربا بهما ووجه
فرعون الطلب في اثرهما. فلما جن الليل ناما في دارها. وجا الطلب الى باب العجوز وهي
منتبهة. فلما احست بهم خافت عليهما. فخرجت العصا من شق الباب والعجوز ينظر
فقاتلتهم حتى قتل منهم ستة انفس ثم عادت فدخلت الدار. فلما انتبه موسى احبرته
العجوز سمات وصدقتهما. وكان موسى علمه اللام اذا القاها لطلب الالة تنقلب
حية كما عظم ما يكون من الثعابين سودا مدلهمة. تدب على اربع قوائم تقصر شعابها
فمها فيه اثنا عشر نابا وضرسا لها صريف وصرير يخرج منها لهب النار. وبصير محجتها

عرفها كما مثال النيازك تلتهب وعيناها تلمعان كما يلمع البرق تهب من فيها ریح السموم
 لا يصيب شئ الا احرقته ثم بالسخرة مثل الناقه الكوما فتبتلعها حتى ان الصخور
 في جوفها سققع وتمر بالشجرة فتفطرها بايائها كخطمها وتبتلعها وجعلت تلمظ
 وترنم كانها نطلب شيا تاكله وكانت تكون في عظم الثعبان وخفة الخان ولين
 الحية وذلك موافق لنص القران حيث قال في موضع فاذا هي بعبان ميين وقال في
 موضع اخر كانها جان وقال في موضع آخر فاذا هي حية تسعي وسائر الكلام عليها ايضا
 في سورة طه والشعر ان ثنا الله وقوله تعالى **ونزع يده** النزاع في اللغة عبارة عن اخراج
 الشئ عن مكانه والمعنى انه اخراج يده من جيبه او من تحت جناحه **فاذا هي بنصا للناظرين**
 قال ابن عباس وغيره اخراج يده من جيبه فراها بنصا من غير سؤو يعني من غير برص
 وقبل ان موسى عليه السلام ادخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه وقيل اخراج يده
 من تحت ابطه فاذا هي بنصا لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى عليه السلام آدم
 اللون ثم ردها الى جيبه ثم اخرجها فاذا هي كما كانت ولمسا كان اليباض المفرط عيب
 في الجسد وهو البرص قال الله تعالى في اية اخرى **نصا من غير سؤو** يعني من غير برص
 والمعنى فاذا هي بنصا للنظاره ولا يكون نصا للنظاره الا كان يياضها يياضا عجيبا
 خارجا عن العادة ينتج منه **فصل** في بيان المعجزة وكونها دليلا على صدق الرسول
 اعلم ان الله سارك وتعالى كان قادرا على خلق المعرفة والامان في قلوب عباده ابتداء من
 غير واسطة ولكن ارسل اليهم رسلا تعرفهم معالم دينه وجميع تكاليفه وذلك الرسول
 واسطة بين الله عز وجل وبن عباده يبلغهم كلامه ويعرفهم احكامه وجايزان يكون
 ذلك الواسطة من غير البشر كالملائكة مع الانبياء وجايزان يكون الواسطة من جنس البشر
 كالانبياء مع اسمهم ولا مانع لهذا من جهة العقل واذا جاز هذا في دليل العقل وقد
 جات الرسل عليهم السلام بمعجزات دلت على صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما اتوا به
 لان المعجز مع التخيدي من النبي قايم مقام قول الله عز وجل صدق عبدى فاطبعوه
 واتبعوه ولان معجز النبي شاهد على صدقه فما يقوله **وسميت المعجزة معجزة لان**

المخلوق عجزوا عن الاتيان مثلها. وهي على ضربين فضرب منها هو على نوع قدرة البشر
ولكن عجزوا عنه فعجزهم عنه دل على انه من فعل الله تعالى. ودل على صدق نبيه صلى الله
عليه وسلم كتمنى الموت في قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين. فلما صر فوا عزتمنه مع
قدرتهم عليه علم انه من عند الله تعالى. ودل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم الضرب
الثاني ما هو خارج عن قدره البشر كاحياء الموتى. وقلب العصا حية. واخراج ناقة من
صخرة. وكلام الشجر. والجماد. والحيوان. ونبع الماء من بين الاصابع. وغير ذلك من المعجزات
التي عجز البشر عن مثلها. فاذا اتى النبي شئ من تلك المعجزات الخارقة للعادات علم ان ذلك من
عند الله. وان الله عز وجل هو الذي اظهر ذلك المعجز على يد نبيه ليكون حجة له على صديقه
فيما يخبر به عز الله عز وجل. وقد ثبت بدليل العقل والبرهان القاطع ان الله تعالى قادر
على خلق الاشياء وابداعها من غير اصل سبق لها. واخراجها من العدم الى الوجود. وانه قادر
على قلب الاعيان وخوارق العادات والله اعلم كذا ذكره الامام فخر الدين قول **تعالى وال**
الملائكة من قوم فرعون ان هذا لعنون موسى لساحر عليم يعنون انه لياخذ ما عين الناس حتى
يختل لهم ان العصا صارت حية ويرى الشئ بخلاف ما هو عليه كما اراهم بيده بيضا وهو آدم
اللون. وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب في ذلك الزمان فلما اتى بما عجز عنه غيره
قالوا انه لساحر عليم **فان قيل** قد اخبر الله تعالى في هذه السورة ان هذا الكلام من قول
الملائكة لفرعون **وقال** في سورة الشعراء **وقال للملاحولة ان هذا لساحر عليم** فما الجمع
بينهما. **فصل** له لا تمتنع ان يكون قاله فرعون اولا ثم انهم قالوه بعده فاخبر الله عنهم هنا
واخبر عن فرعون في سورة الشعراء **وقيل** يحتمل ان فرعون قال هذا القول ثم ان الملا
من قومه وهم خاصته سمعوه منه ثم انهم بلغوه الى العامة فاخبر الله عز وجل هنا عن الملا
واخبر هناك عن فرعون **وقوله** **بريد ان يخرجكم من ارضكم** يعني يريد موسى ان يخرجكم
ايها القبط من ارض مصر **فما ذاتا مروون** يعني فاي شئ تشيرون ان يفعل به **وقيل** ان
قوله **فما ذاتا مروون** من قول الملا كان كلام فرعون ثم عند قوله **بريد ان يخرجكم من**
ارضكم فقال الملا **يجيبين لفرعون فما ذاتا مروون** وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد

على عادة الملوك في العظيم والتختم والمعنى فماذا ترون ان تفعل به والقول الا وراصح لسياو
 الاله التي تعبد هذا وهو قول **عالي** **والوارجيه واخاه** يعني اخر امرهما ولا يعجل فيه
 فتصر عجلتك عليك لا لك والارجا هو التاخير في اللغة وقيل معنى ارجيه اي احبسه
 واخاه وهذا القول ضعف لان الارجا في اللغة هو التاخير لا الحبس ولان فرعون ما
 كان يقدر على حبس موسى بعد ما راى من امر العصا ما راى **وقرا** ابر كثير واهد البصره
 وابن عامر ارجئه بالهمز وضم الهاء **وقرا** الاخرون بلا همز ارجيه واخاه ثم يافع برواية
 ورش والكسائي شبعان الهاء كسرا ارجيه واخاه ويسكنها عامم وحضرة
 ارجيه واخاه وتختلسها ابو جعفر وقالون ارجيه واخاه وكلها لغات للعرب وقوله
وارسل في المدائن جمع مدينة واشتقاقها من قولهم مدن بالمكان اي اقام به يعني مدائن
 صعيد مصر **حاشرين** يعني رجالا كحشرون الدك السكرة من جميع مدائن الصعيد والمعنى
 انهم قالوا لفرعون ارسل الي هذه المدائن رجالا من اعوانك وهم الشرط كحشرون الدك من فيها
 من السكرة وكان رؤسا السكرة ما قضى مدائن الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه وتبعناه
 وان غلبوه علمنا انه ساحر فذلك قوله **بانوكل** يعني الشرط **بكل ساحر** وقرى بكل سحار
 والفرق بين الساحر والسحار ان الساحر هو المبتدئ في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم ن
 والسحار هو الماهر الذي يتعلم منه السحر **وقيل** الساحر من يكون سحره وقتادون وقت
 والسحار الذي يدوم سحره ويعمل في كل وقت **عليم** يعني ما هذا صناعة السحر **قال** العلماء
 ما خبار الانبياء ان موسى وهرون علمهما اللام وضع فرعون امرهما وما اتيا به من سلطان الله
 على السحر **وقال** للملا من قومه ان هذان لساحران عليهما فماذا تبارون اقتلها
فقال العبد الصالح خربيل موسى من آل فرعون اتقلون رجلا ان يقول ربي الله الى قوله وما
 اهديكم الا سبيل الرشاد **وقال** الملا من قوم فرعون ارجيه واخاه الى اخر الاله **وقال**
 ابن عباس وان اسحق والسدي ان فرعون لما راى من سلطان الله وقدرته في العصا ما راى
 قال انا لانقاتل موسى الا بمن هو منه اي من اهله وقومه فاتخذ علما نامن بني اسرائيل
 وبعث بهم الى مدينه يقال لها الفرما يعلمونهم السحر فعلموهم سحر كثيرا وواعد فرعون

موسى موعداً ثم رعت الى السحرة فحأوا ومعهم معلمهم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت
 قال قد علمتهم سحراً لا يطيقه سحر اهل الارض الا ان يكون امر من السماء فانه لا طاقة لهم
 به ثم رعت فرعون في مملكته فلم يترك ساحراً الا اتى به واختلصوا في عدد السحرة
 الذين جمعهم فرعون فقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر الفا وقال محمد بن اسحق كانوا خمسة
 عشر الفا وقال عكرمة كانوا سبعين الفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين الفا وقال
 السدي كانوا بضعا وبمائتي الفا وقال مقاتل كانوا اسن وسبعين ساحراً اسان منهم من
 القبط وهما رسا القوم وسبعون من بني اسرائيل وقال الكلبي كان الذين يعلمونهم
 رجلين مجوسيين من اهل نينوى وكانوا سبعين غير ريسهم ونقال ان رس القوم كان اسمه
 يوحنة وقبل شمعون واجماع لهذه الاقاويل ان ماروك ان فرعون جمع السحرة وهم
 سبعون الفا فاختر منهم سبعة آلاف ليس منهم الا ساحر ماهر ثم اختر منهم سبعة
 ثم اختر من اولئك السبع المائة سبعين من كبرائيم وعظماهم وقال عطا كان رس
 السحرة باقضى مدراس الصعيد وكانا اخوين فلما جأها رسول فرعون قال لا مهما
 دلينا على قبر ابينا فدلتهما عليه فانتاه فضاحا باسمه فاجابهما فقال له ان الملك
 وجه ابينا ان تقدم عليه انه اتاه رجلان ليس معهما رجال ولا سلاح ولهما عز ومنعة
 وقد ضاق الملك من خبرهما ومعهما عصي اذا القياها لا تقوم لها شي تبتلع الخشب
 والحديد والحجارة فاجابها ابوهما انظرا اذا هما ناما فان قدرتما ان تسلا العضا
 فسلاها فان الساحر لا يعمل سحره وهوناييم وان عملت العضا وهما نامان وذلك امر
 رب العالمين ولا طاقة لكما بهما ولا للملك ولا لجميع اهل الدنيا فاتي موسى وهرون
 وهما في خفيهم نامان لياخذ العضا فقصدت هما العضا ووثب اليهما فوله عز وجل
وجاء السحرة فرعون يعني لما اجتمعوا وجاوا الى فرعون **قالوا ابن لنا اجرا** يعني جعلنا
 وعظما تكرر من اية وقرى فالوا ان لنا اجرا على الخبر واثبات الاجر العظيم كانهم قالوا
 لا بد لنا من اجر عظيم والتكبر للتعظيم كقول العرب ان له كلاً بلا وان له لغنا يقصدون
 الكثرة ان **كنا نحن الغالبين** يعني لموسى قال الامام فخر الدين ولقائل ان يقول كان حق

21

22

الكلام ان يقول وجا السحرة فرعون فقالوا بالفا وجوابه هو على تقدير سايد سأل
 ما قالوا اذا جا وا فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا ان كما نحن الغالبين **قال نعيم** عن
 قال لهم فرعون لكم الاجر والعطا **وانكم لمن المقربين** يعني ولكم المنزلة الرفيعة عندي مع
 الاجر والمعنى ان فرعون قال للسحرة اني لا اقتصر بكم على الاجر بل ازيدكم عليه وتلك
 الزيادة اني اجعلكم من المقربين عندي **قال الكلبى** يكونوا اول من يدخل على وآخر من
 يخرج من عندي فزادهم على ما طلبوا **قالوا** عنى السحرة **يا موسى اما ان تلقى** عنى عصاك
واما ان تكون نحن الملقين عنى عصينا وحبالنا في هذه الالة دقتعه لطيفة وهي ان
 السحرة راعوا مع موسى عليه السلام حسن الادب حيث قدموه على انفسهم في الالقاء لا
 جرم ان الله عز وجل عوضهم حيث تادبوا مع نبيه موسى عليه السلام ان من عليهم بالايمان
 والهداية وفي لفظ اخر ان خبير السحرة لموسى ادب حسن راعوه معه وكان ذلك سببا
 لايمانهم كما فعل اهل الضاعات اذا التقوا كالمناظرين قبل ان يتخاضوا في الجدل
 والمتصارعين قبل ان يتآخذوا للصراع **ولما راعوا الادب** اولا واظهروا ما يد ر على
 رغبتهم في ذلك **قال لهم موسى القوا** عنى انتم فقد مهمم على نفسه في الالقاء فان قيل
 كيف حاز موسى ان يامرهم بالالقاء وقد علم انه سحر وفعل السحر كفر **قل** له ذكر العلماء
 عنه اجوبة احدها ان معناه ان كنتم محققين في فعلكم فالقوا والا فلا تلقوا **ن**
 الجواب الثاني انما امرهم بالالقاء لتظهر معجزته لانه اذا لم يلقوا حبالهم وعصيمهم لم
 تظهر معجزة موسى في عصاه **الجواب الثالث** ان موسى علم انهم لا يبدان يلقوا تلك الحبال
 والعصى وانما وقع التخيير في التقديم والتاخير فاذا ن لهم في التقديم لتظهر معجزته
 ايضا بغلبهم لانه لو القى اولا لم يكن له غلب وظهور عليهم فلهذا المعنى امرهم بالالقاء
 اولا **وفي** لفظ اخر ان موسى عليه السلام قد سوغ لهم ما تراغبوا فيه اذ ذر الشانم
 وقله مبالاة بهم وثقه مما كان يصدره من التأييد السماوى وان المعجزة لم يغلها
 سحر ابداه **قال الله تعالى فلما القوا** عنى حبالهم وعصيمهم **جروا عين الناس** عنى
 صرفوا عين الناس عن ذراك حقيقته ما فعلوه من التثويه والتخيل وهذا هو السحر

وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو فعل البشر وبين معجزة الانبياء التي هي فعل الله تعالى
وذلك لان السحر قلب الاعين وصرفها عن ادراك ذلك الشيء والمعجزة قلب نفس الشيء وحقيقته
كقلب عصا موسى عليه السلام حية تسعى **وقال بعضهم** في قوله سحر واعين الناس اى
خيلا وهم وقلبوها عن صحة ادراكها مما يخييل من التمثويه الذي جرى مجرى الشعوذة
وخفة اليد **واسترهبوهم** يعنى ارهبوهم ارها باشديدا. كما نهم استدعوا رهبتم بالخييل
وافزعوهم مما فعلوه من السحر وهو قوله تعالى **وجاءوا** يعنى السحرة **بسحر عظيم** فى باب
السحر او فى عين من رآه. وليس عظيم فى الحقيقه. وذلك انهم القوا حبالا غلاطا وخشا
طوالا فاذا هي حيات كأمثال الجبال. قد ملات الوادى ركب بعضها بعضا. ونقال انهم
طلوا تلك الجبال بالزبيق وجعلوا داخل تلك العصى ربق ايضا. والقوها على الارض فلما
اشحر الشمس فيها تحركت والتوى بعضها على بعض حتى تخيل للناس انها حيات
ونقال ان الارض كانت سعتها ميل في ميل فصارت كلها حيات واقامى ففرغ الناس
من ذلك واوجس في نفسه خيفة موسى. وهذه الخيفة لم تحصل لموسى عليه السلام لاجل
سحرهم لانه عليه السلام كان على يقنه ويقن من الله تعالى انهم لن يغلبوه وهو غالبهم
وكان عالما بان ما اتوا به على وجه المعارضة لمعجزته فهو من باب السحر والتخييل
وذلك باطل ومع هذا الجرم تمتنع حصول الخوف لموسى من ذلك. بل كان خوفه عليه السلام
لاجل فزع الناس واضطرابهم مما راوا من امر تلك الحيات فخاف موسى عليه السلام ان
تفرقوا فنل ظهور معجزته وحجته. فلذلك اوجس في نفسه خيفة موسى والله اعلم
قوله تعالى **واوحينا الى موسى ان التوق عصاك** يعنى فالتقاها **فاذا هي تلقف** اى تتبلع
ما ناكلون يعنى ما ياكلون فيه السحر. لان اصل الالفك قلب الشيء عن وجهه ومنه قيل
للذباب افاك لانه يقلب الكلام عن وجهه الصحيح الى الباطل. **قال المفسرون** ان الله
اوحى الى موسى ان لا تخف والتوق عصاك. فالتقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الافق
قال ابن زبد كان اجتمعا عمم بالاسكندرية فنقال بلغ ذنبا حية من وراء البحر
ثم فتحت فاهها ثمان ذراعا. فاذا هي تلقف اى تتبلع كل سى اتوا به من السحر. فكانت

تبتلع جبالهم وعصبيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل. وقضت القوم الذين حضروا ذلك المجمع ففرعوا ووقع الزحام عليهم فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون الفا. ثم اخذها موسى فصارت في يده عصا كما كانت اول مرة. فلما راي السحرة ذلك عرفوا انه من امر السما وليس سحر. وعرفوا ان ذلك ليس من قدرة البشر وقوتهم. فعند ذلك حروا سجدا وقالوا امنابر رب العالمين. وقرأ حفص فاذا هي تلقف ما سكان اللام والتخفيف. وقرأ الباقر بالتشديد. وفتح اللام. وفي بعض القراءات فاذا هي تلقم بالميم والتشديد قال الشاعر

انت عصي موسى التي لم تنزل تلقم ما يا فيك الساجر.

وقال الله تعالى في اية اخرى فالقي عصاه فاذا هي عصا بيضاء كاعظم ما يكون اسود مدلهمة يدب على اربع قوائم قضار غلاظ شداد. وله ذنب يقوم عليه فيبشر في فوق حيطان المدينة براسه وعنقه وكاهله. لا يضرب بذنبه على شي الا حطه وقصمه. ويكسر بقوائمه الصخور الصم الصلاب ويطن كل شي. ويضرم احيطان والبيوت بنفسه. وله عينان تلتهمان نارا. ومخران ينفخان سما. وعلى معرفته شعر كما مثال الريح. وصارت الشجستان له فما سحته اثنا عشر ذراعا. وفيه انياب واضراس له فيجيش وكشيش وصرير وصرير. فاستعرضت ما القى السحرة من جبالهم وعصبيهم وهي حيات في عين فرعون واعين الناس تسعي. فحلت بلقفاها وتبتلعها واحدا واحدا حتى ما يرك بالوادي قليل ولا كثير مما القوا. وانهم قوم فرعون هارس منفلين وتراحموا وتضاغطوا. ووطئ بعضهم بعضا حتى مات منهم في تلك الزحام وبواطي الاقدام خمسة وعشرون الفا. وانهم فرعون فيمن انهم متخوفوا مرعوبا عا دما عقله. وقد استطلق بطنه في يومه ذلك اربعة ايام. ثم بعد ذلك الى اربعين مرة في السوم والليله على الدوام الى ان اهلكه الله بالغرق. وهذه رواية الثعلبي قوله تعالى **فوقع الحق** يعني فظهر الحق الذي جاء به موسى **وبطل ما كانوا يعملون** يعني من السحر. وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقت جبالنا وعصينا. فلما فقدت وتلاشت في عصا موسى

علموا ان ذلك من امر الله وقدرته **فغلبوا هناك** يعني فعند ذلك غلب فرعون وسحرته
وجموعه **وانقلبوا صاعرين** اي وصاروا اذ لا مبهورين **والقي السحرة ساجدين** يعني
ان السحرة لما عاينوا من عظيم قدرة الله ما عاينوا وليس في قدرتهم مقابله بسحر خروا
له ساجدين كما نما القاهم ملق لشدة خروهم وذلك ان الله عز وجل معرفه والامان
به **والوا امناب رب العالمين** فقال لهم فرعون اياي تعنون قالوا بل **رب موسى وهرون**
قال مقابل ان موسى عليه السلام قال لكبير السحرة تو من بي ان غلبتك فقال لا تين بسحر
لا غلبه سحر ولين غلبتني لا ومن بك **وقال** ان احوال والعصى التي كانت مع السحرة
كانت حمل ثمانية بعير فلما استلعتها عصي موسى كلها **وال بعضهم** لبعض هذا امر خارج عن
حد السحر وما هو الا من امر السماء فامنوا وصدقوا **فان قيل** كان يجب ان ياتوا
بالامان قبل السجود فما فائدة بقدم السجود على الامان **قيل** له لما قد فاهه عز وجل
في فلو بهم الامان والمعرفة خروا سجدا لله تعالى شكرا على ما هداهم اليه والهمم به من
الامان بالله وتصدق رسوله ثم اطهر وابعث ذلك ايمانهم **وقيل** لما راوا من عظيم
قدرة الله وسلطانه في امر العصا وانه ليس بقدر على ذلك احد من البشر وزالت كل
شبهة كانت في فلو بهم يادروا الى السجود لله تعالى بعظما لشانه لما راوا من عظيم قدرته
ثم اطهر واما باللسان **قال** ابن عباس رضي الله عنه لما رات السحرة مارات
عرفت ان ذلك من امر السماء وليس بسحر خروا سجدا وقالوا امناب رب العالمين رب
موسى وهرون **وقال** الثعلبي كان في السحرة اثنان وسبعون شخصا قد اختلف طهورهم
من الكبر وكانوا علماء السحرة وكان رئيس الجماعة اربعة نفر ساپور وغادور
وخطاط ومصنفي وهم الذين امنوا حين راوا ما راوا من سلطان الله تعالى **قال**
احسن تركي الشخص من الناس ولد في الاسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بعرض من
الدنيا وهو لا كفار نشاوا في الكفر بذلوا انفسهم لله تعالى وحكي عن الحسن ايضا انه كان
يقول ان الله تعالى غفر لا قوام سجدة واحدة سجدوها لله تعالى بغير وضوء ولا متوجهين
الى القبلة في مكان نجس وبدن نجس **قيل** من هم يا با سعيد **قال** سحرة فرعون

الهمم

انهم لما راوا الالامات والعلامات حين التقى موسى عصاه وبلغت جبالهم علموا ان هذا
 الدين حق وما خزن فيه باطل فوقعوا له ساجدين فغفر لهم كفرهم سجدة واحدة بلا
 طهارة ولا قبله فكيف حال من سجد لله تعالى طاهرا في مكان الى القبلة الطاهرة الا يغفر له
 قوله عز وجل **قال فرعون اأنتم به قبلان اذن لكم** وهذا الكار منه عليهم والمعنى
 انتم موسى وصدقتموه قبل ان امركم بذلك واذن لكم فيه **ان هذا لكم مكر ثموه في المدينة**
 يعني ان هذا الصنع صنعتموه انتم وموسى في مدينة مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع
 وذلك ان فرعون راى موسى تحدث كبير السحرة فظن فرعون ان موسى وكبير السحرة
 قد ثا طآ عليه وعلى اهل مصر وهو قوله **ليخرجوا منها اهليا** اي ليخرجوا من مصر
 القبط وستولوا عليها انتم وهذا الكلام كان من فرعون تمويها على الناس ليلاتبوا
 السحرة في الامان **فسوف تعلمون** منه وعيد وتهديد يعني سوف تعلمون ما افعل
 بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال **لا قطعن ايديكم وارجلكم من خلاف** من كل شق طرفاه
 وهوان بقطع احدى اليدين واحدى الرجلين فخالف بينهما في القطع **ثم لاصلينكم اجمعين**
 يعني على شاطئ نيل مصر قال ابن عباس رضي الله عنه اول من صلب واول من قطع الايدي
 والارجل فرعون **قالوا** يعني محبين لفرعون حين وعد بالقتل **انا الى ربنا منقلبون**
 يعني انا الى ربنا راجعون واليه صايرون في الآخرة فلاننا الى الموت لانقلابنا الى لقاء
 ربنا ورحمته اوانا جميعا بعنونا انفسهم وفرعون تنقلت الى الله فحكم سننا ثم قالوا
 محبين لفرعون على وجه التوبيخ حين وعدهم بالقتل **وما ننتقم منا الا ان آمننا بايات**
ربنا لما جآتنا يعني وما تكره منا وما نطعن علينا وما نغيب منا الا الامان بايات الله
 ارادوا وما نعد منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر وهو الامان **هايات الله**
 ومنه قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم **بهتت فلوك من قراع الكمايب**
 وقال **عظا معناه** وما لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه الا ان آمننا بايات رسالما جآتنا
 ثم فرعوا الى الله تعالى وسالوه الصبر على تعذيب فرعون اياهم فقالوا **ربنا افرغ علينا**

صَبْرًا اي صبر علينا صبرا كاملا تاما. ولهذا اتى بلفظ التنكير بعني صبرا واي صبر عظيم
 وفي لفظ آخر اصبر علينا ذريعا. والمعني هب لنا صبرا واسعا. واكثره علينا حتى يفيض
 علينا. ونعمرتنا كما تفرغ الماء فراغا **وتوفنا مسلمين** بعني واقبضنا على دين الاسلام وهو
 دين حلي بك ابراهيم عليه السلام. **قال** الكلبي ان فرعون قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم
وقال غيره انه لم يقدر عليه لقوله تعالى فلا يصلون اليك باياتنا. انتم اومن الله كما
 الغالبون. **وقال** بعضهم ايضا ان فرعون اخذ السحرة وقطعهم على ساحل نهر مصر وذلك
 انه آمن بموسى عند ايمان السحرة ستمائة الف. **وقال** صاحب روضة العلماء لما سلم
 سحرة فرعون **قال** فرعون لا قطعن ايديكم. والواله هذه الايدي جزاؤها القطع لانا
 رفعناها اليك وقلنا انت الهنا. فاجب دعانا. وانما كان يجب علينا ان نرفعها الي الله.
 فجزا مثل هذه الايدي القطع. ثم **قال** فرعون وارجلكم من خلاف. قالوا جزا هذه الارجل ايضا
 القطع لانا سجيننا بها الي نبي الله وقلنا بعزة فرعون لنغلبن. **قيل** في التفسير لما
 والوا بعزة فرعون لنغلبن. قال الله تعالى من فوق عرشه لا غفرت. **قال** فرعون
 ولا صلبكم في جذوع النخل. فقالوا اذا صلبنا اظهرت انك لست باله. لانا اذا صلبنا
 نكون فوقك. والاله فوق كل شي. ثم **قالوا** لن نؤثرك على ما جانا من البيئات والذي فطرنا.
 فافض ما انت قاض. ان شئت فاقطع الايدي. وان شئت فاقطع الارجل. **صبر** على
 قطع كل شي الاعلى قطع السر من المولى. فانه لا صبر لنا عليه. **وقال** صاحب الروضة
 ايضا وروى في التفسير ان الذي راوا من البيئات هو ان الرب سارك وتعالى رفع عن
 الجباق الارض حتى راوا الي تحت الثرى. وفتح ابواب السما حتى راوا الي العرش والعلاء.
 فلذلك **قالوا** لن نؤثرك على ما جانا من البيئات. **قال** الثعلبي ورجع فرعون مغلوبا
 مفلولا مكسورا. ثم ابي الالاقامة على الكفر والتماذي في الشر. فتابع الله عليه الالانات.
 واخذه وقومه بالسفن الي ان اهلكهم. وخرج موسى راجعا الي قومه. والعصا على حالها
 حية تتبعه وتبصير حوله وتلود به كما يلود الكلب الالوف بصاحبه. والناس
 ينظرون اليها وسججون منها. قد ملئوا رعبا. فلم تنزل الحية على ذلك والناس

ينظرون ونخزلون وتتضاغظون حتى دخل موسى عليه اللام عسكر بني اسرائيل فاخذ براسها
 فاذا هي عصاه كما كانت اول مرة. وشتت الله على فرعون امره ولم يجد على موسى سبيلا.
 فاعتزل موسى من مدنته ولحق بقومه وعسكر واجتمعين متبعين الى ان صاروا ظافرين.
قوله تعالى وقال الملائكة قوم فرعون ائذ رموى وقومه ليبيدوا في الارض يعني
 وقال جماعة من اشراف قوم فرعون لفرعون اتدع موسى وقومه من بني اسرائيل لفسدوا
 في الارض يعني ارض مصر. واراد بالافساد فيها انهم يامرونهم بمخالفة فرعون وتغيير
 دين اهل مصر. لانه وافوا الحجر على الايمان ستمائة الف نفس. فخافوا ان يخلبوا على الملك
ويذرك واليهتك يعني وتذره فيذرك ويذره اليهتك فلا يعبدك ولا يعبدها. قال
 ابن عباس رضي الله عنه كانت لفرعون بقرة وكان يعبدها. وكان اذا راي بقرة حسنة
 امرهم بعبادتها. ولذلك اخرج لهم السامري عجلا. وقال السدي كان فرعون قد اتخذ
 لقومه اصناما وكان يامرهم بعبادتها. وقال لهم انا ربكم ورب هذه الاصنام. وذلك قوله
 انا ربكم الاعلى. والاقرب ان يقال ان فرعون كان دهريا منكر الوجود الصانع. وكان
 يقول مدبر هذا العالم السفلي الكواكب. فاتخذ اصناما على صورة الكواكب وكان يعبدها
 ويامر بعبادتها. وكان يقول في نفسه انه هو المطاع والمخدوم في الارض. فلهذا قال انا
 ربكم الاعلى. وقال الحسن كان فرعون يعبد الاصنام. وكان يعبد ويعبد. وقال
 اليميني قلب للحسن هل كان فرعون يعبد شيئا قال نعم. ان كان ليعبد شيئا قد جعله
 في عنقه. وقد معنى واليهتك يعني وطاعتك. كما في قول الله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم
 اربابا من دون الله انهم ما عبدوهم. ولكن اطاعوهم فصار ميثيلا. وقران نعم بن ميسرة
 ويذرك بالرفع. على تقدير وهو يذرك. وقران الاشهب العقيلي ويذرك واليهتك.
 وقران اس بن مالك ونذرك بالنون والرفع. اخبروا عن انفسهم انهم يتركون عبادته.
 وقران علي بن ابي طالب وان عباس والضحاک ويذرك واياهتهك بكسر الالف ومغاله
 ويذرك وعبادتك فلا يعبدك لان فرعون كان يعبد ولا يعبد. قال اس الانباري
 فيس مذهب اصحاب هذه القراءة ان فرعون لما قال انا ربكم الاعلى وما علمت لكم من اله

ضري نفى ان يكون له رب والهمة فقدره ويذكر والاهتك معنى وشارك وعبادة النار
وقراءة العامة واليهتك كما تقدم وهي مبنية على ان فرعون ادعى الربوبية في طاهر امره
وكان يعلم انه مربوب ويدل على هذا قوله عند الحكم امت انه لا اله الا الذي امتت به سوا
اسرايل فلم يقبل هذا القول منه لما اتى به بعد غلق باب التوبة وكان قبل هذه الحال
له اله يعبده دون رب العالمين وقد قلنا ان المراد بالالهة على قراه على وابن
عباس البفرة التي كانوا يعبدونها وقيل ارادوا بها الشمس والكواكب لانه كان
يعبدها قال الشاعر

ترودنا من الكعبا قصرا فاعجلنا الالهة ان تؤوبا

اراد بالالهة الشمس ولما قال قوم فرعون لفرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في
الارض الالهة انهم قال سنقتل ابناهم ونسختهم قرا ابن كبير وابن عامر
سنقتل ابناهم بالحنف وقرا السا قون بالشد يد على الكثير وقوله ونسختهم
اي نتركهن احياء وذلك ان قوم فرعون لما ارادوا حمل فرعون على قتل موسى وقومه
اوجس موسى وانزال العذاب بقومه ولم يقدر فرعون ان يفعل سمى عليه السلام
شيا مما ارادوا به لقوة موسى مما معه من المعجزة عدل الى قومه فقال سنقتل اناسهم
ونسختهم ونسختهم وقال ابن عباس كان قد ترك القتل في بني اسرايل بعد ما ولد موسى
فلما جاءهم موسى بالرسالة وكان من امره ما كان قال فرعون اعيدوا عليهم القتل
فاعادوا القتل على بني اسرايل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى موسى بقومه فنحن
سنعفي نقييل عدد قومه بالقتل لتقل شوكته ثم سر فرعون انه قادر على ذلك
بقوله **وانا فوقهم قاهرون** يعنى بالخلبة والقدرة عليهم وروى عن سعيد بن جبير
قال كان فرعون قد ملك من موسى رجبا فكان اذا راه بال كما يبول الحمار ولما
بلغ قوم موسى من فرعون هذا شكوا اليه فاجابهم كما حكى الله عنه **قال موسى لقومه**
استعجبوا بالله واصبروا يعنى استعجبوا بالله على فرعون وقومه فمما نزل بك من
البلاء فان الله هو الكافي لكم واصبروا على ما نالكم من المكارة في انفسكم وابنايكم ان

الارض لله يعني ارض مصر. وان كانت الارض كلها لله تعالى **يورثها من يشاء من عباده**
 وهذا اطماع من موسى لني اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه وممك بنوا اسرائيل
 ارضهم وبلادهم بعد هلاكهم وهو قوله **والعاقبة للمتقين** يعني ان النصر والظفر
 للمتقين على عدوهم. **وقل اراد الجنة** يعني ان عاقبة المتقين الصابرين الى الجنة هـ
والواو اودينا من قبل ان تاتيها ومن بعد ماجيتنا قال ابن عباس رضي الله عنهما لما آمنت
 السحرة تتبع موسى ستمائة الف من بني اسرائيل. والمعنى ان بني اسرائيل لما سمعوا ما قال فرعون
 ووعدهم به من القتل مرة ثانية والواو موسى قدا ودينا من قبل ان تاشأ يعني بالرسالة هـ
 وذلك ان بني اسرائيل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه. وكان يستعملهم في الاعمال
 الشاقة الى نصف النهار. فلما جاء موسى بالرسالة وجرك له ما جرك شدد فرعون في
 استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار. واعاد القتل عليهم. فقالوا اودينا من قبل ان
 بعد ماجيتنا يعني بالرسالة. وظاهر هذا الكلام موهم بان بني اسرائيل كرهوا محي موسى
 بالرسالة. وذلك كفر. والجواب عن هذا الاتهام بان موسى عليه السلام كان قد وعدهم
 بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا ان ذلك يكون على الفور. فلما راوا انه
 قد زادت الشدة عليهم قالوا اودينا من قبل ان تاتيها ومن بعد ماجيتنا فتى يكون
 ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه. **قال موسى مجيبا لهم عسى ربكم ان يهلك عدوكم**
 يعني فرعون وقومه **ويستخلفكم في الارض** يعني ويجطكم تخلفوه في ارضهم بعد هلاكهم هـ
 قال السفي في هذا تصرح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك
 فرعون واستخلافهم بعده في ارض مصر. **وال بعضهم عسى من الله واجب جد لهم**
الوعد وحققه وقد استخلفوا في مصر في زمن داود وسلمان عليهما السلام. وفتحوا
 بيت المقدس مع يوشع بن نون كما تقدم. **وروي انهم قالوا ذلك حين خرج بهم موسى**
وتبعهم فرعون فكان وراهم والبحر امامهم محققا الله الوعد بان عرق فرعون وقومه
 وانجاهم وقوله **في نظر كيف تعملون** يعني فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم **قال**
الزجاج فيرى ذلك بوقوع ذلك منهم لان الله تعالى لا يجازيهم بما علمه منهم انما

بهر اندك ذوق دينا اي بخين
 ياد دادي ذوق عقي را بخين

بجازهم على ما يقع من العمل منهم قولهم عز وجل **ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين**
بمعنى بالجدب والفحط تقول العرب مستهم السنة بمعنى اخذهم الجذب في السنة
وتقال اسنوا كما يقال اجذبوا والشاعر
ورجال مكة مستننون عجاف

ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم احعلها عليهم سنين كسني يوسف ومعنى الالة ولقد
اخذنا آل فرعون بالجدب والفحط والجوع سنة بعد سنة وسنين جمع سنة والسنة
هنا بمعنى الجذب لا بمعنى الحول تقول العرب أسنت القوم اي اجذبوا
قال عبدالله بن الزبير شاعر قرش

عمر والعللي هشم الشريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف وتقدم اوله وقوله
ونقص من الثمرات بمعنى وتلاف الغلات بالآفات قال قتادة اما السنون فلاهل
البواري واما نقص الثمرات فلاهل الامصار قال صاحب الكشاف روى عن كعب
الاحبار انه قال نأى على الناس زمان لا تحمد النحلة الا ثمرة قال العلماء لما ابى فرعون
وقومه الا الاقامة على الكفر والتماذى في الشر والظلم دعى موسى عليه السلام فقال يا
رب ان عبدك فرعون طغى في الارض وبغى وعنى وان قومه قد نقضوا عهدك واخلفوا
وعدك رب فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نعمة ولقومي عظة ولمن بعدهم من الامم
عبرة فتابع الله عليهم الالامات المفصلات بعضها في اثر بعض فاخذهم بالسير ونقص
من الثمرات **لعلمهم بذكرون** بمعنى لعلمهم تتعظون فيرجعوا عما هم منه من الكفر والمعاصي
وذلك لان الشدة ترقق القلب وترغب فيما عند الله عز وجل من الخير ولان الناس في
حال الشدة اضرع خدودا وارق افيده وروى بعض المفسرين ان فرعون عاش اكثر
من ستمائة سنة ومكدا ربعمائة سنة لم يرف فيها مكر وها او في بلائها وعسر سنة منها
ولوراي مكر وها لما ادعى الربوبية وقال صاحب الكشاف عاش فرعون اربعمائة سنة
ولم يرمكروها في بلائها وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حتى
لما ادعى الربوبية وروى ان موسى عليه السلام قال يارب امهلت فرعون اربعمائة سنة

وهو يقول انار بكم الاعلا وبكذب اياتك فقال الله عز وجل انه كان حسرا لخلق سهل
 الحجاب فاجبت ان اكا فيه ثم سئل الله تعالى انهم عند نزول ملك المحزن عليهم والشدة
 لم يزدادوا الا شردا وكفرا فقال تعالى **فاذا جاءتهم الحسنة** يعني الغيث والخصب
 والسعة والعافيه والسلامة من الآفات **قالوا لنا هذه** اي نحن مستحقون لها ونحن اهلها
 على العادة التي جرت لنا في سعة الارزاق وصحة الابدان ولم يروا ذلك من فضل الله
 عليهم فشكروه على انعامه **وان تصيبهم سئة** يعني القحط والجذب والمرض واليأس
 وراوا ما يكرهون في انفسهم **يطير وابوسى ومن معه** اصل يطير وانتطير وا والتطير
 التثام في قول جميع المفسرين والمعنى انهم والوا ما اصابنا بلا الا حين رايناهم وما
 ذلك الا بشوم موسى وقومه **الا انما يطيرهم عند الله** يعني ان نصيبهم من الخير والجذب
 والخير والشركه من الله وقال ابن عباس يطيرهم ما قضى لهم وقد راعاهم من عند الله
 وفي رواية عنه شومهم عند الله ومعناه انما جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشوم العظيم
 هو الذي لهم عند الله من عذاب النار فان قيل كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة
 باذا وتعريف الحسنة وان نصيبهم سيئة باذا وتكثير السئة قيل له لان جسر
 الحسنة وقوعه كالكاين لكثرتة واما السئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شئ
 منها ومنه قول بعضهم

قد عددت ايام البلاء فهذه عددت ايام الرخاء

وقال بعضهم المفسر ايضا الاصل في التطير من الطيرة وزجر الطير ثم كثر استعمالهم
 حتى قيل لكل من تشام تطير وكان في العرب تيمن بالساح وهو الذي ياتي من ناحية
 اليمن وتشام باليارح وهو الذي ياتي من ناحية الشمال وكانوا ينظرون ايضا صوت
 الغراب وتناولونه باليمن وكانوا يستدلون بحجابات الطيور بعضها على امور
 وباصواتها في غير اوقاتها المعهودة على مثل ذلك وهكذا النبا اذا مضت ساحة او
 بارحة الا ان اقوى ما عندهم كان يقع من جميع الطيور وسموا الجميع تطيرا من هذا
 الوجه واما تطير العجم وكانوا اذا راوا صبيبا يذهب به الي المعلم بالغداة تطيروا به

ويتيمنون برؤية الصبي يرجع من عند المعلم إلى بيته. ويتشامون برؤية السقا على ظهره
قربة مملوءة مشدودة. ويتيمنون إذا كان سقاؤه فارغا مفتوحا. ويتشامون برؤية
الحمال المثقل بالحمل والدابة الموقرة. ويتيمنون بالحمال الذي وضع حمليه وبالذابة
تخط عنها ثقلها. فحيا الاسلام بالنهي عن التطير والتشائم مما يسمع من صوت أي طائر
كان وعلى أي حال كان. فقال النبي صلى الله عليه وسلم أقرؤوا الطير على مكائنها. وذلك
إن كثيرا من أهل الجاهلية كان إذا أراد الحاجة إلى الطير في ذكرها فنفرها. فإن أخذت
ذات اليمين مضى لحاجته. وهذا هو السائح عندهم. وإن أخذت ذات الشمال رجع. وهذا
هو البارح عندهم. فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله أقرؤوا الطير على مكائنها هكذا
في الحديث. وأهل العربية يقولون على وكائنها. والوكن موضع الطائر. وإضا من العرب
من لا يرى التطير شيئا ويمدحون من كذب به. وأنشد المرقش ٥

ولقد عدوت وكنت لا اغدو على وائٍ وحائم ٥

فإذا الأشايم كالأيامن والأيامن كالاشايم ٥

وقال عكرمة كنت عند ابن عباس فمر طائر بصبح. فقال رجل من القوم خير خير
فقال ابن عباس ما عندها لا خير ولا شر. وقال القرطبي قال علماءنا وأما أقوال
الطير فلا تعلق لها مما يجعل دلالة عليه. ولا علم لها بكائن فضلا عن مستقبل فخبر به
ولا في الناس من يعلم منطوق الطير. إلا ما كان الله تعالى خص به سليمان عليه السلام من ذلك
فالتحو والتطير يجمله الباطل. وقال بعضهم السائح ما ولاك ميامنه بان سر عن
سارك إلى يمينك. والبارح بالعكس. وليس في شيء من صنوح الطير وبروجها ما يقتضي ما
اعتقدوه وإنما هو تكلف بتعاطي ما لا أصل له. إذ لا نطق للطير ولا تمييز فيستدل به
بفعله على مضمون معني فيه. وطلب العلم من غير مظانته جهل من فاعله. وقد كان بعض
عقلاء الجاهلية ينكر التطير ويتمدح بتركه. وكان أكثرهم يتطرون ويعتمدون على ذلك
ويصح معهم غالبًا لترسب الشيطان ذلك. قال وبقيت من ذلك بقايا في كثير من المسلمين
وقد أخرج ابن جبان في صحيحه من حديث أسرفعه لاطيرة. والاطيرة على من تطير. ٥

واخرج عبد الرزاق عن معمر بن اسمعيل بن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 ثلاثة لا يسلم منهم احد الطيرة والظن والحسد فاذا تطيرت فلا ترجع واذا
 حسدت فلا تقع واذا ظننت فلا تحقق واخرج ابن عدى بسندين عن ابي هريرة
 رفعه اذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا واخرج الطبراني عن ابي الدردار رفعه
 لن ينال الدرجات العلى من تكهن واستقسم او رجع من سفر تطيرا ورجاله ثقات
 وفي الحديث الصحيح لا عدوى ولا طيرة احدث وعنه عبد الله بن عمر بن العاص
 رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من رجعت الطيرة عن حاجته فقد
 اشرك قبل وما كفارة ذلك ما رسول الله قال ان يقول احدكم اللهم لا طير الا طيرك ولا
 خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم مضى لحاجته وفي خبر آخر اذا وجد ذلك احدكم فليقل
 اللهم لا ماني بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك
 ثم يذهب متوكلا على الله فان الله بكفيه ما وجد في نفسه من ذلك وكفاه الله ما اهمه
 وذلك معنى قول الله تعالى وان تصبهم سمه بطيرا وسموسى ومن معه الا انما طأيرهم عند الله
ولكن اكثرهم لا يعلمون يعنى ان ما اصابهم من الله تعالى وانما قال اكثرهم لا يعلمون لان
 اكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب ولا يضيفونها الى القضا والقدر **قوله**
تعالى وقالوا مهما تاتنا به من آية لنشكركناتنا بها فما نحن لك بمؤمنين يعنى ان قوم فرعون
 وهم القبط والواالموسى عليه السلام مهما تاتنا به من آية من عند ربك لتصرفنا عما نحن
 عليه من الدين ففى عندنا سحر وما نحن لك بمصدقين واصلهما ما اما الاولى للشرط
 والثانية زايدة توكيدا للجزا كما تزداد فى سائر الحروف مثل اما وحيثما وايضا وكيفما
 فكلها حروف لفظها واحد قابد لو امكن الالف الاولى هاء فقالوا مهما واصلها ما اما
 كما تقدم وقال الكسائى اصلهما مة ومعناه كف ما تاتنا به من آية فان قيل
 ما محل مة وسرله محلها الرفع والنصب اما الرفع فعناه ايما شئ تاتنا به
 واما النصب فعناه اى ما شئ تخضرناتنا به وقوله من آية تبيير لهما والضميران
 فى به وبها راجعان الى مة الا ان الضمير الاول ذكر على اللفظ والثانى ائت على المعنى

لانه في معنى الالة . ونحوه قول زهير ن
ومهما يكن عند امرئ من خليقة : وان خالها تخفى على الناس تعلم :
هكذا ذكره صاحب الكشاف . قال وهذه الكلمة بمعنى مهما في عداد الكلمات التي كثرها
مر لا يد له في علم العربية . فيضعها غير موضعها . وحسب ان مهما بمعنى الوقت فيلحق
في ايات الله وهو لا شعور . وقال ايضا فان قلت كيف سموها آية ثم والوا الشجرنا
بها . قلت ما سموها آية لا اعتقادهم انها آية . وانما سموها آية اعتبارا بالشمسية
موسى اوفضد وان ذلك الاستهزاء . والله اعلم . وبروي ان موسى عليه السلام بقي في القبط
بعد النقا السحرة سجدا عشرين سنة يرثهم الالات الى ان غرق الله فرعون . فكان هذا
قولهم . معنى مهما تاتنا به من آية لشكرنا بها فما نحن لك مومنين . وقال بعض المفسرين معنى
هذا ان القبط والوا موسى نحن لا نخضع لك بدليل ما . فلا نؤمن ابدا . وكان موسى عليه
السلام رجلا حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم فاستجاب الله دعاه . فقال تعالى
فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفضلات الى قوله
مجرمين . قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقادة ومحمد بن اسحق دخل كلام بعضهم في بعض
والوا لما امتت السحرة ورجع فرعون مغلوبا ابى هو وقومه الا الاقامة على الكفر والتماكي
في الشرف فتابع الله عز وجل عليهم بالآيات فاخذهم اولا بالسنين . وهو القحط . ونقص الثمرات .
واراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصا فلم يؤمنوا . فدعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك
فرعون علا في الارض وبغا وعتا وان قومه قد نقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة تجعلها
عليهم نعمة . ولقومي عظة . ولمن بعدهم آية وعبرة . فبعث الله عليهم الطوفان . قال
صاحب الكشاف الطوفان ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل . قيل طغى الماء فوق حروثهم .
وذلك انهم مطروا بما منه ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمر ولا يقدر احد
ان يخرج من داره . وقبل ارسال الله عليهم السما حتى كادوا يهلكون . وبيوت بني اسرائيل وسوت
القبط مشتبكة فامتلات بيوت القبط ما حتى واموا في الماء الى تراقيهم . ومن جلس منهم غرق
ولم يدخل في سوت بني اسرائيل من ذلك الماء قطره . وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فنعهم

ومدار بعض

من المحرث والبنا والتصرف والحركة. ودام ذلك الماء عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت.
 وقال مجاهد وعطا الطوفان الموت. وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة اهل اليمن.
 وقال ابو قلابة الطوفان الجدرى وهم اول من عبد بوابه ثم بقي في الارض. وقال
 معاذ الطوفان الماء طفا فوق حروثهم. وفي رواية ابن عباس ان الطوفان امر من امر الله
 عز وجل طاف بهم. فعند ذلك قالوا لموسى ادع لنا ربك لكشف عنا هذا المطر فحن يومين
 بك ونرسل محك بنى اسرائيل. فدعا موسى عليه السلام ربه عز وجل. فرفع عنهم الطوفان
 وابنت لهم بكل السنة شالهم بيته قبل ذلك من الكلا والزرع والتمر. فاحصب بلادهم.
 فقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا فلم يومنوا. واقاموا شهرا في عافية فبعث
 الله عليهم الجراد فاكل عامة زروعهم وثمارهم وورق الشجر حتى اكل الابواب.
 وسقوف البيوت والخشب والثياب والامثلة حتى اكل مسامير الحديد التي في الابواب
 وغيرها حتى جعلت دورهم تتساقط. وابتلى الجراد بالجوع فكان لا يشبع ابدا. وامتلاء
 دور القبط. ولم يدخل سوت بنى اسرائيل من ذلك شئ. فغجبوا وفزعوا الى موسى وصجوا ووالوا
 ما موسى ادع لنا ربك ليركشفت عنا هذا الرجز لنؤمنن لك. واعطوه عهدا لله وميثاقه بذلك.
 فدعا موسى عليه السلام ربه عز وجل فكشف الله عنهم الجراد بعدما اقام عليهم سبعة ايام
 من السبت الى السبت. ونقال ان موسى عليه السلام خرج الى القضا فاشار بعصاه نحو
 المشرق والمغرب فزجع الجراد من حيث جاء. واعلم ان الجراد معروف واحده جرادة.
 والذكر والانثى فيه سوا. يقال حرادة ذكر. وحرادة انثى كخلة وجمامه. قال اهل اللغة
 والجراد مشتق من الجرد. ومن الجراد ما هو برك وما هو حركى. قال الله تعالى حاكما عن
 قوام الخلائق من صورهم كرحون من الاجداث كانوا جراد منتشراى في كل مكان. وقيل
 وجه تشبههم بالجراد انهم يقومون حيارا فزعين لا يهتدون. وليس لاحدهم نفضها.
 والجراد لاحمة له. فيكون ابدا بعضه على بعض. وقد سبهم تعالى في آية اخرى كالفراش
 المبتوث. وبل ان الخلائق يكونون اولا كالفراش حين يهوج بعضهم في بعض ثم اذا
 توجهوا نحو المحشر يكونوا كالجراد. والجراد اصناف مختلفة بعضها كبير الجثة.

وبعضه صغيرها وبعضه ابيض وبعضه احمر وبعضه اصفر وكنية الجواد ام عوف

وانشده بعضهم

وما صفرا تكنى ام عوف كان رجيلتيها مجلان

وكان سلمة بن مروان بن عبد الملك لقب بالجرادة الصفرا وكان موصوفا بالشجاعة

والاقدام والراى والدها ولي ارمينية واذ ريجان غير مرة وامرة العراقيين

وسار في مائة الف وعشرين الفا وعزى القسطنطينيه في خلافه سلمان اجيه

وكانت وفاته في سنة احدى وعشرين ومائة ومما حكى عن الفوائد عنه انه لما

حاصر عمورية من ارض الروم حصل له صداع فلم يركب في الحرب فقال اهل عموره للمسلمين

ما لا يبركم لم يركب فقالوا عرض له صداع فاخرجوا لهم برنسا وقالوا البسوه هذا البرنس

يزول عنه ما يجرد فالبسوه اياه فشفى في وقته ففتشوا البرنس فلم يجدوا فيه شيئا

ففتقوا ازاره فاذا فيه بطاقة مكتوب فيها هذه الامات لسمر الله الرحمن الرحيم ذلك كيف

من ربكم ورحمة لسمر الله الرحمن الرحيم بربر الله ان تخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا

لسمر الله الرحمن الرحيم الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا لسمر الله الرحمن الرحيم حم عسق

لسمر الله الرحمن الرحيم واذا سالك عبادى عنى فاقبى قريبا جيب دعوة الداعى اذا دعانى

لسمر الله الرحمن الرحيم المترالى ربك كف مد الظل ولو شال جعله ساكنا لسمر الله الرحمن الرحيم

وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم فقال المسلمون من اين لكم هذا فاما انزل على

نبيا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وجدنا هذا منقورا في حجر في كنيسة قنلان يجب نبينا

سبجاجة عام والكافظ ابن عساكر وكنيت للصداع ايضا لسمر الله الرحمن الرحيم

كهي بعض ذكر حمد ربك عبده زكرا اذ نادى ربه ندا خفيا المترالى ربك كف مد الظل

ولو شال جعله ساكنا كهي بعض حم عسق كمر لله من نعمة على عبد شاكر وغير شاكر وكمر من

نعمة لله في كل قلب خاشع وغير خاشع وكمر من نعمة لله في كل عرق ساكن وغير ساكر

اذ هبت ايها الصداع بعز عز الله بنور وجه الله وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى اله وصحبه اجمعين

مطلع فوائد بلصراع

كسب وعلو الر

كتبت وعلق على الراس فانه نافع ان ساء الله **هـ** واذا خرج الجراد من سبضه يقال له **الدياب**
 فاذا طلعت احنثته وكبرت فهو الغوغا **هـ** وذلك حين يهوج بعضه في بعض فاذا بدت فيه
 الالوان واصفرت الذكور واسودت سمي جراد حيسد **هـ** واذا اراد ان يبصر التمر لسبضه
 المواضع الصلده والصخور الصلبة التي لا يعمل فيها المعاول فيضربها بذيبه فتتفرج له
 ثم يلقى سبضه في ذلك الصدع فيكون لها كالا فحوص ويكون حاضنا له وسربا **هـ** وللجراد
 ستة ارجل يريان في صدرها وفامتان في وسطها ورجلان في موخرها وطرفا
 رجليها منشاران وهو من الحيوان الذي ينقاد لرئيسه فيجتمع كالعسكر اذا طعن اوله
 تتابع جميعه طاعنا واذا نزل اوله نزل جميعه ولعابه سم نافع للنبات لا تقع على شئ
 منه الا اهلكه وفي صحيح البخاري عن ابي هريره رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
 بينما ابون عليه اللام بغسل عريانا اخر عليه رجل جراد من ذهب فجعل يحش في ثوبه **هـ**
 فناداه ربه يا ايوب الم ان اغثيتك عما تترك قال بلى يا رب ولكن لا غنا لي عن مركتك **هـ**
 قال الامام الشافعي في هذا الحديث نعم المال الصالح مع العبد الصالح **هـ** وروى الطبراني
 والسهقي عن شعبه بن ابي زهير النميري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لا تغفلوا الجراد فانه جند الله الاعظم قال بعضهم هذا اذا لم تتعرض لفساد الزرع
 وغيره فان تعرض لذلك جاز دفعه بالقتل وغيره **هـ** وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان
 جرادة وقعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا على جناحها مكتوب بالعبرانية
 نحن جند الله الاكبر ولنا تسعة وسعون سنة ولو تمت لنا المائة لا كلنا الدنيا مما فيها **هـ**
 فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اهك الجراد اقتل كبارها وامت صغارها وافسد سبضها
 وسد افواهها عن مزاريح المسلمين وعزم عايشهم انك سميع الدعاء **هـ** فحاجب بر عليه اللام
 فقال انه قد استجب لك في بعضه **هـ** رواه الطبراني واسنده كذلك الحكيم في تاريخ نيسابور
 ثم اسند الطبراني ايضا عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال كنا على ما نده ناكل انا واخي محمد
 ابن الحنفية وبنو اعمى عبد الله والقثم والفضل ابنا العباس فوقع جراده على المائدة
 فاخذها عبد الله وقال لي ما مكتوب على هذه فقال لي سألت ابي امير المؤمنين عن ذلك فقال

سالت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي مكوب عليها انا الله لا اله الا انا ربت
الجرادة ورازقها. واذا شئت بعثتها رزقا لقوم. وان شئت بعثتها بلا على قوم. فقال
عبد الله هذا من العلم المكنون. ثم اسند ايضا هو وابو يعلى الموصلي عن جابر بن عبد الله
رضي الله عنهما قال ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة من سني خلافته فقد اجراد.
فاهتم لذلك هما شديدا. فبعث الى اليمن راكبا. والى الشام راكبا. والى العراق راكبا يسال
هل راى الجرادة. فاتاها راكب الذي من جهة اليمن بقبضة منه فنثرها بين يديه فلما
راى عمر ذلك كبر. وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عز وجل خلوا الف
امة ستمائة منها في البحر واربعائة في البر. وان اول هلاك هذه الامم الجراد. فاذا هلك
الجراد تتابعت هذه الامم مثل النظام اذا قطع سلكه. ورواه عدى في ترجمة محمد بن
عيسى العبدي وذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول. وقال انما صار الجراد اول هذه
الامم لهلاك الادميين لانها سخرت لهم. وفي كتاب اكلية في ترجمة حسان بن عطية
قال الاوزاعي حدثني حسان قال انما مثل الشياطين في كثيرهم كمثل رجل دخل زراعا
فنه جراد كثير. فكلما وضع رجله تطاير الجراد يمينا وشمالا. ولولا ان الله تعالى غض البصر
عنهم ما روى شي الا وعلمه شيطان. وفيها ايضا في ترجمة يزيد بن مسرة قال
كان طعام يحيى بن زكريا الجراد وقلوب الشجر. وكان يقول من العجم منك يا يحيى وطعامك
الجراد وقلوب الشجر. وفي الجراد خلقة عشرة من جبابرة الحيوان مع ضعفها.
وجهه وجه فرس. وعيناه عينا فيل. وعنقه عنق ثور. وقرناه قرنا ايل. وصدرة
صدر اسد. وبطنه بطن عقرب. وجناحاه جناح اسر. وفخذه فخذه جمل. ورجلاه
رجلا نعامة. وذنبه ذنب حية. وانشد القاضي محي الدين الشهرزوري في وصف الجراد
لها فخذا بكرة وساقا نعامة. وقاد مناسر وجوجو ضيغ.
حفتها افاعي الارض بطنا وانعمت. عليها جياذ الخيل بالراس والفم.
وليس في الحيوان اكثر افسادا لما تقتاته الانسان من الجراد. قال الاصمعي اثبت البادية
فاذا اعرابي زرع بُراله فلما قام على سوقه وجاد سنبله اثاره رجل من جراد. فجعل الرجل

لا تأكل من لا يشعُرُ بافساد

ينظر اليه ولا يدرك كيف احييه فيه . فانشأ بقول
 مَرَّ الجراد على زرعٍ فعلت له . لا تأكلن ولا تسعي بافساد .
 فقال منهم خطيب فوق سنبله . انا على سفير لا بد من زاد .
 ووصل الاعمى الكد زرع . قال نعم . ولكن اتانا رجل من الجراد . كمن اجل اقصاء . فسبحان
 من يهلك القوى الاكول . بالصعيف الماكول . فابده . لطرده الجراد . تكت هذه الكلمات
 في ورقه وتجعل في ابوبة قصب وتجعل في الزرع او في الكرم فانه لا يوزيه الجراد باذن
 الله تعالى . وهي لسم الله الرحمن الرحيم . اللهم صل على سيدنا محمد . وعلى آل سيدنا محمد . اللهم
 اهلك صغارهم . واقتل كبارهم . وافسد سفهم . وخذ بافواههم عن معايشنا وارزاقنا .
 انك سميع الدعاء . اني توكلت على الله ربي وربكم . ما من دابة الا هو اخذ بناصيتها ان ربي على
 صراط مستقيم . اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد . واستجب منا يا ارحم الراحمين فهو
 عجيب مجرب . ومما يفعل ايضا لطرده الجراد . وقد جُرف وفعل فصرفه الله تعالى .
 اذا وقع الجراد بارض وارتت ان الله تعالى يصرفه فخذ منه زرع جرادات . واكت على
 اجنتهن اربع آيات من كتاب الله تعالى تسميها ويقول لهم انصرفوا اليها . على الاولى
 سببكم الله وهو السميع العليم . وعلى الثانية وحيل سنهم ومن ما شتهون . وعلى
 الثالثة ثم انصرفوا صرف الله فلو بهم . وعلى الرابعة فلما قضى الامر ولولوا الى قومهم
 منذرين . واما حكم الجراد . فقد راجع المسلمون على اباحتها اكله . وقد قال
 عبدالله بن ابي اوفى رضي الله عنه عزرونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات ناكل
 الجراد . رواه البخاري . وابوداود . والكافظ ابو نعيم . وفيه ويا كلة معنا صلى الله عليه وسلم .
 وروى ابن ماجه عن انس رضي الله عنه قال كنار وراج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنهار
 الجراد في الاطباق . وروى الامام مالك في الموطا من حديث ابن عمر رضي الله عنهما فقال
 ان عمر رضي الله عنه سئل عن الجراد فقال وددت ان عندي قفصة اكل منها . وروى
 البيهقي عن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان مريم ابنة
 عمران سالت ربها عز وجل ان يطعمها لحما لا دم له فاطعمها الجراد . فقال اللهم اعش

بغير رضاع . وتابع بينه وبينه غير شياخ . فقلت يا ابا الفضل ما الشياخ . قال الصوت ه
وقال الاممة الاربعة يحل اكله . سوامات حنث انفه او بدكاة او باصطياد بحوي
او سلم . وسواقطع منه سي امرا . وعن الامام احمد انه اذا قتله البرد لم يوكل . ولم يخفر
مذهب الامام مالك ان قطعت راسه حل والا فلا . وقال بعض المفسرين ايضا انقول العلماء
ان اكل الجراد حلال . وانه اذا اخذ حيا وقطع راسه انه حلال . وان ذلك ينزل منزلة
الذكاة فيه . وانما اختلفوا هل يحتاج الى سبب يموت به اذا صيد ام لا . فغائتهم على انه
لا يحتاج الى ذلك . ويوكل كيف مامات . وحكمه حكم الحنثان . وقال الامام مالك لا بد
من سبب يموت به كقطع روسه وارجله او اخنثته اذا مات من ذلك . او يعلق او يطرح
في النار . لانه عنده من حيوان البر فميتته محرمة . والدليل على عموم حله قوله
صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان الحوت والجراد . ودمان الكبد والطحال . واختلف
العلماء في قتل الجراد اذا دخل بارض فافسد . فقل لا تقتل . وقال الجمهور يقتل .
احتج الاولون بانه خلق عظيم من خلق الله . ما كل من رزق الله . ولا يجرى عليه القلم .
واحتجوا ايضا بما روى لا يقتلوا الجراد فانه جنده الله الاعظم . واحتج الجمهور بان
في تركها فساد الاموال . وقد رخص النبي صلى الله عليه وسلم تقال المسلم اذا اخذ ماله
والجراد اذا اراد فساد الاموال اولى ان يجوز قتله . الا ترى انهم قد انفقوا على انه يجوز قتل
الحية والعقرب لانهما يؤذيان الناس . فكذلك الجراد . وروى ابن ماجة عن جابر
واسر بن مالك رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم دعى على الجراد فقال اللهم اهلك كباره .
واقبل صغاره . وافسد بيضه . واقطع دابره . وخذ ما فواهه عن معاشنا وارزاقنا انك
سميع الدعاء . فقال رجل يا رسول الله كيف تدعوا على جنده من جنده الله بقطع دابره . قال
صلى الله عليه وسلم الجراد نثرة حوت في البحر . اى عطسته . والمراد ان الجراد من صيد
البحر . حل للمحرمان بصيده . وفيه عن ابن هريرة رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حج او عمرة فاستقبلنا رجل من جراد . فخطنا نضربهن بنعالنا
واسواطنا . فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلوه فانه من صيد البحر . والصحيح انه بركي لان

ويحتر

٩

المحرم يجب عليه الجزا اذا اتلفه عند الامام الشافعي . وبه قال عمر وعثمان وابن عمر
 وابن عباس رضي الله عنهم . قال بعضهم وهو قول اهل العلم كافة . الا ان ابا سعد الخدري رضي الله
 عنه فانه قال لا جزا فيه . وحيكاه ابن المنذر عن كعب الاحبار . وعروة بن الزبير فانهم
 قالوا انه من صيد البحر لا جزا فيه . واحتج لهم بحديث ابي المهزم رضي الله عنه . وفيه
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما هو من صيد البحر . ويقدم ^{نظير} الحديث . رواه ابو داود والترمذي .
 وصنف بعضهم ابا المهزم . واحتج الجمهور بما رواه الامام الشافعي باسناد الصحيح الى الحسن
 عن عبد الله بن ابي عمار انه قال اقبلت مع معاذ بن جبل رضي الله عنه وكعب الاحبار في
 اناس محرمين من بيت المقدس بحمرة حتى اذا كما بعض الطريق وكعب على نار يصطلي .
 فمرت به رجل من جرادة . فاخذ جرادتين فقتلها . وكان قد نسي احرامه . ثم تذكر
 احرامه فالتقاها . فلما قدما المدينة دخل القوم على عمر رضي الله عنه . ودخلت فيهم .
 فقصر كعب قصة الجرادتين على عمر رضي الله عنه . فقال ما جعلت على نفسك بالكعب قال
 درهمين . فقال نخ نخ درهمان خير من مائة جرادة . اجعل ما جعلت في نفسك .
 وروى الشافعي ايضا والسهقي عن القاسم بن محمد قال كنت حالسا عند ابن عباس رضي الله
 عنهما فساله رجل عن جرادة قتلها وهو محرم . فقال ابن عباس فيها قبضة من طعام .
 ولما خذت قبضه جرادات . قال الامام الشافعي اشار بذلك الى ان فيها القيمة .
 والجراد وسننه مضمونان بالقيمة على المحرم وفي المحرم . فلو وطيه عامدا او جاهلا
 ضمن . ولو عم الجراد المسالك ولم يجد بدا من وطيه فالأظهر انه لا ضمان . وقيل
 لا ضمان قطعا . والله اعلم . وتقدم حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في صدر الجراد مكثون جندا الله الاعظم . وعن عبد الله بن ضمرة السلوي
 رضي الله عنه قال لما اخرج الله تعالى ابليس من الجنة قال لا تخذن من عبادك جندا .
 فقال الله تعالى وانا متخذ من خلقي جندا وهو الجراد . فقال ابليس وجندى النساء .
 هن شبكتي التي لا تحطى . قال الاوزاعي وكان بيروت رجل يذكر انه رأى رجلا
 صالحا راكبا على جرادة . قال وعليه خفان طويلان احمران . وهو يقول الدنيا باطل

بالله ما فيها. ونقول بيده هكذا فحيثما اشار اسباب الجراد الى ذلك الموضع. فبلغنا
ان ذلك كان ملك الجراد. وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما ان جرادة وقعت
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا مكتوب على جناحها بالعبرانية نحن جند الله
الاكبر. ولنا تسعة وتسعون سنة. ولو تمت لنا المائة لا كنا الدنيا مما فيها. فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اهلك الجراد. اقتل كبارها. واميت صغارها. وافسد بعضها.
وسد افواهها عن مزارع المسلمين. وعن معايشهم انك سميع الدعاء. فحاجب بلعله اللام
فقال قد استجيب لك في بعضه. رجعت الى قصة قوم فرعون. وذلك ان الله تعالى
لما ارسل عليهم بعد الطوفان الجراد عاهدوا موسى عليه السلام ان لو كشف عنهم الجراد لامنوا
فخرج موسى عليه السلام الى الفضا فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من
حسبها. وكان قد بقي من زروعهم وثمارهم بقيه. فوالوا قد بقي لنا ما هو كافيا. فما نحن
بتاركي ديننا. فلم يفوا بما عاهدوا عليه. وعادوا الى اعمالهم الخبيثة. فاقاموا شهرا في عاينه
ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختل فوافيه فروى سعد بن جبيرة عن
عباس ان القمل هو السوس الذي يخرج من الكنفة. وقال مجاهد وقادة والسدي والكلبي
القمل الدباب. وهو صغار الجراد الذي لا اجنحة له. وقال ابو عبيد هو الحمان وهو
ضرب من الجراد. وفي لفظ اخر الحمان كبار القردان. وقال عطاء الخراساني القمل
هو القمل نفسه. وكان احسن بقرا فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل نفخ القاف
وسكون الميم. وقال ابن زيد القمل هي البراعيث. وقال الحسن هي دواب سود صغار.
وقال اصحاب الاحزاب ان الله تارك وتعالى امر موسى عليه السلام ان يمشي الى كذب رمل اعرض
بقربة من قري مصر شمي عين الشمس فمشى الى ذلك الكذب فضربه بعصاه فانها عليهم
القمل فتبع ما بقي من حروثهم وروعهم وثمارهم فاكلها كلها ولحس الارض. وكان
يدخل من يوب احدهم وجلده فيعضه. فاذا اكل احدهم طعاما امتلا قملا. وقال
سعيد بن المسيب القمل السوس الذي يخرج من الجيوب. وكان الرجل منهم يخرج بعشره اجرة
الى الرخا فلا يرد منها بلانة اقفرة. فلم يصابوا بيلا كان عليهم اشد من القمل. واخذت

اشعارهم وابشارهم وحواجبهم واشفار عيونهم ولزم جلودهم كانه الجدرى عليهم
 ومنعهم النوم والقرار فصرخوا موسى ان انتوب فادع لنا ربك لكشف عنا ^{هذا} البلاء
 فدعا موسى ربه عز وجل فرفع الله عنهم القمل بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت
 الى السبت فنكثوا بعد ذلك ورجعوا الى احيث ما كانوا عليه من الاعمال الخبيثة وقالوا
 ما كما قط اخوان ستيقز انه ساحر منا اليوم بحجر الرمل دواب فدعا موسى عليهم
 بعد ما اقاموا شهرا في عافيه فارسل الله عليهم الضفادع فامتلا منها
 بيوتهم وافئتهم واطعمتهم وانيتهم فلا لكشف احدنا ولا طعاما الا وجد منه الضفادع
 وكان الرجل منهم يجلس في الضفادع فتبلغ الى حلقه فاذا اراد ان يتكلم يثب الضفدع
 فندخل في فيه وكانت تث في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتظفي نيرانهم وكان
 احدهم اذا اصطحب للنوم ركبته الضفادع حتى يكون عليه ركاما فلا يستطيع ان يتقلب
 الى شقه الاخر واذا اراد ان ياكل سبقه الضفدع الى فيه ولا يعجز عينا الا امتلا
 ضفادع ولا يفتح قدرا الا امتلات ضفادع فلقوا من ذلك بلا شديدا وروى عكرمة
 عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت الضفادع برية فلما ارسلها الله عز وجل على فرعون
 وسمعت والطاعت وجعلت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي على النار وحي التنوير
 وهي نفور اثابها الله عز وجل بحسن طاعتها برد الماء وروى بعض المفسرين ايضا ان
 موسى عليه السلام لما دعى الله عز وجل ان لكشف عنهم القمل فكشفه فالواقد حققنا
 الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر
 الضفادع فدخلت سوتهم وذكر القصة وروى الثعلبي ان موسى عليه السلام دعى عليهم
 بعد ما اقاموا شهرا في عافيه وقتل اربعين يوما فاوحى الله اليه وامره ان يقوم على ضفة
 النيل فيعزز عصاه فيه ويشير بالعصا الى اقصاه وادناه واسفله واعلاه ففعل
 ذلك موسى فتداعت له الضفادع بالنقي من كل جانب حتى اعلم بعضها بعضا واسمع
 ادناها اقصاها ثم خرجت من النيل مثل البحر الدامن تدب سراعا تؤمر نحو
 ابواب المدينة فدخلت عليهم بيوتهم بغتة وامتلات منها افئتهم وانيتهم واطعمتهم

فكان لا يكشف احد ثوبا ولا انا ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه اضعا فامضاعفة
وكان الرجل يجلس في ذقنه في الضفادع وبهم ان يكلم فيب الضفدع في فيه وكان
احدهم نام على فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعا بعضها فوق
بعض وصارت عليه ركاما حتى ما استطع ان ينصرف الى شقه الاخره وكان احدهم يفتح
فاه لاكلته فسبوا الضفدع اكلته الى فيه وكانوا لا يعجبون عجينا الا انشدخت فيه
ولا يطبخون قدرا الا امتلات ضفادع وكانت تثب في بيرانهم فتطفيها وفي طعامهم
فتفسده فلقوا منها اذى شديدا والصفدع بكسر الصاد وضم الفاء والعين
المهملة واحد الضفادع والانشي ضفدعه وروي بعضهم صفدع بفتح الدال قال
ابن الصلاح والاشهر منه كسر الدال وفتحها اشهر في السنة العامة واشباه العامة من
الخاصة وقد انكره بعض ائمة اللغة ونقال للصفدع ابوالمسيح وابوهبيرة
وامر عبد وامرهبيرة والصفادع انواع كبيرة وتكون من سفاد ومن غير سفاد
وتتولد من المياه القائمة الضعيفة الجرى ومن العفونات وعقب الامطار الغزيرة
حتى يظن انه يقع من السحاب لكثرة ما يرى منه على الاسطح عقب المطر والريح وليس
ذلك عن ذكر وانشي وانما الله تعالى خلقه في تلك الساعة من طبايع تلك التربة وهي من
الحيوان التي لا عظام لها وفيها ما ينق وما لا ينق والذي ينق منها يخرج صوته من
قرب اذنه وتوصف بحدة السمع اذا تركت النقيق وكانت خارج الماء واذا ارادت
ان تنق ادخلت فكها الاسفل في الماء ومتى دخل الماء في فمها لا تنق وما اطرف
قول بعض الشعرا وقد عوتب على قوله كلامه فقال

قالت الصفدع قولا فسرتة احكما في صي ما وهذ ينطق من في فيه ماء

قال عبد القاهر والثعبان استد بصياح الصفدع عليه فيا في على صياحه فياكله
وانشد في ذلك

يجعل في الاشدق ما ينصفه حتى ينق والنقيق يتلفه

قوله بالصفة ليس المراد به العدل بل المراد حتى يبلغ نصفه الا على وقوله

ان المفق سلفه اراد به ان الضفادع اذا صاحت يتبعها الثعبان فيجى فاكلها وفي
 ذلك يقول الشاعر

ضفادع في ظلمة الليل تجاوبت فدل عليها صوتها حية البحر
 وحية البحر الا فعلى يكون في البر وهي تعيش في البر والبحر ويعرض لبعض
 الضفادع ما يعرض لبعض الوحوش من روياء النارجيرة اذا راتها وتتجب منها لانها
 يكون تنق فاذا اصرت النار سكنت ولا تزال تدم النظر اليها واول ابتدائها
 في الماء ان تظهر مثل حب الدخن اسود ثم تخرج منه وهي كالدعوص ثم بعد ذلك تنبت
 لها الاعضاء فسبحان القادر على ما شاء لا اله الا هو وفي كتاب الكامل لابن عدي في
 ترجمة عبد الرحمن بن سعد بن عثمان بن سعد القرط مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم عن
 جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قتل ضفدعا فعليه شاة محرما كان
 او حلال قال سفين فقال انه ليس شي اكثر ذكر الله منه وفيه ايضا في ترجمة حماد
 ابن عبيد انه روى عن جابر الجعفي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ضفدعا القت
 نفسها في النار من مخافة النار فاثابها الله تعالى بها برد الماء وجعل يقيقهن التسيح
 وقال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع والضرد والنحلة وفي
 كتاب الزاهر لابي عبد الله القرطبي ان داود عليه السلام قال لا سبحن الله تعالى الليله
 سبحا ما سبح به احد من خلقه فنادته ضفدعة من ساقية في داره يا داود تفخر
 على الله بتسبيحك وان لي سبعين سنة ما جف لي لسان من ذكر الله تعالى وان لي لعشر
 ليال ما طعمت خضرا ولا شربت ما اشتغالا بكلمتين فقال داود عليه السلام وما
 هما قالت يا سبحا بكل لسان ومذكورا بكل مكان فقال داود في نفسه وما عسى ان
 اقول ابلغ من هذا وروى السهقي في شعبه عن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال ان نبي
 الله داود عليه السلام ظن في نفسه ان احد الميميدج خالقه بافضل مما مدحه به
 فانزل الله عليه ملكا وهو قاعد في محرابه والبركة الى جانبه فقال يا داود افهم ما
 تصوت به هذه الضفدع فانصت اليها فاذا هي تقول سبحانك وحمدك منتهى علمك

فقال له الملك كيف ترى فقال والذي جعلني نبيا اني لم ادرجه بهذا وروى عن عكرمه
انه قال صوت الضفادع تسبيح وروى عن الاعمس عن صالح انه سمع صرير باب فقال
هدامنه تسبيح وان من شئ الا يسبح بحمده وقال الرئيس بن سينا اذا اكثر الضفادع
في سنة وزادت على العادة فانه يفع الوبا عقيبها **فايد** نقل الزمخشري في كتاب
الفايق عن عمر بن عبد العزيز ان رجلا سال ربه عز وجل ان يريه موقع الشيطان من
قلبه ابن ادم فرأى فيما يرى النائم رجلا كالبلور يرى داخله من خارجه وراى
الشيطان في صورة ضفدع له خرطوم كخرطوم البعوضة قد ادخله في منكه الايسر
وقد ادخله في قلبه يوسوس له فاذا ذكر الله تعالى خنس وقد ورد النهي عن قتل
الضفادع لما روى السهقي في سننه عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ان النبي صلى
الله عليه وسلم نهى عن قتل خمسة النملة والنحلة والصفدع والصد و الهدهد
وفي مسند ابى داود الطيالسي وسنن ابى داود والنسائي والحاكم عن عبدالله بن عثمان التيمي
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان طيبا ساله عن صفدع يجعلها في دوا فنهاه صلى الله عليه
وسلم عن قتلها فدل على ان الضفدع حرم اكلها وانها غير داخله فيما ابيح من ذوات
الماء وقال بعض العلماء انما حرم الضفدع لانه كان جارا لله في الماء الذي كان عليه العرش
قبل خلق السموات والارض قال الله تعالى وكان عرشه على الماء وروى ابن عدى عن
عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ان رسولا لله صلى الله عليه وسلم قال لا تقتلوا الضفادع فان
تقيقها تسبيح وروى الزمخشري انها تقول في تقيقها سبحان الملك القدوس وعن
اسر بن مالك رضي الله عنه لا تقتلوا الضفادع فانها مرت بنا رابرهيم عليه السلام فحملت
بافواهها الماء وكانت ترشه على النار وفي شفا الصدور من حديث عبدالله بن عمرو
ابن العاص رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقتلوا الضفادع فان تقيقهن يسبح
ومن احكام الضفدع انه نجس بالموت كغيره من الحيوان الذي لا يؤكل فان مات في
ما قليل وال نووى ان فلنا لا يؤكل نجسه بلا خلاف وحكى الماوردي في نجاسته
قولن احدهما نجس كما نجس سائر النجاسات والماني يعفي عنه كدم البراعين والام

الاول: ومذهب الامام ابي حنيفة ان موت ما يعيش في الماء لا يفسد الماء كالسمك والضفدع
 والسرطان. ولما قدم وفد اليمامة على ابي بكر الصديق رضي الله عنه بعد قتل مسيلمة
 قال لهم صاحبكم يقول فاستعفوه من ذلك. فاقسم ليقولن فقالوا كان رسول يا
 ضفدع ابن ضفدع عين نقي كمر تنقين. لا الشارب تمنعن. ولا الماء تكدرين. امكثي
 حتى ياتيك الخفاش بالخبر اليقين لنا نصف الارض ولقرش نصفها. ولكن قرش قوم لا
 يعدلون فجعل ابو بكر تعجب ويسبه ويقول انظر والى ما يقول عدو الله. واما
 الصرد المنهي عن قتله في الحديث المتقدم فهو طائر فوق العصفور يصيد العصافير
 وهو يقع ضخم الراس يكون في الشجرة بعضه ابيض وبعضه اسود ضخم المنقار له
 برثن عظيم ولا يركى الا في سعفة او شجرة ولا يقدر عليه احد وهو شريتر النفس
 شديد النفرة عذآوه من اللحم وله صفير مختلف يصفر لكل طائر يريد صيده
 بلغته فيدعوه الى التقرب منه فاذا اجتمعوا اليه شد على بعضهم وله منقار شديد
 فاذا نقر واحدا قدده من ساعته واكله ولا يزال كذلك وماواه الاشجار وروس
 التلاع واعالى الحصون. ويقال له الصرد الصوام. وبروي انه اول طير صام يوم عاشورا
 قال ابو هريرة رضي الله عنه الصرد اول طير صام. ولما خرج ابرهيم عليه السلام من الشام
 الى الحرم لبنا البيت احرام كانت معه السكينة والصرد فكان الصرد دليله الى موضع
 البيت والسكينة على مقدار ما يبني فلما صار الى البقعة وقفت السكينة على موضع
 البيت وقالت ابن يا ابرهيم على موضع ظلي. وتقدمت فصبه ذلك فما مضى وساتي دكرها
 ايضا في سورة الحج عند قوله تعالى واذ بوانا لابرهم مكان البيت ان شا الله تعالى فلاجل
 هذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل الصرد لانه كان دليل ابرهيم على مكان البيت
 وعن قتل الضفدع لانها كانت تصب الماء على نار ابرهيم. وساتي الكلام على النملة
 والنحلة والهدد في مظانهم من الامات ان شا الله. ومن راي في منامه ضفدعا
 فهو رجل عابد مجتهد في طاعة الله تعالى لانه صب الماء على نار النمرود التي اوقدها
 لابرهم عليه السلام. وروية الضفادع الكسرة عذاب لانها من ايات موسى عليه السلام

قال الله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع وقالت النصارى
من رأى أنه مع الضفادع حسنت عشرته مع اقرباياه وجيرانه ومن أكل لحم ضفدع
في منامه نال منفعة وقال بعض الحكماء الضفادع في المنام تدل على الخداع والسرقة
ومن كلف في منامه ضفدعا نال ملكا ومن رأى الضفادع خرجت من مدينة خرج
منها العذاب والله أعلم رحعت إلى القصة قال المفسرون ولما رأى قوم فرعون
ما حل بهم من الضفادع بكوا وشكوا إلى موسى عليه السلام وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود
فاخذ موسى عليهم العهود والمواثيق ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعدما
أقامت سبعا من السبت إلى السبت فأقاموا شهرا في عافيه ثم نقضوا العهد وعادوا
إلى كفرهم فدعا عليهم موسى عليه السلام فارسل الله تعالى عليهم الدم فقال النيل عليهم دما
وصارت مياههم كلها دما وكل ما استقون من الآبار والأنهار وجبه دما عبيطا
فشكوا ذلك إلى فرعون وقالوا ليس لنا شراب إلا الدم قال سحركم فقالوا من أسحرنا
ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئا ثم الماء إلا دما عبيطا فكان فرعون يجمع بين القبطي
والإسرائيلي على آنا واحد ويكون ما يلي الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويقومان للحجرة
فيها الماء فيخرج للقبطي دما وللإسرائيلي ماء حتى إن المرأة من آل فرعون تاتي إلى المرأة
من بني إسرائيل حين جهدهم العطش فنقول لها اسقني من ما يدك فتصب لها من قريتها
فيصير في الآنا دما حتى كانت تقول اجعليه في فيك ثم مجيبه في في فتفعل ذلك فصير
دما ثم إن فرعون اعتراه العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها
صار ماء وها دما وفي لفظ آخر كان مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغها صار ماء وها
الطيب ملحا أجاجا قالوا والنيل على ذلك سقى الزرع والأشجار فإذا ذهبوا يسقوا
من سن الزرع عاد الماء دما عبيطا فمكثوا على ذلك سبعة أيام لا ياكلون إلا الدم ولا
شربون إلا الدم وقال زيد بن أسلم كان الدم الذي سلط عليهم الرعاف فلما سجدوا
من ذلك شكوا إلى موسى وبكوا وقالوا رحمتنا هذه المرة فما بقي إلا أن نتوب التوبة النصوح
ولا نعود فادع لنا ربك فكشف عنا هذا الدم ففخس يومئذ من لك ونرسل معك بني إسرائيل

فاخذ عليهم العهود والمواثيق ودعا ربه عز وجل فكشف عنهم الدم • وذكر ان موسى عليه
 السلام امر ان يضرب النيل بعصاه ضربة اخرى فحور ما صافيا كما كان ولم يومنوا
 ولم يفوا بما عاهدوا • فذلك قول الله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل
 والضفادع والدم **آيات مفضلات** • يعني شبع بعضها بعضا • وتفصيلها ان كل عذاب كان
 يقيم عليهم اسبوعا • وس كل عذاب من مدة شهر • وقيل مفضلات اي مبيئات ظاهرات
 لا يشكل على عاقل انها من آيات الله • وقال صاحب الكشاف فصل من بعضها وبعض
 بزمان ثمخّن فيه حالهم ويُنظر ايستقيمون على ما وعدوا من انفسهم امر سكتون الزاما
 للحجة عليهم **فاستكبروا** • يعني عن الايمان ولم يومنوا **وكانوا قوما مجرمين** • يعني آل فرعون
 قال نوف البكالي وهو ابن امرأة كعب الاحبار مكث موسى عليه السلام في آل فرعون
 عشر سنين بعد ما غلب السحرة يربهم الآيات اجراد والقمل والضفادع والدم • ولما
 يبس من ممانهم وراهم لا يزدادون على طول الايام الا طغيانا وكفرا وتماديا وكبرا
 دعى عليهم موسى • وامن هارون • فقال ربنا انك انت فرعون وملاه زينة واموالا في
 الحياة الدنيا • رنا للضلوا عن سبيلك • رنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا
 يومنوا حتى يروا العذاب الاليم • فاجاب الله دعاهما • فقال عز وجل قد اجيب دعوتكما
 فاستقيما • قالوا وكان لفرعون واصحابه من اثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب
 والياقوت والدرر وانواع اجواهر والحلى مما لا يحصيه ولا يعلمه الا الله عز وجل •
 وكان اصل ذلك المال مما جمعه يوسف عليه السلام في زمان القحط • فبقى ذلك في القبط •
 فاوحى الله تعالى الى موسى اني مورت بنى اسرائيل ما في ايدي آل فرعون من العروس والحلى
 وجاعله لهم جهازا وعتادا الى الارض المقدسة • فاجعل لذلك عيدا تعتكف عليه
 انت وقومك تشكرونني وتذكرونني منه وتعظمون ذلك اليوم • وبعد وثنى فيه •
 لما اريك من النفر ونجاة الاوليا • وهلاك الاعدا • واستعير والعيد كرم آل
 فرعون الحلى وانواع الزينة • فامم لا تمتعون عليكم للبالا الحال بهم في ذلك الوقت •
 ولما قد زفت لكم في قلوبهم من الرعب • ففعل موسى ذلك كما امره الله تعالى • فامر

فرعون بزينة اهله وولده وما كان في خزائنه من انواع الحلي فأعيرت بني اسرائيل
واراد الله بذلك ان يُغيب عن موسى وقومه افضل اموال اعدائهم بغير قتال ولا اجاد
خيل ولا رجل لطفاً منه بهم وافضالا عليهم فلما ادعى موسى عليهم مسح الله اموالهم
التي يقب في ايديهم حجارة كلها حتى النخل والرقيق قال محمد بن كعب القرظي وسالني
عمر بن عبد العزيز عن الآيات الشع فقالت الطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم والعصا واليد والطسة والبحر قال عمر كيف يكون الفقه الا هكذا ثم
دعي خريطة فيها اشياء مما كان اصيب لعبد العزيز من مروان اذ كان عليها من ثيابها
اموال آل فرعون فاخرج البيضة مشقوقة بنصفين وانها ل حجر والجوزة مشقوقة
وانها ل حجر واكحصة والعدسة وروكي ابن اسحق عن رجل من اهل الشام كان بمصر
قال وقد رأت النخلة مصروعة وانها ل حجر وقد رأت انسانا ما شككت انه
انسان وانه ل حجر وكان ذلك المسخ في ارقايهم دون احرارهم اذ العبيد من حملة الاموال
فلم يتولهم مال الا مسح الله تعالى خلا الذي في ايدي بني اسرائيل من الحلي والمواهر وانواع
الزينة قال ابن عباس رضي الله عنه اول الآيات العصا واخرها الطمس قال وبلغنا
ان الدنيا بئر والدرهم صارا حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا وابلانا وجعل
سكرهم ايضا حجارة والله اعلم قوله تعالى **ولما وقع عليهم الرجز** يعني ولما اصابهم
العذاب الذي ذكره الله في الآيات المقدمة من الطوفان وما بعده وقال سعد بن جبير
الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التي تقدمت فنزل بهم
الطاعون حتى مات منهم في يوم واحد سبعون الفا فامسوا وهم لا يتدافنون وفي
الصحيحين عن اسامة بن زيد رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون
رجز ارسل على طائفة من بني اسرائيل او على من كان قبلكم فاذا سمعتم به بارض فلا تقدموا
عليه واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه **وقوله تعالى والوا ادع لنا**
ربك بما عهد عندك يعني بما اوصاك وقل بما نباك وقل بما عهد عندك من اجابة
دعوتك **لبن كشف عنا الرجز** يعني العذاب الذي وقع بنا لنؤمنن لك ولنرسلن معك

بنى اسرائيل يعنى لصدقت بما جيت به ولتخليين بنى اسرائيل حتى يذهبوا حيث شاؤا
فلما كشفنا عنهم الرجز يعنى بدعوة موسى **الى اجلهم بالغوه** يعنى الى الوقت الذى اجل
 لهم وهو وقت اهلاكهم بالغرق فى اليم **اذاهم نكثون** يعنى اذا هم ينقضون العهد الذى
 التزموه فلم يفوا به. واعلم ان ما ذكر الله تعالى من هذه الايات هى معجزات فى الحقيقة
 دالة على صدق موسى عليه السلام. ووجه ذلك ان العذاب كان مختصا بالفرعون
 دون بنى اسرائيل. فاخصاه بالقبطى دون الاسراسلى معجز. وكون بنى اسرائيل فى
 امان منه وعافيه وقوم فرعون فى شدة وعذاب وبلاء مع اتحاد المساكن معجز ايضا.
 فان اعترض معترض وقال ان الله تعالى علم من حال آل فرعون انهم لا يؤمنون بتلك
 المعجزات فما الفائدة فى تواليها عليهم واطهار الكثير منها. فالجواب على مذهب اهل
 السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء. وحكم ما يريد. لا يسأل عما يفعل. واما على قول
 المعتزلة فى رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون ان بعضهم كان يؤمن بتوالى
 تلك المعجزات وظهورها. فلهذا السبب والاهم عليهم. والله اعلم بمراده. قوله
 عز وجل **فانفقنا منهم** يعنى كافيناهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم. والاسقام ضد
 الانعام. كما ان العقاب ضد الثواب. واصل الاسقام فى اللغة سلب النعمة بالعذاب.
فاغرقناهم فى اليم والمعنى ان الله تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا
 عن كفرهم. فلما بلغوا الاجل الذى اجل لهم انتقم منهم بان اهلكهم بالغرق وهو قوله عز
 وجل **فاغرقناهم فى اليم** يعنى البحر. واليم الذى لا يدرك قعره. وقيل هو لجة البحر ومعظم
 ما به. قال الازهرى اليم معروف لفظه سرمانية عربته العرب. ويقع اسم اليم
 على البحر الملح والبحر العذب. ويدل على ذلك قوله فاغرقناهم فى اليم والمراد به يمل
 مصر وهو عذب **بانهم كذبوا باياتنا** الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا **وكانوا عنها**
يعنى عن اياتنا غافلين يعنى معرفين. وقيل كانوا عن حلول النعمة بهم غافلين. ولما
 كان الاعراض عن الايات وعدم الالتفات اليها كالغفلة عنها سموها غافلين تجوزا.
 لان الغفلة لست من فعل الانسان. وقال السفي كان اعراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات

ن

اى سبب
 اياتنا

وغلظتم عنها وقله فلوهم فيها. قوله تعالى **وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون**
هم بنو إسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام والمعنى ومكنا
القوم الذين كانوا يقهرون ويغلبون على أنفسهم وهو ان فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا
على بني إسرائيل فقتلوا آباءهم واستخدموهم فصاروا مستضعفين تحت أيديهم **مشارك**
الارض ومغاربها يعني ارض الشام ومصر ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالة
وتصرفوا كيف شاؤوا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية واراد سبحانه مشارفها
ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها. **وقل اراد مشارق الارض ومغاربها الارض المقدسة**
وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب. **وقل اراد جميع جهات الارض** وهو
اختيار الزجاج **قال** لان داود وسليمان كانا من بني إسرائيل وقد ملكا الارض وقوله
التي باركنا فيها يدل على انها الارض المقدسة يعني باركنا فيها بالثمار والاشجار والزرع
والخصب والبركة والسعة **وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل** يعني وقت كلمة الله
وهي وعدهم بالنصر على عدوهم والتمكين في الارض من بعدهم. **وقل كلمة الله هي قوله**
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض الا انه واحسنى صفه للكلمة وهي تانيث
الاحسن وانما مجازها وعدهم به من مكينهم في الارض واهلاك عدوهم **بما صبروا**
يعني انما حصل لهم ذلك التمام وهو ما انعم الله به عليهم من انجاز وعده لهم بسبب صبرهم
على دينه واذى فرعون لهم **قال** بعض العلماء ان الله تعالى قال **وتمت كلمت ربك الحسنى على**
بني إسرائيل بما صبروا اي بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من
قابل الجزاء الجزع وكلمة الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر من الله له الفرج
وحكي صاحب الكشاف عن الحسن انه قال **عجبت ممن خفف كيف خفف** وقد سمع قول الله
وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ومعنى قوله **خفف** اي طاش جزعا وقلة
صبر ولم يبرز رزانة **اولي الصبر** **وقد قال** النبي صلى الله عليه وسلم من استلى
فضبر واعطى فشكر وظلم فاستغفر اولئك لهم الامن من الفزع الاكبر **قل يا رسول**
الله وما الفزع الاكبر قال اذا دفع الناس الى خزنة جهنم **ثم قال** صلى الله عليه وسلم

اربعة من اعطيهم فهدا على خير الدنيا والاخرة قل ما هن يا رسول الله قال قلب شاكر
 ولسان ذا كره وبدن على البلا صابر وزوجة عفيفة لا تخونه في نفسها وماله ثم قال
 اول ما تقضى فيه يوم القامة الدما واول ما يعطا الثواب اهل الزمانه والبلاء تعقد
 لهم الالوية فيبدا بالذين ذهبت انصارهم ثم يعطى الناس على قدر استقامتهم فيعطون
 من الثواب حتى انهم يودون ان يقرضوا في الدنيا بالمقارض وقال صلى الله عليه وسلم
 يقول الله عز وجل اذا وجهت الى عبد من عبيدي مصيبة في دينه او ماله او ولده
 ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القامة ان انصب له ميزانا او انشر
 له ديوانا وقال صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا صب عليه البلاء صباً وسحاً
 عليه سحاً وان ابواب الجنة مصراعان ياتي عليهما زحام كثير الابواب الصبر فانه مصراع
 واحد لا يدخل منه الا الصابرون اهل البلاء في الدنيا واحدا بعد واحد وقال صلى
 الله عليه وسلم الصبر من الالمان بمنزلة الراس من الجسد ولا جسد لمن لا راس له ولا ايمان
 لمن لا صبر له وقال ابن عباس رضي الله عنه دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الانصار
 فقال امؤمنون انتم فسكتوا فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله قال وما علامه ايمانكم قال
 شكر الله في الرخا وصبر على البلاء ونوم بالقضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة واوحى
 الله تعالى الى ايوب عليه السلام بي البيت على نفسي لا نشرت للصابرين ديوان تويخ ولا
 نظروا الى حد الصراط ولا يروعمهم نقص الميزان دارهم دار الالام وقال ابن عباس
 رضي الله عنه اول شي كتبه الله في اللوح المحفوظ انا الله لا اله الا انا ومحمد رسولي من
 استسلم لقضاي وصبر على بلاي وشكر لنعماي كتبه صدقاً وبعثته مع الصديقين
 ومن لم يستسلم لقضاي ولم يصبر على بلاي ولم يشكر لنعماي فليبتخر باسواي
 وقال ابن عباس شكى نبي من الانبياء الى ربه عز وجل فقال يا رب العبد يطيعك ويحنتب
 معاصيك تزوي عنه الدنيا وتعرض له البلاء والعبد الكافر لا يطيعك تزوي عنه البلاء
 وتبسط له الدنيا فاوحى الله ان العباد لي والبلاء لي ويكون المؤمن عليه من الذنوب
 فازوي عنه الدنيا واعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني بحسناته

ويكون الكافر له الحسنات فابسط له في الرزق وازوى عنه البلاء واجزبه حسنة في
الدين حتى يلقاني فاجزبه نسيته. **وقال** ابو الدرّ دارضى الله عنه ان سلمان برد اود
عليه اللام توفي له ابن فوجد عليه وجدا شديدا. فاتاه ملكا فجلسا من يديه في
زى الخصوم. **فقال** احدهما ما نرى الله انى قد بذر بذرا ولم استحصره فمر به هذا فافسد
فقال سلمان للاخر ما تقول. **قال** انى اخذت اجماعة فاشت على زرع فراثته يمينا وشمالا
فاذا الطريق عليه. **فقال** سلمان ولم بذر على الطريق. **اما** علمت انه لا بد للناس من
الطريق. **قال** ولم تخزن على ولدك. **اما** علمت ان الموت سبيل الاخرة. **فتذكر** سلمان عليه
اللام **وتاب** الى الله تعالى ولم يجزع بعد ذلك على ولده. **وتروى** ان الله تعالى حجج يوم القمام
باربع على اربعة اجناس حجج على الاغنيا سلمان عليه اللام. **وتقول** الغنى يارب سغنى المال
عن عبادك. **فقول** تعالى لم تكثر اغنى من سليمان. **فلم** يكن ممنعه غناه عن عبادتى. **وحجج** على
العبيد يوسف عليه اللام. **فقول** العبد يارب كنت عبدا فى الرق فمنعنى عن عبادتك.
فقول تعالى اما ان يوسف لم يمنعه رقه عن عبادتى. **وحجج** على الفقرا يعسى عليه اللام.
فقول الفقير يارب منعنى الفقير عن عبادتك. **فقول** له انت احوج امر عيسى ولم يمنعه
فقره عن عبادتى. **وحجج** على المرضى يايوب عليه اللام. **فقول** المريض يارب منعنى المرض
عن عبادتك. **فقول** تعالى مرضك كان اشدا من مرض ايوب. **ولم** يمنعه ذلك عن عبادتى.
فلا يكون لاحد على الله حجة ولا عذر يوم القمامة. **واعلم** ان الله تعالى ذكر الصبر فى القرآن
فى ثيف وسبعين موضعا. **واضاف** اكثر الخيرات والدرجات الى الصبر وجعلها ثمرة له.
فقال عز من قائل وحصلنا منهم ايمه يهدوننا لما صبروا. **وقال** تعالى فى هذه الاية
الذى نحن فى تفسيرها وتمت كلمة ربك الحنى على نبي اسراىل ما صبروا. **واستقصا** جميع
الامات فى مقام الصبر يطول. **واما** الاخبار فى الصبر وكثر منها ما قدمنا ومنها قول النبي
صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان. **وقال** صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتمم اليقين وعزيمة
الصبر ومن اعطى حظه منها لم يبال ما فاته من قنم الليل وصيام النهار. **ولان** يصروا
على ما انتم عليه احب الى من ان يوافقنى كل امرى منكم مثل عمل جميعكم. **ولكنى** اخاف ان

او يقولوا انما اشكر ابا وانا من قبل
وكننا ذرية من بعدهم افترقنا
بما فعل المبطلون

تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضا. وشكركم اهدا السما عند ذلك. فمن صبر واحتسب
ظفر بحال ثوابه. ثم قرأ قول الله تعالى ما عندكم من عند الله باق. وليجزى الذين
صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون. وروى جابر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل
عن الامان فقال الصبر والسماحة. وقال ايضا الصبر كثر من كنوز الجنة. وقال ايضا
افضل الاعمال ما اكرهت عليه النفوس. وروى ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام
تخلق باخلاقى انى انا الصبور. وقال عيسى عليه السلام لاصحابه انكم لا تدركون ما تحبون
الا بصبركم على ما تكرهون. واما بيان حقيقته الصبر ومعناه. فاعلم ان الصبر مقام
من مقامات الدين. ومنزل من منازل السالكين. وجميع مقامات الدين انما تنظم من بلاه
امور. معارف. واجوال. واعمال. فالمعارف هي الاصول. والاصول تورث الاحوال.
والاحوال تورث الاعمال. والمعارف كالاشجار. والاحوال كالاعصاب. والاعمال كالثمار.
وهنا مطرد في جميع منازل السالكين الى الله تعالى. واسم الامان تارة تخص بالمعارف وتارة
تطلق على الكل. فكذلك الصبر لا يتم الا بمعرفة سابقة. وحالة فائمة بالصبر على الحق
عبارة عنها. وبجمل هو كالثمرة يصدر عنها. ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفته الترتيب
بين الملائكة والانس والبهائم. فان الصبر خاصية الانسان. ولا يتصور ذلك في البهائم
والملائكة. اما عدم تصورهم في البهائم فلنقصانها. واما في الملائكة فلكمالها. وبيان
ان البهائم سلطت عليها الشهوات. وصارت مسخرة لها. فلا باعث لها على الحركة والسكون.
وليس فيها قوة تضاد الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسي ثبات تلك القوة في
مقابلة مقتضى الشهوة صبورا. واما عدم تصورهم في الملائكة فانهم جرد والشوق
الى الحضرة الربوبية. والابتهاج بدرجة القرب. ولم يسلط عليهم شهوة صارفة عنها
حتى يحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال جنبا. اخرجها عن الصوارف. فان
فاما الانسان فانه خلق في ابتداء الصبا ناقصا مثل المهيم. لم يخلق فيها الشهوة
الغذا الذي هي محتاجة اليه. ثم بعد ذلك تظهر فيه شهوة اللعب والزينة. ثم شهوة
النكاح على الترتيب. وليس له قوة الصبر البتة. اذ الصبر عبارة عن ثبات جندي في مقابلة

جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما. وكثر في الصباح جند الهوى
كما في البهائم. ولكن الله تعالى يفضله وسعة جوده اكرم بني ادم ورفع درجاتهم عن درجة
البهائم. فوكل به عند كمال شخصه بمقارنة البلوغ ملكين. احدهما يهديه. والآخر
نقوي. فتتميم معونة الملكين عن البهائم. واختصر بصفتين احدهما معرفة الله ومعرفة
رسوله. والثاني معرفة المصالح المتعلقة بالعواقب. وكل ذلك حاصل من الملك الذي اليه
الهداية والتعريف. فالبهيمه لا هداية لها الى مصلحة العواقب. بل الى مقتضى شهواتها
في الحال فقط. فلذلك لا يطلب الا اللذيق. واما الدوا النافع مع كونه مضرا في الحال
فانه لا يعرفه ولا يطلبه. فصار الانسان بنور الهداية يعرف ان اتباع الشهوات لها
مغبات مكروهة في العاقبة. ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم يكن له قدرة على ترك
ما هو مضر. فكم من مضر يعرفه الانسان. كالمرض النازل به مثلا. ولكن لا قدرة له على
دفعه. فافتقر الى قدرة وقوة يدفع بها في تحر الشهوات. فيجاهد هاتك القوة حتى
يقطع عداوتها عن نفسه. فوكل الله به ملكا آخر يسرده ويؤيده ويقويه بجنود لم
ترونها. وامر هذا الجند يقال جنود الشهوة. فتارة تضعف هنا الجند وتارة تقوى.
وذلك بحسب امداد الله تعالى عبده بالتأييد. كما ان نور الهداية ايضا مختلف في الخلق اختلافا
لا يحصر فلتستمر هذه الصفة التي بها فارق الانسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها
باعتاد بينيا. ولتستمر مطالبة الشهوات بمقتضاها باعت الهوى. ويفهم ان القتال
قايم بين باعث الدن وبعث الهوى. والحرب بينهم سجال. ومعركة هذا القتال قلب
العبد. ومدد باعث الدن من الملائكة الناصرين لحزب الله تعالى. ومدد باعث الشهوة
من الشاطين الناصرين لاعداء الله تعالى. فالصبر عبارة عن باعث الدن في مقابله
باعث الشهوة. فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله
والتحق بالصابرين. وان تخاذل وضعف حتى غلبت الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق
باتباع الشاطين. فاذا ترك الافعال المشتهية عمل بثمرها حال يسمى الصبر. وهو
ثبات باعث الدن في مقابله باعث الشهوة. وثبات باعث الدن بثمرها المعرفة بعبادة

الشهوات ومضالمتها لاسباب السعادات في الدنيا والاخرة. فاذا قوى يقينه يعنى
 المعرفة التي تسمى ايمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا لطلب ربه تعالى قوى
 باعث الدين. واذا قوى ثباته تمت الافعال على خلاف ما يتقاضاه الشهوة. فلا يتم
 ترك الشهوة الاثبات باعث الدين المضاد لباعث الشهوة. وقوة المعرفة والامان يفتح
 مغيب الشهوات وسوء عاقبتها. وهذا ان المسلكان هما المتكفلان بهذين المجندين
 اذن الله تعالى وتخيرهما اياهما. وهما من الكرام الكاتبين. وهما الموكلان بكل شخص من
 الادميين. واذا عرفت ان رتبة الملك الهادي اعلا من رتبة الملك المغوى لم يخف
 عليك ان جانب اليمين الذي هو اشرف الجانبين من خيسى اليمين ينبغي ان يكون مسلامه.
 فهو اذن صاحب اليمين والاخر صاحب الشمال. وللعبد طورات في الغفلة والفكر
 وفي الاسترسال والمجاهدة. فهو بالغفلة معرض عن صاحب اليمين ومسى اليه. فيكتب
 اعراضه لسيئة. وبالفكر مقبل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكتب
 له حسنة. وكذا بالاسترسال معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به
 مسى اليه فيثبت عليه سيئه. وبالمجاهدة يستمد من جنوده. فتثبت له به حسنة.
 وبما يثبت هذه الحسنات والسيئات. فلذلك سمي اكراما كاتبين. اما الكرام فلا سماع
 العبد بكرمهما. ولان الملائكة كلهم كرام بررة. واما الكاتبين فلا ثباتهما الحسنات
 والسيئات. واما نكتبان في صحائف مطوية في سر القلب. ومطوية عن سر القلب.
 حتى لا يطلع عليه في هذا العالم. فانهما وكتبتهما وصحيفتهما وجملة ما تتعلق بهما من
 عالم الغيب والملوك. لامر عالم الشهادة. وشئ من عالم الملوك لا تدركه الابصار
 في هذا العالم. ثم تنشر هذه الصحائف المطوية بحجبه مرتين. مرة في القنامة الصغرى.
 ومرة في القنامة الكبرى. والقنامة الصغرى حالة الموت. لقول النبي صلى الله عليه وسلم
 من مات فقد قامت قيامته. وفي هذه القنامة يكون العبد وحده. وعند هاتين القناتين
 ولقد جيتونا كما خلقناكم اول مرة. وفيها يقال كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا. اما
 في القنامة الكبرى اجماعة لكافة الخلائق لا يكون وحده. بل ربما احاسب على ملا من

ماثباتهما

الخلق. وفيها ساق المتقون والمجرمون الى الجنة والنار زمرا لا آحالا. والهول الاول
 هو هول القنامة الصغرى. ولجميع احوال القنامة الكبرى نظير في القنامة الصغرى مثل
 زلزلة الارض مثلا. فان ارضك احاصت بك تتزلزل في الموت. فانك تعلم ان الزلزلة اذا
 زلزلت ببلد صدق ان يقال زلزلت ارضهم. وان لم تتزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل
 مسكن الانسان وداره فقد حصلت الزلزلة في حقه. لانه انما تصور عند زلزله جميع
 الارض بزلزلة مسكنه. لا بزلزلة مسكن غيره. فخصته من الزلزلة قد توفرت من غير
 نقصان. واعلم انك ارضي من التراب. وحطك الخاص من التراب بذلك. فاما بدنك
 فليس يحطك. والارض التي انت جالس عليها بالاضافة الى بدنك طرف ومكان انما تخافون
 من زلزله ان يتزلزل بدنك بسببه. والا فالهوى ابدأ متزلزل. وانت لا تحشاه. اذ ليس
 يتزلزل به بدنك. فحطك من زلزلة الارض كلها زلزلة بدنك فقط. فهي ترايك الخاص بك
 وعظامك جال ارضك. ورأسك سما ارضك. وقلبك شمس ارضك. وسمعك وبصرك وسائر
 حواسك نجوم سمايك. ومعيض العروق من بدنك بحر ارضك. وشعورك نبات ارضك.
 واطرافك اشجار ارضك. وهكذا الى جميع اجزاك. فاذا انهدت بالموت اركان بدنك فقد
 زلزلت الارض زلزلة لها. فاذا انفصلت العظام من اللحم فقد حملت الارض والجبال
 فدكنا دكة واحدة. فاذا رمت العظام فقد سفت الجبال نسفا. فاذا اظلم قلبك عند
 الموت فقد كورت الشمس تلويرا. واذا بطل سمعك وبصرك وسائر حواسك فقد انكدر
 النجوم انكدارا. فاذا تشقود ما غك فقد انشقت السما انشقاقا. فاذا انفجر من هول
 الموت عرق جبينك فقد فجرت البحار بهجيرا. فاذا التفت احدى ساقيك بالآخرى وهما
 مطينتاك فقد عطلت العشار تعطيلا. فاذا فارق الروح الجسد فقد حملت الارض فئدة
 حتى التفت ما فيها وتخلت. ولسنا نطول بموازنة جميع الاحوال والاهوال. ولكن نقول
 بمجرد الموت تقدم عليك هذه القنامة. ولا يفوتك من القنامة الكبرى شي. بل ما يخص
 غيرك. فان حيا بقا الكواكب في حق غيرك ماذا سفعك وقد انتشرت حواسك التي بها
 تنفع بالكواكب. والاعمى يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس والجمالاؤها. لانه قد

مخلوق

ارضك

سنازلة

ما يخصك

كسف في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالأجلا بعد ذلك حصته غيره ومن
 انشق راسه فقد انشق سماؤه إذ السما عبارة عما يلي حمة الرأس فمن لا راس له لا سما
 له فمن ان سفعه بقا السما غيره فهذه هي الصاخة الصغرى والكوخ ^{بعد} أسفل
 والهول بعد وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى وارتفع الخصوص وبطلت السموات والأرض
 وسفت الجبال وممت الأهوال هذه الصغرى وإن طولنا في وصفها فإنا لم نذكر عشر
 عشرا ووصفها فهي بالنسبة إلى القامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة
 الكبرى فإن للأسنان ولادتين أحدهما الخروج من الصلب والتراب إلى مستودع
 الأرحام فهو في الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم وله في سلوكه إلى الكمال منازل وأطوار
 من نطفة وعلقه ومضغة وغيرها إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم فنسبة
 عموم القامة الكبرى إلى خصوص القامة الصغرى كنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة
 فضاء الرحم ونسبة سعة فضاء العالم الذي يقدم عليه العبد إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة
 فضاء الدنيا أيضا إلى الرحم بلا وسع وأعظم فقير الآخرة بالاولى فما خلقكم ولا بعثكم
 إلا كنفس واحدة وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بلا أعداد النشآت
 لست محصورة في اثنين وإليه الإشارة بقوله تعالى وتنشيمكم فيما لا تعلمون فالمقر
 بالقيامتين مومن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والمملوك والمقر بالقامة الصغرى
 دون الكبرى ناظر لعين العوراء إلى أحد العالمين وذلك هو الجهد والضلال والافتراء
 بالاعور الرجال فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك المسكين وبين يديك هذه
 الأهوال فإن كنت لا تؤمن بالقامة الكبرى للجهد والضلال فلا بكفك القامة
 الصغرى أو ما سمعت قول سيد الأنبياء كفا بالموت واعظا أو ما سمعت كربه في وقت
 الموت حتى قال اللهم هون علي سكرات الموت أو ما استحي من استبطائك هجوم الموت
 اقتداب رعاع الغافلين الذين لا ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا
 يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون فيأتيهم المرض نذير الموت فلا ينزجرون
 ويأثمهم الشيب رسولا منه فما يعتبرون فياحسرة على العباد ما يآثمهم من رسول الأكانوا

مدخرم
 واعلم انم

بهستهزون. فيظنون انهم في الدنيا خالدون. اولم يروا كما اهلكنا قبلهم من القرون انهم
اليهم لا يرجعون. ام يحسبون ان الموتى يسافروا من عندهم فهم معدومون. كلا ان كل
لما جميع لدينا محضرون. ولكن ما بانتم من امة من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين. وذلك
لانا جعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشىناهم فهم لا يبصرون. وسوا علمهم انذرناهم
امر لم تنذروهم لا يومنون. ولنرجع الآن الى الغرض المقصود. فان هذه تلويحات تشير الى
امور هي اعلام من علوم المعاملة. فنقول قد ظهر ان الصبر عبادة عن ثبات باعث الدين
في مقابله باعث الهوى. وهذه المقاومة من خاصية الادميين لما وكلهم من الكرام الكاتبين
ولا يكتبان شيا على الصبيان والمجانين. اذ ذكرنا ان الحسنه في الاقبال على الاستفادة منهما
والسيئة في الاعراض. وما للصبيان والمجانين سبيل الى الاستفادة. فلا تصور منهما اقبال
واعراض. وهما لا يكتبان الا الاقبال والاعراض. ولعمري يظهر من مبادئ اشراق نور
الهداية عند سن التمييز. ونموها على التدرج الى سن البلوغ. كما يبدا ونور الصبح الى ان يطلع
قرص الشمس. ولكنها هداية قاصرة لا ترشد الى مضار الآخرة. بل الى مضار الدنيا. فلذلك
يضر على ترك الصلوات تاخرا. ولا يعاقب في الآخرة. ولا كت عليه من الصحائف ما ينشر في
الآخرة. بل على القيم العدل والولي الشفيق ان كان من الابرار وكان على سميت الكرام البررة
الاخيار ان كت على الصبي سيئة وحسنه على صحيفة قلبه فيكته عليه ما حفظ ثم ينشره
عليه بالتعريف ثم يجزبه عليه بالضرب. وكل ولي هذا سمته في حق الصبي فقد ورث
اخلاق الملائكة واستعملها في حق الصبي فينال بها درجة القرب من رب العالمين كما نالت
الملائكة فتكوز مع النبس والمقر من الصدقين. واليه الاشارة بقول النبي صلى الله عليه
وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة. واعلم رحمك الله ان الصبر نصف الايمان. وذكر ان
الايمان تارة محض في اطلاقه بالتصديقات باصول الدين. وتارة محض بالاعمال الصادرة
منها وتارة يطلق عليهما جميعا. وللمعارف ابواب. وللأعمال ابواب. ولاشتمال لفظ
الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا. واختلاف هذه الاطلاقات مذكوره
فما تقدم. ولكن الصبر نصف الايمان باعتبارين. وعلى مقتضى اطلاقين احدهما ان يطلق على

عنه

التصدقات والاعمال جميعا. فكون الايمان ركنا **احدهما اليقين** والآخر **الصبر**.
 والمراد باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله عنده الى اصول الدين **والمراد**
 بالصبر العمد مقتضى اليقين. اذ اليقين يعرفه ان المعصية ضاره وان الطاعة نفعه
 ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة الا بالصبر **وهو** استجماع باعث الدين في قهر باعث الهوى
 والكسل. فكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار. ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بينهما. فقال من اقل ما اوثيم اليقين وعزيمة الصبر. **الاعتبار الثاني** ان يطلق على
 الاحوال المتممة للاعمال **لا على المعارف**. وعند ذلك **ينقسم** جميع ما يلاقه العبد الى
 ما سفعه في الدنيا والاخرة او ما يضره فيهما. وله **بالاضافة** الى ما يضره حال الصبر وبالإضافة
 الى ما سفعه حال الشكر. فكون الشكر احد شرطى الايمان. كما كان اليقين احد الشرطين
 بالاعتبار الاول. وبهذا النظر قال ابن مسعود **الاعمال نصفان** نصف صبر ونصف شكر.
 وقد رُفِعَ ايضا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولما كان الصبر صبورا عن بواعث الهوى
 بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة
 الغضب والشهوة لطلب اللذيق والغضب للهرب من المولم. وكان الصوم صبورا عن
 مقتضى الشهوة فقط. وهو شهوة البطن والفرج دون مقتضى الغضب. قال النبي صلى الله
 عليه وسلم **هذا الاعتبار** الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة
 وداعي الغضب **جميعا**. فكون الصوم بهذا الاعتبار ربع الايمان. **فمكذا ينبغي ان تفهم**
 تقديرات الشرع لحدود الاعمال والاحوال. **لنسبتهما الى الايمان**. والاصل فيه ان يعرف
 كثرة ابواب الايمان. وان اسم الايمان يطلق على وجوه مختلفة. **واسم اعلم** وقوله تعالى
ومرنا ما كان يصنع فرعون وقومه يعنى واهلكنا ما كان يصنع فرعون وقومه في ارض
 مصر من العمارات والبنيان. **واصل الدمار الهلاك** باستيصال **وما كانوا يجرشون** يعنى
 سقفون من ذلك البنيان. **وقال مجاهد** ما كانوا يبنون من البيوت والقصور. **وقال**
احسن ما كانوا يجرشون من الثمار والاعناب. **وقرا ابن عامر** وابوبكر عن عاصم **وما كانوا**
عجرشون بضم الراء. **قال الكسائي** وهي لغة تميم. **وقرا الباقر** بكسر الراء. **وقرا ابراهيم** بن ابي عتبة

على الطاعة

وما كانوا يعرّشون بضم الياء وتشديد الراء. فان قيل كيف لجمع من قوله تعالى ودرنا
ما كان يصنع وقومه وما كانوا يعرّشون. وقوله تعالى فاخرجناهم من حثات وعميون
وكنوز ومقام كرم ونعمة كانوا فيها فالكهين كذلك واورثناها بني اسرائيل. قوله
المعنى ابطالنا ما كان يصنع فرعون وقومه من المكر والكي في حق موسى. وما كانوا يعرّشون
اي بنون من صرح هامان وغيره. وقيل الكلام على ظاهره. لانه تعالى اورث ذلك بني
اسرايل مدة ثم دمره جميعه والله اعلم. وهذا اخر قصة فرعون والقبط وتكذيبهم
بايات الله تعالى. قوله عز وجل **وجاوزنا بني اسرائيل البحر** يعني وقطعنا بني اسرائيل
البحر بعد اهلاك فرعون وقومه واغراقهم فيه. يقال جاز الوادي وجاوزه اذا قطعه
وخلفه وراه. وقال الكلبي عبر موسى البحر يوم عاشورا بعد مهلك فرعون وقومه فصامه
شكر الله عز وجل **فانتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم** وقرا حمزه والكسائي يعكفون بكسر
الكاف يقال عكف يعكف ويعكف. بمعنى اقام على الشئ ولزمه. والمعنى فمرّ بنوا اسرائيل
بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون اي يقفون ويواظبون على اصنام لهم. يعني تماثيل كانوا
يعبدونها من دوز الله تعالى. قال ابن جريج كانت تلك الاصنام تماثيل بقر. وذلك اول
شان العجل. وقال قتادة كان اوليك القوم من لحيم. وكانوا نزولا بالرقعة. يعني بالرقعة
ساحل البحر. وقيل كان اوليك الاقوام من الكنعانيين الذين امر موسى عليه السلام بقتالهم
قالوا يعني قال بنوا اسرائيل لموسى لما راوا ذلك التمثال **يا موسى اجعل لنا الهًا** يعني تماثلا
بعبدته ونعظمه **كالحق** يعني كالحق اصنام يعبدونها ويعظونونها. **فاجعل لنا الهًا**
بعبدته ونعظمه. قال البغوي ولم يكن ذلك شكاً من بني اسرائيل في وحدانية الله تعالى وانما
معناه اجعل لنا شانه عظمه وننقرب ستعظيمه الى الله تعالى. وظنوا ان ذلك لا يضر الدين
وكان ذلك لشده جهلهم. وقال غيره هذه المقالة تدل على غاية جهل بني اسرائيل. وذلك
انهم توهموا انه يجوز عبادة غير الله تعالى بعد ما راوا الايات الدالة على وحدانية الله
وكمال قدرته. وهي الآيات التي تواتت على قوم فرعون حتى عرفهم الله في البحر بكفرهم وعنادهم
وعبادتهم غير الله. فحتمهم جهلهم على ان قالوا النبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا الهًا كالحق

فرد موسى عليه السلام بقوله **قال انكم قوم تجهلون** يعني تجهلون عظمة الله تعالى. وانه لا يستحق
 ان يعبد سواه لانه هو الذي انجاكم من فرعون وقومه فاغرقهم في البحر وانجاكم منه
 عن ابي واقد الليثي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج الى غزوة حنين
 مر سجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها اسلحتهم فقال لها ذات انواط. **فما الواب** رسول الله
 اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا
 كما قال قوم موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة. والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم
 اخرج الترمذي وقوله تعالى **ان هو لا متببر ما هم فيه** اي مهلك والتببر الهلاك
 اي العابد والمعبود مهلكان **وباطلا ما كانوا يعملون** قال العلماء البطلان عبارة عن عدم
 الشئ اما بعدم ذاته او بعدم فايدته ونفعه والمراد من بطلان عملهم انه لا يعود
 عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضرر لانه عمل لغير الله فكان باطلا لا نفع فيه
قال اغير الله ابغىكم الها لما قال نوا اسرايل لموسى اجعل لنا الها كما لهم الهة حكم عليهم بالجهالة
 وقال مجيبا لهم على سبيل التعجب والانكار عليهم اغير الله ابغىكم الها حتى اطلب لكم وابغى لكم
 الها وهو فضلكم على العالمين والمعنى ان الاله ليس هو شيئا يطلب ويلمس وتخير بدلالة
 هو الذي فضلكم على العالمين لانه القادر على الانعام والافضال فهذا هو الذي استخوان
 يعبد ويطاع لا عبادة غيره ومعنى قوله فضلكم على العالمين يعني على عالمي زمانكم وقيل
 فضلهم بما خصهم به من الالات الباهرة التي لم تجعل لغيرهم وان كان غيرهم افضل منهم
 قوله تعالى **واذا نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوال العذاب** يقلون **ابناكم وسحتون**
نساكم وفي ذلكم بلا من ربكم عظيم هذه الالة تقدم تفسيرها في سورة البقرة والفائدة
 في ذكرها في هذا الموضع انه تعالى هو الذي انعم عليكم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم
 الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا اجعل لنا الها كما لهم الهة. **وقل هذا خطاب لليهود**
 الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم ويكون معنى قوله **واذا نجيناكم** يعني نجينا اسلافكم
 فاغنتها سبحانه منة عليهم على ما تقدم بهانه في سورة البقرة **فولعوا** عز وجل **وواعدنا**
موسى بلايين ليلة يعني وواعدنا موسى لمناجاتنا بلايين ليلة وهي ذوالقعدة **واسمناها بعشير**

بمعنى عشر ذي الحجة. وهـ زاقول ابن عباس ومجاهد ومسروق. قال المفسرون ان موسى
عليه السلام وعدني اسرائيل اذا اهلك الله عدوهم فرعون ان ماتم بكتاب من عند الله عز وجل
فيه بيان ما ياتون وما يذرون. فلما هلك فرعون سال موسى ربه عز وجل ان ينزل عليه
الكتاب الذي وعد به بني اسرائيل. فامر به ان يصوم بلايين يوماً فضا منها. فلما تمت انكر
خلوف فمه فتسوك بعود خربوب. وقبل بلاك من ورق الشجر. فقالت الملائكة كنا نشم
من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك. فامر به الله تعالى ان يصوم عشر ذي الحجة.
وقال له اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندى من ريح المسك. وامره بصيام عشره
ايام. وكان كلام الله لموسى عن اذاة النحر. وفيه فدى اسمعيل من الذبح. واكمل فيه الحج لبني
وسد بالحمد صلى الله عليه وسلم. قال العلماء ان فتنه بني اسرائيل كانت في تلك العشر التي زاداها
الله لموسى عليه السلام. وقبل ان الله تعالى امر موسى عليه السلام ان يصوم بلايين يوماً ويعمل
فيها ما يتقرب به. ثم كلمه واعطاه الالواح في العشر الذي زاده. فلماذا قال تعالى
واثمنها بعشر. وهذا المفضل الذي ذكره هنا هو مفضل ما اجمله في سورة البقرة.
وهو قوله تعالى واذا وعدنا موسى اربعين ليلة. فذكره هناك على الاجمال. وذكره هنا على
المفضل. وقوله **فتم ميعات ربه اربعين ليلة** بمعنى فتم الوقت الذي قدره الله لصوم
موسى وعبادته اربعين ليلة. لان الميعات هو الوقت الذي قدر ان يعمل فيه عملاً من الاعمال.
ولهذا قيل موافق الحج. قال القرطبي رحمه الله قال علماء ونا هذه الالة دلت على ان ضرب
الاجل للمواعدة سنة ماضية ومعنى قديم استثنه الله تعالى في القضايا. وحكم به للامر.
وعرفهم به مقادير الثاني في الاعمال. فاذا ضرب اجل لمعنى يحاول فيه كحصيل الموجد
فجاء الاجل ولم يتيسر زيد فيه تبصرة ومعدرة. وقد قال الله تعالى ذلك لموسى عليه السلام
فضرب له اجلا بلايين ثم راده عشر اتمة اربعين. وابطا موسى على قومه بواسطة زيادة
العشر. فافتتوا ونكثوا عهدهم وبدلوا بعهده. وعبدوا الها غير الله تعالى. وغفوا وجواز
الثاني والتاخر. قال ابن عباس رضي الله عنه ان موسى عليه السلام قال لقومه ان ربي عز
وجل وعدني بلايين ليلة ان القاه واخلف فيكم هارون. فلما فضل موسى الى ربه زاده

الله عشرًا فكانت قننتهم في العشر التي زاده الله مما فعلوه من عبادة العجل على ما يأتي سانه
 ان شاء الله ثم الزيادة التي يكون على الاجل تكون مقدرة كما ان الاجل مقدر ولا يكون
 الا بالاجتهاد من الحاكم بعد النظر الى المعاني المتعلقة بالامر من وقت وحال وعمل
 تكون مثل ثلث المدة السالفة كما اجل الله لموسى فان راي الحاكم ان يجمع له الاجل في الاجل
 والزيادة في مدة واحدة جاز ولكن لا بد من التريخ بعد ما يطرا من العذر على البشر
 وروى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله الي
 امرى اخراج له حتى يبلغه ستين سنة قال القرطبي وهذا ايضا اصل لا عذار احكام
 الى المحكوم عليه مرة بعد اخرى وكان هذا لطفًا بالخلق ولينفذ القيام عليهم بالحق
 يقال اعذر في الامراى بالغ فيه يعنى عذر غاية الاعذار الذي لا اعذار بعده
 واكبر الاء عذار الى بنى ادم بعثة الرسل اليهم لتتم حجة الله عليهم قال الله تعالى وما كما
 معذرين حتى نبعث رسولا وقال تعالى وجاكم النذير قل هم الرسل عليهم السلام وقيل
 هو الشيب فانه ياتي في سن الاكتهال فهو علامة لمفارقة سن الصبا وجعل الستين
 غاية الاعذار قرب من معتك العباداة وهو سن الانابة والخشوع والاستسلام له
 وترقب المنيّة ولقائه ففيه اعذار بعد اعذار الاول بالنبي صلى الله عليه وسلم
 والثاني بالشيب وذلك عند كمال الاربعين قال الله تعالى وبلغ اربعين سنة قال راورى
 ان اشكر بعمتك فذكر عرفو جل ان من بلغ اربعين فقد آن له ان يعرف بعم الله عليه وعلى
 والديه وشكرهما قال الامام مالك ادركت اهل العلم سلدنا وهم يطلبون الدنيا والخالطون
 الناس حتى ياتي لاحد من اربعون سنة فاذا اتت عليهم اعترلوا الناس ودلت الالة ايضا
 على ان التاريخ يكون مالى دون الايام لقوله تعالى بلاسر ليله لان الليالى او ايل الشهور
 وبها كانت الصحابة رضي الله عنهم تخبر عن الايام حتى روى انهم كانوا يقولون صمنا حسا
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والعجم يخالف في ذلك فتحسب بالايام لان معولها على
 الشمس قال بعضهم وحساب الشمس للمنافع وحساب القمر للناسك ولهذا قال تفر
 وواعدنا موسى بلاسر ليله وبما ارخت تارحا وورخت تور خالغان وقال

مقدار

الامام فخر الدين الرازي فان قوله تعالى وواعدنا موسى بلس ابيه ان المواعدة كانت
امرّه بالصوم في هذا العدد. وكيف ذكر تعالى الليالي مع انها ليست محلا للصوم. بل يقع
في الغالب ان ذكر الايام اولى لانها محل الصوم الذي وقعت به المواعدة. قلت العرب
في اغلب نوارخها انها تذكر الليالي. وان كان مرادها الايام. لان الليل هو الاصل في
الزمان والنهار عارض. لان الظلمة سابقة في الوجود على النور. وقد رانه كان في
شريعة موسى عليه السلام جواز صوم الليل. فان قيل ما فائدة قوله فتم مقفات ربه
اربعين ليلة وقد علم ذلك بقوله واسمناها بعشر. قلنا فيه فوايد. احدها التاكيد
الثاني ان يعلم ان العشر هي ليال لاساعات. الثالث ان لا يتوهم ان العشر التي وقع بها
الاتمام كانت داخلية في اليلين. يعني كانت عشرين. واتممت بعشر كما في قوله تعالى وبارك
فيها وقد رونها اقواتها في اربعة ايام. والله اعلم مراده. قوله تعالى وقال موسى لاجيه
هرون اخلفني في قومي يعني كن انت خليفتي فيهم من بعدي حتى ارجع اليك. وذلك عند
انطلاقه الى الجبل للمناجاة واصحح يعني واصح امور بني اسرائيل واحملهم على عبادة الله عز
وقال ابن عباس رضي الله عنه يريد الرفق بهم والاحسان اليهم. وفي لفظ اخر واصح ما
يجب ان يصلح من امور ديني في بني اسرائيل ولا تتبع سبيل المفسدين يعني ولا تشكك طريق
المفسدين في الارض. ولا تطعمهم. يعني ومن عاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه.
وهذه الالة دالة على النيا به. وفي صحيح مسلم عن سعد بن ابوقاص رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي حين خلفه في بعض مغازيه اما ترى ان يكون
مني منزله هرون من موسى الا انه لا بني بعدي. وقد استدل بهذا الحديث الروافض
والامامية وسائر فرق الشيعة على ان النبي صلى الله عليه وسلم استخلف عليا رضي الله عنه
على جميع الامة. حتى كفر الصحابة الامامية فيجهم الله تعالى. لان الصحابة عندهم
تركوا العمل الذي هو النص على امامة علي. واستخلفوا غيره بالاجتهاد. ومنهم من كفر
عليا اذ لم يقيم بطلب حقه. وهو لا فيجهم الله لا شك في كفرهم. وكفر من تبعهم على مقالهم.
ولم يعلموا ان هذا استخلاف حياة. كالوكالة التي تنقضي بعزل الموكل او موته. لا تنقضي

انه بتمام بعد وفاة . فيجل على هذا ما علق به الامامية وغيرهم . وقد استخلف النبي صلى
 الله عليه وسلم على المدينة ابن اقرمكتوم وغيره . ولم يلزم من ذلك استخلافه دأيا بالاتفاق .
 على انه قد كان هرون شريك مع موسى في اصل الرسالة . فلا يكون لهم فيه على ما راموه
 دلالة . والله الموفق للهداية (وقوله **واصلح** يعني واصح امور بني اسرائيل واحملهم على
 عبادة الله تعالى وقال ابن عباس رضي الله عنه اراد بالاصلاح الرق بغير والاحسان اليهم
 قوله عز وجل **ولما جاء موسى لميقاتنا** يعني للوقت الذي وقتاله انما في منه لمناجاتنا .
 وهو قوله **وكلمه ربه** اي اسمعه كلامه بلا واسطة ولا كيفية . وفي هذه الاية دليل على ان
 الله عز وجل كلم موسى عليه السلام . واختلف الناس في كلام الله تعالى . فقال صاحب الكشاف
 كلمه ربه من غير واسطة كما تكلم الملك . وبكليمه ان تخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام .
 كما خلقه مخطوطا في الالواح . هذا كلامه . وهو مذهب المعتزلة . ولا شك في بطلانه وفساده .
 لان الشجرة او ذلك الجرم لا يقول اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكرك .
 فتب بذلك بطلان ما قالوه . كذا ذكره الامام فخر الدين . وذهب الكتاب له ومر وافقم
 الى ان كلام الله حروف واصوات متقطعة . وانه قديم . وذهب جمهور المسلمين الى ان
 كلام الله صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات . وتلك الصفة قدمة ازلية . والقائلون
 بهذا القول قالوا ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية . قالوا كما انه
 لا يبعد روية ذاته ولست جسما ولا عرضا . كذلك لا يبعد سماع كلامه . مع ان كلامه
 ليس بصوت ولا حرف . ومذهب اهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف ان الله
 متكلم بكلام قديم . وسكتوا عن الخوض في تاويله وحقيقته . قال النفي وذكر الشيخ في التاويل
 ان موسى عليه السلام سمع صوتا دالا على كلام الله تعالى من كل جهة . وكان اختصاصه
 باعتبار ان الله تعالى اسمعه صوتا توحي خليقة من غير ان يكون ذلك الصوت مكتسبا لاحد
 من الخلق . وغير موسى عليه السلام يسمع صوتا مكتسبا للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى .
 قال اهل البفسر والاحبار لما جاء موسى عليه السلام لميقات ربه تطهر وطهر ثيابه وضام
 ثم اتى طور سيناء . وفي القصة ان الله تعالى انزل ظلة تغشت الجبل على اربع فراعش من كل

ناحية وقيل علي سبعة فراسخ. وطرد عنه الشيطان وهوام الارض ونحى عنه الملكين
وكشط له السماء. فرأى الملائكة قواما في الهواء ورأى العرش بارزا. وادناه ربه حتى سمع
صريف القلم على الالواح وكلمه الله تبارك وتعالى وناجاه. واسمعه كلامه. وكان جبريل
عليه السلام معه فلم يسمع ما كلم الله تعالى به موسى. فاستحلا كلام ربه عز وجل واشاق الى
رويته **فقال رب ارني انظر اليك** قال الزجاج في الكلام اختصار تقديره ارني نفسك
انظر اليك. وقال ابن عباس معناه اعطني انظر اليك. واما سال موسى عليه السلام الرويه مع
علمه بان الله تعالى لا يرى في الدنيا لما هاج به من الشوق. وقاض عليه من انوار الجلال.
واستغرق في بحر المحبة. فعند ذلك سال الرويه. **وقال** انما سال الرويه ظنانه بانه
تعالى يرى في الدنيا. **فقال** الله تعالى لن تراني. يعني انه ليس لشران يراني في الدنيا ولا يطيق
النظر الي في الدنيا. ومن نظر الي في الدنيا مات. **فقال** موسى عليه السلام الهي سمعت كلامك
فاشتقت النظر اليك. **ولان** انظر اليك ثم اموت احب الي من ان اعيش ولا اراك. **وقال**
السدي لما كلم الله تعالى موسى عليه السلام غاصر عدو الله ايليس الجيث في الارض حتى خرج
من بين قدمي موسى فوسوس اليه ان مكلمك شيطان فعند ذلك سال موسى الرويه **فقال**
رب ارني انظر اليك **قال** يعني قال الله تبارك وتعالى لموسى **لن تراني** اي بالسؤال بعين فانية.
بل بالعطا والنوال بعين باقيه **فصل** وقد تمسك من نفى الرويه من اهل البدع والخوارج
والمعتزلة وبعض المرجئية بظاهر هذه الالة. وهو قوله تعالى لن تراني. قالوا ولن تكون
للتابيد والدوام. ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل. ولا شهد لهم في ذلك كتاب ولا سنة.
وما قالوا في ان لن للتابيد خطأ بين. ودعوى على اهل اللغة. اذ ليس شهد لما قالوه
نصر عن اهل اللغة والعربية. ولم يقل به احد منهم. **وبدل** على صحة ذلك قوله تعالى في
صفة اليهود ولن يتمنوه ابدا مع انهم يسمون الموت يوم القامة **يدل** عليه قوله تعالى
ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك. وقوله باليتها كانت القاصيه. **فان** قالوا ان لن معناها
ما كيد النفي كلالا التي تنفي في المستقبل. **فلما** ان صح هذا التاويل فكون معنى لن تراني محمولا
على الدنيا. اي لن تراني في الدنيا جمعا بين لا يدل الكتاب والسنة. فانه قد ثبت في الحديث

٢٠٠
الصحيح ان المومنين يرون ربهم عز وجل يوم القامة في الدار الآخرة. وايضا فان موسى عليه
السلام كان عارفا بالله وما يجب ويجوز وممتنع على الله عز وجل. وفي الآنة دليل على انه
سأل الروية. ولو كانت الروية ممتنعة على الله تعالى لما سألها موسى عليه السلام. وحيث
سألها علمنا ان الروية جائزة على الله تعالى. وايضا فان الله عز وجل علق روثه على امر
جائز. والمعلق على الجائز جائز. فلزم من ذلك كون الروية في نفسها جائزة. وانما قلنا
ذلك لانه تعالى علق روثه على استقرار الجبل. وهو قوله تعالى **ولكن انظر الى الجبل فان**
استقر مكانه فسوف ترائني امر جائز الوجود في نفسه. واذا كان كذلك ثبت ان روثه
جائزة الوجود. لان استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلي. اذا جعل الله تعالى له قوه على ذلك.
والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا. والله اعلم سراده. وقال **السنفي في العقيدة**. وروية
الله تعالى بالابصار للمومنين في الآخرة بعد دخولهم الجنة جائزة عقلا. واجبة سمعا.
فيري مكانه لا في مكان. ولا في جهة. ولا اتصال شعاع. ولا بثبوت مسافة بين الراي وبينه
وغير ذلك من امارات الحدوث. وزعمت المعتزلة والزيدية من الروافض والفلاسفة
والخوارج ان في العقل دلاله استحاله رويته. لانه لا بد لها من مقابلة بين الراي والمترى
وثبوت مسافة مقدرة مكانية بينهما. بحيث لا يكون بعدا بعيدا ولا قريبا قريبا.
واتصال شعاع عين الراي بالمترى. وكل ذلك مستحيل. واعترفت عامة المعتزلة بانه
يري ذاته ويرى العالم. لكن لا ترى ذاته. وانكرت طائفة منهم انه يري ويرى. ولنا
ان موسى عليه السلام سأل ربه الروية. ولا نطن به انه سأل ما هو محال عنده. وكان سؤاله
دليلا على انه اعتقد جوائز الروية. فمن استحاله روثه فقد نسب موسى عليه السلام الى
اجهل بالله تعالى وهو كفر. والله اعلم. وقال ايضا قوله ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه
سوف ترائني دليل لاهد السنة ايضا. لانه علق الروية باستقرار الجبل. وهو ممكن
وتعلق الشيء بما هو ممكن يدل على امكانه. كالتعليق بالممتنع يدل على امتناعه. والدليل على
انه ممكن قوله جعله دكا. ولم يقل اندك. وما اوجده تعالى كان جائزا ان لا يوجد لو
لم يوجد. لانه مختار في فعله. ولانه تعالى ما عاتبه على ذلك. وما اياسه عنه. ولو

ولو كان ذلك محالا لعائنه كما عاتب نوحا عليه السلام بقوله اني اعظكم ان تكون من الجاهل
حيث سال انجا ابنه من الخرق والله اعلم باسرار كلامه **قال** وهب بن منبه ومحمد بن اسحق
لما سال موسى عليه السلام ربه عز وجل الروثة ارسل الله الضباب والصواعق والرعد والبرق
والظلمة حتى احاطت بالجبل الذي عليه موسى اربع فراسخ من كل جانب وامر سبحانه اهل
السموات ان يعترضوا على موسى عليه السلام فصرت به ملائكة السماء الدنيا كثيران البقر تتبع
افواههم بالنسج والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد الشديد **قال** موسى رب اني
كنت عن هذا غنيا **ثم امر** الله تعالى ملائكة السماء الثانية ان اهبطوا على موسى فاعترضوا
عليه فهبطوا عليه مثال الاسود لهم لجب ^{كجب} بالنسج والتقدس ففرع العبد الضعيف
موسى بن عمران مما راي وسمع واقشعرت كل شعرة في راسه وبدنه **ثم قال** لقد ندمت
على مسالتي فهل يجيني من مكاني الذي انا فيه شي **فقال** له خير الملائكة وراسم موسى
اصبر لما سالت فعليل من كثير ما رات **ثم امر** الله ملائكة السماء الثالثة ان اهبطوا على
موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه امثال الشوز لهم قصف ^{بجانب} ورجف وحب شديد
وافواههم تنبع بالنسج والتقدس لهم لجب كجب الجيش العظيم الوانهم كلهم النار
ففرع موسى واشتد فرعه وآيس من الحياة **فقال** له خير الملائكة وراسم مكانك يا
ابن عمران حتى ترى ما لا اصر لك عليه **ثم امر** الله ملائكة السماء الرابعة ان اهبطوا على
موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شي من الذين مروا قبلهم الوانهم كلهم
النار وسائر خلقهم كالبلح الابيض اصواتهم عالية بالنسج والتقدس لا يقارهم شي من
اصوات الذين مروا به قبلهم فاصطكت ركبته وارعد قلبه واشتد بكأوه **فقال** له
خير الملائكة وراسم يا ابن عمران اصبر لما سالت فعليل من كبير ما رات **ثم امر** الله
تعالى ملائكة السماء الخامسة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لهم سجة
الوان فلم استطع موسى ان يتبهم بصره ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل اصواتهم فامتلا جوفه
خوفا واشتد حزنه وكثر بكأوه **فقال** له خير الملائكة وراسم يا ابن عمران مكانك
حتى ترى ما لا تضبر عليه **ثم امر** الله تعالى ملائكة السماء السادسة ان اهبطوا على موسى

فهبطوا عليه وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة ناراً اشتد من ضوء
 الشمس ولباسهم كلهم النار اذا سبحوا وقد سوا جا وبهم من كان قبلهم من الملائكة
 كلهم يقولون شدة اصواتهم سبح قدوس رب العزة ابدالاً يموت في راس كل ملك منهم
 اربعة اوجه فلما راهم موسى رفع صوته يسبح معهم وهو سكي ويقول يا رب اذكرني ولا
 تنس عبدك فلا ادري انقلبت مما انا فيه ام لا ان خرجت احترقت وان اقمتم مت
 فقال له كبير الملائكة وراسهم قد اوشكت يا ابن عمران ان تشتد خوفك وتتخلع قلبك
 فاصبر للذي سالت ثم امر الله جل جلاله ان يحل عرشه في ملائكة السما السابعة فلما
 بدا نور العرش اضدع الجبل من هيبة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملائكة اصواتهم
 جميعاً يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة ابدالاً يموت فارح الجبل لشدة اصواتهم
 واندر كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه
 روح فارسل الله برحمته الروح فتغشته وقلب عليه الحجر الذي كان جلس عليه موسى
 فصار عليه كهية القبة لئلا يحترق موسى واقامت الروح عليه مثل اللام وفي رواية
 فارسل الله عليه روح الحياة برحمته فقام موسى يسبح ويقول امنت بك ربني وصدقته انه
 لا يراك احد فحبي ومن نظر الى ملائكتك اتخلع قلبه فما اعظمك واعظم ملائكتك
 انت رب الارباب واله الالهة وميك الملوك والاله العظيم لا يعبدك شيء ولا يقوم لك
 شيء رب تبت اليك الحمد لك لا شريك لك ما اعظمك وما اجلك يا رب العالمين
 فذلك قوله تعالى **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا** قال النسفي معنى
 قوله فلما تجلى ربه للجبل اي ظهر وبان ظهوراً بلا كف وقال الشيخ ابو منصور رحمه الله
 معنى تجلى للجبل ما قال الاشعري انه تعالى خلق في الجبل حياة وعلماً وروية حتى راى
 ربه عز وجل وهذا نص في كونه مريياً كما قال النسفي ولانه تعالى اخبر عن التجلى للجبل
 وهو عبارة عن خلق الحياة والروية فيه حتى يرى ربه قال النسفي وبهذه الوجوه يبين
 جهل منكري الروية وقولهم بان موسى عليه السلام كان عالماً بانه لا يرى ولكن طلب
 قومه ان يريهم ربه كما اخبر الله عنهم بقوله لن نؤمن لك حتى ترى الله جهره وطلب الروية

اسان

ليبين الله انه ليس بمبزي . باطل اي قولهم هذا باطل . اذ لو كان كما زعموا لقال ايرهم نظروا
الك . ثم يقول لهم لن يروني . ولانها لو لم تكن جائزة لما احر موسى عليه اللام الرد عليهم .
بل كان يرد عليهم وقت قرع كلامهم سماعه . لما فيه من التقرر على الكفر . وهو عليه اللام
بعث لتغييره لا لتقريره . الا ترى انهم لما قالوا اجعل لنا الها كما لهم الهة لم يحلمهم .
بل رد عليهم من ساعته بقوله انكم قوم تجهلون . فهذا معنى قوله فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا .
وفيه ايضا قال ابن عباس ظهر نور ربه للجبل فصار ترابا . واسم الجبل زبير . وهو اعظم جبل
بارض مدني . وقال الضحاك اظهر الله عز وجل من نور احجب مثل منخر الثور . وقال عبد
الله بن سلام وكعب الاحبار ما تجلى للجبل من عظمة الله تعالى الا مثل سم الخياط حتى صار
دكا . وقال السدي ما تجلى الا قدر الخنصر . بدليل ما روى ثابت عن انس رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قراه هذه الالة وقال هكذا . ووضع الابهام على المفصل الاعلا من الخنصر
فساخ الجبل . رواه العوفي هكذا بغير سند . واخرجه الترمذي ايضا عن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قراه هذه الالة فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا . قال حماد هكذا . واسم سليمان بطرف
ابهامه على امه اصبعه اليميني فساخ الجبل وخر موسى صعقا . قال الترمذي حديث حسن
صحيح غريب لا يعرفه الا من جدت حماد بن سلمة . وروى عن سهل بن سعد الساعدي
رضي الله عنهما ان الله تعالى اظهر من سبع الف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا يعني
مستويا بالارض . وقال ابن عباس جعله ترابا . وقال سفيان ثور الجبل حتى وقع في البحر
فهو يذهب فيه . وقال عطية العوفي صار رملا هائلا . وقال الكلبي حطه دكا يعني
كسراجبا لاصغارا . وقال انه صار لعظمه الله تعالى ستة اجبل . فوقع بلابه بالمدينة .
وهي احد وورقار ورضوى . ووقع بلاته بمكة . وهي ثور وشبير وحرثا . ويروى ان
جبال الدنيا لما علمت ان الله تعالى يريد ان يتجلى لجبل منها تعاظمت وتشاخت رجاء ان
يتجلى الله لها . وجعل زبير يتواضع من سنهن . فلما راى الله تعالى تواضعه رفعه من سنها
وحضه بالتجلى . قال الله تعالى فان اسقر مكانه فسوف تراني . فتجلى تعالى للجبل . وقد
يقدم معنى التجلى . واقوال المفسرين فيه . ومنها ايضا ما قال ابو بكر الوراق حكى لي عرسه

٢٠٢
ابن سعد الساعدي ان الله تعالى اظهر من سبع الف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا
قال ابو بكر الوراق فعذب اذ ذاك كل ما وافاق كل مجنون وبراء كل مريض وزالت
الشوك عن الاشجار واخضرت الارض وازهرت وحمدت نيران المجوس وخرت الاصنام
لوجوهها ومنها ايضا ما قال السدي انه ما تجلي للجبل من عظمة الله تعالى الا مقدار
جناح بعوضه حتى صار دكا **وخر موسى صعقا** قال ابن عباس واكس مغشيا عليه
وقال قيادة يعني ميتا والاول اصح لقوله فلما افاق والميت لا افاقة له انما يقال افاق
من غشيته **وقال الكلبى** صعق موسى يوم الخميس وهو يوم عرفة واعطى الوراثة يوم الجمعة
يوم النحر **وقال الواقدي** لما خر موسى صعقا قالت ملائكة السموات ما لابن عمران
وسؤال الروية **وفي بعض الكتب** ان ملائكة السموات اتوا موسى وهو في غشيته فجعلوا
يركلونه **عني يرفسونه** بارجلهم ويقولون يا ابن النسا احيض اطمعت في روثه رب
العزة **وروي** انه لما اراد الله ان تجلي للجبل حُف حول الجبل بالملائكة وحُف حول
الملائكة بنار وحُف حول النار بملائكة وحول الملائكة بنار ثم تجلي ربك للجبل **فابن**
روي عن عروة بن زبير **ديلم اللخمي** قال كانت اجبال قبل ان تجلي الله لموسى بالطور صمما ملسا
فلما تجلي للجبل صار الطور دكا وتفتطرت الجبال وصار فيها الكهوف والغيار والشقوق
وروي ابو بكر بن ابي شيبة ان الله تعالى قسم كلامه وروثه بين بنينا محمد وموسى صلى الله عليهما
فكلمه موسى مرتين وراه سدا محمد مرتين **قوله** تعالى **فلما افاق** يعني من غشيته
ورجع عقله اليه وعرف انه سال امرعا عظيما لا شغى له **قال سحانك** يعني تنزهاك من
النقاير كلها او تنزهاك عن الادراك **تبت اليك** يعني من مسالتى الروية بغير اذ نك
وقيل من سوال الروية في الدنيا **وقيل** لما كانت الروية مخصوصة سيد البشر محمد صلى
الله عليه وسلم فمنعها موسى **قال سحانك** تبت اليك يعني من سوالى ما ليس لي **وقيل**
لما سئل الروية ومنعها **قال تبت اليك** يعني من هذا السؤال وحسنات الابرار سات
المقرنين **وانا اول المؤمنين** يعني بانك لا تترك في الدنيا **وقيل** وانا اول المؤمنين يعني من
بنى اسرائيل او وانا اول المؤمنين من قومي او وانا اول المؤمنين بعظمتك وجمالك او بانك لا

تعطي الروية في الدنيا مع جوازها. قال الامام فخر الدين تقي في الامة سوالان الاول الروية
عن النظر فكيف قال اني انظر اليك. وعلى هذا يكون التقدير اني حتى اراك. والجواب ان معنى
قوله اني اى اجعلني متمكنا من رؤيتك حتى انظر اليك وراك. السؤال الثاني كيف قال ان
تراني ولم يقل اني انظر الي. حتى يكون مطابقا لقوله انظر اليك. والجواب ان النظر لما كان
مقدمة الروية كان المقصود هو الروية لا النظر الذي لا روية معه. السؤال الثالث كيف
انزل الاستدراك من قوله ولكن انظر الي الجبل مما قبله. والجواب ان المقصود منه تعظيم
امر الروية وان احدا لا يقوى على روية الله تعالى الا من قواه الله معونته وتأييده. الا
ترك انه لما ظهر اثر التجلي للجبل اندك وتقطع. فهذا هو المراد من هذا لانه يدل على عظيم
امر الروية والله اعلم بمراده قوله عز وجل **قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي**
وبكلامي يعني قال الله تعالى لموسى يا موسى اني اخترتك واتخذتك صفوة. والاصطفا استخلاص
الصفوة والاجتبا. والمعنى اني فضلتك واجتبيتك على الناس. وقيل اخترتك على اهل زمانك
وفي هذا سلية لموسى عليه السلام عن منع الروية حين طلبها. لان الله تعالى عدد عليه نعمه
التي انعم بها عليه وامره ان تشتغل شكرها. كانه قال له ان كنت منعت من الروية التي طلبت
فقد اعطتكم من النعم العظيمة كذا وكذا. فلا يصيقن صدرك بسبب منع الروية وانظر
الى ساير انواع النعم التي خصتكم بها. وهي الاصطفا على الناس برسالاتي وبكلامي. يعني من غير
واسطة. لان غيره من الرسل سمع كلام الله تعالى بواسطة الملك. فان قيل كيف طار تعذر
اصطفاك على الناس برسالاتي مع ان كثيرا من الانبياء قد ساواه في الرسالة. فدل له ذكر
العلماء عن هذا السؤال جوابين. احدهما ذكره البغوي. فقال لما لم تكرر الرسالة على العموم
في حق الناس كافة استقام قوله اصطفتك على الناس وان شاركه فيه غيره كما يقول
الرجل للرجل خصتكم بمشورتى. وان كان قد شاوور غيره. اذا لم تكن المشورة على العموم
فيكون مستقيما. وفي هذا الجواب نظر لان من جملة من اصطفاه الله برسالاته سيدنا محمدا
صلى الله عليه وسلم وهو افضل من موسى عليه السلام. فلا يستقيم هذا الجواب. الجواب الثاني
ذكره الامام فخر الدين الرازي فقال ان الله عز وجل بين انه خصه بمجموع امرين وهما

الرسالة مع الكلام بغير واسطة. وهذا المجموع ما حصل لغيره. فثبت انه ما حصل التخصيص
ها هنا. لانه سمع ذلك الكلام بغير واسطة. وانما كان الكلام بغير واسطة سبباً لمزيد
الشرف بنا على العرف الظاهر. لان من سمع كلام الملك المعظم من فيه كان اعلا واشرف ممن
سمعه بواسطة الحجاب والنواب. وهذا الجواب منه نظرا ايضا. لان سيدنا محمد صلى الله عليه
وسلم اصطفاه برسالته. وكلمه ليله المعراج بغير واسطة. وفرض عليه وعلى امته الصلوات.
وخاطبه بيته محمد. بدليل قوله فاوحى الى عبده ما اوحى. ورفع الى حيث سمع صريف الاقدام.
وهذا كله يدل على مزيد الفضل والشرف على موسى وغيره من الانبياء عليهم السلام. فلا يستقيم
هذا الجواب ايضا. والذي يعتمد في الجواب عن هذا السؤال. ان الله تعالى اصطفى موسى برسالة
وكلامه على الناس الذين كانوا في زمانه. وذلك لانه لم يكن في ذلك الوقت اعلما منضبا ولا
اشرف ولا افضل منه. وهو صاحب الشريعة. وعليه نزلت التوراة. فدرك ذلك على انه اصطفاه
على ناس زمانه. كما اصطفى قومه على عالمي زمانهم. بقوله يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم واني فضلتكم على العالمين. قال المفسرون يعني على عالمي زمانهم. والله تعالى اعلم وقوله
تعالى برسالاتي على اجمع قراءة الخمسة. وقرانا نافع وابن كسر رسالتي على الافراد. والرسالة
مصدر مجوز افرادها. ومن قرأ على اجمع قال انه ارسل بضرب من الرسالات فاخلفت
انواعها. فجمع المصدر لاختلاف انواعه. كما قال تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحجر فجمع
لاختلاف اجناس الاصوات واختلاف المصوتين. ووحدي قوله لصوت لكونه اراد به
جنسا واحدا من الاصوات. وقوله تعالى **فخذ ما آتيتك** يعني ما فضلتك وكرمتك به. وقال
بعضهم في هذا اشارة الى القناعة اى اقع بما آتيتك من شرف النبوه والحكمة **وكن من الشاكرين**
نعني على انعامي عليك. وقيل وكن من المظهرين لاحسانى اليك وفضلى عليك. والشاكر متعرض
للمزيد كما قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم. فان قيل كيف قال تعالى اصطفيتك على الناس.
وكان هرون مضطفي مثله ونبيا قيل له اجله ولكنه كان تابعا له وريداً ووزيراً.
والكليم هو موسى والاصيل حمل الرسالة. قال البغوي وفي القصة ان موسى عليه السلام
كان بعد ما كلمه ربه لا يستطيع احدا ان ينظر اليه لما غشي وجهه من النور. ولم ينزل

على وجهه برفع حتى مات. وقالت له امراته انا ايم منك منذ كلمك ربك. فكشف لها
عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت لله ساجدة.
وقالت ادع الله ان يجعلني زوجتك في الجنة. قال ذاك ان لم تنز وحي بعدى فان المرأة
لا خراز واجها **فصل** ذكر شي من خصايص هذه الامة. روى عن كعب الاحبار ان موسى عليه
السلام نظر في التوراه فقال اني اجد امة خيرا لامم اخرجت للناس بامرون بالمعروف
ونهيون عن المنكر. ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب الآخر. وتقاتلون اهل الضلالة كما
تقاتلون الاعور والرجال. رب اجعلهم امتي. قال تعالى هي امة محمد باموسى. فقال بارب
اني اجد امة هم لخمادون رعاة الشمس. اذا ارادوا امر او نفع ل ان شاء الله فاجعلهم
امتى. قال هي امة محمد باموسى. قال بارب اني اجد امة ياكون كفارا ثمهم وصدقا لهم.
وكان الاولون حرقون صدقاتهم بالنار. وهم المستجيون المستجاب لهم الشافعون المشفوع
لهم. فاجعلهم امتى. قال هي امة محمد باموسى. فقال رب اني اجد امة اذا اشرف احدهم على
شرف كبراه. واذا هبط واديا حمد الله الصعيد لهم طهور. والارض لهم مسجد حيث ما كانوا
يتطهرون من الجنابة. طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء. غر
محبون من آثار الوضوء. فاجعلهم امتى. قال هي امة محمد باموسى. فقال رب اني اجد
امة اذا هم احدهم حسنة ولم يعملها كتبت له حسنة مثلها. وان عملها كتبت له عشر امثالها
الى سبعمائة ضعف. واذا هم سيئة ولم يعملها لم يكتب عليه. وان عملها كتبت سئة مثلها
فاجعلهم امتى. قال هي امة احمد باموسى. فقال رب اني اجد امة مرحومة ضعفا يرون
الكتاب الذين اصطفيا. فمنهم ظالم لنفسه. ومنهم مقتصد. ومنهم سابق بالخيرات فلا اجد
احدا منهم الا مرحوما. فاجعلهم امتى. قال هي امة احمد باموسى. فقال بارب اني اجد
امة مصاحفهم في صدورهم. يلبسون الوان شاب اهل الجنة. يصفون في صلاتهم صفوف
الملائكة. اصواتهم في مساجدهم كدوى النحل. لا يدخل النار احد منهم ابدا الا امر برك
لحسنات مثل ما يركي الحجر من ورا الشجر. فاجعلهم امتى. قال هي امة احمد باموسى.
فلم اعجب من الخير الذي اعطى الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وامته قال باليتنى من

اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم. فاحي الله الله ثلاث ايات يرضيه بهن. يا موسى اني اصطفيتك
على الناس برسالاتي وبكلامي الي قوله سار يكمد دار الفاسقين. ومن قوم موسى امة يهدون
بالحق وبه يعدلون. قال فرضي موسى عليه السلام كل الرضا. وفي قصص الانبياء لايركيز
ان موسى عليه السلام نبذ الالواح. وقال اللهم احعلني من امة احمد. وروى الثعلبي في
تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنه ان موسى عليه السلام لما صار الى طور سيناء للبيقات قال
له ربه ما تبغني. قال جيت ابغني الهدى. قال قد وجدته يا موسى. قال يا رب اى
عبادك احب اليك. قال الذي يذكرني ولا ينساني. قال اى عبادك اقضى. قال الذي يقضى
بالحق ولا يتبع الهوى. قال اى عبادك اعلم. قال الذي يتبغى علم الناس الى علمه فيسمع الكلمة
تهدته الي هدي وترده عن ردى. وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لما قرب
الله موسى لطور سيناء. رأى عبدا في ظل العرش جالسا. فقال يا رب من هذا. قال هذا عبد
لا حسد الناس على ما آتيتهم من فضلي. برئ بالديه لا مشى بالنميمة. فقال موسى يا رب
اغفر لي ما جررت من ذنبي وما غبر وما بين ذك وما كنت اعلم به مني. رب اعوذ بك من
وسوسة نفسي واعوذ بك من سوء عملي. فقال قد كفبت ذلك يا موسى. قال يا رب اى
العمل احب اليك ان اعمله. قال تذكرني ولا تنساني. قال يا رب اى عبادك خير عملا.
قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزن فرجه مؤمرا في خلق حسن.
قال يا رب اى عبادك شر عملا. قال فاجر في خلق سيئ. جيفة بالليل بطل بالنهار.
وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اعطى الله تعالى
موسى الالواح فنظر فيها قال يا رب لقد اكرمتني بكرامة لم تكرمها احدا قبلي. قال يا موسى
اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين. اى خذ
ما آتيتك بجد ومحافطة تموت على حب نبي محمد صلى الله عليه وسلم. قال موسى يا رب
ومن محمد. قال احمد الذي اثبت اسمه على عرشى قبل ان اخلق السموات والارض بالف عام.
انه نبيني وصفيي وجيبي وخيرتي من خلقي واجب الي من جميع خلقي وجميع ملايكتي.
قال يا رب ان كان محمد احب اليك من جميع خلقك فهذا خلقت في الدنيا امة اكرم عليك

من امتي قال تعالى يا موسى ان فضل امة محمد على سائر الامم كفضل الانبياء على الامم وكفضل
على جميع خلقي قال يا رب ليثني راسهم قال يا موسى انك لنتراهم ولو اردت ان تسمع كلامهم
لا سمعتك قال يا رب فاني اريد ان اسمع كلامهم قال الله عز وجل يا امة محمد فاجبنا
كلنا من اصلاب آبائنا وارحام امهاتنا لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد والنعمة
لك والملك لا شريك لك قال الله عز وجل يا امة احمد ان رجتي سبقت غضبي وعفوي
عقابي قد اعطيتكم من قبل ان تسالوني وقد اجبتكم من قبل ان تدعوني وقد عفرت لكم من
قبل ان تعصوني من حاني يوم القامة شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا عبدي ورسولي
دخل الجنة ولو كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر وهذا معنى قوله وما كنت بجانب الطور
اذ نادنا وما كنت بجانب الغربي اذ قضيا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وروى
الثعلبي عن قتادة عن الحسن قال مكث موسى بعد ما تغشاه نور رب العالمين وانصرف
الى قومه اربعين ليلة لاسراة احد الامم حتى اتخذ لنفسه برقعاً وعله برقع لا
يبدي وجهه لاجد مخافة ان يموت وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما كلم الله موسى عليه السلام كان بعد ذلك يبصر بسبب النملة في الليلة الظلماء على
الصفاء من مسيره عشرة فراسخ وروى ان موسى عليه السلام كان اذا غضب اشتعلت قلوبه
نار الشدة غضبه قوله تعالى **وكتبناه في الالواح** قال ابن عباس رضي الله عنه يريد الواح
التوراة والمعنى وكتبنا لموسى في الواح التوراة واختلفوا مائة كانت الالواح فقال
الغوي روى في الحديث انها كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنا عشر ذراعاً وجا في
الحديث خلق الله ادم بيده وكتب التوراة بيده وعرس شجرة طوبى سره وقال الحسن كان
الالواح من خشب وقال الكلبي كانت من زبرجده خضراً وقال سعيد بن جبير كانت
من باقوته حمراً وقال ابن جرير كانت من زمرد امر الله تعالى جبريل حتى جاءها حنة
عدن وكتبها بالقلم الذي كتب به الذكر واستمد من نهر النور وقال الراسع بن اس
كانت الالواح من برد وقال وهب بن منبه امره الله بقطع الالواح من صخرة صماليها
له فقطعها بيده ثم شققها باصبعه وسمع موسى صرير العلم بالكلمات العشرة وكان ذاك في

اول يوم من ذى الحجة . وقال مقاتل في قوله تعالى وكتبنا له في الألواح . يعني لننقش الخاتم .
 وقال بعضهم وكتبنا له في الألواح هي كتابة أظهرها الله وخلقها . واصل اللوح اللوح .
 بفتح اللام . قال الله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ . فكأن اللوح تلوح منه المعاني .
 واختلفوا في طول الألواح . فاصح ما قيل ان طولها كان عشرة اذرع على طول موسى عليه
 السلام . وقيل ان موسى خرمصعا يوم عرفة . واعطاه الله التوراة يوم النحر . وهذا اقرب
 الى الصحيح . وروى في الخبر ان جبريل عليه السلام قبض على موسى بجناحه فمتره في العلاء
 حتى ادناه فسمع صريف القلم حين كتب الله له الألواح . ذكره الترمذي وهذا معناه . قال
 بعضهم واطاف الله تعالى الكتابة الى نفسه بقوله وكتبنا على جهة التشريف اذ هي مكتوبة بامر .
 كتبها جبريل بالقلم الذي كتب به الذكر . واستمد من نهر النور . ويقدم انها كتابة أظهرها
 الله وخلقها . واحسبوا ايضا في عدد الألواح . فروى عن ابن عباس انها كانت سبعة
 الواح . وروى عنه انها لوحان . واختار هذا القول الفراء . قال وانما جمعت على عادة
 العرب اطلاق الجمع على الاسمين . وقال وهب بن منبه كانت عشرة الواح . وقال مقاتل
 كانت تسعة . قال ابن عباس رضي الله عنه وكسرت الألواح حين القاها موسى . فرفعت
 الاسدسها . وقيل بقي سبعها . ورفعت ستة اسباعها . وكان في الذي رفع بفصيل كل شيء .
 وفي الذي بقي الهدى والرحمة . واسند الكافض ابو نعيم عن عمرو بن دينار قال بلغني ان
 موسى بن عمران علمه اللام صام اربعين ليلة . فلما القى الألواح تكسرت . فصام مثلها
 فردت اليه . وقال الربيع بن اسد نزلت التوراة وهي قرعير . يقرا الجذر منها في
 سنة . ولم يقرأها الا اربعة نفر . موسى بن عمران . ويوشع بن نون . وعزير . وعيسى .
 علم اللام . والمراد بقوله لم يقرأها الا اربعة نفر اي لم يحفظها . وقرأها عن ظهر
 قلبه الا هو لا اربعة . وقال الحسن هذه الالة في السورة الف آية . يعني قوله تعالى
 وكتبنا له في الألواح من كل شيء . يعني محتاج اليه من امر ونهي . **موعظه** . يعني نهيها عن الجهل .
 وحسنه الموعظة التذكير والتخدير مما يخاف عاقبته . **وتفصيلا لكل شيء** . يعني وتبينها
 لكل شيء من الامر والنهي والمحلال والمحرام والمحدود والاحكام مما يحتاج اليه في امور الدين .

سبعون

وروي الطبري سنده عن وهب بن منبه قال كتبه في التوراه لا تشرك بي شيئا من اهل
السما ولا من اهل الارض فان كل ذلك خلقي ولا تخلف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا
فلا ازيه ووقر والديك وفي رواية مقاتل بن حيان ان الله تعالى كتب لموسى في الالواح
اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تخلفوا باسمي كاذبا
فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازيه ولا يقتلوا ولا تزنوا ولا يعقوا الوالدين وروي
الثعلبي ان الله تعالى بعث جبريل عليه السلام الى جنبه عدن فقطع منها شجرة فاخذ منها
سبعة الواح طول كل لوح عشرة اذرع بذراع موسى وعرضه كذلك وكانت الشجرة التي
اخذ منها الواح من زمرد اخضر ثم امر تعالى جبريل ان ياتيه سبعة اعضاء من سدده
المنتهى فجاءها فصارت جميعا نورا وصار بالنور قلما طول ما بين السما والارض فكتبت
التوراة وموسى سمع صرير القلم فكتبت سبحانه له في الالواح من كل شي موعظة وبعضها
لكل شي وذلك يوم الجمعة فاشرفت الارض بالنور ثم امر موسى ان ياخذها بقوه ويقرنها
قومه فوضعت الالواح على السما فلم تطوق حملها لثقل العهود والمواثيق التي فيها فقال
يا رب كيف اطيعون ان احمل كما بك البقيال المبارك وهل خلقت خلقا يطقون حمل ذلك
فبعث الله جبريل وامره ان يحمل الالواح فيبلغها موسى فلم يطوق حملها فقال يا رب من
يطوق حمل هذه الالواح مما فيها من النور والبيان والعهود وهل خلقت خلقا يطقون
حملها فامر الله ملائكة حملونها بعدد كل حرف في التوراة فحملوها حتى بلغوها
موسى عليه السلام ووضعوها على الجبل فابضدع الجبل وخشع وقال يا رب من يطوق
حمل هذه الالواح وضرب الله بهذا مثلا في القران بقوله لو انزلنا هذا القران على جبل
لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله كما انزلت التوراة على الجبل ولم يطوق حملها
قالوا فلما وضعوها على الجبل من يد موسى وذلك عند صلاه العصر قبض موسى على
الالواح ولم يطوق حملها فلم يزل يدعو ويتضرع حتى هيا الله له حملها فحملها وذلك قوله
يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي الى قوله وكشاه في الالواح من كل شي الا
فيك رخصة الكلمات العشر التي كتها الله تعالى لنبيه وصفيه موسى

في الألواح. وهي معظّم التوراة. وعليها مدار كل شريعة. **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**
هَذَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ. الْعَزِيزِ الْقَهَّارِ. لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ. سُبْحَانِي
وَقُدْسِي. لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي. وَلَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا. وَاشْكُرْ لِي وَلِوَالِدِكَ إِلَى الْمَصِيرِ.
أَحْيِكَ حَيَاةً طَيِّبَةً. وَلَا تَقْتُلِ النَّفْسَ الَّتِي حَرَمْتُ عَلَيْكَ فَتَضْيِقَ عَلَيْكَ السَّمَاءُ بِأَقْطَارِهَا.
وَالْأَرْضُ بِرُحْبِهَا. وَلَا تَخْلِفْ بِاسْمِي كَاذِبًا. فَإِنِّي لَا أَطْهَرُ وَلَا أَزْكِي مَنْ لَمْ يُعْظَمِ اسْمِي.
وَلَا تُشْهَدْ مِمَّا لَا يَحْسِبُكَ. وَلَمْ تَحْفَظْ عَيْنَكَ. وَلَمْ يُقِفْ عَلَيْهِ قَلْبُكَ. فَإِنِّي أَقْفُ بِأَهْلِ
الشَّهَادَاتِ عَلَى شَهَادَاتِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْأَلُهُمْ عَنْهَا. وَلَا تُخْسِدِ النَّاسَ عَلَى مَا آتَيْتَهُمْ مِنْ
فَضْلِي وَرِزْقِي. فَإِنَّ الْحَاسِدَ عَدُوٌّ نِعْمَتِي. سَاخِطٌ لِقِسْمَتِي. وَلَا تُزِبْ. وَلَا تُسْرِقْ.
فَأُحْجِبْ عَنكَ وَجْهِي. وَأَغْلِقْ دُونَ دَعْوَتِكَ أَبْوَابَ السَّمَوَاتِ. وَلَا تَدْحِ لغيري. فَإِنَّهُ
لَا يَصْعَدُ إِلَيَّ مِنْ قُرْبَانٍ إِلَّا رِضًا. وَلَا تَغْدِرَنَّ حَلِيلَةُ جَارِكَ.
فَأَنَّهُ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدِي. وَأُحِبُّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِكَ. وَأَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ.
هَذِهِ نَخْطَةُ الْعَشْرِ كَلِمَاتٍ. وَقَدْ عَاطَاهَا اللَّهُ جَمِيعًا لِسِدْرٍ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي مِائَةِ عَشْرَةِ آيَاتٍ. وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَفَقِي رَبِّكَ أَنْ لَا تُعْبُدُوا إِلَّا آيَاهُ.
وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا. بِمِثْلِ عَدْوَانِهِ وَأَتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينُ وَالزَّالِمِينَ. وَلَا تَذَرُوا بَيْنَ يَدَيْهِ
وَعَدْوَهُ وَلَا تَجْعَلْ بَيْنَكَ وَمِثْلَهُ إِلَى عُنُقِكَ. وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا. وَلَا
تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ يَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ. وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْنَةَ. وَلَا تَقْرَبُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ
اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ. وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ. وَأَوْفُوا الْكَيْلَ. وَزِنُوا
بِالْقِسْطِ السَّيْقَاتِ. وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ. وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا أَنْ تَنْزِعَ مِنَ الْأَرْضِ
وَلَنْ يَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا. كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا. ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ.
ثم جمعها سبحانه في سورة الأنعام. في **عَشْرَ آيَاتٍ**. وَهِيَ قَوْلُهُ فَلْيُنْعِلُوا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ.
إِلَى قَوْلِهِ ذَلِكَ وَمَا كُنْتُمْ بِعَلِيمِينَ. وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا. فَجَعَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قَوْمِهِ وَقَدْ
أَتَاهُم بِالتَّورَةِ أَبْوَابًا أَنْ يَقْبَلُوهَا وَيَعْمَلُوهَا فِيهَا مِنَ الْأَصَارِ وَالْأَثْقَالِ وَالْأَغْلَالِ الَّتِي كَانَتْ
فِيهَا. وَكَانَتْ شَرِيعَةً ثَقِيلَةً. فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى حَبْرًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقْلَعُ جِبَالَ عُلَى قَدَرِ عَسْكَرِهِمْ.

وكان فرسخا في فرسخ ورفعته فوق رؤسهم مقدار قامة الرجل. **وذلك** وروى صالح عن
ابن عباس رضي الله عنهما ان الله تعالى امر جبالا من جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام على
رؤسهم مثل الظلة. **فذلك قوله** تعالى واذا اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور **وقوله**
واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة. **وروى** عطاء عن ابن عباس رضي الله عنه ان الله تعالى رفع فوق
رؤسهم الطور. **وبعث** نارا من قبل وجوههم. **واتاهم** البحر الملح من خلفهم. **وسئل** لهم خذوا
ما آتاكم بقوة واسمعوا. **فان** قبلتموه **وفعلتم** ما أمرم به **والارض** تحتكم بهذا الجبل
وعرقتكم في هذا البحر. **وحرقتكم** هذه النار. **فما** راوا **ان** لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك
وسجدوا على شق وجوههم. **وجعلوا** يلاحظون الجبل وهم سجود. **فصارت** سنة في اليهود
لا يسجدون الا على اضافة وجوههم. **فما** زال الجبل **فالوا** يا موسى سمعنا واطعنا
فذلك قوله تعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظه وتفضيلا لكل شيء فخذها بقوة
والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنوا اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ والاحكام **فخذها**
بقوة يعني وقلنا لموسى اذ كتبنا له في الألواح من كل شيء خذها بجد واجتهاد وعزيمة
فعدا ولي العزم من الرسل. **وقل** معناه فخذها بقوة قلب وصحة عزيمة ونية
صادقة لان من اخذ شيئا بضعف نية اذاه الى الفتور **وامر قومك** ياخذوا **ياحسنا**
قال ابن عباس اي يحلوا حلالها **وحرمو** احرامها **ويتدبروا** امثالها **ويعملوا** بحكمها
وتقفوا عند متشابهها. **وكان** موسى عليه السلام اشد عبادة من قومه **فأمر** بالمد
يومر وابه. **وقل** ظاهر قوله تعالى **وامر قومك** ياخذوا **ياحسنا** يدل على ارباب
التكليف فرقا لسكون في هذا الفصل فائدة. **وهي** ان التكليف كان على موسى اشد. **كانه**
تعالى لم يرخص له ما رخص لغيره من قومه. **فان** قل ظاهر قوله **ياخذوا** ياحسنا
يدل على ان فيها ما ليس بحسن. **وذلك** لم يقدر به احد. **فما** معنى قوله **ياخذوا** ياحسنا
قل له ان التكليف كله حسن. **وبعضه** احسن. **كالقصاص** حسن. **والعفو** عنه احسن
وكالات تصار حسن. **والصبر** احسن منه. **فأمر** وان ياخذوا **بالا** شد على انفسهم لسكون ذلك
اعظم في الثواب. **فهو** كقوله **واتبعوا** احسن ما انزل اليكم من ربكم. **وكقوله** فبشر عبادي

الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه . وقال ان احسن يدخل تحته الواجب والمنذور
 والمباح . والاحسن الاخذ بالاشد والاشق على النفس . وقال معناه باحسنها كسنتها .
 وكلها حسن . وقوله تعالى **سار يكيم دار الفاسقين** اختلجوا في المراد بدار الفاسقين هنا .
 وقال مجاهد يعني مصيركم في الآخرة . وقال احسن وعطاير يد جهنم . كحذر ان يكونوا
 مثلهم . وقال قتادة ساد دخلكم الشام فار يكيم منازل القرون الماضية الذين خالفوا امر الله
 لتعتبروا بها . وقال عطية العرفي سار يكيم دار الفاسقين يعني دار فرعون وقومه . وهي مصر .
 وقال ابن جبر سار يكيم ديار القبط ومساكن فرعون خالية عنهم . وقال السدي معناه
 سار يكيم دار الكفار التي سكنوها قبلكم من الجبابرة والعمالقة لتعتبروا بها . وقال الكلبي هي
 منازل عاد وثمود والقرون الذين اهلكوا . فكانوا يد ملكه مرور عليهم اذا سافروا . والمعنى
 فلا تفسقوا مثل فسقهم فنكل بكم مثل نكلهم . قوله عز وجل **سار ف عن اياتي الذين**
يتكبرون في الارض بغير الحق قال ابن عباس رضي الله عنه يريد الذين يتكبرون على عبادي .
 وكاربون اوليائي . سار ف فهم عن قبول اياتي والتصدق بها حتى يومنوا بي . عوقبوا كحرمان
 الهداية لعنادهم الحق . وقال سفس بن عيينه سامنعم فهم القران . وقال معناه سار فهم
 عن التفكير في خلق السموات والارض وما فيها من الآيات والعبارة . وقال حكم الالة لاهل
 مصر خاصة . واراد بالآيات الآيات التسع التي اعطاها الله موسى . والاكثر من على ان الالة
 عامة . وفيها دليل لمذهب اهل السنة على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء .
 ومرف عن اياته وقبول الحق من يشاء . وبوق للتفكر في اياته وقبول الحق من يشاء . لانه
 القادر على ما يشاء . لا يسأل عما يفعل وهم يسألون . ومعنى الذين يتكبرون انهم يرون انهم
 افضل المخلوق . وان لهم من الحق ما ليس لغيرهم . والتكبر على هذه الصفة لا يكون الا لله عز وجل .
 لانه هو الذي له القدرة والفضل الذي ليس لاحد سواه . فالتكبر في صفة الله تعالى صفة
 مدح . وفي صفة المخلوق صفة ذم . لانه تكبر بما ليس له ولا يستحقه . وقال التكبر اظهار
 كبر النفس على غيرها . فهو صفة ذم في جميع العباد . وقوله يتكبرون من الكبر . لا من
 التكبر . اي تتفعلون التكبر . ويرون انهم افضل من غيرهم . فليذلك يتكبرون في الارض بغير الحق .

قال الخليل
 السبوطي رحمه الله
 وقد تصحفت على
 بعض الفضلاء
 فمصر فعول عطية
 العوف عن امامه
 تصحيف والصواب
 ما في شرح مجاهد

بد بالباطل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل العظمة ازارى والكبرياء
رداي فمن نازعني فيهما فضمته. وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى
متبع. واعجاب المرئ نفسه. فالكبر والعجب دآان مهلكان. والمتكبر والمعجب سقيمان. ورضان
وهما عند الله مسمومتان بغيفضان. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان
في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر. ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال حبة من ايمان.
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبر يارداي
وتقدم هذا الحديث الى اخره. وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن. قال التقى عبد الرحمن بن عمر وعبد
الله بن عمر وعلى المروة فتوافقا. فصلى عبد الله بن عمر ووافى ابا عمر بيكي. والوا ما سيكي.
يا ابا عبد الرحمن. قال هذا. يعني عبد الله بن عمر. زعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر اكبته الله في النار على وجهه. وقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكت في الجبارين. فيصيبه ما اصابهم من
العذاب. وروى ان سليمان علمه اللام قال يوما للطير والجن والانس والبهائم اخرجوا
فخرجوا في مايتي الف من الانس ومايتي الف من الجن. فرفع حتى سمع زجل من الملائكة بالنسبح
في السموات ثم خفص حتى مسّت قدمه البحر. فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة
من كبر لحسفت به ابعدهما رفعته. وقال النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنقوله
اذنان يبعان وعينان يبصران ولسان ينطق بقول وكنت سلات. بكل جبار عبيد.
وبكل من عامع الله الها اخر. وبالمصورين. وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة جبار
ولا خيل ولا سبي الملكة. وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار. فقالت النار او ثرت
بالمتكبرين والمتكبرين. وقالت الجنة ما لي لا يدخلني الاضعفا الناس وسقاهم وعجزتهم.
فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من اشأ من عبادي. وقال للنار انما انت عذابي
اعذب بك من اشأ. ولكل واحدة منكما ملؤها. وقال صلى الله عليه وسلم يبس العبد عبد تجبر
واعتدى ونسي الجبار الاعلا. يبس العبد عبد تجبر واختال. ونسي الكبير المتعال. يبس العبد عبد
سهي ولها. ونسي المقابر والبلى يبس العبد عبد عتا وبغا. ونسي المبتدا والمشتهى. وروى عن

ثاب البنا في انه قال بلغنا انه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما اعظم كبر فلان
 فقال اليس بعدة الموت . وقال عيسى بن مريم عليه السلام طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت
 جبارا . وقال النبي صلى الله عليه وسلم اهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع .
 واهل الجنة الضعفاء المغلوبون . وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الينا واقربكم منا في الاخرة
 احاسنكم اخلاقا . وان ابغضكم الينا وابعدكم منا الثرثارون والمتشدقون والمتفیهقون .
 قالوا يا رسول الله فقد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفیهقون قال المتكبرون .
 وقال صلى الله عليه وسلم كثر المتكبرون يوم القيامة ذرا في مثل صور الرجال يعلمون كل شئ
 من الصغار يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس يعلمون نار الانيار . يسقون من طينه الجبال
 عصارة اهل النار . وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الجبارون
 والمتكبرون في صور الذر يطاهم الناس لهوا نهم على الله . وعن محمد بن واسع رحمه الله قال دخلت
 على بلال بن ابي بردة فقلت له يا بلال ان اباك حدثني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
 ان في جهنم واديا يقال له هبهب حقا على الله ان سكنه كل جبار . فاياك يا بلال ان تكون ممن
 يسكنه . وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبو عليهم . وقال
 صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبر . وقال صلى الله عليه وسلم من فارق روحه
 جسده وهو برك من ثلاثة دخل الجنة الكبر . والدين . والغلول . وقال ابو بكر
 الصديق رضي الله عنه لا يحقرن احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير . وقال وهب
 ابن منبه لما خلق الله الجنة نظر اليها . وقال انت حرام على كل متكبر . وقال الحسن رضي الله عنه
 العجب لابن ادم يغسل الخرابيده كل يوم مرتين ثم يتكبر بعارض جبار السموات . وروى
 تفسر قول الله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون انها سبيل الغايط والبول . وقال محمد بن الحسن
 ابن علي رضي الله عنهما ما دخل قلب ابن ادم شئ من الكبر الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك
 قدا وكثر . وسيل سلمان رضي الله عنه عن السنة التي لا تنفع معها الحسنه . فقال الكبر .
 واما بيان ذم الاختيال وانظهار امار الكبر في المشي وجر الشاب . فخافه ايضا وعيد شديد .
 قال النبي صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله عز وجل الى رجل يجر ازاره بطرا . وقال صلى الله عليه

المقولون

قطر

وسلم سما رجل يتختر في برديه قد اعجبته نفسه ان يحسف الله به الارض فهو يجليها الى يوم
 القيامة. وقال زيد بن اسلم دخلت على ابن عمر رضي الله عنه فمر به عبد الله بن واقد وعلمه
 ثوب جديد. فسمعتة يقول اي تني ارفع ازارك. فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
 لا ينظر الله الى من جرازاره خيلاه. وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه
 ووضع اصبعه عليه. وقال يقول الله تعالى ابن آدم اتعجزني وقد خلقك من مثل هذه حتى
 اذا سوتك وعدلتك مشيت بين بردين. وللارض منك ويئد. حمعت ومنعت. حتى اذا بلغت
 التراقي قلت اصدق. واتى اوان الصدقة. وقال صلى الله عليه وسلم اذا مشت امتي المطيما
 وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض. قال ابن الاعراب المطيما مشية فيها اختيال. هـ
 وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان. و
 وقال ابو بكر الهدي رحمه الله سما نحن مع الحسن رضي الله عنه اذ مر عليه ابن الهم يريد
 المقصورة. وعليه جباب خز قد نفذ بعضها فوق بعض على ساقية وانفج عنها قفاه.
 وهو مشي يتختر. اذ نظر اليه الحسن نظرة. فقال اف اف. شامخ بنفسه. ثاني عطفية.
 مصغر خديه. ينظر في عطفية. اي حميق ابن حميق تنظر في عطفك في نعم غير مشكورة.
 ولا مذكورة غير الماخوذ ما مر الله فيها ولا المودى حواله منها. والله ان مشي احدكم طبيعته.
 او يتخلج يتخلج المخلج في كل عضو من اعضائه. لله نجمة فيه. وللشيطان لجة. فسمعه
 ابن الهم. فجعل يعتذر اليه. فقال لا تعتذرا لي وثب الي ربك. اما سمعت قول الله تبارك
 ولا تمسح الارض مرحا. انك لن تحرف الارض ولن تلخ اجبال طولها. وروى ايضا عن الحسن انه
 مر به شاب عليه بزة حسنة. فقال ابن ادم معجب بشبابه. معجب بجماله. كان القبر قد
 وارا بدنك. وكانك قد لا قب عمك. وحك داو قلبك. فان حاجة الله الى العباد صلاح
 قلوبهم. وروى ان محمد بن واسع رحمه الله راى ولده يختال في مشيته. فدعا. فقال انذرك
 من انت. اما امك فاشترتها مائتي درهم. واما ابوك فلا كثر الله في المسلمين مثله. وروى
 ان مطرف بن عبد الله بن الشخير راى المهلب وهو يتختر في جبة خز. فقال له يا عبد الله
 هذه مشية يبغضها الله ورسوله. فقال له المهلب اما تعرفني. قال بلى اعرفك. او لك

تخلج يتخلج المخلج

دعاه

نطفة مذرة وآخر كجيفة قذرة • وحمل من ذلك عذرة • فضى المهلب وترك مشيته
 تلك • وقال مجاهد في تفسير قول الله عز وجل ثم ذهب إلى أهله ينمطي يعني يتختر • فهذا
 ما تيسر لنا في ذم الكبر • وأما فضيله التواضع فورد فيها أخبار وأما كبره • قال النبي
 صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعوا إلا عزا • وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله • وقال صلى
 الله عليه وسلم ما من أحد إلا ومعه ملكان وعليه حكمة يسكنانه • فان هو رفع نفسه
 جذاها ثم قال اللهم ضعه • وان وضع نفسه فالألمم ارفعه • ثم قال صلى الله عليه وسلم
 طوبى لمن تواضع في غير مسكنة • وابتغى ما لا جمعه في غير معصية • ورحم أهله الذل والمسكنة •
 وخالط أهل الفقه والحكمة • وعن أبي مسلم المدني عن أبيه عن جده قال كان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقبًا وكان صايمًا • فأتياه عند افطاره بقدر من لبن • وجعلنا فيه
 شام من عسل • فلما رفعه فذاقه وجد حلاوة العسل • فقال ما هذا • فقلنا يا رسول الله
 جعلنا فيه شام من عسل فوضعه • وقال أما اني لا احرمه • ومن تواضع لله رفعه الله •
 ومن بكر وضعه الله • ومن اقتصر اغناه الله • ومن بذر افقره الله • ومن اكثر ذكر الله احبه الله •
 وروى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام انما اقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم
 سعظم على خلقي • والزم قلبه خوفي • وقطع النهار بذكرى • وكف نفسه عن الشهوات • من اجلي •
 وقال صلى الله عليه وسلم الكرم القوي • والشرف التواضع • واليقين الغنا • وقال عيسى عليه
 السلام طوبى للمتواضع في الدنيا هم أهل المنابر يوم القيامة • طوبى للمصلح من الناس
 في الدنيا هم الذين يرتون الفردوس يوم القيامة • طوبى للمطهرة فلو بهم في الدنيا هم الذين
 ينظرون الى الله تعالى يوم القيامة • وقال النبي صلى الله عليه وسلم اربع لا يعطيهن الله عز وجل
 الا من حجب الصمت • وهو اول العبادة • والتوكل على الله • والتواضع • والزهد في الدنيا •
 وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد الى الله رفعه
 اليه الى السما السابعة • وقال صلى الله عليه وسلم ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة •
 فتواضعوا رحمكم الله • وقال صلى الله عليه وسلم لا صحابة مالي لا ارى عليكم حلاوة العبادة •
 قالوا وما حلاوة العبادة • قال رسول الله قال التواضع • وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتهم

المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم • واذا راى المتكبرين فكبروا عليهم • فان ذلك لهم مذلة
 وصغار • **وقال** عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان العبد اذا تواضع لله رفع الله تعالى حكمته
 وقال انتعش فعكاه • واذا تكبر وعدا طوره رهصه الى الارض وقال اخسا اخسا لى الله •
 فهو فى نفسه كبير • وفى اعيين الناس حقير حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير • **وقال** جرير
 عبد الله الجلي رضى الله عنه انتهت مرة الى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطح له وقد
 جازت الشمس النطح فسوته عليه • ثم ان الرجل استيقظ • واذا هو سلمان الفارسى رضى الله عنه •
 فذكرت له ما صنعت • فقال لى باجرير تواضع لله فى الدنيا • فانه من تواضع لله فى الدنيا رفعه
 الله يوم القيامة • باجرير اذ رى ما ظلمة النار يوم القيامة قلت لا • قال فانه ظلم الناس
 بعضهم بعضا • **وقال** يوسف بن اسباط بجزى قليل الورع من كبير العمل • وجزى قليل
 التواضع من كثير الاجتهاد • **وقال** الفضل بن عياض وقد سئل عن التواضع • فقال هو ان تخضع
 للحق وتتناقد • ولو سمعته من صبي قبلته منه • ولو سمعته من اجهل الناس قبلته • **وقال**
 عبد الله بن المبارك رحمه الله التواضع ان تضع نفسك عند من هو ونك فى نعمة الدنيا حتى تعلمه
 انه ليس لك بدنياك عليه فضل • وان ترفع نفسك على من هو فوقك فى الدنيا حتى تعلمه انه
 ليس له بدنياه عليك فضل • **وقال** قيادة من اعطى مالا او جمالا او ثيابا او علمًا ثم
 لم يتواضع منه كان عليه وبال يوم القيامة • **وقال** ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام
 اذا انعت عليك نعمة فاستقبلها بالاستكانه اشمها عليك • **وقال** كعب رضى الله عنه ما
 انعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فشكرها لله تعالى وتواضع بها لله الا اعطاه الله فى الدنيا رفعة
 ورفع له بها درجة فى الآخرة • وما انعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا فلم يشكرها لله ولم يتواضع
 بها لله الا منعه الله نفعها فى الدنيا وفتح له طبقات من النار يجذب به انشا او يتجاوز
 عنه • **وقال** لعبد الملك بن مروان اى الرجال افضل • قال من تواضع عن قدرة وزهد
 عن قدرة وترك النفرة عن قدرة • **وقال** ابن السماك على هرون الرشيد • فقال له يا
 امير المؤمنين تواضعك فى شرفك اشرف لك من شرفك • فقال ما احسن ما قلت • فقال
 يا امير المؤمنين ان امرؤ آتاه الله جمالا فى خلقه وموضعا فى حسبه وبسط له فى ذات يده

كثره
 عند قومه

نَعَفَ فِي جِماله وواسا في ماله وتواضع في حسيبه كُتِبَ في ديوان الله من خالص اربابها فدعا
 هرون بدواة وقرطاس وكتبه بيده . وروى ان سلیمان برد او د علمها اللام كان اذا اصبح
 تصفح وجوه الاغنيا والاشراف حتى يجي الى المساكين فمقعد معهم . ونقول مسكن مع مساكين .
 وقال بعضهم كما تکره ان يراک الاغنيا في الشاب الدون فکذلك فاكره ان يراک الفقرا في
 الشاب المرتفعه . وروى انه خرج يونس وايوب والحسن بتدارسون التواضع فقال لهما
 احسن اتدرون ما التواضع . التواضع ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا رات له فضلا
 عليك . وقال مجاهد ان الله تعالى لما غرق قوم نوح سمحت الجبال وتطاولت . وتواضع
 المجودي فرفعه اليه فوق الجبال . وجعل قرار السفينه عليه . وقال ابو سلیمان الداراني
 ان الله عز وجل اطلع على ولوب الادميين فلم يجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام
 فخصه من ينهم بالكلام . وقال يونس بن عبيد وقد انصرف من عرفات ليراشك في الرحمة لولا
 اني كنت فيهم اني اخشي انهم حرموا سببي . وتقال ارفع ما يكون العبد عند الله اوضع ما
 يكون عند نفسه . و اوضع ما يكون عند الله ارفع ما يكون عند نفسه . وقال زياد النيري
 الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر . وقال مالك بن دينار لو ان رجلا نادى بباب
 المسجد لم يخرج شر كمر رجلا والله ما كان سبقتني احد الى الباب الا رجل بفضل قوة اوسع .
 قال فلما بلغ ابن المبارك قوله قال بهذا صار مالك ملكا . وقال الفضيل بن عياض من اجب
 الرئاسة لم يفلح ابدا . وقال موسى بن القاسم كانت عندنا زلزلة وريح حمرا فذهبت الى
 محمد بن مقاتل فقلت له يا ابا عبد الله انت امامنا فادع الله لنا . فبكي ثم قال ليتني لم اكن سب
 هلاككم . قال موسى فرأت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول ان الله تعالى دفع عنكم
 بدعا محمد بن مقاتل . وقال بعضهم من رأى لنفسه قيمة طيسر له من التواضع نصيب . وروى
 عن ابن مخوف انه قال رأت علي بن ابي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت له يا امير المؤمنين عظمي .
 فقال ما احسن التواضع بالاغنيا في مجالس الفقرا رغبة منهم في نواب الله عز وجل . واحسن من
 ذلك تيه الفقرا على الاغنيا ثقة منهم بالله عز وجل . وقال ابو سليمان الداراني لا تواضع العبد
 حتى يعرف نفسه . وقال ابو يزيد البسطامي ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر .

فقتله متى يكون متواضعا. قال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا. وتواضع كل انسان على قدر معرفته
بربه عز وجل ومعرفته بنفسه. وقال ابو سليمان الداراني لو اجتمع الخلق على ان يضعوني
كالتضاعى عند نفسي ما قدر و اعليه. وقال يحيى بن خالد البرمكي الشريف اذا تتسكع تواضع
والسفيه اذا تتسكع تعاظم. وقال يحيى بن معاذ التكبر على من يكبر عليك بماية تواضع.
وقال ايضا التواضع في الخلق كلهم حسن. والكبر في الخلق كلهم قبيح. وفي الفقر اقبح. ويقال
لا عز الا لمن تدل له عز وجل. ولا رفعة الا لمن تواضع لله عز وجل. ولا امن الا لمن خاف الله
عز وجل. ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه من الله عز وجل. وقال ابو علي الجوزجاني رحمه الله عليه
النفس معجونه بالكبر والحرص والحسد. فمن اراد الله هلاكه منع منه التواضع والنيحة والقناعة.
واذا اراد الله بعد حيرا فاذا هاجت في نفسه نار الكبر ادركها التواضع مع نضرة الله تعالى.
واذا هاجت نار الحسد ادركتها النيحة مع توفيق الله عز وجل. واذا هاجت في نفسه نار الحرص
ادركتها القناعة مع عوز الله عز وجل. وروى عن الجندب انه كان يقول يوم الجمعة في مجلسه
لولا انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يكون في آخر الزمان زعيم القوم اردلهم ما تكلمت
عليكم. وقال الجنيد ايضا التواضع عند اهل التوحيد تكبر. قال بعضهم ولعل مراده ان المتواضع
يشب نفسه ثم يضعها. والموحد لا يشب نفسه ولا يراها شاحتي يضعها او يرفعها. وقال
المغيرة كما نهاب ابراهيم التميمي هيبته الامير. وكان يقول ان زما ناصرت فيه فقيه الكوفة
لزمان سوه. وكان بشرا كما في يقول سلموا على اينا الدنيا بترك اللام عليهم. ويروى ان
قرش بن فاخرت عند سلمان رضي الله عنه يوما. فقال سلمان لاني خلقت من بطفة قدرة.
ثم اعود جيفه منتنة ثم الى الميزان. فان ثقل فانا كريم. وان خف فانا لييم. وقال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه عليه وجدنا الكرم في القوى. والغنى في النقيين. والشرف في التواضع.
والله تغر هو الموفو. واما حقيقة الكبر وافتة. فاعلم رحمك الله ان الكبر ينقسم الى
ظاهر وباطن. فالباطن هو خلق النفس. والظاهر هو اعمال تصدر من الجوارح. واسم الكبر
ما خلق الباطن احق. واما الاعمال فانها ثمرات لذلك الخلق. وخلق الكبر موجب للاعمال.
ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر. واذا لم يظهر يقال في نفسه كبر. والاصل هو الخلق

وهو لا غنيا احسن

ويؤمنه

الذي في النفس وهو الاسترواح والركون الى روية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعي
متكبرا عليه ومتكبرا به وبه منفصل الكبر عن العجب كما سيأتي فان العجب لا يستدعي غير
المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده تصورا ان يكون معجبا ولا تصورا ان يكون معجبا
ولا تصورا ان يكون متكبرا الا ان يكون معه غيره وهو يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات
الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفي ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا الا ان يكون مع
غيره فانه قد يستعظم نفسه ولكن يرى غيره اعظم من نفسه فلا متكبر عليه ولا يكفي
ان يستحق غيره فانه مع ذلك لو راي نفسه احقر لم يتكبر ولو راي غيره مثل نفسه لم
يتكبر بل ينبغي ان يرى لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة
غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاث يحصل منه خلق الكبر لان هذه الرؤية هي الكبر
بل هذه الرؤية وهذه العقيدة بنفخ فيه محصل في قلبه اعتقاد وهرة وفرح وركون الى ما
اعتقده وعز في نفسه سبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى المعتقد هو خلق
الكبر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من نخة الكبر فالكبر عبارة عن الحالة
الحاصلة في النفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة وعظما ولذلك قال ابن عباس
رضي الله عنه في قول الله عز وجل ان في صدورهم الاكبر ما هم بالعينه قال عظمة لم سلغوها
ففسر الكبر بتلك العظمة ثم ان هذه العزة تقتضي اعمالا في الظاهر والباطن هي ثمراته ويسمى
ذلك تكبرا فانه مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقير من دونه وازدراه واقصاه
عن نفسه وابعد وترفح عن مجالسته ومواكلته وراى ان حقه ان يقوم بسببه متمثلا ان
اشد كبره فان كان اشد من ذلك استكف عن استخدامه ولم يجعله اهلا للقمام بسببه
ولا لخدمة عبيته فان كان دون ذلك فيانف عن مساواته وتقدم عليه في مضائق
الطرق وارتفع عليه في المجازل وانتظر ان يبداه باللام واستبعد ان قصر في قضا حوائجه
وعجب منه وان حاج او ناظر ان يرد عليه وان وعظ استكف من القول وان وعظ
عنف في الضحك وان رد عليه شي من قوله غض وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستدل لهم وانتهم
وامتن عليهم واستخدمهم ونظر الى العامة كانه ينظر الى احمير استجها الالههم واستحقارا

او مثل نفسه

اعتقادات

والاعمال الصادرة من خلق الكبر كثره. وهي اكثر من ان تحصى. فلاحاجة الى احصائها فانها مشهورة. فهذا هو الكبر. وافته عظيمة. وغابله هائلة. وفيه بهلك الخواص من الخلق. وقد ما سفاك عنه العباد والزهاد والعلماء فضلا عن عوام الناس. وكفى لا تعظم افته. وقد طاب النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر. وانما صار الكبر حجابا عن الجنة لانه يحول بين العبد وسن اخلاق المومنين كلها. وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة. والعز وكبر النفس يغلق تلك الابواب كلها. لانه لا يقدر على ان يحب للمومنين ما يحب لنفسه. وفيه شيء من العز. وكذلك لا يقدر على التواضع وهو راس اخلاق المتقين. وفيه شيء من العز. ولا يقدر على ترك المحق. وفيه العز. ولا يقدر على ان يردم على الصدق. وفيه العز. ولا يقدر على ترك الحسد. وفيه العز. ولا يقدر على ترك الغضب. وفيه العز. ولا يقدر على كظم الغيظ. وفيه العز. ولا يقدر على قبول النصح. وفيه العز. ولا يسلم من الازدراء بالناس. ومن اغتيا بهم. وفيه العز. وهلم جرا. ولا معنى للتطويل. فاما من خلق ذميم الا وصاحب الكبر والعز يضطر اليه لحفظ به عزه. وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه. خوفا من ان يفوته عزه. وعلى هذا لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه. والاخلاق الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض. وشرا انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم. وحضور مجالس العلماء. وقبول الحق. والانقاد له. وفيه وردت الآيات التي فيها ذم المتكبرين. قال الله تعالى والملائكة ناسطوا ايديهم الى قوله وكنتم عن اياته تسكبرون. ثم قال ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فليس مثوى المتكبرين. ثم اخبر تعالى ان اشداهل النار عذابا اشد عتيا على الله بقوله لم تنزعن من كل شيعة اثم اشد على الرحمن عتيا. وقال تعالى فالذين لا يؤمنون بالآخرة فلوهم منكروهم مستكبرون. وقال تعالى يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكانا مومنين. وقال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين. وقال تعالى سا صرف عن امانتي الذين يكبرون في الارض بغر احق. قال في التفسير معناه سارفع فهم القران عن قلوبهم. وفي بعض التفاسير ان معناه ساجب قلوبهم عن الملكوت. وقال اس جرج معناه سا صرفهم ان سفاكوا فيها. وعبروا بها. ولذلك قال عيسى عليه السلام ان الزرع ينبت على السهل ولا

ذ
على ترك المحق

يثبت على الصفا. كذلك الحكمة تعمر في قلوب المتواضع. ولا يعمر في قلوب المتكبر. الا ترون
 ان من شمع براسه الى السقف شجة. ومن تطا طاطا اظله. وهذا مثل ضرب به الله للمتكرين.
 وانهم كيف يحرمون الحكمة. ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حدود الحق في حق الكبر.
 والكشف عن حقيقته. نقوله الكبر بظن الحق وعمط الناس. والله تعالى هو الموفق. ^{صل} **واما**
 بيان درجات المتكبر عليه واقسامه وشرائبه الكبر. فاعلم ان المتكبر عليه هو الله جل
 وعلا. او رسله عليهم السلام. او ساير الخلق. وقد خلق الانسان ظلوما جهولا. فتارة سكر
 على الخلق. وتارة تكبر على الخالق. فحينئذ التكبر ما عتبار المتكبر عليه بلالة اقسام. هـ
القسم الاول الكبر على الله عز وجل. وذلك هو الحشر انواع الكبر. ولا مشار له الا
 الجهل المحض والطغيان. مثل ما كان من النمرود من كنعان. فانه كان يحدث نفسه تقال
 من في السماء. وكما حكى عن جماعة من الجهلة. بل ما حكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون
 وغيره. فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى. اذ استنكف ان يكون عبدا لله. ولذلك قال تعالى
 لنستنكف المسيح ان يكون عبدا لله. ولا الملائكة المقربون الالهة. وقال تعالى واذا قل لهم
 اسجدوا للرحمن والوا وما الرحمن الالهة. **القسم الثاني** التكبر على الرسل عليهم السلام من
 حيث تغرر النفس وترفعها عن الانقياد. وهو ظان انه محق فيه. وتارة تمتع مع المعرفة.
 ولكن لا تطا وعه نفسه بالانقياد للحق والتواضع للرسول. كما حكى الله عن قولهم انؤمن
 لبشر من مثلنا. وقولهم ان انتم الا بشر مثلنا. وقولهم ولئن اطعمتم بشر مثلكم انكم اذا الخاسرون.
 وقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا. وقولهم لولا انزل عليه ملك.
 وقول فرعون او جأ معه الملائكة مقترنين. **قال** الله تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض
 بغر الحق. فكبر هو على الله وعلى رسوله جميعا. **وروي** ذهب ان موسى قال لفرعون امير ولك
 ملكك. **وال** حتى اشاورها مان. فشاورها مان. فقال له بينما انت رب تعبد اذ صرت
 عبدا تعبد. فاستنكف عن عبودية الله تعالى وعن اتباع نبيه موسى عليه السلام. وكذلك
 قالت قرش لولا انزل هذا القران على رجل من القرنيين عظيم. **وقال** قادة هو الوليد بن
 المغيرة. وابو مسعود الثقفي طلبوا من هوا عظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا

يثبت على الصفا. كذلك الحكمة تعمر في قلوب المتواضع. ولا يعمر في قلوب المتكبر. الا ترون
 ان من شمع براسه الى السقف شجة. ومن تطا طاطا اظله. وهذا مثل ضرب به الله للمتكرين.
 وانهم كيف يحرمون الحكمة. ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حدود الحق في حق الكبر.
 والكشف عن حقيقته. نقوله الكبر بظن الحق وعمط الناس. والله تعالى هو الموفق. ^{صل} **واما**
 بيان درجات المتكبر عليه واقسامه وشرائبه الكبر. فاعلم ان المتكبر عليه هو الله جل
 وعلا. او رسله عليهم السلام. او ساير الخلق. وقد خلق الانسان ظلوما جهولا. فتارة سكر
 على الخلق. وتارة تكبر على الخالق. فحينئذ التكبر ما عتبار المتكبر عليه بلالة اقسام. هـ
القسم الاول الكبر على الله عز وجل. وذلك هو الحشر انواع الكبر. ولا مشار له الا
 الجهل المحض والطغيان. مثل ما كان من النمرود من كنعان. فانه كان يحدث نفسه تقال
 من في السماء. وكما حكى عن جماعة من الجهلة. بل ما حكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون
 وغيره. فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى. اذ استنكف ان يكون عبدا لله. ولذلك قال تعالى
 لنستنكف المسيح ان يكون عبدا لله. ولا الملائكة المقربون الالهة. وقال تعالى واذا قل لهم
 اسجدوا للرحمن والوا وما الرحمن الالهة. **القسم الثاني** التكبر على الرسل عليهم السلام من
 حيث تغرر النفس وترفعها عن الانقياد. وهو ظان انه محق فيه. وتارة تمتع مع المعرفة.
 ولكن لا تطا وعه نفسه بالانقياد للحق والتواضع للرسول. كما حكى الله عن قولهم انؤمن
 لبشر من مثلنا. وقولهم ان انتم الا بشر مثلنا. وقولهم ولئن اطعمتم بشر مثلكم انكم اذا الخاسرون.
 وقولهم لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا. وقولهم لولا انزل عليه ملك.
 وقول فرعون او جأ معه الملائكة مقترنين. **قال** الله تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض
 بغر الحق. فكبر هو على الله وعلى رسوله جميعا. **وروي** ذهب ان موسى قال لفرعون امير ولك
 ملكك. **وال** حتى اشاورها مان. فشاورها مان. فقال له بينما انت رب تعبد اذ صرت
 عبدا تعبد. فاستنكف عن عبودية الله تعالى وعن اتباع نبيه موسى عليه السلام. وكذلك
 قالت قرش لولا انزل هذا القران على رجل من القرنيين عظيم. **وقال** قادة هو الوليد بن
 المغيرة. وابو مسعود الثقفي طلبوا من هوا عظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا

اذ قالوا ^{غلام} يتيم كيف بعثه الله اليينا. فقال الله تعالى اقم بسمون رحمة ربك. وقال تعالى
لقولوا هولاء من الله عليهم من سنا. والوا هذا استحقارا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.
واستبعادا لتقدمهم. وقالت فرشتان ايضا للنبي صلى الله عليه وسلم كيف تجلس الملك وعندك
هولاء. اشاروا الى فقراء المسلمين. فازدروهم باعينهم. وتكبروا عن مجالستهم. وانزل الله تعالى
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الا انهم احبوا الله تعالى عن محبتهم حتى دخلوا
جهنم اذ لم يروا الذين استزدلوهم فقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار. يعنون
عمارا وبلايا وصهيبا والمقداد ونظراهم من المؤمنين. ثم كان منهم من منعه الكبر عن الفكر
والمعرفة فجهل كون النبي صلى الله عليه وسلم محقا. ومنهم من عرف. ولكن منعه الكبر من الاعتراف.
والله تعالى فلما جاهر ما عرفوا كفروا به. وقال تعالى وحدها واستيقنتها انفسهم ^{طلما}
وعلوا. وهذا الكبر قرب من التكرار على الله تعالى. وان كان دونه. ولكنه تكبر عن قبول
امر الله والتواضع لرسوله. الفصل الثالث التكرار على العباد. وذلك بان يستعظم
نفسه ويستحقق غيره. فتا بانفسه عن الانقياد لهم. ويدعوه الى الترفع عليهم. فيزدريهم
ويستصغرهم. ويأثف من مساواتهم. وهذا وان كان دون الاول والثاني فهو ايضا عظيم
من وجهين احدهما ان الكبر والعز والعظمة والعلا لا يلقوا الا بالمالك القادر. فاما
العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شئ من ان يليق به الكبر فمتى ما تكرر العبد
فقد نازع الله تعالى في صفة لا يليق الا بجلاله. ومثال هذا ان ماخذ الغلام عمامة
الملك فيضعها على راسه ويجلس على سريره. فما اعظم استحقاقه للمقت. وما اعظم تقدره
للخزي والنكال. وما اشد استجراؤه. وما اقبح ما تعاطاه. والى هذا المعنى الاشارة بقوله
تعالى العظمة ازارني والكبر يارداي من يازعني فيما قصمته اي انه حاص صفتي. ولا يليق
الاي. والمنازع منه منازع في صفة من صفاتي. واذا كان التكرار على عباده لا يليق الا به.
فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه. اذ الذي يستزذل علما الملك ويستخدمهم وينذرهم
ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك ان يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض امره.
وان لم تبلغ درجته درجة من اراد ان يجلس على سريره. والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عبيد الله.

على مولاهم

وله العظمة والكبرياء عليهم فمن يكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه
 الوجه الثاني الذي تعظم به رذيلة الكبرانه بدعوى الى مخالفة الله تعالى في امره
 لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف من قبوله وتشتد لحدته ولذلك
 ترى المتناظرين في العلم يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار الدين ثم انهم يتجادون
 بجاحد المتكبرين ومهما انفتح الحق على لسان واحد منهم انما الآخر من قوله وتشتد
 لحدته واحتمال لرفعه مما تفرد عليه من اللبليس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين
 اذ وصفهم الله تعالى بقوله الحق وقال الذين كفروا لا سمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم
 تغفلون فكل من يناظر لاجل الغلبة والافحام ولا يغتم الحق اذا ظفر به فقد شارك
 الكافر والمنافق في هذا الخلق وايضا ان ذلك يحمل على الانفة من قبول الوعظ كما قال
 تعالى واذا قيل له اتوا الله اخذته العزة بالاثم كما ذكره الغزالي رحمه الله وروى عن عمر
 رضي الله عنه انه فراهذه الامة فقال انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فامر بالمعروف وقيل
 فقلتم اخر فقال ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فقل المتكبر الذي خالفه والذي
 امره كبرا وقال ابن مسعود رضي الله عنه كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتوا الله قال عليك
 نفسك وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل كل يمينك قال لا استطيع فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم لا استطعت فما صعبه الا الكبر قال فما رفعها بعد ذلك اليه اى اعتلت
 يده فاذا تكبر العبد على الخلق عظيم لانه ربما يدعو الى الكبر على امر الله وانما ضرب
 ابليس لهذا مثلا وما حكى الله اخواله الا ليعتبر الناس به قال ابليس انا خرمته يعني من
 ادم وهذا الكبر من جهة النسب فانه قال خلقتي من نار وخلقته من طين فحمله ذلك
 على الامتناع من السجود الذي امر الله تعالى به فكان مكبرا ابليس الكبر على ادم والحسد له
 فجره ذلك على التكبر على امر الله وكان ذلك سبب هلاكه ابدا لا ياب هذه افة
 من افات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بنهايات
 الآتين اذ ساله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله اني امرت وقد حُيبت الي من
 الجمال ما تركي افين الكبر قال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وعنصر الناس

وقوله من غمض الناس اى ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه
هي الافة الاولى وسفه الحق هو رده للحق وهي الافة الثانية وكل من راى انه خير من اخيه
او احتقره حقه او ازدراه او نظرايه بعين الاستصغار او رده الحق وهو يعرفه فقد تكبر
فيما سبه وسن الخلق ومن اى ان يخضع لله وتتواضع له بطاعته وانشاء رسله فقد تكبر سبه
وسن الله تعالى ورسله واعلم انه لا شك الا من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد
ان لها صفة من صفات الكمال والجماع لذلك يرجع الى كمال دينى او دنيوى فالدينى هو العلم والعمل
والدنيوى هو النسب والجمال والمال والقوة وكثرة الانصار فهذه سبعة ابواب الاول
العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم افة العلم الخيلا فلا يلبث
العالم ان تتعزز بعز العلم وتتشعر من نفسه جمال العلم وكماله وتستعظم نفسه وتستصغر
الناس وينظر اليهم نظرة الى الهائم وتستجهم وتتوقع ان يبدوه باللام فان بدا احدكم
باللام او رده عليه بشرا او قام له او اجاب له دعوه راى ذلك صنعة عنده وبدا له عليه
يلزمه شكرها واعتقد في نفسه انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه
يشغى ان يوفو وخدموه شكرا له على صنيعه بد الغالب انهم يبرونه فلا يبرهم وتزورونه
ولا يزورهم ويعودونه ولا يعودهم ويستخدم من خالط منهم ويستخيره في حوائجهم فان
قصروا فيها استنكره كأنهم عبده او اجراؤه وكان تعلمه العلم صنعة منه لديه ومعروف
اليه واستحقاق حق عليه هذا فيما يتعلق بالدنيا واما في امر الآخرة فتكبره عليهم
ما يرى نفسه عند الله اعلا وفضل منهم فخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ورحو النفس
اكثر مما يرجوا لهم وهذا بان يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقى هو الذى
يعرف الانسان به نفسه وربيه وخطر الكاتمة وحجة الله على العلماء وعظم خطر الآخرة كما
سيأتى في طرق معالجة الكبر بالعلم وهذه العلوم تزيد خوفا وتواضعا وتخشعا وتقضى
ان يكون صاحبها يرى ان كل الناس خسر منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في القيام
بشكر نعمة العلم ولهذا قال ابوالدرداء رضى الله عنه من ازداد علما ازداد من الله وجلا
فان قيل فما بال بعض الناس يزدادون بالعلم كبرا وامنا فالجواب ان له سببين احدهما

ان تكون اشتغاله بما يسمى علما وليس بعلم حقيقي. وانما العلم الحقيقى ما يعرف به العبد نفسه
 وربّه وخطر امره فى لقاء الله تعالى والحجاب منه. وهذا بورت الخشية والتواضع دون الكبر
 والامن. **والله تعالى انما خشى الله من عباده العلماء.** فاما ما ورا ذلك كعلم الطب والحنسا
 واللغة والشعر والنحو وفصل الحفومات وطرق المجادلات. فلوان الاسار تجرد لها حتى
 امتلا بها امثلا كبيرا ونفاقا فانما تسمى صناعات اولى بان تسمى علوما. بل العلم هو معرفة
 العبودية والربوبية وطرق العباده. وهذا بورت التواضع غالبا. **السبب الثاني**
 ان نخوض العبد فى العلم وهو جيت الرحلة ردى النفس سى الاخلاق. فلم تشتغل اولا
 بتهديب نفسه وتركيب قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه فى عبادته ربه. فبقي جيت
 الجوهري فاذا خاض فى العلم اى علم كان صادف العلم من قلبه منزلا خيئا. فلم يربط ثمره.
 ولم يظهر فى الخير اثره. وقد ضرب وهب لهذا مثلا. فقال العلم كالغيث ينزل من السماء
 حلوا صافيا فشربه الاشجار يعرفونها. فتحو له على قدر طعمومها. فيزداد المرمرارة.
 والمحلوحلاوة. فكذلك العلم تحفظه الرجال فتحو له على قدر هممها واهوايها. فيزيد
 المتكبر كبرا. والمتواضع تواضعا. وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ
 العلم وجد ما يتكبر به. فازداد كبرا على كبره. واذا كان الرجل خائفا مع جهله فاذا ازداد
 علما علم ان الحجة قد تاكدت عليه. فيزداد خوفا واشفاقا ودلا وتواضعا. فالعلم من اعظم
 ما تكبر به. ولا جلد ذلك قال **الله تعالى لبسه صلى الله عليه وسلم واخضر جناحك لمن اتبعك**
من المؤمنين وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك. ووصف سبحانه اوليائه
فقال تعالى اذ لة على المؤمن اعزة على الكافرين. وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
راه العاصم رضى الله عنه. يكون قوم يقران القرآن لا يجاوز حناجرهم. يقولون قد قرانا
القران فمن قرانا ومن اعلم منا. ثم التفت الى اصحابه فقال اولئك منكم ايها الامه.
اولئك هم وقود النار. وكذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تكونوا جبابرة العلماء. فلا
ينفى علمكم بجهلكم. ولذلك استاذن تميم الدارى عمر رضى الله عنه فى القصص فابى ان ياذن له.
وقال له انه الذبح. واستاذنه ايضا رجل كان امام قومه ان اذا سلم من صلاة ذكرهم فقال

عنوان

الشارح

انواخاف ان تسفح حتى تبلغ الثريا. وروى ان حذيفة بن اليمان رضى الله عنه صلى يقوم فلما
سلم قال لتلمس من اماما غيرى اولئك وحدثنا انى رايت فى نفسى انه ليس فى القوم افضل
منى فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يسلم الصغفرا
من متأخرى هذه الأمة. فما اعز على سيط الارض عالم يستحق ان يقال له عالم ثم انه لا
حركه عز العلم وخيلايه. فان وجد ذلك فهو صدق زمانه. فلا ينبغي ان يفارق بل يكون
النظر اليه عبادة. فضلا عن الاستفادة بانفاسه واحواله. ولو عرفنا ذلك ولو فى اقصى
الصين لسعينا اليه رجاء ان شملنا بركته. وتسرى اليها سيرته وسجيته. ففيها تانى
يسمى فى اخر الزمان مثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول. وقد انقرضوا فى القرن
الاول ومن يليهم يدل عز فى زماننا عالم لم يختلف فى نفسه الاسف والحزن على فواز هذه
الخصلة. وذلك ايضا امام علمهم واما عزيز. ولولا بشاره سيدنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بقوله سيأتى على الناس زمان من تمسك بعشر ما اتم عليه نجا. كان جديرا بنا ان
نقتحم والعباد بالله ورطة الياس والقنوط. مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا. ومن لنا ايضا
بالتمسك بعشر ما كانوا عليه. وليتنا نسكا بعشر عشيره. فقال الله تعالى ان يعاملوا باكم
سما هو اهله وان ستر علينا قبايح اعمالنا كما تقتضه كرمه وفضله. **السبب الثاني**
من اسباب الكبر العمل والعبادة. اعلم رحمك الله انه ليس مخلوا عن رذيله العز والكبر واستمالة
قلوب الناس الزهاد والعباد. وترشح الكبر منهم فى الدرس والدنيا. اما الدنيا فانهم يرون غيرهم
بزيارتهم اولى من انفسهم بزيارة غيرهم. ويتوقعون قيام الناس لقضا حواجهم وتوقيرهم.
والتوسع لهم فى المجالس. وذكرهم بالورع واليقوى. ويقدمهم على سائر الناس فى الخطوط.
الى جميع ما ذكرناه فى حق العلماء. وكانهم يرون عبادتهم منة على الخلق. واما فى الدين فان
الزاهد العابد يرى فى عيبه الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا. وهو الهالك تحقفا. مما
راى ذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم اذا سمعت الرجل يقول قد هلك الناس فهو اهلكم.
واما طال ذلك لان هذا القول يدل على انه مزدري الخلق الله تعالى مغتربا به. امر من مكر
الله غير خائف من سطوته. وكيف لا يخاف. وكيف يشتر احتقاره لغيره. قال رسول الله

ملى الله عليه وسلم كفى بالمرشرا ان يحقر اخاه المسلم . وكرم من الفرق بينه وبين من حبه الله
 ويعظمه لعبادته ويستعظمه في نفسه ويرجو له ما لا يرجوه لنفسه . فالخلق يدركون النجاة
 بتعظيمهم اياه الله تعالى . فهم يقربون الى الله بالدنونه . وهو تتمقت الى الله تعالى بالتزوه
 والتباعد منهم كأنه يترفع عن مجالستهم . فما اجدرهم اذا احبوه لملاحة ان ينقلهم الله
 الى درجته في العمل . وما اجدره اذا اذدرهم بعينه ان ينقله الله الى حد الاهمال . كما روى
 ان رجلا في بني اسرائيل يقال له خليح بنى اسرائيل لكثرة فساده . مر رجل آخر يقال له عابد
 بنى اسرائيل . وكان على راس العابد غمامة تظله لما امر الخليح به . فقال الخليح في نفسه انا
 خليح بنى اسرائيل . وهذا عابد بنى اسرائيل . فلو جلست اليه لعاد الله ان يرحمني . فجا جلس اليه .
 فقال العابد انا عابد بنى اسرائيل . وهذا خليح بنى اسرائيل . كيف تجلس الي . فانف منه وقال
 ثم عني . فاحي الله تعالى الى بنى ذلك الزمان مرهما فليستانفا العمل . فقد غفرت للخليح .
 واحبطت عمل العابد . وفي حديث اخر فتحو لت الغمامة الى راس الخليح . وهذا يعرفك
 ما اخى ان الله تعالى انما يريد من العبيد طوبهم . فالجاهل والعاوي اذا تواضع وذله هيبته
 لله تعالى وخوفانه فقد اطاع بقلبه . فهو اطوع لله من العالم المتكبر والعابد المعجب .
 ولذلك روى ان رجلا من بنى اسرائيل اتا عابدا من بنى اسرائيل فوطى على رقبته وهو ساجد .
 فقال ارفع فوائه لا يغفر لك . فاحي الله اليه ايها المتألى على . بل انت لا يغفر الله لك . ولذلك
 قال الحسن ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخنز . يعنى ان صاحب الخنز
 يذل لصاحب الصوف ويرى الفضل له . وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه . وهى هذه الآفة
 ايضا قل ما ينفك عنها العباد . وهو انه لو استخف به مستخف او آذاه مؤذ استبعد
 ان يغفر الله له . ولا يشك في انه صار مقوتا عند الله . ولو آذى مسلما اخر لم يستنكر ذلك
 الاستنكار . وذلك لعظم قدر نفسه عنده . وهو جهل وجمع بين العجب والكبر والاعتزاز
 بالله . وقد انتهى الحق والغباهة ببعضهم الى ان يتجري ويقول ستر ون ما تجرى عليه .
 واذا اصاب بنكبة زعمانه من كراماته . وان الله تعالى ما اراد به الا شفا غليله والاسقام
 منه . مع انه يرى طبقات من الكفار سبون الله ورسوله . وعرف جماعة آذوا الانبياء

الخليح

صلوات الله عليهم فمنهم من ضربهم ومنهم من قتلهم ثم ان الله تعالى امهد اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا
بل ربما اسلم بعضهم فلم يصبه مكروه في الدنيا والاخرة ثم ان الجاهل المعزور يظن انه اكرم
على الله من انبيائه وانه تعالى قد انتقم له مما لم ينتقم لانبياؤه ولعله في مقت الله تعالى ما عجا به
وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه فهذه عقده المفترن واما الاكياس من العباد فنقول
ما كان يقوله عطا السلمي حين تهب ريح او صاعقه ما يصيب الناس ما يصيبهم الاسبب ولو
ما ت عطا التخلصوا وما قاله ايضا الاخر لما انصرف من عرفات كتب ارجوا الرحمة في جميعهم
لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا تنقي الله ظاهرا وباطنا وهو وجب على
نفسه مزدرا لعمله وسعيه وذلك ربما يضر من البراء والكبر والحسد والغرما هو ضحكه
للشيطان ثم انه ممن على الله بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله فقد احبط
جميع عمله بجهله فان الجهل الفحش المعاصي واعظم شئ بعد العبد عز الله تعالى وحكمه
لنفسه ما نه خير من غيره جهل محض وامن من مكر الله تعالى ولا ما من مكر الله الا القوم
الخاسرون ولذلك روى ان رجلا ذكر بخير عند النبي صلى الله عليه وسلم فاقبل ذات يوم
فما لوانا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال صلى الله عليه وسلم اني ارى بوجهه سعة من
الشيطان فسلم ووقف على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اسالك
بالله احد تشك نفسك ان ليس في القوم افضل منك قال اللهم نعم فرأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بنور النبوه ما استكن في قلبه سعة وجهه وهذه افة لا سفك عنها احد من
العباد الا من عصمه الله لكن العتيا والعباد في آفة الكبر على ثلاث درجات الاولى ان
يكون الكبر مستقرا في قلبه ويرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فقل
من يرى غيره خيرا من نفسه وهذا قدر سمح في قلبه شجر الكبر ولكنه قطع اعضاها بالكلية
الدرجة الثانية ان يظهر ذلك الكبر على افعاله بالترفع في المجالس والقدم على الاقران
واظهار الانكار على من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعرخه للناس كأنه معرض
عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ونقطب جبينه كأنه متنزه عن الناس مستقدر لهم او
غضبان عليهم وليس يعلم هذا المسكن ان الورع ليس في اجبهه نقطبها ولا في الوجه حتى يعبس

ولا في الخد حتى يصعر. ولا في الرقبة حتى تطا. ولا في الذيل حتى يضم. انما الورع في القلوب.
 قال النبي صلى الله عليه وسلم النجوى هاهنا. فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق
 واتقاهم. وكان اوسعهم خلقا. واكثرهم بشرا وثبما وابساطا. ولذلك قال اكرث بر جزر
 الزسدي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبني من القراء كل طلق مضحك. فاما الذي
 تلقاه ببشر وبتقاك بعبوس يمين عليك بحمك. فلا اكثر الله في المسلمين مثله. ولو كان الله نعر
 برضى ذلك لما قال لبيه صلى الله عليه وسلم واخفض خناك الاله. وهو لا الذي يظهر اثر الكبر
 على شيا يظهم واحوالهم اخف حالا من هو في الرتبة الثالثة. وهو الذي يظهر الكبر على لسانه
 حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهات وتزكيه النفس وحكاية الاحوال والمقامات
 والتشمر لخلبة الغير في العلم والعمل. اما العابد فانه يقول في معرض التفاخر لغيره من
 العباد من هو وما عمك. ومن ابن زهد. فطول اللسان فيهم بالتنقيص ثم شتى على نفسه.
 ويقول اني لم افطر منذ كنا. ولا انا بالليل. واختم القران في كل يوم. وفلان سنام بالبحر.
 ولاكثر القراءة وما جرى مجراه. وقد يذكر نفسه مميتا فيقول قصدي فلان فهكذولده.
 واخذ ماله او مرض او ما جرى مجراه. يدعي الكرامة لنفسه. واما مباهاة فانه لو
 وقع على قوم يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان يصلي. وان كانوا يصبرون على الجوع
 مكلف النفس الصبر ليغلبهم. ويظهر لهم قوته وعجزهم. وكذلك تشد في القبال خوفا
 من ان يقال غيره اعبد منه واقوى منه في دن الله تعالى. واما العالم فانه سفاخر
 ويقول انا متفنون في العلوم. مطاع على الحقائق. رات من الشيوخ فلانا وقراب على
 فلان وفلان وما فضلك ومن لفتته انت. وما الذي سمعت من الحديث. كل ذلك ليصغره
 ويعظم نفسه. واما مباهاة فانه يجتهد في المناظرة ان يغلب ولا يغلب. ويسهر طول
 الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والمجدل. وتحسين العبارة.
 وسجيع الالفاظ. وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران. وتعظم عليهم. وحفظ
 الاحاديث والفاظها واسايندها حتى يرد على من اخطا منها فيظهر فضله ونقصان غيره.
 وفرح اذا اخطا واحد ليرد عليه. ويسوه اذا اصاب واحسن خيفة من ان يرك انه اعظم منه.

اذني

الذي

فهذا كلة الكبر. وآثاره الذي يثمره التعزز بالعلم والعمل. وابن من مخلوا عن جميع ذلك
او عن حصنه. فلت شعري من عرف هذه الاخلاق من نفسه. وسمع قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. وفي رواية حبة من خردل.
كيف ستعظم هذا المسكين نفسه. وتكبر على غيره. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هو
من اهل النار. وانما العظيم من خلاقه عن هذا كله. ومن خلا عنه لم يكن فيه تعظم وكبر.
والعالم هو الذي فهم ان الله تعالى له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا. فان رأت
لها قدرا فلا قدر لك عندنا. ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب. ومن
علمه لزمه ان لا يتكبر ولا يبري لنفسه قدرا. فهذا الذي ذكرنا هو الكبر بالعلم والعمل.
السبب الثالث من اسباب الكبر التكبر بالنسب والحسب. فالذي له نسب شريف
ستحقر من ليس له ذلك النسب. وان كان ارفع منه عملا وعلما. وقد تكبر بعضهم فيرى
ان الناس له موال وعبيد. ويانف عن مخالطتهم ومجالستهم. ومثرتة على اللسان التفاخر
به. فنقول لغيرنا بنطى يا فلاح. ويا هندی ويا ارمني. ومن ابوك. انا فلان ابن فلان عالم
اس عالم افاضى اس قاضى امير ابن امير. ويصلح لمثلك ان تكلمنى او تنظرالى. ومع مثلى تتكلم.
وما جرك مجراه. وذلك عرق دقوف النفس لا تنفك عنه نسيب وان كان صالحا عاقلا.
الا انه قد لا ترشح منه عند اعتدال الاحوال. وان غلبه غضب اطفالك نور بصيرته
وترشح منه كما روى عن ابي ذر رضى الله عنه قال قالوا لك رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فعلت له يا ابن السوداء. فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا باذر طف الصاع طف الصاع ليس
لابن بيضا على ابن سودا فضل. قال ابو ذر فاضطجعت وولت للرجل قم فطأ على خدي.
فانظر كيف نبهته رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راي لنفسه فضلا بكونه من بيضا.
وان ذلك خطأ وجهل. فانظر كيف تاب وقلع من نفسه شجرة الكبر باخصر قدم من
تكبر عليه. اذ عرف ان العز لا يقمعه الا الذل. ومن ذلك ما روى ان رجلا تفاعرا عند
النبي صلى الله عليه وسلم فقال احدهما للاخر انا فلان بن فلان فضانت لاهمك. فقال النبي صلى
الله عليه وسلم افتخر رجلا عند موسى عليه السلام فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى

عد تسعة فاحي الله تعالى الى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بد التسعة من اهل النار
وانت عاشرهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع عن قوم الفخر يا بايهم وقد صاروا
فحما في جهنم اولكونن اهون على الله من الجعلان التي تذوق بانافها القذر السبب
الرابع من اسباب الكبر الفاخر باجمال وذلك بحري اكثره بن النساء ويدعو اذ كذا الى الشقيص
والثلب والغية وذكر عيون الناس ومن ذلك ما روى عن عاشره رضى الله عنها انها طال دخلت
امراة على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذا اى انها صغيرة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم قد اغتبتها وهذا منشاء الخفى الكبر لانها لو كانت صغيرة ايضا لما ذكرتها بالصغر
فكانها عجبت بقامتها واستقصرت المرارة في جنب نفسها فقالت ما قالت السبب
الخامس من اسباب الكبر بالمال وذلك بحري بن الملوكة في الخزان وسن التجار في اقسنتهم
وبضايهم وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وحيولهم ومراكبهم فيستحقر
الغنى الفقير وتكبر عليه ويقول انت مكدي شحاد ومسكن وانا لو اردت لا شترت مثلك
واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاب بيتي ساوى ما معك وانا انفوي اليوم
مالا ياكله انت في السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره الفقر وكل ذلك جهل
منه بافة الغنا وفضيله الفقر واليه الاسارة بقول رسا تشارك وتعالى فعالة صاحب وهو
بحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه بقوله ان ترى انا اقل منك مالا وولدا
فغسي ربي ان يوتني خيرا من خنتك فكان ذلك تكبرا بالمال والولد ثم من بحالي عاقبه امره
وقوله يا بيتي لم اشرك بربى احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ حكي الله تعالى عنه بقوله
فخرج على قومه في زينته حتى قال قوم بالبيت لنا مثل ما اوتى قارون انه لذو حظ عظيم
السبب السادس من اسباب الكبر الكبر بالقوة وشده البطش والتكبر به على اهل
الضعف السبب السابع التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والعلمان والعشيرة
والافارب والبنين وكجرى ذلك بين الملوكة في المكاشرة ما جنود وسن العلماء في المكاشرة
بالمستفدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا
امكن ان يتكبر به حتى ان المنخت ليتكبر على اقرانه بزادة معرفته وقدرته في صناعة المختبر

خمس

من جميع

لانه يرى ذلك كما لا فيفتخر به. وان لم فعله الاكالا ^{بكنه}. وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة
شرب الخمر. وكثرة العجور بالسوان والغلان. وتكبر به لظنه ان ذلك كمال. وان كان محظيا
فيه. فهذه مجامع ما يتكبر به العباد بعضهم على بعض. فيتكبر من يدلي بشئ على من لا
يدلي به. او على من يدلي بما هو دونه في اعتقاده. وربما يكون مثله او فوقه عند الله كالعالم
الذي تكبر على من هو اعلم منه لظنه انه الاعلم. ولحسن اعتقاده في نفسه. فقال الله تعالى
ان بلهنا واماكم طريقا للرشد والاستقامة انه قد سيجب **فصل** في بيان ما يحمله على التكبر
واسبابه المهيجة له. اعلم رحمك الله ان الكبر خلق باطن. فاما ما يظهر في الاخلاق
والافعال فهي ثمرتها ونتيجتها. وسبغى ان سمي بكبرا. ونخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي
الذي هو استعظام النفس وروية قدرتها فوق قدر الغير. وهذا الباطن له موجب
واحد وهو العجب كما سأتى معناه. فاذا اعجب المرء نفسه وبعلمه وعملة او شئ من اسبابه
استعظم نفسه وتكبره. واما الكبر الظاهر فاسبابه ثلاثة سبب في المتكبر. وسبب في
المتكبر عليه. وسبب تتعلو غيرهما. اما السبب الذي في المتكبر فهو العجب. والذي تتعلو
بالتكبر عليه هو الحق والحسد. والذي تتعلو غيرهما هو الريا. فتتصور الاسباب بهذا
الاعتبار اربعة. العجب. والحق. والحسد. والرياء. اما العجب فقد ذكرنا انه يورث
الكبر الباطن. والكبر الباطن ثمر التكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال. واما
الحقد فانه يحمل على الكبر من غير عجب. كالذي تكبر على من يرى انه مثله او فوقه. ولكن
قد غضب عليه سبب سبب منه فاورثه الغضب حقدا رسخ في قلبه فغضب. فهو لذلك لا
تطاوعه نفسه ان تتواضع له. وان كان عنده مستحقا للتواضع. فكم من رجل لا تطاوعه
النفس على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه وبغضه له. ويحمله الحقد على رد
الحق اذا جاءه من جهته. وعلى الانفة من قول نضحه. وعلى ان يجتهد في التقدم عليه. وان علم
انه نفسه لا تحو ذلك. وعلى ان لا يستحله وان ظلمه. ولا يعتذر اليه وان جنى عليه. ولا
يباله عما هو جاهل به. واما الحسد فانه ايضا يوجب البغض للحسود. وان لم يكن من
جهته ايذاء. وسبب يقتضي الغضب والحقد. ويدعو الحسد ايضا الى جحد الحق حتى

تمنع من قول النصح وتعلم العلم . فكم من جاهل شتاق الى العلم وقد بقي في رذيله الجمل .
 لا استنكافه ان يستفد من واحد من اهل بلده . او اقاربه حسدا وبغض عليه . فهو
 يعرض عنه وتكبر عليه . مع معرفته بانه يستحق التواضع بفضل علمه . ولكن الحسد يبعثه
 على ان يعامله باخلاق الكبر . وان كان في باطنه ليس يرى نفسه فوقه . **واما الريا فهو**
 ايضا يدعو الى اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل لينظر من يعلم انه افضل منه وليس منه وسه
 معرفة ولا محاسدة ولا حقد . ولكن تمنع من قول الحق منه . ولا تتواضع له في الاستفادة .
 خيفة من ان يقول الناس انه افضل منه . فيكون باعته على التكبر عليه الريا المجرد . ولو
 خلاعه نفسه لكان لا تكبر عليه . **واما الذي تكبر بالعجب او الحسد او الحقد فانه**
 تكبر ايضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما بالث . وكذلك قد ينتمى الى سب شريف كاذبا
 وهو يعلم انه كاذب . ثم يكبر به على من ليس ينسب الى ذلك النسب . وترفح عليه في المجالس .
 وسقدم عليه في الطريق . ولا يرضى مساواته في الكرامة والتوقير . وهو عالم باطنانه لا يستحو
 ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفة بانه كاذب في دعوى النسب . ولكن بحمله الريا على افعال
 المتكبرين . **وكأن اسم التكبر انما سئل في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن**
صادر عن العجب والنظر الى الغير بعين الاستحقاق . وهذا انما يسمى متكبرا لاجل التشبه
 بافعال الكبر **فصل** في بيان اخلاق المتواضعين ومجامع ما يظهر من اثر التواضع والتكبر .
 اعلم رحمك الله ان الكبر يظهر في شمائل الرجل كصعرة في وجهه . او نظرة شزر . او اطرافه
 راسه . وجلوسه مترجعا ومتكيا . وفي اقواله . حتى في صوته ونغمته . وصغته في الايراد .
 ونظرا ايضا في مشيته . وتبخيره . وقامه . وجلوسه . وفي حركاته وسكاته . وفي تعاطيه
 لافطاله . وفي سائر قلباته في احواله واقواله وافعاله . فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله .
 ومنهم من تكبر في بعض وتواضع في بعض . فمنها التكبر بان يحب قيام الناس له او سديده .
 وقد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فليتنظر الى رجل
 قاعد وسن يديه قوم قيامه . وقال اسن بن مالك رضي الله عنه لم يكن شخص احب اليهم من
 رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكانوا اذا راوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهيته . ومنها

ان لا يمشي الا ومعه غيره مشى خلفه . وقد قال ابو الدر دار رضي الله عنه لا يزال العبد يزداد
 من الله بعد ما مشى خلفه . وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا يعرف من عبده .
 اذ كان لا يتميز عنهم في صورة طاهرة . وروى ان قوما مشوا خلف الحسن البصري فسمعهم وقال
 ما يبقى هذا من قلب العبد . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشى في بعض الاوقات مع
 الاصحاب فامرهم بالمقدم . ومشى في الغمار اما للتعليم غيره . اولين في عن نفسه وسوا من الشطار
 بالكبر والعجب كما روى انه اخرج الثوب الجديد في الصلاة وابدله بالخلع لاخذ هذين
 المعنيين ومنها ان لا يزور غيره . وان كان محصدا من زيارته خير لغيره في الدين وهو
 ضد التواضع . وروى ان سفن الثوري قدم الرملة فبعث ابراهيم بن ادهم اليه ان تعال
 فحدثنا فجاهم سفين فقتله يا ابا اسحق فبعث اليه بمثل هذا . قال اردت ان انظر كيف
 تواضعه . ومنها ان تستكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه .
 والتواضع خلافة . قال ابو وهب جلست الي عبد العزيز بن ابي رواد فصر فخذى فخذة
 فنجيت نفسي عنه فاخذ بيثاي وجرني الي نفسه . وقال لم يفعلون بي ما يفعلون بالجبابرة .
 واني لا اعرف منكم رجلا شرامني . وقال اسر رضي الله عنه كانت الوليدة من ولايد المدينة
 لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تنزع يده منها حتى تذهب به حيث شئت .
 ومنها ان تتوقا مجالسة المرضى والمعلولين وتخاصي عنهم وهو كبر . وروى ان رجلا
 دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه جذر قد تقشر . وعنده اصحابه ما يكون فما جلس
 عند احد الا قام من جنبه . فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم بجنبه . وكان عبد الله بن عمر
 رضي الله عنه لا يجلس عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقدم على ما يدته .
 ومنها ان هذا المتكبر لا تتعاطا بيده شغلا في سته . والتواضع خلافة . وروى ان عمدا
 ابن عبد العزيز رضي الله اياه لبه ضيف وكان يكتف . فكاد السراج ينطفئ . فقال الضيف
 اقوم الي المصباح فاصلمه . فقال عمر ليس من كرم الرجل ان يستعمل ضيفه . قال فابنه الغلام .
 قال هي اول نومة نامها . واخذ البطة وملا المصباح زيتا . فقال الضيف قمت انت بفسك يا
 امير المؤمنين . فقال ذهبت وانا عمر . ورجعت وانا عمر . وخير الناس من كان عند الله

فقام

متواضعا. ومنها ان لا يأخذ متاعه ويحمله الى بيته. وهو خلاف عادة المتواضعين.
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ متاعه ويحمله حاجته الى بيته. وقال علي بن ابي طالب
 رضي الله عنه لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شئ الى عياله. وكان ابو عبيدة بن الجراح رضي الله
 عنه وهو امير يمد سطلا له من خشب الى الحمار. وقال بابت بن ابي مالك رأت ابا هريرة رضي
 الله عنه اقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يومئذ خلتفه طروان على المدينة. فقال اوسع
 الطريق للامير يا ابن ابي مالك. وعن الاصمغ بن ابي سنانة قال كان في انظر الى عمر رضي الله عنه
 معلقا الحما في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله.
 وقال بعضهم رأت علي بن ابي طالب رضي الله عنه اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته. فقلت
 له احمد عندك يا امير المؤمنين. قال لا. ابو العيال احق ان يحمده. ومنها اللباس اذ
 يظهر به الكبر والتواضع. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم البذاذة من الالمان. قال هارور
 سألت عن معنى البذاذة. فقال هو الدون من اللباس. وقال زيد بن وهب رأت عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه خرج الى السوق ويده الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر رقعة عدد ثمانين
 ادم. وعبث علي رضي الله عنه على ازار مرقوع. فقال بقتدي بن المومن ونخشع له القلب.
 وقال عيسى بن مريم عليه السلام جودة الثياب خيلا القلب. وقال طاوس بن ابي لا غسل ثوبي
 هذين فانكر قلبي ان يقتس. وروى ابن عمر بن عبد العزيز كان قد ان استخلف بشركي له
 الكله بالف دينار فنقول ما اجودها لولا خشونه فيها. فلما استخلف كان شترى له الوبر
 خمسة دراهم فنقول ما اجوده لولا لينه. فقيل له اين لباسك ومركبك وعطرك. فقال
 ان لي نفسا ذواقه نواقه. وانها لم تذوق من الدنيا طبقه الا تاقت الى التي فوقها. حتى اذا
 ذاق المخلافه وهي ارفع الطبقات تاقت الى ما عند الله عز وجل. وقال سعيد بن سويد
 صلى بنا عمر بن عبد العزيز اجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع اجيب من سن يديه ومن خلفه.
 فقال له رجل يا امير المؤمنين ان الله قد اعطاك فلولبت. فنكس راسه مليا ثم رفع راسه.
 فقال ان افضل القصد عند الجدة. وان افضل العفو عند القدرة. وقد قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم من ترك زينة لله ووضع ثيابا حسنة لله وابتغى وجهه كان حقا على الله ان

بعضها م

بواضعا م

يدخر له عبقرى الجنة. فان قل فعد فالعيسى عليه اللام جودة الشاب خيلا القلب
وقد سيل نبيا صلى الله عليه وسلم عن اجمال في الشاب هدهو من الكبر. فقال لا هو من سيفه
اكتف وعظ الناس. فكيف طريق الجمع سنهما. فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته ان
يكون من الكبر في حق كل احد في كل حال. وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الذي عرفه من حال ثابت بن قيس اذ قال انى امر واحب اجمال فما ترى. فعرفه صلى الله
عليه وسلم ان ميله الى النظافة وجودة الساب لا يتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان
يكون من الكبر. وقد يكون ذلك من الكبر كما ان الرضى بالشباب الدون قد يكون من
التواضع. وعلامة المتكبر ان يطلب التمجيد اذ رآه الناس. ولم يبال اذا انفرد بنفسه كيف
يكون. وعلامة طالب اجمال ان يحب اجمال في كل شى ولو في خلوته. وحتى في سنور في
داره. فذلك ليس من الكبر. فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه اللام على بعض الاحوال
على ان قوله هو خيلا القلب. يعنى قد نورت خيلا القلب. وقول نبيا صلى الله عليه
وسلم انه ليس من الكبر. يعنى ان الكبر لا يوجب. ويجوز ان لا يوجب ثم يكون هو موزنا للكبر
وبالجمله فالاحوال مختلف في مثل هذا. والمحجوب هو الوسط في اللباس الذى لا يوجب شهرة
بالجودة ولا بالردالة. وقد قال صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير
سرف ولا محيلة. ان الله تعالى يحب ان يرى اثر رحمة على عبده. وقال بكر بن عبد الله المزنى
البسوا ثياب الملوك. واميتوا قلوبكم بالخشعة. وامننا خاطب بهذا قوما يطلبون الكبر ثياب
اهل الصلاح. وقد قال عيسى عليه اللام ما لكم تاتونى وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب
الذياب الضواري. البسوا ثياب الملوك. والينوا قلوبكم بالخشعة. ومنها ان تتواضع
بالاحتمال اذا سبت واودى واخذ حقه. فذلك هو الاصل في الورع والزهد. وبالجمله
فمجامع حسن الاخلاق والتواضع بوخذ من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه ينبغي ان
نقتدى. ومنه ينبغي ان يتعلم. وقد قال ابن ابي سلمة قلت لابي سعيد الخدرى رضى الله عن
ما ترى فيما احدث الناس من الملابس والمشرب والمركب والمطعم. فقال يا ابن اخي كل الله واسر
له والبس له. وكل شى من ذلك دخله زهو ومباهات اوريا او سمعة فهو معصية

وسرف. وعالج في سكر من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج في سنته. كان
 لطف الناضح. واعتقل البعير. ونظم البيت. وكحلب الشاة. وكخسف النعل. ورفق الثوب.
 وماكل مع خادمه. وعجن معه اذا اعياه. وشترى الشئ من السوق. ولا يمنعه الحياء ان يعلقه
 بيده. او يجعله في طرف ثوبه. وينقل الى اهله. ويضاح في الغنى والفقير. والصغير والكبير.
 ويسلم مبتدئاً على كل من استقبله من صغيرا وكبيراً. اسوداً واحمر حراً وعبد من اهل الصلاة.
 ليس له حلة لم يدخله وحلة لمخرجه. لا يستحي من ان يجيب اذا دُعِيَ وان كان اشعث اعبر.
 ولا يحقر ما دُعِيَ اليه وان لم يجد الا حشف الدقل. لا يرفع غداً لعشاء. ولا عشاء لغداً.
 هين المونه. لين الخلق. كرم الطبيعة. جميل المعاشرة. طلق الوجه. بسام من غير ضحك.
 محزون من غير عبوس. شديد في غير عنف. متواضع في غير مذلة. جواد من غير سرف.
 رحيم لكل ذي قرنى ومسلم. رقيق القلب. دايم الاطراق. لم يتجشأ قط من شبع. ولم يمد يده
 الى طمع. قال ابوسلمة فدخل على عاتقة ام المومن رضي الله عنها فحدثها كلها يعني
 هذه الخصال كلها عن ابي سعيد. فقال ما اخطأته حرفاً. ولقد قصر انما اخبرك ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلي قط شبعاً. ولم يبت الى احد شكوى. وكانت الفاقة لاحد
 اليه من اليسار والغنا. وانه كان ليظن جايها تتلوى ليلته حتى يصبح. فما يمنعه ذلك من
 صيام يومه. ولو شأ ان يسأل ربه فيوتى بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها في مشارفها
 ومغارها لفعل. وربما بليت رحمة له مما اوتي من الجوع. فامسح بطنه بيده. واقول
 نفسي لك الفدا. لو تبلغت من الدنيا بقدر ما تقويك. ومنعك من الجوع. فيقول يا عاتقة
 اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا. فمضوا على حالهم فقدوا
 على ربهم. فاكرم ما بهم. واجزل ثوابهم. فاجدني استحي ان ترفضت في معيشتي ان تقصر
 بي دونهم. فاصبر يا ما سيره احب الي من ان ينقص حظي غداً في الآخرة. وما من شئ
 احب الي من اللحوق باخواني واخلائي. قالت عاتقة والله ما استكمل بعد ذلك رحمة
 حتى قبضه الله. فما نقل عن احواله صلى الله عليه وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن
 طلب التواضع فليقتد به. ومن رأى نفسه فوق سيد النبيين ولم يرض لنفسه بما رضى هو به

فاشد جهله • ولقد كان اعظم خلق الله منصبا في الدنيا والدين • فلا عز ولا رفعة الا في
 الاقتدابه • قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله • وقال عمر رضي الله عنه انا قوم اعزنا
 الله بالاسلام • فلا نطلب العز في غيره • قاله لما عوتب في بذاهه هياته عند دخوله الشام •
 وقال ابو الدرداء رضي الله عنه اعلم ان الله عبادا انقال لهم الابدال • خلف من الانبياء هم اوتاد
 الارض • فلما انقضت النبوة ابدل الله مكانهم قوما من امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم • لم
 يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة • ولا حس حليه • لكن بصدق الورع • وحسن النية • وسلامة
 الصدر لجميع المسلمين • والنصح لهم ابتغاء مرضات الله • بصير جليل • وتواضع من غير مذلة •
 وهم قوم اصطفاهم الله تعالى واستخلصهم لنفسه • وهم اربعون صدقا • ثلاثون رجلا ولوهم
 على مثل بقدر ابرههم عليه السلام • لا يموت منهم الرجل حتى يكون الله تعالى قد انشأ من خلفه •
 واعلم يا اخي انهم لا يلعنون شيا • ولا يوذونه • ولا يحقرونه • ولا يتطاولون عليه • ولا يحسدون
 احدا • ولا يحرضون على الدنيا • هم اطيب الناس خيرا • والينهم عريكة • واسخاهم نفسا • علامتهم
 السخا • وسجيتهم البشاشة • وصفتهم الامة • ليسوا النور في خشة وغدا في غفلة • ولكن
 مداومين على حالهم الظاهر • وهم فيما بينهم وسر ربههم • لا تدركهم الرياح العواصف • ولا الخيل
 المجرأة • قلوبهم تضعد ارتياحا الى الله واشتياقا اليه • وقدما في استباق الخيرات • واولئك
 حزن الله • وخرت الله هم المغفلون • قال الراوي فقلت يا ابا الدرداء ما سمعت بصفة اشد
 من هذه الصفة • وكيف لي ان ابلغها • قال ما بينك وبين ان تكون في اوسعها الا ان يبغض
 الدنيا • فانك اذا ابغضت الدنيا اقبلت على حب الآخرة • وبقدر حبك للآخرة وحرصك
 عليها تزهد في الدنيا • وبقدر ذلك تبصر ما تنفعك • فاذا علم الله من عبد حسن الطلب افرغ
 عليه السداد • واكتفه بالعصمة • واعلم يا اخي ان ذلك في كتاب الله المنزل ان الله مع الذين اتقوا
 والذين هم محسنون • قال يحيى بن ابي كثير فنظرنا في ذلك • فما تلذذ المتلذذون مثل حب
 الله وطلب مرضاته • **فصل** في سائر الطرق في معالجة الكبر واكتساب التواضع • اعلم
 ان الكبر من المهلكات • ولا تخلوا احد من الخلق عن شئ منه • وازالته فرض عين • ولا يزول
 سجد التمني • بل بالمعالجة واستعمال الادوية القامعة له • وفي معالجته مقامان

حلل الرحمن

المقام الاول استيصال اصله من سخره . وقطع شجره من مغرسه في القلب . المقام الثاني
 دفع العارض منه بالاسباب الخاصة التي تكبر بها الانسان على غيره . المقام الاول في
 استيصال اصله . وعلاجه عملي وعلمي . ولا يتم الشفا الا بمجموعهما . اما العلاج العلمي
 فهو ان يعرف نفسه ويعرف ربه . ويكفيه ذلك في ازالة الكبر . فمهما عرف نفسه حق المعرفة
 علم انه اذل من كل ذليل . واقل من كل قليل . فذلك الذي عرف انه لا يليق به الا التواضع
 والذلة والمهانة . واذا عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبر بالاله . اما معرفته
 ربه وعظمته ومجده والقول فيه يطول . وهو منتهى علم الصديقين . واما معرفته نفسه
 فهو ايضا يطول . ولكننا نذكر منه ما ينفع في اثاره التواضع والمذلة . ويكفيه ان يعرف
 معنى اية واحدة في كتاب الله عز وجل . فان القرآن فيه علم الاولين والآخرين لمن فتحت
 بصيرته . وقد قال الله تعالى قتل الانسان ما اكفره . من اى شى خلقه الى قوله ثم اذا شا
 انشده . فقد اشارت الاية الى اول خلق الانسان . والى آخر امره . والى وسطه . فلينظر
 الانسان ذلك ليفهم معنى هذه الآلة . اما اول الانسان فانه لم يكن شيا مذكورا . وقد
 كان في كتم العدم ذهورا . ثم لم يكن لعدمه اول . فامى شى احسن واقل من المحو والعدم .
 وقد كان الآن ذلك في القدم . فقد كان في كتم العدم خلقه الله من اذل الاشياء ثم
 من اقدرها . اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من مضغة . ثم جعله
 عظاما . ثم كسا العظام لحما . فقد كان هذا بداية وجوده . وحيث صار شامذكورا
 الآن فما صار مذكورا الا وهو على احسن الاوصاف والنفوت . اذ لم يخلق في الابتداء كاملا .
 بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع . ولا يبصر . ولا يحس . ولا يتحرك . ولا ينطق . ولا يبسط . ولا يدرك .
 ولا يعلم . فبدا سبحانه بموته قبل حياته . وبضعفه قبل قوته . وبجهله قبل علمه .
 وبعماه قبل بصره . وبصممه قبل سمعه . وبكمه قبل نطقه . وبضلالته قبل هداه .
 وبفقره قبل غناه . وبعجزه قبل قدرته . فهذا معنى قوله تعالى من اى شى خلقه من
 نطفة خلقه فقدره . ومعنى قوله تعالى هداى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيا
 مذكورا . كذلك خلقه اولا . ثم امتن عليه . فقال ثم السبيل سره . وهذه اشارة الى ما

يَسْرُهُ فِي حَيَاتِهِ إِلَى الْمَوْتِ • وَلِذَلِكَ قَالَ مِنْ نِطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَحِطَّنَاهُ سَمِيحًا بِصِيرًا •
أَنَّهُ هَدَانَاهُ السَّبِيلَ مَا شَاكَرًا وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ تَعَالَى أَحْيَاهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ جَمَادًا مَيِّتًا تَرَابًا أَوَّلًا •
وَنِطْفَةٌ بَانِيَا • وَأَسْمَعُهُ بَعْدَ مَا كَانَ نَامِمًا • وَبَصَرَهُ بَعْدَ مَا كَانَ فَاقِدًا لِلْبَصْرِ • وَقَوَاهُ بَعْدَ الضَّعْفِ •
وَعَلَّمَهُ بَعْدَ الْجَهْلِ • وَخَلَقَ لَهُ الْأَعْضَاءَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَجَائِبِ وَالآيَاتِ بَعْدَ الْفَقْدِ لَهَا •
وَإِغْنَاهُ بَعْدَ الْفَقْرِ • وَأَشْبَعَهُ بَعْدَ الْجُوعِ • وَكَسَاهُ بَعْدَ الْعُرَى • وَهَدَاهُ بَعْدَ الضَّلَالِ • فَانظُرْ
كَيْفَ دَبَّرَهُ وَصُورَهُ • وَالْإِلَهَ السَّبِيلَ كَيْفَ يَسِّرُهُ • وَالْإِلَهَ طَغْيَانَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ • وَالْإِلَهَ جَهْلَ الْإِنْسَانَ
كَيْفَ أَظْهَرَهُ • فَحَالِ تَعَالَى أَوْلَى لِمِيرَى الْإِنْسَانَ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نِطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ • وَمَنْ
آيَاتُهُ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ • فَانظُرْ إِلَى نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى كَيْفَ نَقَلَهُ
مِنْ تِلْكَ الذَّلَّةِ وَالْقِلَّةِ وَالْخُسَاسَةِ وَالْقُدْرَةَ إِلَى هَذِهِ الرَّفْعَةِ وَالْكَرَامَةِ • فَضَارَ مَوْجُودًا
بَعْدَ الْعَدَمِ • وَحَيَا بَعْدَ الْمَوْتِ • وَنَاطِقًا بَعْدَ الْبَكْمِ • وَبَصِيرًا بَعْدَ الْعَمَى • وَقَوِيًّا بَعْدَ الضَّعْفِ •
وَعَالِمًا بَعْدَ الْجَهْلِ • وَهَادِيًّا بَعْدَ الضَّلَالِ • وَقَادِرًا بَعْدَ الْعَجْزِ • وَغَنِيًّا بَعْدَ الْفَقْرِ • وَكَانَ مِنْ
ذَاتِهِ لِأَشْيَاءٍ وَآيٍ شَيْءٍ أَحْسَنَ مِنْ لَأَشْيَاءٍ • وَآيٍ قَلِيلَةٍ أَقْلَمَ مِنَ الْعَدَمِ الْمُحْضِ • ثُمَّ صَارَ بِاللهِ شَيْئًا •
وَأَمَّا خَلْقُهُ مِنَ التُّرَابِ الذَّلِيلِ وَالنِّطْفَةِ الْقُدْرَةَ بَعْدَ الْعَدَمِ الْمُحْضِ لِيُعْرِفَهُ خِسَّةَ ذَاتِهِ
فِيَعْرِفُ بِهَا نَفْسَهُ • وَأَمَّا اكْتِمَالُ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ لِيَعْرِفَ بِهَا رَبَّهُ • وَيَعْلَمَ بِهَا عَظَمَتَهُ وَجَلَالَهُ • وَإِنَّهُ
لَا يَلْتَوِي الْكِبْرِيَاءَ الْآبَةَ • وَلِذَلِكَ أَمَّنَّا عَلَيْهِ • فَحَالِ تَعَالَى أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ •
وَهَدَانَاهُ الْجَدْنَ • وَعَرَّفَ خِسَّتَهُ أَوَّلًا • فَحَالِ تَعَالَى أَلَمْ يَكُ نِطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ مَنِيٍّ ثُمَّ كَارَ عِلْقَةً •
ثُمَّ ذَكَرَ هَيْئَتَهُ • فَخَلَقَ فَسْوَى • فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى لِيُدْرِمَ وَجُودَهُ بِالتَّنَاسُلِ
كَمَا حَصَلَ وَجُودُهُ ابْتَدَاءً بِالْإِخْتِرَاعِ • فَمَنْ كَانَ هَذَا بَدْوَهُ وَهَذِهِ أَحْوَالُهُ فَمِنْ أَسْرِهِ الْبَطْرُ
وَالْكَبْرِيَاءُ • وَالْفَخْرُ وَالْحَيْلَاءُ • وَهُوَ عَلَى التَّحْقُوقِ أَحْسَنُ الْإِحْسَاءِ • وَأَضْعَفُ الضَّعْفَاءِ • نَعَمَ لَوْ اكْمَلَهُ
وَفُوضَ إِلَيْهِ أَمْرَهُ وَادَامَ لَهُ الْوُجُودَ بِإِخْتِيَارِهِ لِحَاجَاتِ أَنْ يَطْغَى • وَيُنْسِي الْمَبْدَأَ وَالْمُنْتَهَى • وَلَكِنَّهُ
سَلَطَ عَلَيْهِ فِي دَوَامِ وَجُودِهِ الْأَمْرَاضَ الْهَائِلَةَ • وَالْإِسْقَامَ الْعَظِيمَةَ • وَالْآفَاتَ الْمُخْتَلِفَةَ •
وَالطَّبَائِعَ الْمُتَضَادَّةَ مِنَ الْمَرَّةِ وَالْبَلْغَمِ وَالرِّيحِ وَالْدَمِّ يَهْدِمُ الْبَعْضُ مِنْ أَجْزَائِهِ الْبَعْضَ شَاءَ
أَمْرًا بَنِيًّا سَخَطًا أَوْ رِضًا • فَيَجُوعُ كَرَهَا • وَيَعْطَشُ كَرَهَا • وَيَمْرُضُ كَرَهَا • وَمَمُوتُ كَرَهَا • لَا يَمْلِكُ

لنفسه نفعاً ولا ضرراً ولا خيراً ولا شراً يريد ان يعلم الشئ فجعله • ويريد ان يذكر الشئ فينباه •
 ويريد ان ينسا الشئ ويغفل عنه فلا يعقل • ويريد ان يحصر قلبه الى ما يهيمه • فيجول
 في اودية الوسوس والافكار بالاضطراب • فلا يملك قلبه قلبه • ولا نفسه نفسه • شتى
 الشئ وربما يكون هلاكه فيه • ويكره الشئ فيكون حياته فيه • سئلذا لا طعمة مهلكة وترديه •
 ويستبشع الادوية وهي تنفخه وتخييه • لا يامن في لحظة من ليله ونهاره ان يسلب
 سمعه وبصره • وتفليح اعضاءه • ويختلس عقله • ويختطف روحه • ويسلب جميع ما يهواه
 في دنياه فهو مضطر ذليل • ان ترك بغي • وان اختطف فني • عبد مملوك لا يقدر على شئ
 من نفسه وعيره • فاي شئ اذ لم ينعرف نفسه • وانى بليوالكبريه لولا جهله • فهذا
 اوسط احواله فليتاملها • واما آخره ومورده فهو الموت المشار اليه بقوله تعالى
 ثم اماتة فاقبره ثم اذا شاء انشره • ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه
 وقدرته وحسّه وادراكه وحركته • فيعود جادا كما كان اول مرة • لا يبقى الا شكل
 اعضاءه وصورته لا حشر فيها ولا حركة • ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قدره •
 كما كان في اول نطفه مدره • ثم تبلى اعضاءه • وتتفتت اجزأوه • وتخر عظامه فيصير
 ريبا ورفاتا • وتاكل الدود اجزأه • فيبتدى كحديقته فيقلعهما • ويخديه فيقطعهما •
 وسائر اجزأيه فيصير روثا في اجواف الديدان • ويكون جيفة يهرب منه الحيوان •
 ويستفدده كل انسان • ويهرب منه لسدة الاثتان • واحسن احواله ان يعود الى ما كان •
 فيصير ترابا يعلم منه الكيزان • او يعمر به البنيان • ويصير مفقودا بعد ما كان موجودا •
 وصار كان لم يغز بالاس حصيدا • كما كان في اول مرة مددا مديدا • وليته بقى كذلك •
 فما احسنه لو ترك ترابا • لا بد بحية الى قيامة قائمه • وسما منزقه مشققة • وارض
 مبدله • وجبال مسيره • ونجوم منكدره • وشمس منكسفه • واحوال مظلمه • وملايكة
 غلاظ شداد • وحجيم ترفرف • وجنة ينظر اليها المجرم فيتحسّر • ويترك صحارف منشوره •
 فنقول له اقرا كما بك • فنقول وما هو • فنقال قد وكل بك في حياتك التي كنت تفرح بها
 وتتكبر بنعيمها • وتفخر باسبابها • ملكان رقيبان • يكتان عليك ما تنطق به • وتعمله من قلد

بعد طول البلاء السقاى شيئا يدا البلاء فخرج من قبره بعد جمع اجزأيه المتفرقة وكخرج الى اهرار النفاسه فيبسطهم

وكثير ونقر وقطير • وصغير وكبير • واكل وشرب • وقام وقعود • وقد سببت ذلك
واحصاه الله • فهلم الى الحساب • واستعد الى الجواب • اوتساق الى دار العذاب • فسقط قلبه
فرعاً من هول هذا الخطاب • قبل ان تنتشر الصخيفه • وشاهد ما فيها من مخازيه •
واذا شاهدناها قال ما وبتنا ما لهذا الكتاب لا بغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها •
فهذا آخرا مره • وهو معنى قول الله تعالى ثم اذا شا انشره • فاملن هذه حاله والتكبره •
بدماله وللفرح في لحظة • فضلا عن البطر والتجبر • فقد ظهر له اول حاله ووسطه •
ولو ظهر آخره والعياذ بالله • ربما اختاران يكون كلبا او خنزيرا • ليصير مع البهائم ترابا •
ولا يكون انسانا يسمع خطابا • ويلقى عذابا • وان كان عند الله مستحقا للنار فالخنزير اسرف
منه واطيب وارفع • اذ اوله التراب وآخره التراب • وهو معزل عن الحساب والعذاب •
والكلب والخنزير لا يهرب منه المخلوق • ولورا والعبدا المذنب في النار لصغفوا من وحشة
خلقه وفتح صورته • ولو وجد وارا حخته لما توامننتها • ولو وقعت قطرة من شرابه الى
يسقي به في بحار الدنيا لصارت انثى من الجيف • فمن كان هذا حاله في العاقبه اليه ان يعفا
عنه وهو على شك من العفو وكلف تكبره • وكلف يرك نفسه شاحتي يعتقد له فضلا •
واي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة • الا ان يعفو الكرم بفضله • ارايت من
جنى على بعض الملوكة بما استحق به الف سوط فحبس في السجن وهو ينتظر ان يخرج الى العرض
وتقام عليه العقوبة على ملاء من المخلوق وليس يدرك اي عفا عنه امره لا كيف يكون ذلك
في السجن الذي هو فيه • افترى انه تكبر على من في السجن • وما من عبد مومن الا والدنيا
سجنه • وقد استحق العقوبة من الله تعالى • ولا يدرك كيف يكون امره • فيكفنه ذلك حزنا
وحوفا واشفاقا ومهابة وذلا • فهذا هو العلاج العملي القامع لاصد الكبر •
واما العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى • ولتساير المخلوق بالمواظبة على
اخلاق المتواضعين كما وصفنا وحكيما من احوال الصالحين • ومن احوال سيذالا وليس والاخرين
محمد صلى الله عليه وسلم حتى انه كان ياكل على الارض • ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد •
وقيل لسلمان عليه السلام لمر لا تلبس ثوبا جديدا • فقال انما انا عبد • فاذا انا اعتقت

يوما لبست • اشار به الى العتوة في الاخرة • ولا يتم التواضع بعد المعرفة الا بالعمل • ولذلك
 امر العرب الذين تكبروا على الله ورسوله بالامان والصلاة جميعا • وقبل الصلاة عماد
 الدين • وفي الصلاة اسرار • لا جلها كان عماد الدين • ومن حملته ما فيها من التواضع
 بالمشول قائما • وبالركوع والسجود • وقد كانت العرب قديما ياتفون من الانحنا • وكان
 يسقط من يده الواحد سوطه فلا يخشى لاخذه • وينقطع شراك نعله فلا تنكسر راسه
 لاصلاحه • حتى قال حكيم بن خزام رضي الله عنه ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا اخرا لا
 قائما • ثم ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم • ثم فقه فحما بما نه بعد ذلك • فلما كان السجود
 عندهم منتهى المذلة والصنعة امروا به لينكسر بذلك خيالا وهم • ونزول كبرهم •
 ولستقر التواضع في قلوبهم • أمر ساير الخلق • فان الركوع والسجود والمشول قائما
 هو العمل الذي يقتضيه التواضع • وكذلك من عرف نفسه • فلينظر كل ما يقتضيه الكبر
 من الاعمال • فليواظب على نقيضها • حتى يصير التواضع له خلقا • فان القلوب لا تتخلق
 بالاخلاق المحمودة الا بالعمل والعلم جميعا • وذلك لخفي العلاقة بين القلب والجوارح •
 وسائر الارشاد الذي من عالم الملك والمملوك والقلب من عالم الملكوت • والله اعلم •
المقام الثاني فيما يعرض من الكبر بالاسباب السبعة المذكورة • وقد تقدم ان الكمال
 الحقيقى هو العلم والعمل • فاما ما عداه مما يقتضى الموت فكما • وهى • فمن هذا يعسر على
 العالم ان لا يكبر • ولكن ان ذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة •
السبب الاول النسب • فمن يعتريه الكبر من جهة النسب فليداو قلبه بمعرفة امرين •
 احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره • ولذلك انشده بعضهم •
 لئن فخرت يا باذوى شرف • لقد صدقت ولكن سر ما ولدوا •
 فالمتكبر بالنسب ان كان حسيسا في صفات ذاته فمن ان يجبر خسته كمال غيره • بدلو
 كان الذي ينتسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لى • ومن انت • وانما انت دودة خلقت
 من بولى • افترى ان الدودة التي من بول انسان اشرف من الدودة التي خلقت من بول
 فرس هيهات • فهما مستويان • والشرف للانسان لا للدودة • والشاى هو ان يعرف

في التراب

سبه الكفقي فيعرف اباه وجده فان اباه القرب نطفه قدره ووجه البعيد تراب
 ذليل فقد عرفه الله تعالى سبه فقال الذي احسن كل شي خلقه وبدا خلق الالاسان من
 طين ثم جعل سله من سلاله من مامهين فمن اصله من التراب المهين الذي يداس
 بالاقدام ثم خمرة طينة حتى صار حمار حمارنا كلف تكبيره واخسر الاشياء ما اليه سبه
 اذ يقال يا اذل من التراب ويا انتر من الحماة ويا اقدر من المضغه فان كان كونه
 من ابية اقرب من كونه من قبل افتخر بالقرب دون البعيد فالنطفه والمضغه اقرب
 اليه من الاب فليحقر نفسه به ان كان ذلك بوجوب رفعة لقربه فالاب الاعلى من البرية
 فمن ان رفعتة واذا لم يكن له رفعة فمن ان جات الرفعة لولده فاذا اصله من التراب رفعة
 من النطفه فلا اصله ولا فضل وهذا غاية خسة النسب فالاصل يوطا بالاقدام
 والفضل يعيد منه الابدان فهذا هو النسب الكفقي للاسان ومن عرفه لم يكبر بالنسب
 ويكون مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند
 نفسه انه من بني هاشم وقد اخبره بذلك والداه فلم يزل فيه نخوة الشرف فبينما هو كذلك
 اذا خبره عدول لا شك في قولهم انه ابن حجام هندی تتعاطى القذر وكشفوا له وجه
 اللبس عليه ولم سوله شك في صدقهم افتري ان ذلك يبقى شام من كبره لا بل بصر عند
 نفسه احقر الناس واذلهم فهو من استشعار الخزي لخصته في شغل عن ان يكبر على
 غيره وهذا حال البصير اذا بكر في اصله وعلم انه من النطفه والمضغه والتراب
 اذ لو كان ابوه ممن تتعاطى نقل التراب او تتعاطى عمد الدم بالحجامة لكان يعلم به خسة
 نفسه للماسة اعضا ابية للتراب والدم فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم
 والاشياء القادرة التي تتبزه هو منها في نفسه وغيره السبب الثاني الكبر بالجبال
 ودأوه ان ينظر الى باطنه نظر العقلا ولا ينظر الى الظاهر نظر البهائم ومهما نظر الى
 باطنه راي من الفضائح ما يكدر عليه تعزز جماله فانه وكل به الاقدار في جميع اجزائه
 الرجيع في امعايه والبول في مثانته والمخاط في انفه والصابق في فمه والوسخ في اذنيه
 والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان تحت ابويه بغسل يديه الغايط في كل

مرتين • وتردد الى الخلاء كل يوم مرتين ليخرج من باطنه ما لو رآه لاستقذره ^{بعينه} فضلا من
ان سمته او شمته • كل ذلك ليعرف قدارته وذلته • هذا في حاله بحاله وجماله وفي
اول اميره خلق من الاقدار الشنيعة الصورة من النطفه والكيف • واخرج من مجرى
الاقذار اذ خرج من الصلب ثم من الذكر مجرى البول • ثم من الزحمه فيض دم الكيف
ثم خرج من مجرى القدر • قال اسر بن مالك كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه خطبنا
فيقدر علينا نفسا • فقول خرج احدكم من مجرى البول مرتين • ولذلك قال طاوس لعمر
ابن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرا • اذ رآه يتختر قبل خلافته •
وهذا اوله ووسطه • ولو ترك نفسه في حياته يوما لم تعهد بالتنظيف والغسل لثارت
منه الاتقان والاقذار • وصار انثر واقدر من الدواب المهملة التي لا تتعاهد نفسها
قط • فاذا نظر هذا المتكبر انه خلق من اقدار واسكن في اقدار وسيهوت فصير حيفة
اقدار من سائر الاقدار لم يتختر بحاله الذي هو كخضر الدمن • وكلون الازهار في
البواري • فبينما هو كذلك اذ صار هشيما تذر وه الرياح • كيف ولو كان جماله باقيه •
وعز هذه القبائح خاليا • لكان يجب ان لا تكبر به على القبح • اذ لم يكن قبح القبح اليه
فيتقيه • ولا كان جماله اليه حتى يحمد عليه • كيف ولا يقال • بل هو في كل خيال يتصور
ان يزول بمرض وجدرى وقرحة وسبب من الاسباب • فلم من وجوه جميله تحت
بهذه الاسباب • فمعرفة هذه الامور ينزع من القلب ذا الكبر باجمال لمن يكثر تأملها •
السبب الثالث الكبر بالقوة والايدي • ويمنع من ذلك ان يعلم ما سلط عليه
من العلة والامراض • وانه لو توجع عرق واحد من بدنه لصار اعجز من كل عاجز • واذل
من كل ذليل • وانه لو سلبه الذباب شيئا مستنقذه منه • وان بقية لو دخلت انفه
او نمله لو دخلت اذنه لقتلته • او شوكة لو دخلت رجله لا تجزته • وان حمر يوما
تخلد من قوته ما لا يجبر في مدة • من لا يطيق شوكة ولا تقاوم بقية ولا يقدر على ان
يدفع عن نفسه ذبابة فلا ينبغي ان يتختر بقوته • ثم ان افوى انسان لا يكون افوى من
حمار او بقرا او فيل او جمل • واي افتخار في صفة سبقك لها يبر اليها • ه

السبب الرابع التكبر بالغنا وكثرة المال. وفي معناه كثرة الاتباع والانصار. والتكبر بولادة السلاطين والتمكن من حدثهم. وكل ذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الانسان لا كالجبال والقوة والعلم. وهذا اوضح انواع التكبر. فان المتكبر بما له كأنه متكبر بفرسه وداره ولومات فرسه وانهدم داره لعاد ذليلا. والتكبر بمكين السلطان وولانته لو انصف في نفسه بنا امره. على قلب هواشد غليا نامن القدر. ولو تغير عنه كان اذل الخلق. وكل متكبر بما مر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل. كيف والمتكبر بالغنى لو تامل رأى في اليهود من يزيد عليه في الغنى والثروة والتجمل. فاف لشرف سبقك اليهود به. واف لشرف ياخذ السارق في لحظة. فيعود صاحبه ذليلا مفلسا. فهذه اسباب لست في ذاته. وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده. وهو في الآخرة وبال ونكال. والتفاخر به غاثة الجهل. وكل ما ليس لك فليس لك. وشئ من هذه الامور ليس لك. بل الى واهبه. ان ابقاه بقي. وان استرجعه زال. وما انت الا عبد مملوك. لا تقدر على شئ. فمن عرف ذلك فلا بد وان يزول كبره. ومثاله ان يفخر العاقل بقوته وجماله وماله وخرسته واستقلاله وسعة منازله وكثرة حيوله وعلمانه. اذ شهد شاهدان عدلان عند حاكم منصف بانه رقيق لفلان. وان ابويه كانا مملوكين له. فعلم ذلك. وحكم به الحاكم فجا مالكة فاخذه واخذ جميع ما في يديه. وهو خشي مع ذلك ان يعاقبه ونكل به لا فراطه في امواله وتقصيره في طلب مسألكه ليعرف ان له مالكا. ثم نظر العبد فرأى نفسه محبوسا في منزل قد احدثت به الحيات والعقارب والهوام. وهو في كل حال على وجل من كل واحد منها. وقد بقي لا يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريق الخلاص اليه. افترى ان من هذا حاله هل يفخر بقدرته وثروته وقوته وكاله. ام يبذل في نفسه وتخضع. وهذا حال كل عاقل بصير بنفسه. فانه يرى نفسه كذلك. فانه لا يملك رقبته وماله وبدنه واعضاه. وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وامراض وانسقام هي كالعقارب والحيات تخاف منها الهلاك. فمن هذا حاله لا تكبر بقدرته وقوته. اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة. فهذه طريقة علاج الكبر بالاسباب. وهو اهون من علاج الكبر بالعلم والعمل. فانها كما لا ينبغي

وهو من علاج الكبر بالانصار

النفس جديراً بان يفرح بهما. ولكن في الكبير هما ايضا نوع من اجهل خفي كما سئد كره ان
 شأ الله. السبب الخامس الكبير بالعلم. وهو اعظم الآفات. واغلب الادوا واجدها
 عن قبول العلاج الابشدة شديده وجهد جهيد. وذلك لان قدر العالم عظيم عند الله.
 عظيم عند الناس. وهو اعظم من قدر المال والجاه وغيرهما. بل لا قدر لهما اصلاً الا
 اذا كان معهما علم وعمل. ولذلك قال كعب رضي الله عنه ان للعالم طغياناً كطغيان الماء.
 وكذلك قال عمر رضي الله عنه العالم اذا زل زل بزلته عالم. فيعجز العالم على ان لا يستغفر
 نفسه بالاضافة الى الجاهد لكثرة ما نطق الشرع بفضايل العلم. ولن يقدر العالم على دفع
 الكبر الا بمعرفة امر من احدهما ان يعلم ان حجة الله على اهل العلم اوكد. وانه كتمل من
 الجاهل ما لا كتمل من العالم عشرة. وانه من عصي الله تعالى وعلم فجنابته الفحش اذ لم
 يقض حجة الله عليه في العلم. ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يوتي العالم يوم القسمة
 فيلقى في النار فتندلق اب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار برحاه. مطيف به اهل
 النار يقولون مالك فنقول كنت امر بالخير ولا آتية. وانهي عن الشر واتيته. وقد
 مثل الله سبحانه من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب. فقال تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم
 لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا. اراد به علماء اليهود. وقال تعالى في بلعم بن باعورا
 واتد عليهم نارا الذي اتناه اياتنا فانسخ منها. حتى بلغ فضله كمثل الكلب. قال ابن عباس
 رضي الله عنه اوى بلعم كتابا فاخذ الى شهوات الارض ان تحمل عليه بلهث. او تتركه بلهث.
 اي سوا آتية الحكمة اولم اوتته فلا يدع شهوته. ويكفي العالم هذا الخطر. فاي عالم لم
 يتبع شهوته. واي عالم يامر بالخير الذي لا ياتيته. فمهما خطر للعالم عظم قدره
 بالاضافة الى اجهل. فلسفكرة في الخطر العظيم الذي هو بصبره. فان خطره اعظم من
 خطر غيره. كما ان قدره اعظم من قدر غيره. فهذا بذاك. وهو كالملاك المخاطر
 بروحه في ملكه لكثرة اعداؤه. فانه اذا اخذ وقهر اشتهي ان يكون فقيراً. فكم من
 عالم اشتهي في الآخرة سلامة اجهال والعياذ بالله منه. فهذا الخطر يمنع التكبر.
 لانه ان كان من اهل النار فالخزير افضل منه. فكيف سكر من هذا حاله. فلا ينبغي

خ
للعلم

ان يكون العالم عند نفسه اكبر من الصحابة وقد كان بعضهم يقول باليتي لم تلدني امي
وباخذ الآخر تبته من الارض ويقول باليتي كنت تبنة ويقول الاخر ليتي كنت طيرا
كل ذلك خطرا من خوف العاقبة وكانوا رضى الله عنهم يرون انفسهم اسوا حال من الطير والتراب
ومهما اطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره ورأى نفسه كأنه شر الخلق
ومثاله عبد امره سيده بامور فشرع فيها وترك بعضها وادخل النقصان في بعضها
وشك في بعضها انه هل اذ اها كما يرتضيه مولا ام لا فاحبره مخبر ان مولا ارسل اليه
رسولا يخرج من كل ما هو فيه عريا نا ذليلا وبلقيه على بابه في الشمس واكر زمانا طويلا
حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به المجهود امر برفع حسابه وقتش عن جميع احواله واعماله
قليلها وكبيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب دايم لا يروح عنه ساعة وقد علم ان سيده
قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدرك من اذى الفريقين يكون
فاذا تفكر في ذلك انكسرت نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر
على احد من الخلق بل تواضع رجاء ان يكون هو من شفعاية عند نزول العذاب به وكذلك
العالم اذا تفكر فيما صنعه من اوامر ربه بجنائيات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الربا
والحسد والعجب والنفاق وغيره وعلم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا
محالة الامر الثاني ان العالم يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله عز وجل وحده وانه اذا
تكبر صار ممقوتا عند الله بغضيا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال ان لك عندك
قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رأت لنفسك قدرا فلا قدر لك فلا بد وان تكلف نفسه
ما يحب مولا وهذا نزل الكبر عن قلبه وان كان مستيقرا انه لا ذنب له مثلا ان تصور
ذلك وبهنا زال الكبر عن الانبياء عليهم السلام اذ علموا ان من يارع الله في ردا الكبر يا قومه
وقد امرهم الله تعالى بان يستصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله محلهم فهذا ايضا
يبعث المتكبر على التواضع لا محالة فان قلت كيف يتواضع للفاسق الظاهر الفسق
والمبتدع وكيف يركى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجهد فضل العلم والعبادة عند
الله تعالى وكيف يغنيه ان يخطر به خطر العالم العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق المبتدع

اكثر. فاعلم ان ذلك انما يمكن بالفكر في خطر الخاتمة. بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان
 يتكبر عليه. اذ تصور ان يسلم الكافر فحتم له بالامان. ويضل هذا العالم فحتم له بالكفر.
 والكبير من هو كبير عند الله في الآخرة. والكلب والخنزير اعلارثبه ممن هو عند الله من
 اهل النار. وهو لا يدري ذلك. فكم من مسلم نظر الى عمر بن الخطاب قبل اسلامه فاستحققه
 وازدراه لكفره. وقد رزقه الله الاسلام. وفاق جميع المسلمين الا ابا بكر وحده.
 فالعواقب مطوية عن العباد. ولا ينظر العاقل الا الى العاقبة. وجميع الفضائل في الدنيا
 تتراد للعاقبة. فاذا حق العبد ان لا يتكبر على احد. بل ان نظر الى جاهل قال انه عصي الله
 جهل وانا عصيته بعلم. فهو اعذر مني. وان نظر الى عالم فنقول انه قد علم ما لم اعلم.
 فكيف اكون مثله. وان نظر الى من هو اكبر منه قال انه اطاع الله قبلي. فكيف اكون مثله.
 وان نظر الى صغير قال اني عصيت الله قبله. فكيف اكون مثله. وان نظر الى مبتدع او
 كافر قال ما يدري لعله حتم له بالاسلام. وحتم لي مما هو عليه. فليس دوام الهداية
 التي كالم يكن ابتداءها الي. فبملاحظة الخاتمة بقدر على ان تتقى الكبر لنفسه. وكل
 ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة الآخرة. والقرب من الله. لا فيما يظهر في الدنيا مما لا
 يقال. ولعمري هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه. ولكن حق على كل واحد
 ان يكون مصروف الهم الى نفسه. مشغول القلب بخوفه لعاقبه. لا ان تشتغل بخوف
 غيره. فان الشفوق بسؤال الظن مولى. وشفقه كل انسان على نفسه. واذا حبر جماعة
 في خباية ووعدها بان تضرب رقابهم لم يتفرغوا للتكبر بعضهم على بعض. وان عمهم الخطر.
 اذ شغل كل واحد نفسه عن الالتفات الى هم غيره. حتى كان كل واحد هو وحده
 في مصيبته وخطره. فان قلت تكفرا بغض المبتدع في الله. وبغض الفاسق في الله. وقد
 امرت ببغضهما. ثم مع ذلك اتواضع لهما. فاجمع بينهما متناقض. فاعلم ان هذا امر
 مشتبه على اكثر الخلق. اذ يخرج غضبك لله في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال
 بالعلم والورع. فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا راي فاسقا جلس بحبه ازعجه من عنده
 ونثره منه بكبر ما طر في نفسه. وهو ظان انه غضب لله تعالى. كما وقع لعابد بني اسرائيل.

مع خليعهم . وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر كونه شرا . والحذر منه ممكن . والكبر على
الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله . وهو خير . فان الغضبان ايضا سكر على من غضب عليه .
والمتكبر بغضب . واحدهما شرا الاخر ويوجبه . وهما ممتازان ملتصقان لا يميز بينهما
الا الموقوف . والذي يخلصك من هذا ان تكون الحاضر في قلبك عند مشاهدة البدعة
او الفاسق الا امرهما بالمعروف ونهيتهما عن المنكر بلالة امور . احدهما التفتاتك الى
ما سبق من ذنوبك وخطاياك ليحضر عند ذلك قدرك في عينك . والثاني ان يكون
ملاحظتك لما انت مميز به من العلم واعتقاد الحق والعمل الصالح من حيث انها نعمة من
الله تعالى عليك . فله المنة فيه . لا لك . فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك . واذا لم تعجب
لم تتكبر . الثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته . فاهما ربما تختم لك بالسوء وتختم له
بالحسنى حتى تشغلك الخوف عن الكبر عليه . فان قلت فكيف اغضب من هذه الاحوال .
فالجواب تغضب لمولاك وسيدك اذا مررت بان تغضب لانفسك . وانت في غضبك لا ترك
نفسك ناجيا وصاحبك هالكا . بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله من خفايا ذنوبك
اكثر من خوفك عليه مع الجهل بالخاتمة . واعرفك ذلك مثال . لعلم انه ليس من ضرورة
الغضب لله ان تتكبر على الغضوب عليه وترى قدرك فوق قدره . فاقول اذا كان
للملك غلام وولده هوقرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره ان يضربه
متى ما اساد به واشتغل بما لا يليق به وبغضب عليه . فان كان الغلام مطيعا محبا
لمولاه فلا يجد بدا من ان يغضب مهما راي ولده قد اساء الادب . وانما يغضب عليه
لمولاه وانه امره به . ولانه يريد التقرب بامثال الامر اليه . ولانه جرى من ولده ما
نكره مولاه فيضرب ولده وبغضب من غير كبر عليه . بل هو متواضع له بركي قدره عند
مولاه فوق قدر نفسه . لان الولد اعز لا محالة من الغلام . فاذا ليس من ضرورة الغضب
التكبر وعدم التواضع . فكذلك ممكن ان تنظر للمبتدع والفاسق وتظر انه ربما كان
قدرهما عند الله في الآخرة اعظم . لما سبق لهما من الحسن في الازل . ولما سبق لك من سوء
القضا في الازل . وانت غافل عنه . ومع ذلك فتغضب بحكم الامر محبة لمولاك . اذ جرى

ما يكرهه مع التواضع لم يجوز ان يكون عنده اقرب منك في الاخرة. فهكذا يكون بغض
 العلماء والاكياس فينضم اليه التواضع والخوف. واما المغرور فانه تكبر ويرجوا
 لنفسه اكثر مما يرجوا لغيره مع جهله بالعاقبة. وذلك غاية الغرور. فهذا سبيل
 التواضع لمرضى الله واعتقاد البدعة مع الغضب عليه ومجانبة حكم الامر. والله اعلم.
 السادس الكبر بالورع والعبادة. وذلك ايضا فتنه عظيمة على العباد.
 وسبيله في ان يلزم قلبه التواضع لسائر العباد. وهو ان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم
 لا ينبغي ان يتكبر عليه كلف ما كان لما عرفه من فضيله العلم. وقد قال الله تعالى قل
 هدستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل
 العالم على العابد كفضل علي ادني رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العلم. فان
 قال العابد ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فنقال له اما عرفت ان الحسنات
 يذهبن السئات. وكما ان العلم ممكن ان يكون حجة على العالم ممكن ان يكون وسيلة له
 وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن. وقد وردت الاخبار بما شهد لذلك. وادا
 كان هذا امرا غايبا عنه لم يجز له ان يحتقر عالما. بل وجب عليه ان يتواضع له.
 فان قلت فان صح هذا فسفي ان يكون للعالم ان يرك نفسه فوق العابد لقول النبي صلى
 الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل علي ادني رجل منكم. فاعلم ان ذلك ممكن
 لو علم العالم عاقبة امره وخاتمة الامر مشكوك فيه. فحتمل ان يموت بحيث يكون حاله
 عند الله اشد من حال الجاهل الفاسق ذنب واحد كان حسبه هينا وهو عند الله عظيم
 وقد مقتته به. واذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا. فاذا نكل واحد من العالم
 والعابد خائف على نفسه. وقد كلف امر نفسه لا امر غيره. فيسفي ان يكون الغالب
 عليه في حق نفسه الخوف. وفي حق غيره الرجا. وذلك يمنع من الكبر بكل حال. فهذا
 حال العالم بد مع العالم. فاما مع غير العالم فهم منقسمون في حقه الى مستورين والى
 مكشوفين. فيسفي ان لا يتكبر على المستور. فلعله اقل منه ذنبا واكثر منه عبادة واشد
 حبا لله. واما المكشوف حاله ان لم يظهر له من الذنوب الا ما يزيد على ذنوبك في طول

عمرک فلا ينبغي ان سكر عليه • ولا يمكن ان يقول هو اكثر مني ذنباً • لان عدد ذنوبك وذنوب
غيرك في طول العمر لا يقدر على احصائه حتى يعلم الكثيره ^{بالقله} • نعم ممكن ان يعلم ان ذنوبه اشد
كما لو رأت منه القتل والشرب والزنا • ومع ذلك ينبغي ان لا سكر ^{عليه} اذ ذنوب القلوب من
الكبر والحسد والرياء والغل واعتماد الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتجيل
الخطا فيه كل ذلك شديد عند الله • فربما جرى عليك في باطنك من خفا ما الذنوب ما
صرت به عند الله ممقوتاً • وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب
الله واخلاص وخوف وتعظيم ما انت خال منه • وقد كفر ذلك بسآته فيكشف الغطاء
يوم القنامة فتراه فوق نفسك بدرجات • فهذا ممكن • والامكان البعيد فيما عليك
فسخى ان يكون قريبا عندك ان كنت مشفقاً على نفسك • فلا تفكر فيما هو ممكن لغيرك •
بل بما هو مخوف في حقه • فانه لا تزر وازرة وزر اخرى • وعذاب غيرك لا تخف شياً
من عذابك • فاذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن ان تترك
نفسك فوق غيرك • وقد قال وهب بن منبه ما ثم عقل عبد حتى يكون فيه عشر خصال
فعدت سعة حتى يبلغ العاشرة • فقال العاشرة وما العاشرة • بها شاد مجده وبها علا
ذكره • وهوان يرك الناس كلهم خيراً منه • وامن الناس عنده فرقان • ففرقه هي افضل منه
وارفع • وفرقه هي شرمه وادنى • فهو تتواضع للفرقتين جميعاً بقلبه • ان راى من هو
خيراً منه كبره وتمنى ان يلحق به • وان راى من هو شرمه قال لعقل هذا نجوا واهلك انا •
فلا تراه الا خائفاً من العاقبة • ونقول لعقل هذا باطناً حسناً ولا ادرك • وذلك خيراً له
ولا ادرك لعقله خلقاً كريماً بينه وبين الله فيرحمه الله تعالى وذنوب عليه ويحتم له
بالحسنى والسعادة واحسن الاعمال • وبركى ظاهر فذلك شرى ولا آمن فيما اظهر
من الطاعة ان يكون دخلتها الآفة فاحبطتها • ثم قال محينذ كمل عقله وساد
اهل زمانه • فهذا كلامه • وباجمله من جوز ان يكون عند الله شقياً وقد سبق القضاء
الازلى بشقوته فما له سبيل الى ان سكر بحال من الاحوال • نعم اذا غلبه الخوف راى
كل احد خيراً من نفسه • وذلك هو الفضيله • كما روى ان عابداً اوى الى جيل فقيل له في

٤

النوم ايت فلانا الاسكاف فسله ان يدعو الك . فاتاه فساله عن عمله فاحبره انه
 بصوم النهار الدهر وكنشت فيتصد وبعضه ويطعم عماله بعضه فرجع وهو يقول
 ان هذا الحسن ولكن ليس هو كالتفرغ لطاعة الله وعبادته . فأتى في النوم بانيا فقل له
 ايب الاسكاف فقل له ما هذا الصغار بوجهك . فاتاه فساله فقال له هذا الصغار
 بوجهك . فقال ما رات احدا من الناس الا وقع لي انه سينجوا . واهلك انا . فقال العابد
 بهذه . والذي يدل على فضيله هذه الخصلة قول الله تعالى بوتون ما اتوا وقلوبكم
 وجله اي بوتون الطاعة وهم على وجل عظيم من قبولها . وقال تعالى انا كما قبل في
 اهلنا مشفقين . وقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون . وقد وصف سبحانه و
 الملائكة مع تقدسهم عن الذنوب . ومواظبتهم على العبادة على الدؤن . بالاشفاق بقوله
 سبحون الليل والنهار لا تفترون . وانهم من خشية ربهم مشفقون . فمتى زال الاشفاق
 والحذر فما سبق به القضاء في الازل . فيكشف عند خاتمة الاجل غلبة الامن من مكر الله
 وذلك بوجوب الكبر وهو سبب الهلاك . والكبر دليل الامن . والامن مهلك . والتواضع دليل
 الخوف . وهو مسعد . فاذن ما نفس العابد باظهار الاعمال . ففذه معارف بها
 يزال ذا الكبر عن النفس لا غير . الا ان القلب بعد هذه المعرفة قد يضم التواضع ويدعى
 البراة من الكبر وهي دعوى كاذبة . فاذا وقعت الواقعة عادت الى طبيعتها . وسيت
 وعدها . ففي هذا لا ينبغي ان تكفى بالمداد حجرة العلم بل ينبغي ان يكمل بالعمل .
 ويجرب بافعال المتواضعين في مواضع هيجان النفس . وبيانه ان تحتج النفس خمس امتحانات
 هي ادلة على استخراج ما في الباطن . وان كانت الامتحانات كثيرة الامتحان . الاول ان
 ناظر في مسألة مع واحد من اقربائه فان ظهر شي من الحق على لسان صاحبه فثقل عليه
 قبوله والانتقاد اليه والاعتراف والشكر له على تنبيهه وتعريفه واخراجه الحق
 فذلك يدل على ان فيه كبرا دينا . فليتوا الله فيه . ولشغل بعلاجه . اما من حيث العلم
 فان يذكر خسة نفسه وخطر عاقبته . وان الكبر لا يليق به الا بالله تعالى . واما بالعمل
 فان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق . فيطلق اللسان بالحمد والتنا . ويقر

باضار الكبر واحتقار الخلق والتميز بهم جميعا لا احتقار الكبر مما هو عليه

الكبر من م

على نفسه بالعجز وشكره على الاستفادة . ونقول ما احسن ما فطن له وقد كنت غافلا
عنه فحزرا كالله خيرا عما نبهتني له . فالحكمة ضالة المؤمن . فاذا وجدها ينبغي ان يشكر
مزدله عليها . فاذا واظب على ذلك مرات متوالية صار ذلك طبعا . وسقط ثقل الحوز
قلبه وطاب له قبوله . ومما ثقل عليه السنا على الاقران مما فيهم فيه كبر . فان كان
لا ثقل عليه في الخلوة وسقط في الملا فليس فيه كبر . وانما فيه رياء . فليعالج الريا بما
ذكرناه من قطع الطمع عن الناس . ويذكر القلب بان شفقتة في كماله في ذاته عند الله
لا عند الخلق . الى غير ذلك من ادوية الريا . وان ثقل عليه في الخلوة والملا جميعا ففيه
الكبر والرياء جميعا . ولا سعة الخلاص من احدهما لم يتخلص من الثاني . فليعالج
كلا الدائنين فانهما جميعا مهلكان . الامتحان الثاني ان يجتمع مع الاقران والاسال
في المحافل ويقدمهم على نفسه . ويمشي خلفهم . ويجلس في الصدور يحتمهم . فان ثقل ذلك عليه
فهو متكبر . فليواظب عليه بكفا حتى يسقط عنه ثقله . فبذلك نرايله الكبر . وهما هنا
للشيطان مكيدة . وهو ان يجلس في صف النعال . ويجعل بينه وبين الارذال . فينظر ان ذلك
تواضع . وهو عين الكبر . فان ذلك يخف على نفوس المتكبرين اذ يوهمون انهم تركوا مكانهم
بالاستحقاق والتفضل . فيكون قد تكبر . وكبر ايضا باظهار التواضع . بل ينبغي ان يقدم
عليه اقرانه . ويجلس تحتم . ولا يخط عنهم الى صف النعال . فذلك هو الذي يخرج خبث
المتكبرين من الباطن . الامتحان الثالث ان يجيب دعوة الفقير . ويمر الى السوق في حاجة
الرفقا والاقارب . فان ثقل ذلك عليه فهو كبر . فان هذه الافعال من مكارم الاخلاق .
والثواب عليها جزيل . فنفور النفوس عنها ليس الا لخبث في الباطن . فليشتغل بازالته
بالمواظبة عليه . مع تذكر جميع ما ذكرنا من المعارف التي يزيد الكبر . الامتحان الرابع
ان يحمل حاجة نفسه واهله ورفقائه من السوق الى البيت . فان ابت نفسه ذلك فهو
كبر او رياء . فان كان سقلا ذلك مع خلوا الطرق فهو كبر . وان كان لا سقلا الا عند مشاهد
الناس فهو رياء . وكل ذلك من امراض القلب وعلة المهلكة ان لم يتدارك . وقد اهدى الناس
طب القلوب واشتغلوا بطلب الاجساد . مع ان الاجساد قد كتبت عليها الموت لا محالة .

الاقران بعضهم

والعلوت لا تدرك السعادة الا بسلامتها. اذ قال الله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم
 وروى عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه انه حمل حزمة حطب فقبل له يا ابا يوسف قد
 كان في غلمانك وبنيدك من بكفك. قال اجل ولكن ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك. وروى
 عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه حمل قرينة على عنقه. فقال له اصحابه يا امر المومن
 ما حملك على هذا. فقال ان نفسي اعجبتني فاردت ان اذليها. وفي الخبر من حمل الفاكهة
 والشئ فقد برى من الكبر. الامتحان الخامس ان يلبس ثيابا بدلة فان نفور النفس
 عن ذلك في الملا رياء. وفي الخلوة كبر. وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه له مسح يلبسه
 بالليل وهو خليفه. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد
 برى من الكبر. وقال صلى الله عليه وسلم انما عبد اكل بالارض والسر الصوف واعتقل
 البعير. والعقاصبي. واجيب دعوة المملوك. فمن رعد عن سنتي فليس مني. وروى ان
 ابا موسى الاشعري وكان اذا ذاك امير الكوفة قيل له ان اقواما يخلفون عن الجمعة
 سبب ثيابهم فلبس عباءة فضلى فيها بالناس. وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر.
 فما تختص بالمال فهو الرياء. وما يكون في الخلوة فهو الكبر. فاعرف ذلك فان من لا يعرف
 الشر لا يتقنه. ومن لا يدرك المرض لا يداويه **فصل** في بيان غاثة الرياضة في خلق
 التواضع. فاعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان. وواسطة. فطرفه الذي يميل
 الى الزيادة يسمى بكبرا. وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخاسسا. ومذله. والواسطة
 تسمى تواضعا. والمحمود ان تواضع في غير مذلة. ومن غير تخاسس. فان كلا طرفي
 قصد الامور ذميم. واحب الامور الى الله اوساطها فمن تقدم على امثاله فهو متكبر.
 ومن تاخر عنهم فهو متواضع. اى وضع شام من قدره الذي يستحقه. فالعالم اذا دخل
 عليه اسكاف فحلى له مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وغدا الى باب
 الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل. وهذا ايضا غير محمود. بل المحمود عند الله العدل.
 وهو ان يعطى كل ذي حق حقه. فسبغى ان تواضع مثل هذا لامثاله. ولمن تعرب منه درجته.
 فاما تواضعه للسوقى فبالقيام. والبشرى الكلام. والرفق فى السؤال. واجابة دعوته.

والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرك نفسه خيرا منه بل يكون اخوف على نفسه
منه على غيره فلا يحقره ولا يستصغره فانه لا يدرك ما خاتمته امره وخاتمته
فان سبيله في اكتسابه التواضع ان يتواضع للاقران ولمزدونهم حتى يخف عليه التواضع
المحمود في محاسن العبادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له
خلق التواضع وان كان ثقل عليه وهو بفعل فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصد
عنه الفعل سهولة من غير ثقل ولا روية فان خف ذلك وصار كحسب سقل عليه
رعاية قدره حتى احب التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان فليرفع نفسه
ان ليس للمؤمن ان يذل نفسه الى ان يعود الى الوسط الذي هو الصراط المستقيم وذلك
غامض في هذا الخلق وفي سائر الاخلاق والميل عن الوسط الى طرف النقصان وهو
التملق اهون من الميل الى طرف الزيادة بالكبر كما ان الميل الى طرف التبذير في المال احمد
عند الناس من الميل الى طرف البخل فمنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان واحدهما
افحش فكذلك منهاية الكبر ونهاية التقصير والتذلل مذمومان واحدهما اقبح من
الآخر والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب على ما
يعرف ذلك بالشرع والعادة وفي هذا الذي ذكرنا من اختلاف الكبر والتواضع فنه لفايه
من الهمة الله رشده والله اعلم **فصل** في ذم العجب وآفته فاعلم رحمك الله ان العجب
مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال الله ويوم خسرا اذا عجبتمكم كبركم
فذكر تعالى ذلك في معرض الانكار وقال تعالى واطنوا انهم ما نعمتم حصونهم من الله فانهم
الله من حيث لم يحتسبوا فرد سبحانه على الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى العجب بالعمل وقد يعجب الانسان
بعمله هو محظي فيه كما يعجب بعلمه هو مصيب فيه وقال النبي صلى الله عليه وسلم بلار مهلكات
شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرئ نفسه وقال صلى الله عليه وسلم لا يثعلبه حيث
ذكر اخر هذه الامة اذا رأت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك
نفسك وقال ابن مسعود رضي الله عنه الهلاك في اتسار القنوط والعجب وانما جمع سنما

لان السعادة لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والشمر والقانط لا يسعى ولا يطلب
 والمعجب يعتقد انه قد سعد وظهر مراده فلا يسعى فالوجود لا يطلب والمحال لا
 يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصله له ومستحيله في اعتقاد القانط
 فجمع بينهما وقد قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم من اتقى قال ابن جريج معناه
 اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم معناه لا تبرؤها ولا تعتقد وانها
 بارة وهو معنى العجب وفي الحديث ان طلحة رضي الله عنه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بيعة يوم احد فاكب عليه حتى اصببت يده فثلت فكانه اعجبه فعله العظيم اذ فداه
 بروحه حتى جرح فتفرس ذلك عمر فيه فقال ما زال يعرف في طلحة باو من اصاب
 اصبعه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والباو هو العجب في اللغة الا انه لم يقل عنه
 انه اظهر او احتقر مسلما ولما كان وقت الشورى قال ابن عباس لعمر ان انت عن طلحة
 قال ذاك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب امثال هولاء فكيف يتخلص الضعفاء
 ان لم ياخذوا جذرهم وقال مطرف بن عبد الله لان ابيت نايميا واصبح نادما احب الي
 من ان ابيت قايميا واصبح معجبا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو لم تدنوا الخشب عليكم
 ما هو اكبر من ذلك العجب العجب فحل صلى الله عليه وسلم العجب اكبر من الذنوب وكان بشر
 ان منصور من الذين اذروا ذكرا لله والدار الاخرة لمواظبته على العبادة فاطال الصلاة
 يوما وخلفه رجل ينظر ففطن له بشر فلما انصرف من الصلاة قال له لا يعجبك ما رايت مني
 فان ابليس قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه ومن العاشة
 رضي الله عنهما متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقال الله تعالى لا سئلوا عما كنتم
 بالمر والاذى فالمن شجرة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا
 ان العجب مذموم جدا واما بيان انه العجب فاعلم ان آفاته كثيرة فاراد العجب يدعوا
 الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرنا فتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكيرة التي
 لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله تعالى فان العجب يدعوا الى نسيان الذنوب واهمالها
 فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يفقدها لظنه انه مستغفر عن يفقدها فينساها وما تذكرها

فيستصغرها ولا يستعظمها. فلا يجتهد في تداركها وتلافيتها. بل يظن انها تغفر له.
واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها وعن علي الله يفعلها. وبشي
نعمة الله عليه بالتوفيق والتمكين منها. ثم اذا اعجب بها عمى عن آفاتهما. ومن لم يتفقد آفات
الاعمال كان اكثر سعيه ضايعا. فان الاعمال الظاهرة اذا لم يكن خالصة نقتنه عن الشوايب
قل ما تنفع. وانما سفقد من غلب عليه الاشفاق والخوف. دون العجب. والمعجب
يغتر بنفسه وربه. ويامن مكرهه وعذابه. ويظن انه عند الله ممان. وان له عند الله منة.
وخفايا اعماله هي التي تنعمه من نعمه وعطية من عطايه. ويجوجه العجب الى ان تنسى على نفسه
وحدها ويتركها. وان اعجب برأيه وعلمه وعقله منع ذلك من الاستفادة. ومن
الاستشارة والسؤال فستبد بنفسه ورأيه. وستنكف من سوال من هو اعلم منه. فرما
يعجب بالتراخي الخطا الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره. ولا يفرح بخاطر غيره. فنصير
عليه وبالالا. فلا يسمع نصح ناصح. ولا وعظ واعظ. بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال. ويصتر
على خطايه. فان كان رايه في امر ديني يحقوقه. وان كان في امر ديني فيما سعلق
باصول العقائد مهلكا به. ولو اتهم نفسه ولم شو برأيه واستضاء بنور القران واستعان
بعلم الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سوال اهل البصيرة لكان ذلك بوصله الى
الحق. فهذا وامثاله من آفات العجب. فلذلك كان من المهلكات. ومن اعظم احواله ان
يغتر في السعي لظنه انه قد فاز واستغنى. وهو الهاكك الصريح الذي لا شبهة فيه. والله اعلم.
واما ابيان حقيقة العجب والادلالا وحدهما. فاعلم ان العجب انما يكون بوصف
هو كمال لا محالة. وللعالم بكمال نفسه في علم وعمد ومال غيره حالتان احدهما ان يكون
حائفا على زواله. مشققا على تكدره او سلبه من اصله. فهذا ليس محجب. والاخرى ان
لا يكون خائفا من زواله. لكن يكون فرحابه من حيث انه نعمة من الله عليه. لا من حيث
اضافته الى نفسه. وهذا ايضا ليس محجب. وله حالة بالثمة هي من العجب. وهو ان يكون
غير خائف عليه. بل يكون فرحا مطمينا اليه. ونكون فرحه به من حيث انه كمال ونعمة
ورفعة وخير. لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة. ويكون فرحه به من حيث انه

صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله تعالى بانه منه فهم اغلب
على قلبه انه نعمة من الله تعالى متى شأ سلبها زال العجب بذلك عن نفسه فإذ العجب
هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك
ان غلب على نفسه ان له عند الله حقا وانه منه ممكن حتى يوقع بعمله كرامة في الدنيا
من الله تعالى واستبعد ان يجري عليه من المكروه استبعادا يزيد على استبعاد ما
يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكانه يركى لنفسه على الله دالة وكذلك قد
يعطى غيره شيئا فسعظمه ومنز عليه فكون معجبا فان استخدمه او اقترح عليه
الاقتراحات واستبعد تخلفه عن قضا حاجته كان مدلا عليه وقال قتادة في
قول الله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تذرك بعملك وفي الخبر ان صلاة المدل لا تصعد
فوق راسه ولا ينضحك وانت معترف بذنك وتقصيرك خير من ان تبكي وان مدل
بعملك فالادلال والاعجاب فلامدلالا وهو معجب ورب معجب لا يبدل اذا العجب
محصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزا عليه والادلال لا يتم الا مع توقع
فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها يباطنه وتعجب منها كان مدلا بعمله فانه
لا يتعجب من رد دعا الفساق وسعجب من رد دعا نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال
وهو من مقدمات الكبر واسبابه واما بيان علاج العجب على الجملة فاعلم
ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضدها وعلة العجب الجهل المحض وعلاجه
المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد
كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اقل من
العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول
الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به عجب انما عجب به من حيث انه منه ومحله
ومجراه او من حيث انه منه وسببه وقدرته وقوته فان كان عجب به من حيث انه
منه وهو محله ومجراه يجري منه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مستخر ومجرى
لا يدخله في الاجاد والتحصيل فكيف عجب بما ليس اليه وان كان عجب به من

حيث هو منه واليه وباختاره حصل. وقدرته وقوته ثم ذلك. فينبغي ان تتامل في قدرته
وارادته واعضائه وسائر الاسباب الذي بها تم عمله انها من اين كانت له. فان كان
جميع ذلك نعمة من الله اليه من غير حق وسبق له ومن غير وسيلة يدي بها فينبغي ان يكون
اعجابه بحود الله تعالى وكرمه وفضله. اذا فاض عليه ما لا يستحقه. وآثره على غيره
من غير سابقه ووسيلة. فنهما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم فخلع من جملتهم على واحد
منهم لا لصفة فيه ولا وسيلة ولا لجمال ولا لخدمة. فينبغي ان تعجب المنعم عليه من
فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق. فاعجابه بنفسه من اين وما سببه. ولم
ينبغي ان تعجب هو بنفسه. نعم يجوز ان تعجب العبد. فقول الملك حكيم عدل لا يظلم ولا
نقدم ولا يؤخر الا لسبب. فلو لا انه تفرغ في من الصفات المحموده الباطنه ما اقتضى
الاشار بالخلعة لما آثرني بها. فنقال وتلك الصفة ايضا من خلعة الملك وعطيته
التي خصصك بها عن غيرك من غير وسيلة. اوهى عطية غيره. فان كان من عطيه الملك
ايضا لم يكن لكان تعجب بها. بل كان كما لو اعطاك فرسا لم تعجب به. فاعطاك غلاما فصرحت
تعجب به. وتقول انما اعطاني غلاما لاني صاحب فرس. واما غيرك فلا فرس له. فنقال
وهو الذي اعطاك الفرس. فلا فرق بين ان يعطيك الفرس والغلام معا. او يعطيك احدهما
بعد الاخر. فان كان الكل منه فينبغي ان تعجبك جوده وفضله لانفسك. واما اذا
كانت تلك الصفة من غيره فلا بعد ان تعجبك تلك الصفة. وهذا تصور في حق الملك.
ولا تصور في حق ارباب القهار ملك الملوك المنفرد باختراع الجميع المنفرد بايجاد الموصوف
والصفة. فان كان اعجبك عبادتك وقلت وفقني للعبادة لحي له. فنقال ومن خلقك
في طلبك. فستقول هو. فنقال فالحب والعبادة كلاهما نعمتان من عنده. ابتداء لك بهما
من غير استحقاق من جهتك. اذ لا وسيلة لك ولا علقه فيكون الاعجاب بجوده اذا نعم
بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود اعمالك واسباب اعمالك. فاذا لامعني لعجب العابد
بعبادته. وعجب العالم بعلمه. وعجب الجميل بجماله. وعجب الغني بغناه. لان كل ذلك من فضل
الله وانما هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده. والمحل ايضا موجوب من فضله.

فان قلت لا يمكنني ان اجهد اعمالي وانى انا عملتها وانى انتظر عليها ثوابا. ولولا انها
عملى لما انتظرت الثواب فان كانت الاعمال مخلوقة لله تعالى على سبيل الاختراع فمن
اين لى الثواب. وان كانت الاعمال منى وبقدرتى فكيف لا اعجب بها. فاعلم ان
حوابك من وجهين احدهما وهو صريح الحق. والاخر فيه مسامحة. اما صريح الحق
فهو انك وقدرتك وارادتك وحركتك جميع ذلك من خلق الله واختراعه. فما عملت اذ
عملت وما صليت اذ صليت وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى هذا هو الحق الذى انكشف
لا رباب القلوب مشاهده اوضح من ابصار العين. بل خلقك وخلق اعضاءك وخلق فيها
القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الارادة. ولو اردت ان
تفنى شيئا من هذا عن نفسك لم يقدر عليه. ثم خلق الحركات فى اعضاءك مستبدا
باختراعه من غير مشاركه من جهتك معه فى الاختراع. الا انه خلقها على ترتيب.
فلم تخلوا حركه ما لم تخلو فى العضو قوة. وفى القلب ارادة. ولم تخلو ارادة ما لم تخلو
علما بالمراد. ولم تخلو العلم ما لم تخلو القلب الذى هو محل العلم. فتدرجه فى الخلق
شا بعد شى هو الذى خيل اليك انك اوجدت عملك. وقد غلظت. ونحن الآن
نزىل اشكالك بالجواب الثانى الذى فيه مسامحة. وهو ان تجيب ان العمل حصل
بقدرتك. فمن ان قدرتك. ولا تتصور العمل الا بوجودك. وبوجود علمك وارادتك
وقدرتك وسائر اسباب عملك. وكل ذلك من الله تعالى لامنك. فان كان العمل بالقدره
فالقدره مفتاحه. وهذا المفتاح بيد الله تعالى. وما لم يعطك المفتاح فلا يمكنك العمل.
فالعبادات خزائن بها يتوصل الى السعادات. ومفاتيحها القدرة والارادة والعلم.
وهى بيد الله. ارايت لوراث خزائن الدنيا مجموعه فى قطعة حصينة ومفاتيحها بيد
خازن. فلو جلست على بابها وحول حيطانها الفسنة لم يمكنك ان تنظر الى دينار فيها.
ولو اعطاك المفتاح لاخذتها عن قرب. فان تبسط يدك اليه فتاخذه فقط. فاذا
اعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها وامكنك منها فمدرت اليد واخذتها اكان
اصحابك باعطائك الخازن المفاتيح او بما اليك من يد اليه واخذه. فلا شك فى انك

تري ذلك نعمة من الخازن لان المونة في تحريك اليد واخذ المال قرب انما الشان كله في
تسلم المفاتيح. فكذلك مما خلقت القدره وسلطت الارادة اجازمة وحرك الدواعي
والبواعث وصرفت عنك الموانع والصوارف حتى لم يتو صارف الا لرفع ولا باعث الا
وكل بك. فالعهد هين عليك. وتحريك الباعث وصرف العوائق وتهيئة الاسباب كلها
من الله تعالى ليس منها شي اليك. فمن العجايب ان تعجب بنفسك. ولا تعجب من اليه الامر كله.
ولا تعجب بجوده وفضله وكرمه في اثاره اياك على الفساق من عباده اذ سلط دواعي
الفساد على الفساق وصرفها عنك. وسلط اخوان السوء وعارة الشر عليهم وصرفهم عنك
ومكنهم من اسباب الشهوات واللذات وزواها عنك. وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه
وسلطها عليك حتى تتسركم الخير. وتيسر لهم الشر. فعلم ذلك كله بك من غير وسيله سابقه
منك ولا جرمة سابقه من الفاسق العاصي. بل اثرك و قدمك واصطفاك بفضله.
وابعد العاصي واشتقاه بعدله. فما اعجب اعجابك بنفسك اذا عرفت ذلك. فاذا لا تصرف
قدرتك الى المقدر الا بتسليط الله عليك داعية لا تجد سبيلا الى مخالفتها. فكانه الذي
اضطرك الى الفعل ان كنت فاعلا تحقيقا فله الشكر والمنة لا لك. والعجب ممن تعجب
اذا رزقه الله عائله وافقره فممن افاض الله عليه المال من غير علم فنقول كيف منحني قوت
يومي وانا العاقل الفاضل. وافاض عليه الدنيا وهو اجاهل العاقل حتى يكاد يرى هذا
ظلمه. ولا يدرك المغرور انه لو جمع له بن العقل والمال جميعا كان ذلك بالظلم اشبه في
ظاهر الخيال. اذ يقول اجاهل الفقير لم يارب جمعت له بن العقل والغنى وحرمتني
اياهما. فهلا جمعتهما لي اوهلا رزقتني احدهما. والى هذا اشار على رضي الله عنه حيث
قل له ما بال العقلاء فقال ان عقل الرجل محسوب عليه من رزقه. والعجب ان
العاقل الفقير ربما يرى اجاهل الغنى احسن حالا من نفسه. ولو قيل له هل توثر جهله
وغناه عوضا من عقلك وفقرك لا تمنع منه. فاذا ذلك يدل على ان نعمة الله عليه اكثر.
فلم يتعجب منه. والمراه احسن الفقرة ترى المحلى والجواهر على الذميمة القبيحة فتعجب
وتقول كيف تحرم مثل هذا الجمال من الرزق. وتخصر مثل ذلك القبح. ولا تدرك المغرورة

ان اجمال محسوب عليها من رزقها . وانها لو خيرت بين اجمال وسن الفتح مع الغنى لا تزن
 اجمال . فاذن نعمة الله عليها اكثر . وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه نار لم حرمتني
 الدنيا واعطيت اجمال كقول من اعطاه الملك فرسا . فنقول ايها الملك الا تغطي الغلام
 وانا صاحب فرس . فنقول كيف لا تتعجب من هذا لو لم اعطك الفرس . فهب اني ما اعطيتك
 اصارت نعمتي عليك وسيله لك وحجة تطلب بها نعمة اخرى . فهذه اوها م لا تخلوا اجاهل
 عنها . ومنشأ جميع ذلك اجهل . وينال ذلك بالعلم المحقق بان العبد وعمله واوصافه
 كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتداء بها قبل الاستحقاق . وهذا في العجب والادلال .
 وبورث الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة . ومن عرف هذا لم تنصور ان تعجب
 بعلمه وعلمه اذ يعلم ان ذلك من الله تعالى . ولذلك لما قال داود عليه السلام يا رب ما
 بائي ليله الا وانسان من آل داود فاي . ولا بائي يوم الا وانسان من آل داود صايم . وفي
 رواية ما تمس ساعة من ليل ونهار الا وعابد من آل داود يعبدك . اما بصلاة . واما
 بصوم . واما بذكرك . فاحي الله تعالى الله ما داود من اين لهم ذلك . ان ذلك لم يكن الا بي .
 ولولا عوني اياك ما قوت . وسأكلك الى نفسك . قال ابن عباس انما اصاب داود ما اصاب
 من الذنوب بعجه بجملة . اذا ضاقت الى آل داود مد لابه حتى وكل الى نفسه . فاذن ذنبا
 اورثه الحزن والندم . وقال داود ايضا يا رب ان بني اسرائيل سألونك يا برهم واسحق
 ويعقوب فقال اني اسليتهم فصبروا . فقال يا رب وانا اسليتي صبر . فادل بالعدل قبل
 وقته . فقال تعالى اما اني لم اخبرهم باي شي اسليتهم . ولا في اي شهر . ولا في اي يوم . وانا
 مخبرك في سنتك وشهرك . ابتليك غدا بامراة . فاحذر نفسك . فوقع فيما وقع فيه .
 وكذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنس على قوتهم وكثرتهم وسنوا
 فضل الله عليهم . وقالوا لا تغلب اليوم من ملة . وكلوا الى انفسهم . قال الله تعالى ويوم حنس
 اذا عجبتمكم كثرتم الاة . وروى ابن عيينه ان ابوب عليه السلام قال الهى اسليتي بهذا
 البلا وما ورد على امر الا اثر هواك على هواي . فتودى فتودى من غمامة بعشرة
 الاف صوت ما ابوب اني لك ذلك . قال فاخذر ما داود وضعه على راسه وقال منك

وهو يوزن ذلك

صيانة داود

بارب فرجع عن نسيانه اضافة ذلك الى الله تعالى وللهذا قال الله تعالى ولولا فضل الله
عليكم ورحمته ما زكي منكم من احد ابدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا صحابه وهو خير
الناس ما منكم من احد يحبه عمله فالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان تتغمدني
الله برحمته ولقد كان اصحابه بعده يتمنون ان يكونوا ثريا وطيرامع صفا اعمالهم
وقلوبهم فكيف يكون لذي بصيرة ان يعجب بعمله او يدل عليه ولا يخاف على نفسه
فاذا هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومما غلب ذلك على القلب شغله
خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب به بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا
نعمة الايمان والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فخاف من ذلك فقال ان من لا
يبالي ان يحرم من غير جنابة ويعطي من غير وسيلة لا يبالي ان يعود ويسترجع ما وهب
فكم من مومن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء وهذا لا يبقى معه عجب كحال
والله هو الموفق **فصل** في بيان اقسام ما يكون به العجب وبفصيل علاجه اعلم رحمك الله
ان العجب يكون بالاسباب التي سببها كما ذكرنا اولا وقد تجب مما لا سبب به
كعجبه بالرائي الخطا الذي تزين له بجهله والذي يكون به العجب مما ينه الاول
العجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وصوته
وبجملة بفضيل خلقته فيلقت الى جمال نفسه وينبغي انه نعمة من الله وهو معرض للزوال
في كل حال وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو الفكر في اقدار باطنه وفي اول امره
واخره وفي الوجوه الجميلة والابدان الناعمة انها كيف تخرقت في الثراب وانتنت
في القبور بحيث استقدرتها الطباع **السا** في العجب بالقوة والبطش كما حكى عن قوم عاد ^{حسن فالوا}
من اشد منا قوه وكما اتكل عوج بن عناق على قوته واعجب بها فاقتلع جبلا لطبقه على
عسكر موسى عليه السلام فنقبه الله حتى صار في عنقه وقد سكر المومن على قوته كما روى
عن سلمان عليه السلام انه قال لا طوفن اللبنة على يانة امرأة ولم يقد ان شا الله فحرم ما
اراد من الولد وكذلك قول داود عليه السلام ان اسليتي صبرت اعجابا بالقوة ويورث
العجب بالقوة ايضا الهجوم في الحروب والقا النفس الى التهلكة والمبادرة الى الضرب

والقتل لكل من قصده بالسوء. وعلاجه ما ذكرناه. وهو ان يعلم ان حتمى يوم يضعف
 قوته. وانه اذا عجب بهار مما سلبها الله تعالى باذني افة سلطها عليه. الثالث
 العجب بالعقل والكياسة والتفطير لدقائق الامور من مصالح الدين والدنيا. وثمرته
 الاستنباد بالرأى والعقل وترك المشورة واستحقار الناس المخالفين له. وخرج
 الرقعة الاضعا الى اهد العلم اعراضا عنهم بالاستغناء بالرأى والعقل واستحقار لهم واهانه
 وعلاجه ان شكر الله تعالى على ما رزقه من العقل وسفكرانه باذني مرض بصيب دماغه
 كيف يشوش ويحزن بحيث يضحك منه. ولا يامن ان سلب عقله ان اعجبه به ولم يقم
 شكره واستقص عقله وعلمه. فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى. وان تتهم
 عقله. وينظر الى الحقى كيف تعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم. فيحزن ان يكون
 منهم وهو لا يدرك. فان قاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله وعلمه. فينغى ان يعرف
 مقدار عقله من غيره. لا من نفسه. ومن اعداياه لا من اصدقائه. فان من يداهنه
 يثنى عليه ليزيده عجا. وهو لا ينظر بنفسه الا الخير. ولا يفطن لجهل نفسه. فيزداد
 به عجا. الرابع العجب بالنساء الشرف. كعجب الهاشمية. حتى ينظر بعضهم ان يجوا
 سبب شرف نسبه ونجاة آبايه. وانه مغفور له. وتخييل بعض الخلق ان جميع الخلق
 لهم موالى وعبيد. وعلاجه انه يعلم انه مما خالف آباءه في افعالهم واخلاقهم
 ونظر انه ملحق بهم فقد جهل. وان اقتدى بابايه فما كان من اخلاقهم العجب. بل
 الخوف والازر اعلى النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس. ولقد شرفوا بالطاعة
 والعلم واخصال الحميدة. لا بالنسب. فليشرف بما شرفوا به. وقد ساواهم في النسب
 وشاركهم في القبايل والشعوب من لم يؤمن بالله. فكانوا عند الله شر من الكلاب.
 واخس من الخنازير. ولذلك قال الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى
 اى لا تفاوت في انسابكم. لاجتماعكم الى اصل واحد. ثم ذكر فائدة النسب. فقال تعالى
 وحعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا. ثم سئل ان الشرف بالقوى. لا بالنسب. فقال تعالى
 ان اكرمكم عند الله اتقاكم. ولما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس من اكره الناس.

وان اشبع علمه وان
 ويعلم انه ما ادى من العلم الا قليلا
 ما جهله فيما عرفت الناس اكثر مما

لم يقل من ستمى الى سبى. ولكن قال اكثرهم للموت ذكرا. واشدهم له استعدادا. وانما نزلت
الاية حيث اذن بلال يوم الفتح على الكعبة. فقال احبار بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد
بن اسد هذا العبد الاسود يودن. فانزل الله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم. وقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله قد اذهب عنكم عبية اجاهلية. اى كبرها. كلكم سوا ادم. وادم من
تراب. وقال صلى الله عليه وسلم يا معشر قرش لا تاتي الناس بالاعمال يوم القامة وتاتون
بالدنيا كملونها على رقابكم يقولون يا محمد يا محمد. فاقول هلكذا. اى اعرض عنكم. فيس انهم
ان مالوا الى الدنيا لم يسفهم سب قرش. ولما نزل قوله تعالى وانذر عشرتك الاقرين
ناداهم صلى الله عليه وسلم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد. وباصفية بنت عبد
المطلب عمه رسول الله اعمالا لنفسك. فاني لا اغنى عنكما من الله شيئا. فمن عرف هذه الامور
وعلم ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة ابائه التواضع اقتدى بهم في التقوى
والتواضع والا كان طاعنا في سب نفسه بلسان حاله مهما انتهى اليهم ولم يشبههم في
التواضع والتقوى والخوف والاشفاق. فان قلت فقد قال النبي صلى الله عليه
عليه وسلم بعد قوله لفاطمة وصفيه اني لا اغنى عنكما من الله شيئا. الا ان لكما رحما ونسبا
سا بلها يبلا لهما. وقال صلى الله عليه وسلم ايترجوا سليم شفاعتي ولا يرجونها بنو عبد
المطلب. وذلك يدل على انه صلى الله عليه وسلم سيجوز قرابته بالشفاعة. فالجواب ان
كل مسلم ينتظر شفاعته رسول الله صلى الله عليه وسلم. والسبب ايضا جدر بان يرجوها.
ولكن بشرط ان تتقوا الله ان يغضب عليه فلا ياذن لاحد في شفاعته. فان الذنوب منقسمة
الى ما يوجب المقت. فلا يوزن في الشفاعته. والى ما يعفى عنه بسبب الشفاعته. وذلك
كالذنوب عند ملوك الدنيا. فان كل ذي مكانه عند الملك لا يقدر على الشفاعته فيما اشتد
عليه غضب الملوك. فمن الذنوب ما لا ينجي منه الشفاعته. وعنده العارة بقول الله تعالى
ولا شفعون الا لمن ارتضى. ويقولون من ذا الذي شفيع عنده الا اذنه. ويقولون فيما
تفهم شفاعته الشافعي. ويقولون ولا شفيع الشفاعته عنده الا لمز اذن له. واذا
انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيها والى ما يشفع وجب الخوف والاشفاق لا محالة. فلو

كان كل ذنب تقبل منه الشفاعة لما أمر صلى الله عليه وسلم قريشا بالطاعة ولما نهى
 فاطمة عن المعصية وكان ياذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذتها في الدنيا ثم شفع
 لها في الآخرة لتكمل لها لذتها في الآخرة فالأفعال في الذنوب وترك التقوى اعتمادا
 على رجا الشفاعة يشابه أفعال المريض في شهواته اعتمادا على طبيب حادق قريب
 مشفق من اب او اخ او غيره وذلك جهل لان سعى الطبيب وهمة وجده نفع في
 إزالة بعض الأمراض لا في كلها فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب
 بل للطب اثر على الجملة ولكن في الأمراض الخفيفة وعند غلبه اعتدال المزاج فهكذا
 ينبغي ان تفهم رعاية الشفاعة من الانبياء والصالحين الاقارب والاجانب فانه كذلك
 قطعاه وذلك لا يزيد الخوف والحذر وكلف يزيله وخير الخلق بعد رسول الله صلى
 الله عليه وسلم الصحابة رضي الله عنهم وقد كانوا يتمنون ان يكونوا بهمائم من خوف الآخرة
 مع كمال تقواهم وخوف وحسن اعمالهم وصفا قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم اياهم بالجنة خاصة ولسائر المسلمين بالشفاعة عامة ولم يكلوا
 عليه ولم يفارقوا الخشوع والخوف قلوبهم فكيف يحجب نفسه وتكلم على الشفاعة
 من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم الخامس العجب بسبب السلاطين الظلمة
 واعوانهم دون سبب الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه ان تفكر في
 محازيمهم وما جرى لهم من الظلم على عباد الله والفساد في دنياه وانهم موقوفون عند
 الله تعالى ولو نظر الى صورهم في النار وانتانهم واقدارهم لاستكف منهم ولتبرا
 من الانتساب اليهم ولا نكر على من سب اليهم استقذار الهم واستحققارا ولو انكشف
 له ذلهم في القيامة وقد تعلق الخصم بهم والملائكة آخذون بنواصيهم يجرؤنهم على
 وجوههم الى جهنم على من ظالم العباد لتبرا الى الله منهم وكان انتسابه الى الكلد والخنزر
 احب اليه من الانتساب اليهم فحق اولاد الظلمة ان عصمهم الله من ظلم ابايهم ان
 شكروا الله على سلامة دينهم وستغفروا لابيهم ان كانوا مسلمين فاما العجب
 بسببهم فجهل محض الساب العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والعلمان

والعشيرة والاقارب والانصار والاتباع. كما قال الكافرون نخز اكثر اموالا واولادا.
وكما قال المومنون يوم حنين اليوم لا تغلب من قبله. وعلاجه ما ذكرناه
في علاج الكبر. وهو ان سفكر في ضعفه وضعفهم. وان كلهم عبيد عجزه لا يملكون لانفسهم
ضرا ولا نفعا. وكم من فيه قليله غلب فيه كثره باذن الله. ثم كيف يعجب بهم وانهم
سيفترقون عنه اذ مات. فيدفن في قبره ذليلا مهينا وحده. لا يرافقه ولد ولا اهل
ولا حميم ولا عشيرة. فيسلمونه الى البلي. والى الحيات والعقارب والديدان ولا يغفون
عنه شيئا. وهو في احوج اوقاته اليهم. وكذلك نهر يوز منه يوم القامة. يوم يفر
المكر من اخيه وامه وابيه. وصاحبه وبنيه. فاني خرف فيمرفا رقتك في اشد احوالك
وهرب منك. وكيف تعجب به. ولا سفعدك في البغر والقامة وعلى الصراط الاعمك
وفضل الله تعالى. فكيف تتكلم على من لا سفعدك. وتشي نعم من مملك ضررک ونفعك وموتك
وحياتك. السابح العجب بالمال كما قال الله تعالى اخبارا عز صاحب الجنين
اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا. وكما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راي رجلا
غنيا جلس بجنبه فقفر فانقبض منه وجمع شابه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجيب
ان يبعدوا اليك فقره. وذلك للعجب بالغنا. وعلاجه ان سفكر في آفات المال
وكثره حقوقه. وعظيم غوايله. وينظر الى فضيله الفقرا وسبقهم الى الجنة في القامة.
والى ان المال غادر راح. ولا اصل له. والى ان في اليهود من يزيد عليه في المال. والى
قول النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتخبر في حلة له قد اعجبته نفسه اذ امر الله
الارض فاخذته فهو يتجمل فيها الى يوم القامة. اشار به الى عقوبة اعجاب به ماله
ونفسه. وقال ابو ذر رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فقال
لي يا باذر ارفع راسك. فرفعت راسي فاذا رجل عليه شاب جياذ. ثم قال ارفع
راسك. فرفعت فاذا رجل عليه خلقان. فقال يا باذر هذا عند الله خير من قراب الارض
مثل هذا. فكيف تتصور من المومن ان يعجب بثروته. لا بل لا تخلوا المومن عن الخوف
من نقصيره في القمام بحقوق المال. واخذه من حله ووضع في حقه. ومن لا يفعل ذلك

فمنصيره الى الخزي والبوار فكيف يعجب نفسه. الثامن العجب بالراي الخطا. قال الله
 افمن زنله سوء عمله فراه حسنا. وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا. وقد
 اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك يغلب على اخر هذه الامة. وبذلك هلك الامر
 السالفة. اذ افترق فرقا. وكل معجب برايه. وكل حزب بما لدنهم فرحون. وجميع
 اهل البدع والضلال انما اصرروا عليها العجبهم بارايهم. والعجب بالبدعة هو استحسان
 ما سوا الله الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا. وعلاج هذا العجب اشد من غيره.
 لان صاحب الراي الخطا جاهل بخطايه. ولو عرفه لتركه. ولا يعالج الداء الذي لا يعرف.
 والمجهل اذا لا يعرف. ونعسر مرآاته جدا. الا ان العارف يقدر على ان يبين للمجاهل
 جهله ونزيله عنه. الا اذا كان معجبا برايه وجهله فانه لا يصغي وتهمته فقد
 سلط الله عليه بليية تهلكه. وهو يظن انها نعمة. فكيف يمكن علاجه. وكيف يظلم الهرب
 مما هو سبب سعادته في اعتقاده. وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرايه ابا
 لا يفتريه. الا ان شهد له دليل قاطع من كتاب او سنة او دليل عقلي صحيح جامع
 لشروط الآلة. ولن يعرف الانسان ادلة الشرع والعقل وشروطها ومكانه من الغلط
 فيها الا بفرحة تامة وعقل ثابت وجد وشمير في الطلب وممارسة الكتاب والسنة
 ومجالسة لاهل العلم طول العمر ومدارسته للعلوم. ومع ذلك فلا يومن عليه الغلط
 في بعض الامور. والصواب لمن يتفرغ لاستغراق عمره في العلم ان لا يخوض في المذاهب
 ولا يصغي اليها ولا سمعها. ولكن يعتقد ان الله تعالى واحد لا شريك له. وانه ليس كمثله
 شئ وهو السميع البصير. وان رسوله صادق فيما اخبر. وتبوع سنة السلف. ويومن بحجة
 ما جاء به الكتاب والسنة من غير بحث وتنقير وسؤال عن تفصيل. بل نقولا منا وصدقنا
 وشتغل بالقوى واجتناب المعاصي واد الطاعات والشفقة على المسلمين وسائر
 الاعمال. فان خاض في البدع والمذاهب والتعصب في العقائد هلك من حيث لا يشعر.
 هذا هو من عزم في عمره على ان يشتغل شئ غير العلم. فانما الذي عزم على التجرد للعلم
 باول مهمته معرفة الدليل وشروطه. وذلك مما يطول الامر فيه. والوصول الى المعرفة

والشبهة

على كل

فسأل الله تعالى العظمة من الضلال ويخوذ به من لا غترار من خيالات الشيطان منه وجلاله

واليقين في أكثر المطالب شديد لا يقدر عليه إلا الأقوياء المويدين بنور الله تعالى وهو عزير الوجود **جدا** والله تعالى هو الهادي إلى طريق الرشاد والصواب فهذا ما سرنا من يفسر قول الله عز وجل سا صرف عن آياتي الذين سكبون في الأرض غير الحق ولهذا الآية نظائر في ذم التكبر منها قوله تعالى ومن تستنكف عن عبادته وستكبر وهو له تعالى واليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض غير الحق وهو له اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون وقوله تعالى فيس مثوى المتكبرين وقوله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب مكبر جبار وقوله تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد سيأتينا الكلام على تفسيرها في مواضعها إن شاء الله تعالى وقوله **وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها** يعني وان يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها **وان يروا سبيل الرشاد** يعني طريق الحق والهدى والسداد والصواب **لا يتخذوه سبيلا** يعني لا يختاروه لأنفسهم طريقا سلكونه إلى الهداية وقرا حمزه والكسائي وان يروا سبيل الرشاد يفتح الشس والراء وقرا الماقور بضم الراء وسكوا الشس وهما الغتان كالتقم والسقم والرشد في اللغة ان يظفر الانسان بما يريد وهو ضد الخيبة **وان يروا سبيل الغي** يعني طريق الضلال **يتخذوه سبيلا** قال صاحب الكشاف وما اسفه من ركب المفارقة فان رأى طريقا مستقيما عرض عنه وتركه وان رأى معسفا مرديا اخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه اسفه ثم ذكر سبحانه العطل بقوله **ذلك ما هم كذبا** **باياتنا** اي ذلك الذي اختاروه لأنفسهم من ترك الرشاد واتباع الغي بسبب انهم كذبوا آيات الله الدالة على توحيدهِ **وكانوا عنها غافلين** يعني عن الفكر فيها والاتعاظ بها وهذه الغفلة غفلة عناد واعراض لا غفلة سهو وجهل وقال بعضهم كانوا في تركهم يدبر الحق كالغافلين ويحتمل ان يكونوا غافلين عما جازون به كما يقال ما اغفل فلان عما يراد به **والذين كذبوا باياتنا ولقوا الآخرة** هذا من اضافة المصدر إلى المفعول به اي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم احوالها وفي لفظ اخر كذبوا بلقا الدار الآخرة التي فيها الثواب والعقاب **حبط اعمالهم** يعني بطلت وصارت كأن لم تكن والمعنى انه

قد يكون في الذين يكذبون ما يات الله من عجل ليس والاحسان والخير فيبين الله تعالى بهذه
الآية ان ذلك ليس ينفعهم مع كفرهم وتكذيبهم ما يات الله وانكارهم الدار الآخرة والبعث
هل يجوزون الا ما كانوا يعملون يعني هل يجوزون في العقبي الاجزاء العجل الذي كانوا يعملونه
في الدنيا وهو تكذيب الاحوال وتكذيب الارسال **قوله تعالى واتخذ قوم موسى**
من بعده يعني من بعد انطلاقة موسى الى الجبل لمناجاة ربه **من جليلهم** وقرا اهل الكوفة
الاعاصم من جليلهم بكسر الهمزة والواو قرأه اهل المدينة واهل البصرة وقرا يعقوب واتخذ
قوم موسى من بعده من جليلهم بفتح الهمزة والخفيف وجمع حلي حلي وحلي مثل ثدي
وثدي والمراد ما اتخذ قوم موسى الحلي هي الحلي التي استعارها من القبط وذلك ان
بنى اسرائيل كانوا لهم عيد فاستعاروا من افرعون الحلي ليترنوا بها في عيد لهم وقيل
بعلة عرس كانوا لهم فبقي عندهم الى ان اهلك الله فرعون وقومه فبقي الحلي لبنى اسرائيل
ملكاهم فلذلك قال تعالى من جليلهم وانما نسب الحلي اليهم مع انها كانت عوارى في
ايديهم لان الاضافة تكون ما ذنى ملابسة وكونها عوارى في ايديهم كفيها ملابسة
على انهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله تعالى
فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كرم كذلك واورثناها بنى اسرائيل
قال السفي وفيه دليل على ان من حلف ان لا يدخل دار فلان فدخل دارا استعارها
كنت وفيه دليل على ان الاستيلاء على اموال الكفار بوجوب زوال ملكهم عنها قال
وانما نسب الاتخاذ اليهم وان اتخذوا السامري وحده لانهم رضوا بفعله واتخذوا
العجل معبودا وكان السامري رجلا صانعا فصاع لهم **عجلا جسدا** من ذلك الحلي وهو
الذهب والفضة والتي في ذلك العجل من تراب اشر فرس جبريل فتحول عجلا جسدا
لحما ودماله **خوار** وهو صوت البقر وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقاره
وجهور اهل التفسير وقيل كان جسدا لا روح فيه وكان يسمع منه صوت وقيل
ان ذلك الصوت كان خفيف الريح وذلك انه جعله مجوفا ووضع في جوفه انايب
على وضع مخصوص فاذا هبت الريح ودخلت في تلك الانايب يسمع لها صوت كصوت

البقرة والقول الاول اصح انه كان نخور. **وقيل** انه خار مرة واحدة. **وقيل** انه كان نخور كثيرا. وكلما خار سجد واه. **واذا** سكت رفعوا رؤسهم. **قال** وهب كان سمع منه الخوار ولا يتحرك. **وقال** السدي كان نخور ومشي. **وروي** بعض المفسرين ايضا في قصة العجوان السامري واسمه موسى بن ظفر. وهو مسنون الى قرية تسمى سامرة ولد عام قتل الابناء. واخفته امه في كهف جبل. فغذاه جبريل عليه السلام. فعرفه لذلك. فاخذ جبريل البحر على فرس وديق ليتقدم فرعون قبضة من اثر حافر الفرس. وهو معنى قوله فقضب قبضة من اثر الرسول. وكان موسى عليه السلام وعقد قومه بلاس يوما فلما ابطا في العشر الزايدة ومضت ثلاثون ليلة قال السامري لبي اسرائيل. وكان مطاعا فيهم ان معكم حليا من آل فرعون. وكان لهم عيد يتزينون فيه ويستعيرون من القبط الحلي. فاستعاروا لذلك اليوم. فلما اخرجهم الله من مصر وغرق القبط بقى ذلك الحلي في ايديهم. **فقال** لهم السامري انه حرام عليكم فها توما عندكم فحرقه. **وقيل** هذا الحلي هو ما اخذه بنو اسرائيل من قوم فرعون بعد الغرق. وان هرون قال لهم ان الحلي غنيمة. وهي لا تخل لكم فجمعها في حفرة حفرها. فاخذها السامري. **وقيل** انهم استعاروا الحلي ليلة ارادوا الخروج من مصر. واهموا القبط ان لهم عرسا. او مجتمعا. وكان السامري سمع قولهم احملنا الها كما لهم الهة. وكانت بك الالهة على مثال البقر. فضاغ لهم عجلا جسدا. اي مصمتا. غير انهم كانوا سمعون منه خوارا. **وقيل** قلبه الله لحما ودرما. **وقيل** انه لما القى بك القبضة من التراب في النار على الحلي صار عجلاله خوار. فخار خورة واحدة. ولم يثن. **ثم قال** للقوم هذا الهكم واله موسى فثنى اي سنيه ها هنا وذهب يطلبه فضل عنه فتعالوا يعبد هذا العجل. **فقال** الله تعالى لموسى وهو بناجيه انا قد قتنا قومك من بعدك واضلهم السامري. **فقال** موسى يا رب هذا السامري اخرج لهم عجلا من حليم فمن جعل له جسدا يريد اللحم والدم ومن جعل له خوارا. **فقال** الله تعالى انا. **فقال** وعزتك وجلالك ما اضلهم غيرك. **قال** صدقت يا حكيمة الحكما. وهو معنى قوله

ان هي الاقتنك . ثم ان الله تعالى عجب بنبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمن بقوله **المبروا**
عجبهم من عقولهم السخيفة . **عنى المبروا** حين اتخذوه **الهة** **لا يكلمهم ولا يهديهم**
سبيلا والمراد بقوله المبروا هم الذين عبدوا العجل . **وقال** ان بنى اسرائيل كلهم عبدوا
 العجل الا هرون عليه السلام . **بديل قوله** واتخذ قوم موسى . وهذا يفيد العموم .
وقال ان بعضهم عبد العجل . وهو الصحيح . **واجيب** عن قوله واتخذ قوم موسى انه
 خرج على الاغلب . **وكذا قوله المبروا** انه **عنى العجل** الذي عبدوه . **لا يكلمهم ولا**
يهدمهم سبيلا . **عنى** ان هذا العجل لا يمكنه ان يكلم بصواب ولا يهدي الى رشد
 ولا يقدر على ذلك . **ومن كان كذلك** كان جمادا . **او حيوانا ناقضا** او عاجزا . **وعلى**
كلا التقديرين لا يصلح لان يعبد . **وقال** صاحب الكشاف **ولا يهدمهم سبيلا** اي
 لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه **على** من لو كان البحر مريدا للكلماته
 لنفد البحر قبل ان تنفذ كلماته . **وهو الذي هدى الخلق الى سبيل الحق** مما ركز
 في العقول من الادلة . **ومما انزل في الكتب** . ثم ابتداء فقال **اتخذوه** اي الهة فاقدموا
 على هذا الامر المنكر **وكانوا ظالمين** اي واضعين كل شيء في غير موضعه . فلم يكن اتخاذ
 العجل بدعا منهم . **ولا اول مناكيرهم** . **وقال** كانوا ظالمين لانفسهم حيث اعرضوا عن
 عبادة الله تعالى الذي يضر وينفع . **واشتغلوا** بعبادة العجل الذي يضر ولا ينفع . **ولا**
تكلموا ولا يهدمهم الى رشد . **وصواب قوله** عز وجل **ولما سقط في ايديهم** اي
 ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل . **وذلك** بعد عود موسى عليه السلام من الميقات .
والعرب تقول لكل متحير نادم على امر قد سقط في يده . **وذلك** لان من شان من
 اشتد ندمه على امر ان يعرض يده . **ثم يضر** على فحزة . **فتصير يده** ساقطة . لان
 السقوط عبارة عن النزول من اعلا الى اسفل . **وقال** بعضهم الندم يكون في القلب .
 ولكنه ذكر اليد لانه يقال لمن حصل على شيء قد حصل في يده امر كذا . لان مباشرة
 الاشياء في الغالب يكون باليد . **ومنه قوله** تعالى ذلك مما قدمت يداك . **وايضا** الندم
 وان حل بالقلب فان اثره يظهر في اليد . **لان** النادم يعرض على يده . **ويصير** احدى

يديه على الاخرى ومنه قوله تعالى واصبح بقلب كفته على ما انفوفها اي ندم وقوله
 ويوم بعض الظالم على يديه اي من الندم والنادم يضع ذقنه في يده وقال السفي
 ولما سقط في ايديهم اي لما اشتد ندمهم على عبادة العجل واصله ان من اشتد
 ندمه بعض يده غما فنصير يده مسقوطا منها لان فاه قد وقع فيها وسقط
 مسند الى قوله في ايديهم وهو من باب الكناية وقرك ولما سقط في ايديهم بفتح القاف
 على تسمية الفاعل اي وقع العقر فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في
 ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان استحال ان يكون الندم
 في اليد تشبيها لما حصل في القلب وفي النفس كما حصل في اليد وما يركى بالعين
 قال الله تعالى ولما سقط في ايديهم **وراوا انهم قد ضلوا** يعني وتيقنوا انهم على الضلالة
 في عبادتهم العجل **والوالين لهم رحمتنا ربنا ويغفر لنا** يعني بيت علنا ونجا وزعنا
لنكونن من الخاسرين يعني الذين خسروا انفسهم بوضعهم العبادة في غير موضعها وهذا
 كلام من اعترف بعظيم ما اقدم عليه من الذنب وندم على ما صدر منه ورغب الى الله
 في اقالة عثرته واعترافهم على انفسهم بالخسران ان لم يغفر لهم ربهم ورحمتهم وهذا
 كلام التائب النادم على ما فرط منه وانما والوا ذلك لما رجع موسى عليه السلام اليهم
 كما قدمنا وقرأ حمزه والكساي والوالين لهم رحمتنا ربنا وتغفر لنا نالتا على الخطاب
 وفيه معنى الاستغاثة والتضرع والابتهال في الدعاء والسؤال ربنا بالنصب على حرف
 حرف النداء وهو ايضا ابلغ في الدعاء والخشوع فقراتهما ابلغ في الاستكانة والتضرع
 فهي اولي وذكر الثعلبي رحمه الله قصة هرون وبنى اسرائيل مع السامري حين
 اتخذ العجل عز اهد السير واصحاب التوارخ فلنذكرها لزيادة معنى وفائدة فيها
 والوا لما اهلك الله تعالى فرعون وقومه قال موسى عليه السلام لبنى اسرائيل اني اذهب
 الى الجبل لمسقات ربي واتيكم بكتاب فيه بيان ما تاتون وما تذررون وواعدهم بلائ
 لسلة واستخلف عليهم اخاه هرون فحاجب بر بل عليه السلام على فرس يقال له فرس الحاة
 وهي بلقا انثى لا تقيب شيئا الا جي ليذهب موسى الى ربه عز وجل فلما راه

السامري على ذلك الفرس عرفه . وقال ان لهذه الفرس شانا . واخذ قبضه من ترابه
 حافر فرس جبريل عليه اللام حين عبر البحر . وذلك ان الله تعالى بعث جبريل عليه اللام
 على فرس بلقاء . خَطُّوْهَا مَدَّ البَصْرَ عَلَيْهَا ركب الانبياء كلهم . وخاض البحر في طلب
 فرعون وقومه . فَشَمَّتْ خيول قوم فرعون ركبها فحاضت على اثرها . على ما تاتي القصة
 مبينه ان شاء الله . قالوا وانما عرف السامري جبريل دون بني اسرائيل لان فرعون حين
 امر بذيح ابنا بني اسرائيل جعلت المرأة اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا في جوف
 الليل الى صحرا او واد او غار في جبل فاخفته . فَيُقَيِّضُ الله له ملكا من الملائكة يطعمه
 وسقاه حتى تختلط بالناس . فكان الذي ولي السامري وهو طفل جبريل . فَمِنْ ثَمَّ
 عرفه . وكان محض من احدى ابهاميه سمنا ومن الاخرى عسلا . ومن ثم الصبي اليوم
 اذا جاع يَمَضُّ ابهامه ويروي من المص جُعِلَ له منه رزق . ويقال ان جبريل
 عليه اللام وكل بالسامري وهو طفل حين اخفته امه وَعَلَّا لبونا تسقيه اللبن
 بالغداة والعشي حتى كبر واختلط بالناس . فلذلك عرفه دون ساير بني اسرائيل . لانه
 هو الذي رباه . وقال قِتَادَةُ والسدي كان السامري عظيما من عظام بني اسرائيل .
 من قبيلة يقال لها سامره . ولكن عدوا لله نافق . وقال سعيد بن جبير كان السامري
 من اهل كرمان . وقال غيره كان رجلا صايغا من اهل ماجرى . واسمه ميخار .
 وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر . وكان رجلا منافقا قد اظهر الاسلام . وكان
 من قوم يعبدون البقر . فدخل قلبه حُبُّ البقر . فلما ذهب موسى لميقان به
 وكان قد وعد قومه بلا ين ليله . فامتها الله بعشر حتى صارت اربعين . فعاد بنوا
 اسرائيل السلايين . فلما لم يرجع اليهم موسى اقتتنوا . وقالوا ان موسى اخلفنا الوعد .
 فاغتمها السامري حتى فعلنا فعله . وقال قوم انهم عدوا الليلة يوما واليوم
 يوما . وكان موسى عليه اللام قد وعدهم اربعين . فلما مضت عشرون يوما اقتتنوا .
 فاتاهم السامري وقال لهم ان موسى قد اخلتس عنكم فينبغي ان تتخذوا الها . فان
 موسى ليس يرجع اليكم وقد تم الميعاد . وانما طمع فيهم السامري يوم عبر موسى البحر

فمروا على قوم من العمالقة وهم يعكفون على اصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما
لهم الهة فاعتنمها السامري فلما كان ذلك اليوم وخرج موسى ومض للخروج
عشرون يوما وكانوا قد استعاروا حليا كسرا من افرعون حين ارادوا الخروج من
مصر بعلية عرس لهم فاهلك الله فرعون وقومه وبقي ذلك الحلي في ايدى بنى اسرائيل
فلما فصل موسى قال هرون لبنى اسرائيل ان حلي القبط التي استعرتوها منهم عنمة
ولا تحل لكم فاجمعوها جميعا واحفروا لها حفيرة وادفنها حتى يرجع موسى فيرى
فها رايه ففعلوا ذلك وجاء السامري بالقبضة التي اخذها من تحت حافر فرس جبريل
فقال لهرون يا بنى الله اقدفها فيها فظن هرون انه من الحلي يريد به ما يريد اصحابه
فقال له اقدف فقدفها في الحفرة على الحلي فصار عجلا جسدا له خوار وقال ابن
عباس رضى الله عنه اوقد هرون نارا وامرهم بان يقدفوها فيها فقدف السامري
من تلك القبضة فيها وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان للبلاد والقتنه صار كذلك
وتقال ان الذي قال بنى اسرائيل ان الغنيمه لا تحل لكم هو السامري فصدقوه وجمعوها
ودفعوها اليه فصاغ منها عجلا في ثلاثة ايام ثم قدف فيه القبضة فجي وخار
خورة ثم لم يجد وقال السدي كان نخور ومشي فلما اخرج السامري العجل
قال لهم هذا الهكم واله موسى فتنى اى اخطا الطريق وتركها هنا وخرج يطلبه
فلذلك ابطأ عليه واخلف الوعد وفي بعض الروايات ان السامري لما صاغ العجل
وقدف القبضة اشعر العجل وعدا وخار وصار له لحم ودم وروى ان ابليس
هو الذي خار في وسطه ومشي فخيلا اليهم انه العجل وتقال ان السامري جعل
موخر العجل الى حايط وحفر في الجانب الاخر في الارض واجلس فيه اسنانا فوضع
فنه على دبره وخار وتكلم مما تكلم به وقال هذا الهكم واله موسى فشبه السامري
على اوعاد بنى اسرائيل وجها لهم حتى اغواهم وقال لهم ان موسى قد اخطار به فاتاكم
ربكم اراد ان يريك انه قادر على ان يدعوكم الى الفتنه بنفسه وان لم يبعث موسى
لحاجة منه اليه وانه قد اظهر لكم العجل ليكل من وسطه كما كلم موسى من الشجرة

وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انما سمي عجلا لانهم تعجلوه قبل رجوع موسى اليهم
 وقال الحسن البصري اسم عجل بنى اسرائيل الذي عبده به هيتوت . فالواظف
 راوا العجل وسمعوا قول السامري اقتتوا به غير اثني عشر الفا . وكان مع هرون
 ستمائة الف فعكفوا عليه بعدونه من دون الله تعالى . واحبوه حبا ما احبوا مثله
 شاقط . فقال لهم هرون يا بني اسرائيل انما قستم به . وان ربكم الرحمن فاتبعوني
 واطيعوا امري . والوالن يبرح عليه عاكف حتى يرجع الينا موسى . على ما سيندكر في سورة
 طه ان شا الله تعالى . واعلم ان الله تبارك وتعالى اعلم موسى عليه وقت المناجاة بقتنه
 قومه وان السامري اضلهم . فرجع موسى من عند ربه غضبان اسفا . وذلك قول الله
 تعالى جاكنا عنه لبيبه محمد صلى الله عليه وسلم **ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا**
 يعني لما رجع من مناجاة ربه الى قومه من بني اسرائيل رجع غضبان اسفا . قال ابو
 الدرداء رضي الله عنه الاسف اشد الغضب . وقال ابن عباس والسدي الاسف الحزن .
 والاسيف الحزن . قال الواحدى والقولان متقاربان . لان الغضب من الحزن .
 والحزن من الغضب . فاذا جاك ما تكره ممن هود ونك غضب . واذا جاك ممن هو فوقك
 حزنت . فتسمى احدي هاتين الحالتين حزنا . والاخرى غضبا . فعلى هذا كان موسى
 عليه السلام غضبان على قومه لاجل عبادتهم العجل . اسفا حزينا . لان الله تعالى قنتهم
 وان الله تعالى كان قد اعلمه بذلك فحزن لاجل ذلك . قال ابن العربي كان موسى عليه
 السلام من اعظم الناس غضبا . لكنه كان سريع القية . فتلك بتلك . وقال ابن
 القاسم سمعت الامام مالكا يقول كان موسى عليه السلام اذا غضب طلع الدخان من
 قلسوته . ورفع شعره بدينه جبتته . وذلك ان الغضب حمرة تنوقد في القلب .
 ولاجله امر النبي صلى الله عليه وسلم من غضب ان يجمع . فان لم يندهد عينه
 اغتسل . فيجهد ما اضطجاعه . ونظيفها اغتساله . والوا وسرعة غضب موسى
 عليه السلام كان سببا لصككه ملك الموت ففقا عينه . وقد تقدم في سورة المائدة
 ما للعلماء في هذا . وقال الترمذي الحكيم انما استجاز موسى ذلك لانه كلم الله . كانه

رَأَى مِنْ اجْتِرَاعِهِ أَوْ مَدَّ إِلَيْهِ يَدًا بِأَذَى فَقَدْ عَظِمَ الْخَطْبُ فِيهِ. الْاَثَرُ أَنَّهُ
اجْتَمَعَ عَلَيْهِ. فَقَالَ مِنْ أَيْنَ سَمِعَ رُوحِي. أَمِنْ فَمِي وَقَدْ نَاجَيْتُ بِهِ رَبِّي. أَمْ مِنْ سَمْعِي وَقَدْ
سَمِعْتُ بِهِ كَلَامَ رَبِّي. أَمْ مِنْ بَدَنِي وَقَدْ قَبِضْتُ بِهَا الْأَلْوَاحَ مِنْ رَبِّي. أَمْ مِنْ قَلْبِي
وَقَدْ قَمَّتْ بِهَا بَيْنَ بَدَنِي وَرَبِّي الْكَلِمَةُ بِالطُّورِ. أَمْ مِنْ عَيْنِي وَقَدْ أَشْرَقَ وَجْهِي لِنُورِ رَبِّي.
فَرَجَعَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى رَبِّهِ مَفْحَمًا. وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ لَنَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ. فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ
الْغَضَبُ وَالْأَفْئِدَةُ فَطَمَّحْ. وَرَوَى أَيْضًا عَنْ أَبِي وَائِلٍ الْقَاصِرِ قَالَ دَخَلْنَا عَلَى عُرْوَةَ بِنْتِ مُحَمَّدٍ
السُّهَدَى فَوَكَّمَهُ رَجُلٌ فَأَغْضَبَهُ. فَقَامَ ثُمَّ رَجَعَ. وَقَدْ تَوَضَّأَ. فَقَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّكَ
عَطِيَّةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَالشَّيْطَانَ
خُلِقَ مِنَ النَّارِ. وَإِنَّمَا تُطْفِئُ النَّارَ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ. فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ. وَعَنْ أَبِي
هَبْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصِنِي. قَالَ لَا تَغْضَبْ. فَرَدَّدَ
مَرَارًا. قَالَ لَا تَغْضَبْ. رَوَاهُ النَّخَارِيُّ. وَعَنْ حَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ أَوْصِنِي. قَالَ لَا تَغْضَبْ. قَالَ فَفَكَّرْتُ حِينَ
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا قَالَ فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرْكَهَ. رَوَاهُ الْأَمَامُ أَحْمَدُ.
وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا يَبِيعُ عَدُوِّي مِنْ غَضَبِ اللَّهِ
قَالَ لَا تَغْضَبْ. رَوَاهُ الْأَمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا. وَعَنْ حَارِثَةَ بْنِ قَدَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلًا
قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قُلْ لِي قَوْلًا وَقَلِيلًا لَعَلِّي أَعِيبُهُ. قَالَ لَا تَغْضَبْ. فَأَعَادَ عَلَيْهِ مَرَارًا كَمَا ذَكَرْتُ
نَقُولُ لَا تَغْضَبْ. رَوَاهُ الْأَمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا. وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَجُلٌ يَا
رَسُولَ اللَّهِ دَلَّنِي عَلَى عَمَلٍ يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَغْضَبْ. وَكَ
الْجَنَّةَ. رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ. وَعَنْ ابْنِ الْمُسَيْبِ قَالَ بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ
وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَعَ رَجُلٌ بِأَبِي بَكْرٍ فَأَذَاهُ. فَصَمَّتْ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ. ثُمَّ أَذَاهُ السَّائِنَةُ فَصَمَّتْ
عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ. ثُمَّ أَذَاهُ السَّائِنَةُ فَاتَّصَرَ أَبُو بَكْرٍ. فَهَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَقَالَ
أَوْجَدْتُ عَلَى يَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يَكْتُبُ بِهِ مَا

قال لك . فلما انتصرت ذهب الملك ووجد الشيطان فلم يكن لاجلس اذ قعد الشيطان
 رواه ابو داود مرسل . وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 ليس الشديد بالصرعة . انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب . وفي رواية ليس
 الشديد من غلب الناس . انما الشديد من غلب نفسه . رواه الامام احمد .
 والصرعة بضم الصاد وفتح الراء هو الذي يصير الناس كثيرا لقوته . وعن ابي عباس
 رضي الله عنهما في قول الله عز وجل ادفع بالتي هي احسن . قال الصبر عند الغضب والعفو عند
 الاسائة . فاذا فعلوا عصمهم الله . وخضع لهم عدوهم . وعن اسر بن مالك رضي الله عنه
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دفع غضبه دفع الله عنه عذابه . ومن حفظ
 لسانه ستر الله عورته . رواه الطبراني . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه . ما من جرعه اعظم اجرا عند الله من جرعة
 غيظ كظمها عبد ابتغى وجهه الله تعالى . رواه ابن ماجه رحمه الله . قال الله عز وجل
 ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا **قال بيسما خلفتموني من بعدى** اي قال موسى
 بس الفعل فعلتم بعد فرا في اياكم . وهذا الخطاب كحتم ان يكون لعبدة العجل من
 السامرك واثاعة اولهرون والمومنين من بني اسرائيل . فعلى الاحتمال الاول في انه
 خطاب لعباد العجل يكون المعنى بيسما خلفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة
 الله . وعلى الاحتمال الثاني وهو ان يكون الخطاب لهرون وشعبه من المومنين
 فيكون المعنى بيسما خلفتموني حيث لم تمنعوه من عبادة غير الله . وقد رايت من الامر
 توحيد الله تعالى واخلاص العبادة له . وفي الشرك عنه . وحمل بني اسرائيل على ذلك .
 ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة مستخلفيهم . وقوله اعجلتم امر ربكم واصل العجلة
 طلب الشيء قبل حينه . ولذلك صارت مذمومة . والسرعة غير مذمومة لان معناها
 عمل الشيء في اول وقته . ولقائل ان يقول لو كان العجل مذمومة لم يقدر موسى
 عليه اللام ومحملت الذكر لترضى . ومعنى الالة اعجلتم ميعاد ربكم فلم تضروا له .
 وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين . وذلك انهم قدروا

انه ان لم يات على راس البلاش فقدمت وقيل معناه اعجلتم سخط ربكم بعبادة العجل
 وقال الكلبى معناه اعجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتكم امر ربكم ولما ذكر الله
 ان موسى رجع الى قومه غضبان ذكر بعده ما اوجب الغضب فقال تعالى **والقى الالواح**
 معني التي فيها التوراة وكان حاملا لها فالتقاها مما اعتراه من شدة الغضب والاسف
 حين اشرف على قومه وهم عاكفون على عبادة العجل ومما اعتراه على اخيه في اهل امرهم
 ولهذا قيل ليس الخبر كالمعاينة وقال بعضهم ايضا واللقى الالواح ضجرا عند استماعه
 حديث العجل غضبا به وكان في نفسه شدة الغضب وكان هرونا بين منه جانبا
 ولذلك كان احب الى بني اسرائيل لحسن خلقه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب
 رواه البخاري ومسلم ويقدم في اول الاية مع الاحداث وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني ادم خلقوا على طبقات الا وان منهم البطيء
 الغضب سريع الفى ومنهم سريع الغضب سريع الفى فلك تنك الا وان منهم سريع
 الغضب بطيء الفى الا وخيرهم بطيء الغضب سريع الفى وشهرهم سريع الغضب بطيء
 الفى وذكر عن بعض المتقدمين انه كان له فرس وكان معجبا بها فجاذات يوم
 فوجده على ثلاث قوائم فقال لغلامه من صنع هذا فقال انا قال ولم قال
 اردت ان اغتلك قال لا جرم لا غنم من امرك ان تغني اذهب فان حر والفرس لك
 وروى ان ابليس خا الى موسى عليه السلام فقال له انت الذي اصطفى الله رسالته
 وكلمك بكليما وانا خلق من خلق الله اردت ان اتوب الى ربك فساله بي ان تتوب على
 ففرح بذلك موسى عليه السلام ثم دعا بما فتوا وصلى ماشا الله ان يصلى ثم قال يا
 رب ان ابليس خلق من خلقك يسالك التوبة فتب عليه فقيل له يا موسى انه لا تتوب ابدا
 فقال موسى يا رب انه سال منا التوبة فاوحى الله تعالى اليه اني قد استجب لك يا
 موسى فصره ان يسجد لقبير ادم سجدة واحدة وانا اتوب عليه فرجع موسى عليه السلام
 فرحاسرورا واحبرا ابليس بذلك فغضب لعنه الله واستكبر وقال يا موسى اني لم

شاعه موسى
 لا بليس

اسجد له حيا افا سجد له ميتا . ثم قال ان لك علي حقا بما شفعت لي الي ربك .
 اوصيك بثلاثة اشياء . قال موسى وما هن . قال اني اكرمني حين يغضب . فاني في قلبك
 اجرى مجرى الدم . واذ كرمني حين تلقى العدو عند الزحف . فاني اقا بل ابرادم حين تلقى
 العدو فاذا كرهه زوجته واهله وماله حتى يوتى ذبره . واياك ان تجالس امرأة
 ليس بذات محرم منك . فاني رسولها اليك . ورسولك اليها . **ن** . **وذكر** ان
 رجلا من التابعين مدح رجلا في وجهه . فقال له يا عبد الله لم مدحتني . اجرتني
 عند الغضب فوجدتني جليما . قال لا . **قال** اجرتني في السفر فوجدتني حيا من الخلق . **والا**
قال اجرتني عند الامانة فوجدتني امينا . **قال** لا . **قال** لا يجمل احد ان يمدح
 احدا ما لم يجربه في هذه الاشياء الثلاثة . **وقال** السمرقندي رحمه الله عليكم بالصبر
 عند الغضب . واياكم والعجلة عند الغضب . فان في العجلة بلالة اشياء مذمومة . وفي
 الصبر بلالة اشياء حمودة . فاما الثلاثة التي في العجلة احدها الندامة في نفسه .
 والثاني الملامة عند الناس . والثالث العقوبة عند الله . واما الملامة التي في الحكم
 فاحدها السرور في نفسه . والثاني المحمدة عند الناس . والثالث الثواب من الله تعالى .
 فان الحكم يكون في اوله **مُرًّا** . **خُلُوعًا** في اخره . **ومنه** قول الشاعر
 الحكم اوله **مُرٌّ** مذاقته . **لكن** اخره **احل** من العسل .
واعلم ان الغضب شعلة نار . اقتبس من نار الله تعالى الموقده . الا انها لا تطلع الا
 على الافئدة . وانها مستكنة في طي الفؤاد . استكنان الجمر تحت الرماد . وسيجرجهما
 الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد . كما استخراج الحجر النار من الحديد . وقد انكشف
 لناظر بن نور اليعقوب ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان للعين . فمن استفزته
 نار الغضب فقد قوت فيه قرابة الشيطان الرحيم حيث قال خلقتني من نار وخلقته
 من طين . فان شان الطير السكون والوقار . وشان النار التلظى والاشتعال والحركة
 والاضطراب . **وروي** ان يحيى بن زكريا قال لعيسى بن مريم عليهما السلام لا تغضب . قال يا اخي
 لا استطع الا اعضب انما انا بشر . **قال** لا تقتن مالا . **قال** هذا عسى ان شاء الله . **وقال** النبي

صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل . وقال صلى الله عليه
وسلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم . وقال له رجل اى شئ اشد نار رسول الله قال
غضب الله . قال فما يبعدنى من غضب الله . قال لا تغضب . وقال الحسن بن ابراهيم كلما
غضبت ووثبت بوشك ان تثب وتبه فتقع فى النار . وروى عن ذى القرنين انه قال لقت
ملكا من الملائكة فقلت علمنى علما ازداد به ايمانا وبقيا . قال لا تغضب فان الشيطان
اقد زما يكون على ابن ادم حين يغضب فرد الغضب بالكظم . وسكنه بالتودة . واياك
والعجلة . فانك اذا عجلت اخطات خطك . وكن سهلا لينا للقريب والبعيد . ولا تكن حبارا
عنيدا . وقال جعفر بن محمد الغضب مفتاح كل شر . وقال بعض الانصار راس الحق
الحدة . وقايدة الغضب . ومن رضى بالجهد استغنى عن الجلم . الجلم زين ومنفعة .
والجهل شين ومضرة . والسكوت عن جواب الاحق جوابه . وقال مجاهد قال ابليس لعنه
ان اعجزنى بنو ادم فلن اعجزونى فى ثلاث . اذا سكر احدهم اخذنا بحرامته فقد باه كيف
شأ . وعمل لنا بما احبنا . واذا غضب قال بما لا يعلم . وعمل بما يندم . بنخله بما فى
يديه . ونميه مما لا يقدر عليه . وقال بعضهم اياك والغضب . فانه بصيرك الى ذلك
الاعتذار . وكتب عمر بن عبد العزيز الى بعض عماله ان لا تعاقب عند غضبك . واذا
غضبت على رجل فاجسه . واذا سكر غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه . ولا تجاوز
به خمسة عشر سوطا . وروى على بن زيد قال اغلظ رجل من قرش لعمر بن عبد العزيز
فاطرق عمر طويلا . ثم قال له اردت ان استغفرنى الشيطان بعز السلطان قال منك
اليوم ما تناله منى غدا . لا والله لا كان ذلك ابدا . اذهب فقد عفوت عنك . وقال
بعضهم من اطاع غضبه وشهوته قاده الى النار . وقال الحسن رحمه الله من علامات
المسلم قوة فى دين . وحزم فى لين . وايمان فى يقين . وعلم فى حلم . وكيس فى رفق . واعطافى
حق . وقصد فى غنى . وتجد فى فاقة . واحسان فى قدرة . وصبر فى شدة . لا تغلبه الغضب
ولا تجمع به الحمية . ولا تغلبه شهوة . ولا يفضحه بطنة . ولا يستخفه حرص . ولا يقصر به
امنية . ينصر المظلوم . ويرحم الضعيف . ولا يخلد . ولا يبذر . ولا يسرف . ولا يقتل .

بغير اذا ظلم. ويعفو عن الجاهل. نفسه منه في غنا. والناس منه في رجا. وقال وهب
 ابن منبه للكفر اربعة اركان. الغضب. والشهوة. والخرق. والطمع. **فصل** في بيان
 حقيقته الغضب. اعلم ان الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتار باسباب
 في داخل بدنه واسباب خارجة عنه انعم عليه بما يحويه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك
 الى اجل معلوم سماه في كتابه العزيز. **اما** السبب الداخل فهو انه ركب من الرطوبة والحرارة.
 وجعل من الرطوبة والحرارة عداوة ومضادة. فلا تزال الحرارة تجلد الرطوبة وتخففها
 وتجرها حتى تنفث اجزاؤها بخارا يتصعد منها. فلولا متصل بالرطوبة مرد من الغذاء
 بجزر ما النحل وسحر من اجزاها لفسد الحيوان. فخلق الله تعالى الغذاء الموافق لبدن
 الحيوان. وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كما لو كربه في جبر ما انكسر
 وسد ما اشتم ليكون ذلك حافظا له من الهلاك بهذا السبب. **واما** الاسباب الخارجة
 التي تتعرض لها الانسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات التي تقصد بها. فافتقر
 الى قوة وحية تثور من باطنه فتدفع المهلكات عنه. فخلق الله تعالى الغضب من النار.
 وغرز في الانسان وعجنه بطيبته. فمما قصد في غرض من اغراضه ومقصد من
 مقاصد. اشتعلت نار الغضب وثارت ثورا نا يغلي به دم القلب وتشتت في العروق
 وترتفع الى اعالي البدن كما ترتفع النار. وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر. فلذلك ينصب
 الى الوجه فيحمر الوجه والعين والبشرة بصفايها تحكي لون ما وراها من حمرة الدم
 كما تحكي الزجاج لون ما فيها. **واما** ينسبط الدم اذا غضب على من دونه واستشعر
 القدرة عليه. فان صدر الغضب ممن فوقه وكان معه يأس من الانتقام تولد منه
 انقباض الدم من ظاهر الجلد الى جوف القلب وصار حزنا. ولذلك يصفر اللون. وان
 كان على نظير يشك فيه تولد منه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر
 ويصفر ويضطرب. **واما** الجملة فقوة الغضب محلها القلب. ومعناها غلبان دم القلب
 لطلب الانتقام. **واما** تتوجه هذه القوة عند ثورانها الى دفع الموزيات قبل وقوعها.
 والى التشفى والانتقام بعد وقوعها. والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها. وفيه

تفتي

لذتها. ولا تسكن الابه. ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلاث في اول الفطرة من التفرط
والافراط والاعتدال. اما التفرط فيفقده هذه القوة. او ضعفها. وذلك مذموم.
وهو الذي يقال فيه انه لاحية له. ولذلك قال الامام الشافعي من استغضب ولم يغضب
فهو حمار. ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان. فمن فقد قوة الحية والغضب اصلا فهو
ناقص جدا. وقد وصف الله تعالى الصحابة رضي الله عنهم بالشدة والحية. فقال تعالى اشدا
على الكفار رحما بينهم. وقال تعالى لبني اسرائيل عليه وسلم بانها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم. واما الغلظة والشدة من اثار قوة الحية وهو الغضب. واما الافراط
فهو ان تغلب هذه الصفة حتى تخرج عن سياسة العقل والدين وطاعته. ولا يبقى للصبر
معه بصيرة ونظرو فكر ولا اختيار. بل يصير في صورة المضطر. وسبب غلبته امور
غريزية وامور اعتيادية. فرب انسان هو بالفطرة يستعد لسرعة الغضب حتى كان
صورته في الفطرة صورة غضبان. ويعين على ذلك حرارة مزاج القلب لان الغضب من النار
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم. فبرودة المزاج تظفنه وتكسر سورتها. واما الاسباب
الاعتيادية فهو ان خالط قوما يتبحرون بتشتي العيظ وطاعة الغضب ويسموز
ذلك شجاعة ورجولية. فنقول الواحد منهم انا الذي لا اصبر على المحال. ولا اختلف من احد
ومعناه لا عقل ولا حلم. ثم يذكره في معرض الفخر بجهله. فمن سمع منه ترسخ في
نفسه حسن الغضب. وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب. ومهما اشتد نار الغضب
وقوى اضطرامها اعمت صاحبها واصمته عز كل موعظة. فاذا وعظ لم يسمع. بل زاده
ذلك غضبا. وان استنصا بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر. اذ ينطفئ نور العقل
ويضيء في الحال بدخان الغضب. فان معدن الفكر الدماغ وتتصاعد عند شدة الغضب
من غلبان دم القلب لاخان الى الدماغ منظم فيستولى على معادن الفكر. وربما تغدق
الى معادن احمر فتظلم عينه حتى لا يرى عينه شيا. وتسود عليه الدنيا بأسرها. ويكون
دماغه على مثال كهف اضرمت فيه نار فاسود جوهه. وحي مستقره وامثلا بالدخان
جوانبه. وكان فيه سراج ضعيف فانطفئ او اضمح نوره. فلا شيب فيه قدم ولا يبع

منه كلمة ولا يرى فيه صورة. ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج. بل سفي
 ان يصبر الى ان يحترق جميع ما يقبل الاحتراق. وكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماع.
 وربما تقوى نار الغضب فتقضي الرطوبة التي بها حياة القلب فيموت صاحبه عيظا.
 كما تقوى النار في الكهف فيتشقق وتسهل اعاليه على اسافله. وذلك لابطال النار ما
 في جوانبه من القوة المسكها الجامعة لاجنوايه. فهكذا حال القلب مع الغضب.
 وما كفتقه فالسفينه في ملتزم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن
 حالا وارجا سلامة من النفس المضطربة عيظا. اذ في السفينه من تحتال لتسكينها
 وتدبيرها وينظر لها ويسوقها. واما القلب فهو صاحب السفينه وقد سقطت
 حيلته اذا عماه الغضب واصمته. ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون
 وشدة الرعدة في الاطراف. وخروج الافعال عن الترتيب والنظام. واضطراب الحركه
 والكلام. حتى يظهر الزبد على الاشداق. وتحمرا الاحداق. وتقلب المناخر. وتتحلل
 الخلقه. ولو راى الغضبان نفسه في حال الغضب وقبح صورته لسكن غضبه حيا من
 قبح صورته واستحالة خلقته. وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره. فان الظاهر عنوان
 الباطن. وانما فحيت صورة الباطن اولا. ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا. فتغير الظاهر
 ثمرة تغير الباطن. ففس المئمر بالثمره فهذا اثره في الجسد. واما اثره على
 اللسان فانطلاقه بالشتم والقيح. وفحش الكلام الذي يستحى منه ذوا العقول وقايله
 يستحى منه عند فتور الغضب. وذلك مع تحبب التكلم واضطراب اللفظ. واما
 اثره على الاعضاء. فبالضرب والتعجم والقتل. واخراج عند التمكن من غير مبالاة. وتترق
 الشاب. فان هرب منه المغضوب عليه او فاته سبب عجز عن التشفي رجع الغضب
 على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطمها. ويضرب راسه على الارض او يده او يجرها
 عدو الواله السكران. والمد هوش المتخير. وربما سقط صريحا لا يطيق العدو والنهوض
 لشدة الغضب بعثريه مثل الغشيه. وربما يضرب الجادات والحيوانات. فكسر القفصه.
 مثلا. والابريز والغضارة. والمائدة. وتعاطى افعال المجانين. وشتم الحماز والبغل.

ومخاطبه ونقول الى متى منك ما كيت وكيت كأنه مخاطب عاقلا حتى انه ربما رفته
دابة فيرفس هو الدابة ويقابلها مثل ذلك **وَأَمَّا** ابره في القلب مع المغضوب
عليه فالحقد والحسد واضمار السوء والشماتة بالمسائت والحزن بالمحاسن والعزم
على افشاء السر وهتك السر والاستهزاء وغير ذلك من القبايح فهذه ثمره الغضب المفطر
وَأَمَّا ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يونف منه من التعرض للمحرم
والزوجة والام واحتمال الذل من الاختصاص وصغر النفس والقناعة وهو ايضا مذموم
اذ من ثمراته عدم الغيرة على المحرم وهو خنوثة **وَالنَّبِيُّ** صلى الله عليه وسلم ان سعدا
لغيره **وَأَنَا** اغير من سعد **وَالله** اغير مني **وَأَمَّا** خلق الغيرة لحفظ الاشباب ولو
تسامح الناس بها لاختلطت الاشباب ولذلك قل كل امة وضعت الغيرة في رجالها
والصيانة في نسائها **وَمِنْ** ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكر **قَالَ**
النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم خير امتي احداؤها **بَعْنِي** الدين **وَقَالَ** الله تعالى ولا تأخذكم
بهما رافه في دين الله **بَلْ** من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه اذ تتم الرياضة
بتسلط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات الخسيسة
ففقد الغضب مذموم **وَأَمَّا** المحمود غضب ينشطر اشارة العقل والدين فينبعث
حيث تحب الحمية وينطفئ حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة
التي كلف الله تعالى بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث
قال خير الامور اوساطها **فَمَنْ** مال غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه بضعف الغيرة
وخسة النفس في احتمال الذل والضم في غير محله فينبغي ان يعالج نفسه ليغض من
سورة الغضب ويقف على الوسط الحق من الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو اذق من
الشعر **وَاحِدٌ** من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه **قَالَ** الله تعالى ولرسلنا
ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل **الايه** فليس كل من عجز عن الاتيان
بالمحركه ينبغي ان لا ياتي بالشركه ولكن بعض الشراهن من بعض وبعض الخير انفع
من بعض **فَهَذِهِ** حقيقة الغضب ودرجاته **فَصَلِّ** في بيان ان الغضب هل يمكن

ازالة اصله بالرياضة ام لا. اعلم انه ظن ظانون انه تصور محو الغضب بالكلية.
 وزعموا ان الرياضة اليه تتوجه. واياه تقصد. وظن اخرون انه لا يقبل العلاج
 اصلا. وهذا راى من نظر الخلو كالمخلوق. وكلاهما لا يقبل التغيير. وكلا الرايين ضعيف.
 بل الحق فيه ما نذكره. وهو انه مادام الانسان يحب شا ويكره شا فلا يخلو عن
 الغيظ والغضب. ومادام يوافقه شى ومخالفه اخر فلا بد وان يحب ما يوافقه
 ويكره ما يخالفه. والغضب يتبع ذلك. فانه مما اخذ منه محبوبه غضب لا محالة.
 وان قصد بالمكروه غضب لا محالة. الا ان ما حبه الانسان ينقسم الى ثلاثة اقسام.
 القسم الاول ما هو ضرورة في حق الكافة. وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن.
 فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد وان يغضب. وكذلك اذا اخذ منه ثوبه
 الذي يستر عورته. وكذلك اذا اخرج من داره الذي هي مسكنه. او ابقى ماؤه الذي هو
 لعطشه. فهذه ضرورات لا يخلو الانسان من كراهية زوالها. ومن غيظ على من تعرض
 لها. القسم الثانى ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان
 والدواب. فان هذه الامور صارت محبوبه بالعادة واجهل بمقاصد الامور حتى صار
 الذهب والفضة محبوبين في انفسهما فيكثران. وبغضب على من سرقهما وان كان مستغنا
 عنهما في القوت. فهذا اجنس مما تتصور ان تنفك الانسان عن اصل الغيظ عليه.
 فاما اذا كانت له دار زايدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب. اذ يجوز
 ان يكون بصيرا بامر الدنيا فيزهد في الزيادة على قدر الحاجة فلا يغضب باخذها.
 فانه لا يحب وجودها. ولو احب وجودها لغضب على الضرورة باخذها. واكثر غضب
 الناس على ما هو عن ضروري كالجاه والصيت والتصدر في المجالس والمباهاة بالعلم.
 فمن غلب هذا الحب عليه فانه بغضب لا محالة اذا راحه مزاحم على التصدر في المحافل
 ومن لا يحب ذلك ولا يبالي لو جلس في صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه.
 وهذه العادة الردية التي اكثر محاب الناس ومكارهم فاكثرت غضبهم. وكل
 ما كانت الارادات والشهوات اكثر فان صاحبها اخط رتبة وانقص كمالا. لان الحاجة

صفة نقص. فمنها كثرت كثير النقص. واجها هذا بدأ جهده في ان يزيد في حاجاته وفي
شهواته وهو لا يدرك انه مستكثر من اسباب الغم والخزن حتى ينتهي بعض اجهال العباد
الرديّة ومخالطة قرنا السوا الى ان يغضب لوقيل له انه لا يحسن بلعب بالطيور. ولا
بالشطرنج. ولا بقدر على شرب الخمر الكسر. وتناول الطعام الكثير. وما جرى مجراه من هذه
الردايل. فالغضب على هذا الجنس ليس بضروري. لان حبه ليس بضروري. **القسم الثالث**
ما يكون ضروريا في حق بعض الناس ونا البعض. كالكتاب مثلا للعالم. فانه مضطر اليه.
فيحبه فيغضب على من يخرقه ويجزبه ويفرقه. وكذلك آلات الصناعات في حق الملك
الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا بها. فان ما هو وسيلة الى الضرورى والمحبوب يصير
ضروريا ومحبويا. وهذا يختلف باختلاف الاشخاص. وانما الحب الضرورى ما اشار
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من اصح آمنة في سربه معاقا في بدنه وله قوت يومه
فكانما حيزت له الدنيا بخدا فيرها. ومن كان بصيرا حقايق الامور وسلم له هذه
الامور الثلاث تتصور ان لا يغضب في غيرها. فهذه ثلاثة اقسام. فلنذكر غاية
الرياضة في كل واحد منها. **اما القسم الاول** فلست الرياضة فيه لعدم غيظ القلب
ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد استحقة الشرع
وستحسنه العقل. وذلك ممكن بالمجاهدة. وبكف الجلم والاحتمال مدة حتى يصير الحكم
والاحتمال خلقا له راسخا. فاما قمع الغيظ من القلب فذلك نقيض مقتضى الطبع وهو
غير ممكن. نعم ممكن كسر فوره وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان اصل الغيظ في الباطن.
وينتهي ضعفه الى ان لا يظهر اثره في الوجه. ولكن ذلك شد بد جدا وهو حكم القسم الثالث.
ايضا لان ما صار ضروريا في حق شخص فانه لا يمنع من الغيظ استغناء غيره عنه.
فالرياضة فيه تمنع العمد به وتضعف هيجانه في الباطن حتى لا يشتد عليه. **واما**
القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضة الى الانفكاك عن الغضب عليه. اذ يمكن اخراج
حبه من القلب. وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر. ومستقره الاخرة. وانما
الدنيا معبر يعبر عليها وتترود منها قدر الضرورة. وما ورا ذلك فهو وبال عليه في وطنه

٣٤٧
ومستقره فيزهد في الدنيا وينحى عنها عن قلبه. ولو كان للانسان كلب لا يحب له غضب
اذا ضربه غيره. فالغضب تبع المحب. فالرياضة في هذا قد تنتهي الى قبح اصل الغضب.
وهو نادرجدا. وقد انتهى الى المنع من استعمال الغضب والعمل بموجبه وهو اهون.
فان قلت الضروري من القسم الاول التالم بفوات المحتاج اليه دون الغضب فمن له
شاة مثلا وهي قوته فماتت لا بغضب على احد. وان كان يحصل فيه كراهة. وليس من
ضرورة كل كراهة غضب. فالانسان تالم بالفصد والحجامة ولا بغضب على الفصاد
والحجام. فمن غلب عليه التوحيد حتى يرى الاشياء كلها من الله تعالى فلا بغضب على احد
من خلقه. اذ يراهم مسخرين في قبضة قدرته كالقلم في يد الكاتب. ومن وقع ملك بصر
رقبه لم يغضب على القلم. ولا بغضب على من يذبح شاته التي هي قوته. كما لا بغضب على
موتها. اذ يرى الموت والذبح من الله تعالى. فيندفع الغضب بغلبة التوحيد. ويندفع
ايضا بحسن الظن بالله تعالى. وهو ان يرى الكلام من الله. وان الله تعالى لا يقدر له الا ما فيه
الخيره. وربما تكون الخيرة في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا بغضب كما لا بغضب
على الفصاد. لانه يرى ان الخير فيه. فيقول هذا على هذا الوجه غير محال. ولكن غلبة
التوحيد الى هذا الحد انما يكون كالبرق والخاطف يغلب في احوال مختلفة ولا
يدوم. ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسائط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه. ولن
تصور ذلك على الدوام لبشر. ولو تصور لبشر لتصور لسدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وانه كان يغضب حتى تخمر وجنتاه حتى قال صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب
البشر. فايما سلم سببته اولغته او ضرته فاجعلها مني صلاة عليه وزكاة وقربة
عليه تقربه بها اليك يوم القامة. وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب
عندك كلما قلت في الغضب والرضا. فقال صلى الله عليه وسلم اكتب فوالذي بعثني بالحق ما
خرج مني الا حق. واثار الى لسانه. فلم يقل صلى الله عليه وسلم اني لا اغضب. ولكن قال ان
الغضب لا يخرجني عن الحق. اني لا اعمل بموجب الغضب. وغضب عايشه رضي الله عنها
مرة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما لك اجاك شيطانك. فعالت او ما لك يا رسول الله

المحور

شيطان . قال صلى الله عليه وسلم بلى ولكن دعوت الله عز وجل فاعانتني عليه فاسلم . ولا يامر
 الا بخير . ولم تقل صلى الله عليه وسلم لا شيطان لي . و اراد شيطان الغضب لكن قال صلى الله
 عليه وسلم لا يحملني على الشر . وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم لا يغضب للدينيا . فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد . ولم تقم لغضبه شئ حتى
 ينتصر له . فكان بغض على الحق . وان كان غضبه لله فهو التفتات الى الوسائط على الجملة .
 بل كل من غضب على من ياخذ ضرورة قوته وحاجته وما لا بد له في دينه منها فانما
 غضب لله تعالى . فلا يمكن الا تفكاك عنه . نعم قد تفقد اصل الغيظ فيما هو ضروري
 اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه . فلا يكون في القلب متسع للغضب لا شتغاله
 بغيره . فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه . وهذا كما ان
 سلمان الفارسي رضي الله عنه لما شتم قال ان خفت موازني فانا شتم ما تقول . وان
 ثقلت موازني لم بضرني ما تقول . فقد كان همه مصر و فالى الاخرة فلم يتاثر قلبه
 بالشتم . وكذلك شتم الربيع بن خثيم . فقال للشاتم يا هذا قد سمع الله تعالى كلامك . وان
 دون اجنة عقبة ان قطعها لم بضرني ما تقول . وان لم اقطعها فانا شتم ما تقول .
 وسب رجل ابا بكر الصديق رضي الله عنه . فقال ما ستر الله عندك اكثر . فانه كان مشغولا
 بالنظر في نقصان نفسه عز ان يتقى الله حقيقاته ويعرفه حق معرفته . فلم يغضب بنسبة
 غيره اياه الى النقصان . اذا كان ينظر الى نفسه بعين النقصان . وذلك لجلاله قدره .
 وقالت امرأة لما لك من دينار يا مراي . فقال ما عرفني غيرك . فانه كان مشغولا بان
 ينفي عن نفسه آفة الرأ . منكر . على نفسه ما يليقها الشيطان . فلم يغضب لما نسبت اليه .
 وسب رجل الشعي . فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي . وان كنت كاذبا غفر الله لك .
 فهذه الاقاويل دالة في الظاهر على انهم لم يغضبوا . لا شتغال قلوبهم سمهمات دينهم .
 ويحتمل ان يكون قد اثر ذلك في قلوبهم . ولكنهم لم يشتغلوا به . واشتغلوا بما كان هو الاغلب
 على قلوبهم . فاذا اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند
 فوات بعض المحاب . فاذا يتصور فقد الغيظ . اما باشتغال القلب بمهم او بخلبة

نظر التوحيد . وسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله تعالى يحب منه ان لا يغتاز فيطفي
 شدة حبه لله تعالى غيظه . وذلك غير محال في احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان طريق
 الخلاص من نار الغضب محو حجب الدنيا عن القلب . وذلك معرفة افات الدنيا وغوايلها .
 ومن اخرج حجب المراياة عن القلب تخلص من اكثر اسباب الغضب . وما لا يمكن محوه
 فيمكن كسره وتضعيفه . فتضعف الغضب بسببه ويهون دفعه . والله اعلم **فصل**
 في سائر الاسباب المهيجه للغضب . قد عرفت رحمك الله ان علاج كل علة بحسب مادتها .
 وازالة اسبابها . فلا بد من معرفة اسباب الغضب . وقال يحيى لعيسى عليهما السلام اى شئ
 اشد قال غضب الله . قال فما يقرب من غضب الله . قال ان تغضب . قال فما مبدأ
 الغضب وما منبته . قال عيسى الكبر . والفخر والتعزز . والحمية بالاسباب المهيجه للغضب
 من الزهو . والعجب . والمزح . والهزل . والتعبير . والمماراة . والمضادة . والخذل .
 وشده احرص على فضول المال والجاه . وهي باجمعها اخلاق رديئة مذمومة شرعاً .
 ولا خلاص عن الغضب مع بقا هذه الاسباب باضدادها . فينبغي ان تمت الزهو بالتواضع .
 وتمت العجب بمعرفة نفسك . وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك . اذ الناس جميعهم في
 الانتساب اب واحد . وانما اختلفوا بالفضل اشتاتاً . فبنوا دم جنس واحد . وانما
 الفخر بالفضائل . والفخر والعجب اكبر الرذائل . وهي راسها واصلمها . فاذا لم تحل
 عنها فلا فضل لك على غيرك . فلم نفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب
 والاعضاء الظاهرة والباطنه . واما المزح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية
 التي تستوعب العمر . وفضل عنه اذا عرفت ذلك . واما الهزل فتزيله بالمجد في طلب
 الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك الى سعادات الآخرة . واما
 الهزو فتزيله بالتكرم عن ايدى الناس . وصيانته النفس عن ان تستهزى بك . واما
 التعبير فتزيله بالحذر عن القول البقيح . وصيانته النفس عن هذه الآفات . واما شده
 احرص على مزايا العيش فتزال بالقناعة بقدر الضرورة طلب العز الاستغناء . وترفعها
 عن ذل الحاجة . وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجه

الى رياضة وتحملة مشقة. وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوايلها لترغب النفس عنها
وتتفر عن قبحها. ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى يصير بالعادة
مالوفة هينة على النفس. فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذائل
وخلصت ايضا عن الغضب الذي يتولد منها. ومن اشد البواعث للغضب عند اكثر
الجهال سميتم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبرهمة. وتلقب بالالقباب
المحمودة عبارة وجهلا حتى تمثل النفس اليه وتستحسنه. وقد تناكد ذلك بحكاية شه
الغضب من الاكابر في معرض المدح في الشجاعة. والنفس مايله الى التشبه بالاكابر فيهبج
الغضب في القلب بسببه. وتسمية هذا عزة نفس جهل ومرض قلب ونقصان عقل. وهو
يضعف النفس. وعلامة انه يضعف النفس ان المريض اضعف قلبا منى واسرع
غضبا من الصحيح. والمرأة اسرع غضبا من الرجل. وكذلك الصبي والشخ الضعيف اسرع
غضبا من الكهل. وذو الخلق السبي والرذائل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضائل.
فالرذل يغضب لشهوته اذا فاته اللقمة. ولبخله اذا فاته الكبة. وحتى يغضب
على اهله وولده واصحابه. بل القوي من ملك نفسه عند الغضب كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم ليس الشديد بالصرعة. انما الشديد من سلك نفسه عند الغضب. بل ينبغي ان يعالج
هذا الجاهل بان يتلى عليه حكايات اهل العلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ.
فان ذلك منقول عن الانبياء والحكام والعلماء. واكابر الملوك والفضلاء. ومن ذلك منقول
عن الارذال والاتراك والاكراد والجاهله والاعبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل. والله اعلم.
فصل في بيان علاج الغضب بعد هيجانه. اعلم ان الذي ذكرناه هو حسم لمواد
الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج. فاذا جرى سبب هيجته فعنده يجب التثبت حتى لا
يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم. وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمجود
العلم والعمل. اما مجوز العلم فهو ستة امور. الاول ان تفكر في الاخبار التي
سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال. فيرغب في ثوابه فمنعه شه
اكثر على بواب الكظم عن التشفي والانتقام. ونسطف غيظه. قال مالك بن اوس بن

الحدثنان غضب عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رجل وامر بضره فقلت يا امير المؤمنين
 فالتفت الي وقرات قول الله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فجعل
 عمر يردد ها ويقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان تامل الالة
 وكان وقافا على كتاب الله تعالى مهما تلى عليه كثر التدبير فتدبر ثم خلا الرجل
 وامر عمر بن عبد العزيز بضر رجل ثم قرأ قول الله والكاظمين الغيظ والعافين عن
 الناس وقال لعلامه خل عنه الامر الثاني ان تخوف نفسه بعقاب الله وهو ان يقول
 قدرة الله على اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو افضيت غضبي لم آمن ان يمضي الله
 تعالى غضبه على يوم القامة احوج ما اكون الى العفو وقد قال الله تعالى في بعض
 الكتب يا ابن آدم اذ كرتي حين تغضب اذ كرت حين اغضب فلا المحقق فيمن الحق
 وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث وصيفا الى حاجة فابطاع عليه فلما ابطا
 قال لولا القصاص لاجعتك ضربا اى القصاص في القامة وقد ما كان في نبي
 اسرايل ملكا لا ومعه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفه فيها ارحم ترحم ارحم المسكين
 واختر الموت واذكر الاخرة فكان يقرأها حتى سكن غضبه الامر الثالث ان
 كدر نفسه عاقبه العداوة والانتقام وتشمير العدو ومقاومته والسعي في اغراضه
 والشماتة مصايبه وهو لا يخلو عن المصايب فتخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا
 ان كان لا يخاف الاخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من اعمال
 الاخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجله يقدم بعضها على بعض الا
 ان يكون محذوره ان شغور عليه في الدنيا فراغه للعلم والعمل وما يعينه على الاخرة
 فكون مثابا عليه الامر الرابع ان يفكر في قبح صورته عند غضبه بان تذكر صورة
 غيره حالة الغضب وسفكر في قبح الغضب في نفسه ومشايمه صاحبه للكلم الضار
 والسبع العادي ومشايمه الحكيم الهادي التارك للغضب بالانبياء والعلماء والحكام وخير
 نفسه بيران شبه الكلاب والسباع وراذل الناس ويزان شبه الانبياء والعلماء
 والصالحين في عاداتهم لتميل نفسه الى حب هؤلاء الكبراء والافتدائهم ان كان قد بقي معه

مسكة من عقل الامر الخامس ان سفكر في السبب الذي يدعوه الى الاسقام ومنعه
من كظم الغيظ ولا بد وان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحلم منك على
العجز وصغر النفس والذلة والمهانة وتصير حقيرا في اعين الناس فليقل لنفسه ما
اعجبك يا نفس تانفين من الاحتمال الآن ولا تانفين من خزي يوم القامة والافتتاح
اذا اخذ هذا بيدك واسقم منك وانت تحذر من ان تصغرك في اعين الناس ولا
تحذر من ان تصغرك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبين باسقامك من هذا فمهما كظم
الغيظ فينبغي ان يكظمه الله تعالى ولعظمته عز وجل ولجلاله فضاله وللناس وذل من
ظلمه يوم القامة واشد من ذله لو انتقم الان افلا تحب ان تكون هو القايم اذا نودى
يوم القامة ليقيم من اجرة الله فلا يقوم الا من عفا عن حق فهذا وامثاله من معارف
الايمان ينبغي ان يقرره على قلبه الامر السادس ان يعلم ان غضبه من تعجبه من
جربان الشئ على وفق مراد الله تعالى لا على وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من
مراد الله تعالى وبوشك ان يكون غضب الله اعظم من غضبه واما العمل بان تقول
لسانك اعود بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الغيظ
وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غضب عاشة اخذها ثقتها وقال يا عوئيش قولي
اللهم رب محمد اغفر لي ذنبي واذهب عيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن فيستحب
ان يقول ذلك فان لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قائما واضطجع ان كنت جالسا واقرب
من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك ذل نفسك واطلبه بالاضطجاع والجلوس
والسكون فان سبب الغضب الحرارة وسبب الحرارة الحركة وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان الغضب جمره توقد في القلب ثم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه
فاذا وجد احدكم من ذلك شيا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليقم فان
لم يزل ذلك فليبوضا بالمالا المارد اولغتسل فان النار لا تطيفها الا الماء وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا غضب احدكم فليتوضا فانما الغضب من النار وفي رواية
ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما نطف النار بالماء فاذا غضب

مخزون

٢٥٠
 احدكم فلو ضاه وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
 غضبت فاسكت وقال ابو هريرة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
 غضب وهو قائم جلس فاذا غضب وهو جالس اضجع فيذهب غضبه وقال ابو
 سعيد الخدري رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الغضب حمره في قلب ابراهيم
 الا تزول الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليصو خده بالارض
 وكانت هذا اشارة الى السجود ومكين اغراضا من اذل المواضع وهو التراب لتستشعر
 به النفس لذل ويتزايد به العزة والزهو الذي هو سبب الغضب وروى ابن عمر رضي الله
 عنه غضب يوما فدعا بما فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب
 الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمس قال لي ابني اوليت قلت نعم
 قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والارض تحتك ثم عظم خالقيها وروى ابن ابي
 ذر رضي الله عنه قال لرجل في خصومة بينهما يا ابن الحمراء فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال يا ابا ذر بلغني انك اليوم عيرت رجلا بامته فقال نعم فانطلق ابو ذر
 لي رضي صاحبه فسبقه الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال يا ابا ذر ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا
 ان تقضه بعجل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتك
 وان كنت متكئا فاضجع وقال المعتمر بن سليمان كان رجل ممن كان قبلكم بغضب
 فيشد غضبه فكت ثلاث صحائف واعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت
 فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكر بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب
 غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطى الصحيفة الاولى فاذا فيها ما انت
 وهذا الغضب انك لست بالله انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا فسكن بعض
 غضبه فاعطى الثانية فاذا فيها ارحم من في الارض ارحمك من في السماء فذهب غضبه
 واعطى الثالثة فاذا فيها خذ الناس بحوائبه تعالى فانه لا يصلحهم الا ذاك الا لا
 تعطل الحدود وغضب المهدي على رجل فقال له تثبت لا تعصير ^{رجل} الله يا شد من

غضبه لنفسه . فقال خلوا سبيله **فصل** في كظم الغيظ . قال الله تعالى والكاظمين الغيظ .
ذكر تعالى كظم الغيظ في معرض المدح . وقال النبي صلى الله عليه وسلم من كف غضبه كفا الله
عنه عذابه . ومن اعتذر الى ربه قبل الله عذره . ومن خزن لسانه ستر الله عورته .
وقال صلى الله عليه وسلم اشدكم من ملك نفسه عند الغضب . واحلمكم من عفي عند القدرة .
وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا ولو شان محصيه امضاه ملا الله قلبه يوم
القائمة رضى . وفتح روايه ملا الله قلبه امانا وايمانا . وقال ابن عمر رضى الله عنه قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعه اعظم اجرام جرعة غيظ كظمها ابتغا وجه الله
وقال ابن عباس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا
من شفا غيظه محصيه الله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعة احب الى الله تفر
من جرعه غيظ بكظمها عبد . وما كظمها عبد الا ملا الله قلبه ايمانا . وقال صلى الله
عليه وسلم من كظم غيظا وهو بقدر على ان سفده دعاه الله تعالى على روس الخلائق يحثه
في اى الحورشا . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من اتقى الله تعالى لم يشتد غيظه .
ومن خاف الله تعالى لم يفعل ما يريد . ولولا يوم القامة لكان غير ما ترون . وقال
لقمان لابنه يا بني لا تذهب ما وجهك بالمسالة . ولا تشف غيظك بفضحتك . واعرف
قدرك تقنعك معيشتك . وقال ايوب حلم ساعة يدفع شر الكثير . وروى انه
اجتمع سفن الثورى وابو خزيمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا الزهد فاجمعوا
على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب . والصبر عند الطمع . وقال رجل لعمر بن الخطاب
والله ما تقضى بالعدل . ولا تغطي الجزل . فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه . فقال له
رجل يا امير المؤمنين لم تسمع قول الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين .
وهذا من الجاهلين . فقال عمر صدقت . فكما كانت نار فاطميه . وقال محمد بن كعب
بلاث من كن فيه استكمل الالمان . اذا رضى لم يدخله رضاه في الباطل . واذا غضب لم يخرج
غضبه من الحق . واذا قدر لم تناول ما ليس له . وجار رجل الى سليمان فقال له يا عبد الله
اوصني قال لا تغضب . قال لا اقدر . قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك . والله به هو

الموفق والهادي رجعت الى قصة موسى وهرون عليهما السلام قال الله تعالى **والتي**
الاولاح يعني التي فيها التوراة وكان حاملا لها فالقاهما من شدة الغضب **والت** الرواة
واصحاب الاخبار كانت التوراة سبعة اسباع فلما القي موسى الالواح وتكسرت فرفع منها
سنة اسباع وبقي سبع واحد فرفع منها ما كان من اخبار الغيب وبقي ما فيه المواعظ
والاحكام والمحلال والمحرام **واخذ براس اخيه بجره اليه** قلانه اخذ بشعر راسه
ولجيته من شدة غضبه وكان هرون اكبر من موسى ثلاث سنين واحب الي بني اسرائيل
من موسى لانه كان لين الغضب وللعلماء في اخذ موسى براس اخيه اربع تاويلات
الاول ان ذلك كان متعارفا عندهم كما كانت العرب تفعله من قبض الرجل على لحيته
اخيه وصاحبه اكرامه وتعظيما فلم يكن ذلك على طريق الاذلال **الثاني** ان ذلك انما
كان ليשראלية نزول الالواح عليه وذلك لانها نزلت عليه في هذه المناجاة واراد
ان يخفيها عن بني اسرائيل قبل التورية فقال له هارون لا تاخذ بلحيتي ولا براسي
ليلا شتبه براره على بني اسرائيل باذلاله **الثالث** انما فعل ذلك باخيه لانه وقع
في نفسه ان هرون ما يئد مع بني اسرائيل فما فعلوه من امر العجل ومثل هذا لا يجوز
على الانبياء **الرابع** ضم اليه اخاه ليعلم اربة فكره ذلك هرون ليلا يظن بنوا اسرائيل
انه اهانهم فبين له اخوه انهم استضعفوه يعني عبدة العجل وكادوا يقتلونه
فلما سمع موسى عذره قال رب اغفر لي ولاخي اي اغفر لي ما كان من الغضب الذي
القيت من اجله الالواح ولاخي لانه ظنه مقصرا في الانكار عليهم وان لم يقع منه
تقصير اي اغفر لاخي ان قصر قال احسن عبدا وكلم العجل غير هرون اذ لو كان
ثم مؤمن غير موسى وهرون لما اقتصر على قوله رب اغفر لي ولاخي ولدعي لذلك المؤمن
ايضا **وقل** ان موسى استغفر لنفسه من فعله باخيه فعمل ذلك لموجبة عليه
اذ لم يلحقه في عرفه ما جرى ليرجع في تلافاهم ولهذا قال يا هرون ما منعك اذ
رايتهم ضلوا الا تتبعني فبيتر هرون انه انما اقام خوفا على نفسه من القتل وفي الآية
دليل لمن خشي القتل على نفسه عند تغيير المنكر ان يسكت وفيها ايضا دليل على ان

الالواح

الغضب لا يغير الاحكام كما زعم بعضهم فان موسى عليه السلام لم يغير غضبه شامرا
افعاله بد اطردت على مجراها من القابل لوخ وعتاب ايج وصدق ملك وقال
المهدوي ان غضبه كان لله عز وجل وسكوتته عن بني اسرائيل كان خوفا ان سرفقوا
والله اعلم وقال ابن الانباري ان موسى عليه السلام لما رجع ووجد قومه مقميين على
المعصية الكبر ذلك واستغظمه فاقبل على اخيه هرون يلومه ومد يده الى راسه
لشدة موجدته عليه اذ لم يلحق به فيعرفه خبر بني اسرائيل فيرجع وتلا فاهم
فاعلمه هرون انه انما اقام بين اظهرهم خوفا على نفسه من القتل وذلك قول الله
قال ابن امر ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني قرا حمزة والكسائي وابن
عامر قال ابن امير بكسر الميم وقرا البا قوز قال انرام بالفتح قال العلماء انما قال
هرون لموسى ابن امير وان كانا لاب وام ليرققه واستغطفه عليه وفي لفظ اخر
كان ابن امير واييه ولكنها كلمة لين وعطف وقوله استضعفوني اي استدلوني
وقهروني وكادوا يقتلونني اي وهموا ان يقتلونني اي اني لم اجد جهدا في كفهم بالوعظ
والانذار ولكنهم استضعفوني وهموا يقتلني **فلا تسمت بي الاعداء** قال العلماء
اصل الشماتة الفرح ببليية من تعاديه ويعاديك يقال شميت فلان بفلان اذا
سرمكروه نزل به وقال بعضهم في لفظ اخر الشماتة السرور بما يصيب احوال من
المصائب في الدين والدنيا والشماتة بالمومن محرمة منهي عنها وفي الحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لا تظنوا الشماتة باخيك فيعافيه الله وببئلك وكان صلى
الله عليه وسلم يتعوذ من الشماتة ويقول اللهم اني اعوذ بك من سوء القضا ودرر الشقا
وشماتة الاعداء رواه البخاري وغيره وقال الشاعر
اذا ما الدهر جرت على اناس كلاكه اناخ باخرينا
فقل للشامتين بنا ايقوا سيلقي الشامتون كما لقينا
وقرا مجاهد وما لك من دينار فلا تسمت بي الاعداء بنصب التاء وفتح الميم ورفع الاعداء
ومعناها لا تفعل بي ما يسمت بي لاجله الاعداء اي لا يكون ذلك منهم لفعل تفعله

انتبى. ومعنى القراءة الاولى لا تستر الا عدما مثال منى من مكروهه **ولا تجعلنى مع**
القوم الظالمين يعنى الذين عبدوا العجل. وفي لفظ اخر لا تجعلنى قرينا لهم بغضبك
 علي. **ولما اتضح له عذرا حيه قال رب اغفر لي ولاخى** ليرضى اخاه وسقى الشماته
 عنه ما شراكه معه فى الدعاء. والمعنى اغفر لى ما فرط منى فى خواخى. **ولاخى** از قرط
 فى حسن الخلفة. **وفي لفظ اخر اغفر لى ما صنعت الى اخى هرون** يريد ما اظهر
 من الموجدة عليه فى وقت الغضب. **واغفر لاخى هرون** ان كان وقع منه تقصير فى
 الاكثار على عبده العجل **وادخلنا فى رحمتك** اى ادخلنا جميعا فى سعة رحمتك
وفي لفظ اخر ادخلنا فى عصمتك فى الدنيا والاخرة. طلب ان لا تتفرق اعز
 رحمتك. **ولا تزال منتظمة لهما فى الدنيا والاخرة وانت ارحم الراحمين** وهذا فيه
 دليل على الترغيب فى الدعاء. لان من هو ارحم الراحمين بومل منه الرحمة. **وفيه**
تقوية لطمع الداعى فى نجاح طلبته. **قال الله تعالى ان الذين اتخذوا العجل يعنى**
الهما عبدوه من دون الله سينا لهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا يعنى سينا لهم
عقوبة من ربهم وهوان سبب كفرهم وعبادتهم العجل. وذلك فى عاجل الحياه الدنيا.
ثم للمفسرين فى هذه الآلة قولان احدهما ان المراد بالذين اتخذوا العجل اى ناشروا
 عبادته. **وعلى هذا القول فى الآلة سؤال**. وهو ان اولئك الاقوام الذين اتخذوا
 العجل تابوا الى الله بقتلهم انفسهم كما امرهم الله **فتاب عليهم فكيف سنا لهم الغضب والذلة**
مع التوبة. **والجواب** ان ذلك الغضب انما حصل لهم فى الدنيا وهو نفس القتل.
فكان ذلك القتل غضبا عليهم. والمراد بالذلة هو اسلامهم انفسهم للقتل واعتراهم
 على انفسهم بالضلال والخطاه. **فان قيل** السين فى قوله سينا لهم للاستقبال فكيف
 يكون للماضى. **والجواب** ان هذا الكلام انما هو خبر عما اخبر الله به موسى عليه السلام
 حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل. **ثم اخبر الله فى ذلك الوقت انه سينا لهم**
غضب من ربهم وذلة وكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل الذى امرهم الله به
بعد ذلك. **وقال** ابن جرير فى هذه الآلة ان هذا الغضب والذلة لمن مات منهم على

عبادة العجل ولمزفر من القتل وهذا الذي قاله ابن حرج. وان كان له وجه لكن
جميع المفسرين على خلافه. القول الثاني ان المراد بالذير اتخذوا العجل اليهود
الذير كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن عباس رضي الله عنه هم الذير اذ ركوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم. واباؤهم هم الذير عبدوا العجل. و اراد بال غضب عذاب
الآخرة. وبالذلة في الدنيا الجزية. وقال عطية العوفي سينا ل اولاد الذير عبدوا
العجل. وهم الذير كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. و اراد بال غضب ما اصاب
بنى النضر وبنى قريظة من القتل والجلد. وعلى هذا القول ففي بقدر الالة وجهان
الاول ان العرب تعير الابناء بقبايح افعال الاباء. كما تفعل ذلك في المناقب فتقول
للابناء فعلتم كذا. وفعلتم كذا. وانما فعل ذلك من مضي من ابايهم. فكذلك هاهنا وصف
سحانه اليهود الذير كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم اتخذوا العجل.
وان كان اباؤهم فعلوا ذلك. ثم حكم على اليهود الذير كانوا في زمنه بانهم سينا لهم غضب
منهم في الآخرة. وذلة في الحياة الدنيا. الوجه الثاني ان يكون الالة مراب
حذف المضاف والمعنى ان الذير اتخذوا العجل وباشروا عبادته سينا ل اولادهم.
غضب وذلة الى الآخرة. ثم حذف المضاف لدلالة الكلام عليه. وقوله تعالى **وكذلك**
نجزي المفترين يعني وكما جزينا هؤلاء الذير اتخذوا العجل لها. كذلك نجزي كل من
افتكر على الله كذبا او عبد غيره. قال ابو قلابة هي والله جزا كل مفتر الى يوم القامة
ان يذله الله. وقال ابن عيينه هذا في كل مبتدع الى يوم القامة. وقال الامام مالك
ابن اسحاق ما من مبتدع الا وهو مجرد فوق راسه ذلة. ثم قرا هذه الالة قال والمبتدع
مفتر في دين الله تعالى. قوله تعالى **والذين عملوا السيئات** يعني عملوا الاعمال
السيئة. ويدخل في ذلك كل ذنب كبير وصغير حتى الكفر فما دونه **ثم تابوا من بعدها**
يعني هم رجعوا الى الله من بعد اعمالهم السيئة **وامنوا** يعني وصدقوا بالله تعالى وانه يقبل
توبة التائب ويغفر الذنوب **ان ربكم من بعدها الغفور الرحيم** اى ان ربكم من بعد توبتكم
لغفور رحيم يعني انه تعالى يغفر الذنوب ويرحم التائبين. وفي الالة دليل على ان الله تعالى

السبيات بأسرها صغيرة وكبيرها مشتركة في التوبة. وان الله تعالى يغفرها جميعا
 بفضله ورحمته. وتقدير الالة ان من اتى بجميع السبيات ثم تاب الى الله تعالى واخلص
 التوبة فان الله تعالى يغفرها له ويقبل توبته. وهذا من اعظم البشائر للمذنبين
 التائبين. وقال النبي هذا حكم عام يدخل تحته متخذ والعجل وغيرهم. وانه
 تعالى عظم جنايتهم اولا. ثم اردفها بعظيم رحمته ليُعَلِّم ان الذنوب وان عظمت فغفوه
 اعظم **فصل في قول التوبة** اعلم انك اذا فهمت معنى القبول لتشك في ان كل توبة
 صحيحة فهي مقبولة. فالناظرون بنور البصائر المستمدون من انوار القران علموا
 ان كل قلب سليم مقبول ^{عند} الله تعالى. ومتنعّم في الآخرة في جوار الله تعالى. ومستعد لان
 ينظر بعينها الباقيته الى وجه الله تعالى. وعلوم ان القلب خلق سليما في الاصل. وكل
 مولود يولد على الفطرة. وانما تقوته الالة بكل ورة ترهق وجهه من عبثة الذنوب
 وظلمتها. وعلوم ان نار الندم تحرق تلك الغيرة. وان نور الحسنة يحو عن وجه القلب
 ظلمة السوء. وانه لا طاقة لظلام المعاصي مع نور الحسنات. كما لا طاقة لظلام الليل
 مع نور النهار. بل كما لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون. وكما ان الثوب الوسخ
 لا يقبله الملك لان يكون لباسه. فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لان يكون في جواره.
 وكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب. وغسله بالصابون والماء
 احار ينظفه لا محاله. فكذلك استعمال القلب في الشهوات يوسخه. وغسله بما للدموع
 وحرقة الندم ينظفه ويطهره ويتركه. فكل قلب زكى طاهر فهو مقبول. كما ان كل ثوب
 نظيف فهو مقبول. وانما عليك التزكية والتطهير. فاما القبول فبذول قد سبق
 به القضا الا لى الذى لا مرد له. وهو المسمى فلاحا في قوله تعالى قد افلح المؤمنون
 من زكاهم. **ومن** لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة اقوى واجلى من المشاهدة
 بالبصائر القلب يتاثر بالمعاصي والطاعات تاثرا متضادا يستعار لاحدهما
 لفظ الظلمة كما استعار للجهد وستعار للاخر لفظ النور كما استعار للعلم وان
 بين النور والظلمة تضاد ضروري لا يتصور اجمع بينهما فكانت **ه** لم يعرف من الدين

الاقشوره ولم يعقبه الا اسماءه وقلبه في غطا كثيف عن حقيقته الدين بل عن حقيقة
نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو غيره اجهل واعنى به قلبه اذ قلبه
يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره ولا يعرف نفسه فمن يتوهم ان التوبة تفتح ولا تقبل
كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول
الا ان يغرس الوسخ لطول تراكمه في تجاوب الثوب وخلله فلا تقوى الصابون على
قلعه فثال ذلك ان تراكم الذنوب حتى يصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب
لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان ثبت فكون ذلك كقول القصار لسانه
قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب اصلا ما لم تتغير صفة الثوب باستعمال ما يضاف
الوصف المتكمن منه فهذا حال امتناع اصل التوبة وهو غير بعيد بل هو الغالب
على كافة الخلق المقبلين على الدنيا المعرضين عن الله بالكلية وقد ورد في قول التوبة
آيات واحاديث كثيرة منها قول الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال تعالى
غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يبسط يده
بالليل ليتوب مسي النهار وبسط يده بالنهار ليتوب مسي الليل حتى تطلع الشمس من مغربها
وقال صلى الله عليه وسلم من اب قبل ان تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه وقال
صلى الله عليه وسلم للجنة مما بين ابواب سبعة مغلقة وباب للتوبة حتى تطلع الشمس من
مخوه وقال صلى الله عليه وسلم من سعادة المران يطول عمره ورزقه الله الا نابة
وقال صلى الله عليه وسلم كل ابن ادم خطا وخير الخطا بين التوابون وعن معاذ بن
جبل رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اوصني قال علك تقوى الله ما استطعت واذكر
الله عند كل حجز وشجر وما عملت من سوء فاحدث له توبة السر بالسر والعلانية
بالعلانية وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
تاب العبد من ذنوبه انسى الله حفظته ذنوبه وانسى ذلك جوارحه ومعامله من الارض
حتى يلقى الله تعالى يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنوبه وعن ابن عباس رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النادم من ينتظر من الله الرحمة والمعجب

مفوح

تنتظر المقت. واعلموا عباد الله ان كل عامل سيقدم على عمله. ولا يخرج من الدنيا
 حتى يرى حسن عمله وسوء عمله. وانما الاعمال بخواتيمها. والليل والنهار مطيتان.
 فاحسنوا السير عليهما الى الآخرة. واحذروا والشوييف. فان الموت ما في بغته. ولا
 يغتر احدكم بحلم الله عز وجل. فان الجنة والنار اقرب الى احدكم من شراك نعله.
 ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن عمل مثقال
 ذرة شرا يره. وقال صلى الله عليه وسلم التائب من الذنب كمن لا ذنب له. وعن
 عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما علم الله من عبد ندامة. علي
 ذنب الا غفر له قبل ان يستغفره. وروى ان حبشيا قال للنبي صلى الله عليه وسلم
 يا رسول الله اني كنت اعمل الفواحش فهل لي من توبة. قال نعم فولي ورجع وقال يا
 رسول الله اكان يراني وانا اعملها. قال نعم فصحاح الحبشي صحة خرج فيها نفسه.
 وروى ان الله تعالى لما لعن ابليس ساله النظره. فانظره الى يوم القامة. فقال وعزتك
 لا خرجت من قلب ابزادم ما دام فيه الروح. فقال الله تعالى وعزتي لا جئت عنه التوبة
 ما دام فيه الروح. والاحبار في هذا لا تحصى. واما الآثار فقد قال سعيد بن المسيب
 انزل قول الله تعالى فانه كان للاوا بن عفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب
 وقال الفضل بن عياض قال الله عز وجل بشر المذنبين انهم ان تابوا قبلت منهم. وحذر
 الصديق اني ان وضعت عليهم عدلي عذبهم. وقال طلق بن جبيب رضي الله عنه
 ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العبد. ولكن اصحوا تايبين. وامسوا تايبين. وقال
 عبد الله بن عمر رضي الله عنه من ذكر خطية الم بها فوجل منها قلبه محبت عنه في امر
 الكتاب. وقال بعضهم ان العبد ليدنب الذنب فلا يزال ناد ما حتى يدخل الجنة.
 فنقول ابليس لنتي لما وقع في الذنب. وقال جيب بن ابي بابت تعرض على الرجل ذنوبه
 يوم القامة فيمر بالذنب فنقول اما اني قد كنت مشفقا منك. فيغفر الله له.
 وروى ان رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب الم به هل له من توبة. فاعرض عنه ابن
 مسعود. ثم التف اليه فرأى عينيه تذر فان. فقال له ان الجنة مائنه ابواب كلها

تغلو وتفتح الاباب التوبة فان عليه ملكا موكلابه لا يخلق فاعمد ولا تياس ه
وقال عبد الرحمن بن ابي القاسم تذاكرنا مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله عز وجل
ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فقال اني لا رجوا ان يكون المسلم احسن حالا عند الله تعالى
ولقد بلغني ان توبة المسلم كاسلامه بعد اسلامه وقال عبد الله بن سلام رضي الله عنه
لا احد يكلم الا عن نبي اسرائيل او كتاب منزل ان العبد اذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفه
عين سقط عنه اسرع من طرفه عين وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا الي التوابين فانهم
فانه ارقا فيده وقال بعضهم انا اعلم متى يغفر الله لي قل ومتى قال اذا تاب علي ه
ويروى انه كان في نبي اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم
نظر في المرآة فرأى الشب في لحيته فساء ذلك وقال الهي اطعتك عشرين سنة ثم عصيتك
عشرين سنة فان رجعت اليك اتقبلني فسمع قا يلا نقول ولا يركي شخصا اجبتنا
فاجبتناك وتركتنا فتركتناك وعصيتنا فامهلناك وان رجعت الينا قبلناك وقال
ذوالنور المصري ان الله عبادا نصبوا اشجارا خطايا نصب رومان والقلوب وسقوها
بما التوبة فاشمرت ندما وحرنا فجنوا من غير جنون وتبلا وامن غير عي ولا يكلم
وانهم لهم البلغا الفصحا العارفون بالله ورسوله ثم شربوا بكاس الصفا فوثر ثوا الصبر
على طول البلاء ثم تولمت قلوبهم في الملكوت وجالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت
واستظلوا تحت رواق الندم وقرأوا وصحيفة الخطايا فأوثر ثوا انفسهم الجزع حتى
وصلوا الى علو الزهد بسلم الورع فاستعذبوا مرارة الترك للدنيا واستلنا
خشونه المصجع حتى طفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت ارواحهم في
العلا حتى اناخوا في رياض النعيم ففاضوا في بحر الحياة وردوا خنادق الجزع
وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا نفا العلم واستقوا من غدیر الحكمة وركبوا سفينة
الفظنة واقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا الى رياض الراحة ومعدن
العز والكرامة وهذا القدر كاف في بيان ان كل توبة صحيحة مقبولة لا محالة والله
هو الموفق لقبولها قول الله تعالى **ولما سكت عن موسى الغضب** قال الزجاج معناه

سكن وقوى به. لان السكون اصله الامساك عن الشئ. ولما كان السكون بمعنى السكوت
 استعير في سكوت الغضب. لان الغضب لا يكلم لكنه لما كان بفورته دالا على ما في
 نفس الغضب كان بمنزلة الناطق. فاذا سكنت تلك الفورة كان بمنزلة السكوت عزما
 كان متكهما به. وقيل معناه ولما سكنت موسى عن الغضب. فهو من المقلوب. كما تقول
 ادخلت القلنسوة في راسي. والمعنى ادخلت راسي في القلنسوة. والقول الاول اصح لانه
 قول اهل اللغة والتفسير. وقوله **اخذ الالواح** يعني التي القاها **وفي نسختها**
 اي وفيما نسخ فيها. اي كتب بعد ان كسرت. في الالواح الجديدة. والنسخة فُعلة
 بمعنى مفعول. كالمخطبة. والنسخ عبارة عن النقل والتحويل. فاذا نسخت كتابا من
 كتاب حرفا بحرف فقد نسخت ذلك الكتاب. فهو نقلك ما في الاصل الى الفرع. فعلى
 هذا قيل اراد بها الالواح. لانها نسخت من اللوح المحفوظ. وقيل اراد بها النسخة
 المكتتة من الالواح التي اخذها موسى بعد ما كسرت. وقال ابن عباس وعمر بن
 دينار لما التقى موسى الالواح فتكسر صام اربعين يوما فردت عليه في لوجين. وفيها
 ما في الاولى بعينه فتكون نسخها. وعلى قول من قال ان الالواح لم تتكسر واخذها
 موسى بعينها بعد القاها يكون معنى قوله **وفي نسختها**. اي المكتوب فيها **هدى**
ورحمة قال ابن عباس رضي الله عنه يعني هدى من الضلالة ورحمة من العذاب. وقال
 بعضهم ايضا وفي نسختها اي وفي ما بقي منها هدى ورحمة. وذلك انه لم يؤمنها الا سبعها
 وذهب ستة اسباعها. ولكن لم يذهب من الحدود والاحكام شئ. وقوله **للذين**
هم لربهم رهبون يعني للخائفين من ربهم. واعلم ان فضل الخوف تارة يعرف
 بالتأمل والاعتبار وتارة بالابات والاحبار. اما الاعتبار فسبيله ان فضيلة
 الشئ بقدر العناية في الافضا الى سعادة لقاء الله تعالى. اذ لا مقصود سوى السعادة
 ولا سعادة للعبد الا في لقاء مولاه والقرب منه. فكلما اعان عليه فله فضيلة.
 وفضيلته بقدر اعانتته وقد ظهر انه لا وصول الى سعادة لقاء الله في الاخرة الا
 بتحصيل محبته والاسر به في الدنيا. ولا تحصل المحبة الا بالمعرفة. ولا تحصل المعرفة

الابدوام الفكر. ولا يحصل الانس الا بالمحبة ودوام الذكر. ولا تتسر المواظبة الا
على الذكر والفكر الا بانقلاع حب الدنيا من القلب. ولا تنقلع ذلك الا بترك لذات الدنيا
وشهواتها. ولا يمكن ترك المشتبهات الا بقمع الشهوات. ولا تنقمع الشهوات بشي كما
تنقمع بنار الخوف. فالخوف هو النار المحرقة للشهوات. فاذا نفضله بقدر ما تحرق
من الشهوة ويقدر ما يكف عن المعاصي ويحث على الطاعات. ويختلف ذلك باختلاف
درجات الخوف كما سبق. وكيف لا يكون الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع
والتقوى والمجاهدة. وهي الاعمال الفاضلة المحمودة التي تتقرب بها الى الله زلفى.
واما بطريق الاقتباس من الايات والاحبار فما ورد في فضيلة الخوف خارج عن المحصر
وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان.
وهي مجامع مقامات اهل الجنان. قال الله تعالى في هذه الآية هدى ورحمة للذين هم لربهم
يرهبون. وقال تعالى انما خشى الله من عباده العلماء. فوصفهم بالعلم لخشيتهم. وقال
رضي الله عنهم ورضوا عنه. وقال تعالى ذلك لمن خشى ربه. وكل ما دل على فضيلة العلم دل
على فضيلة الخوف. لان الخوف ثمره العلم. ولذلك جاء في خبر موسى عليه السلام. واما الخائفون
فان لهم الرفيق الاعلا. لا يشاركون فيه. فانظر كيف افردهم بمرافقه الرفيق الاعلا وذلك
لان العلماء لهم رتبة مرافقه الانبياء. لانهم ورثه الانبياء. ومرافقه الرفيق الاعلا
الانبياء ومن يلحق بهم. ولذلك لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين
البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله تعالى كان يقول اسألك الرفيق الاعلا. فاذا ان
نظر الى ثمره فهو العلم. وان نظر الى ثمرته فهو الورع والتقوى. ولا يخفى ما ورد في
فضايلهما حتى ان العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة به كما صار الحمد
مخصوصا بالله تعالى والصلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين
والعاقبة للمتقين. والصلاة على سيدنا محمد واله اجمعين. فقد رخص الله تعالى التقوى
بالاضافة الى نفسه فقال تعالى لن نزاله لحومها ولا دماؤها ولكن نزاله التقوى منكم.
واما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق. ولذلك قال تعالى ان اكرمكم عند الله

اتقاكم • ولذلك وصى الله الاولين والآخرين بالتقوى • فقال تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا
 الكتاب من قبلكم واماكم ان اتقوا الله • وقال تعالى وخافوني ان كنتم مؤمنين • فامر سبحانه
 بالخوف وواجبه وشرطه في الايمان • فلذلك لا تصور ان سفركم مؤمنين عن خوف وان
 ضعف • ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وايمانه • وقال النبي صلى الله عليه
 وسلم في فضيله التقوى • اذا جمع الله الاولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت
 يسمع ادناهم كما يسمع اقصاهم • فقال يا ايها الناس اني قد انصت لكم منذ خلقتكم الى يومكم
 هذا • فانصتوا لي اليوم • انما هي اعمالكم ترد عليكم • ايها الناس اني جعلت نساء • وجعلت
 نساء • فوضعت نسبي ورفعتم نسبي • قلت ان اكرمكم عند الله اتقاكم • وايتم الا فلان بن
 فلان • وفلان بن فلان • فاليوم اضع نسبيكم وارفع نسبي • اين المتقون • فنصب للقوم
 لواء فيتبع القوم لواءهم الى منازلهم • فيدخلون الجنة لغر حساب • وقال صلى الله عليه
 وسلم راس الحكمة مخافة الله • وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود رضي الله عنه ان اردت
 ان تلقاني واكثر من الخوف بعدى • وقال الفضيل بن عياض من خاف الله تعالى ذله الخوف
 على كل خير • وقال الشبلي رحمه الله ما خفت الله تعالى يوما الا رات له بابا من الحكمة
 والعبرة ماراشه قط • وقال يحيى بن معاذ ما من مؤمن بعمل سيئة الا وتلحقه حستان
 خوف العقاب ورجا العفو كثعب بين اسدين • وفي خبر موسى عليه السلام ان الله تعالى
 يقول واما الورعون فانه لا يبقى احد الا ناقشته الحساب وفتشت عما في يديه • الا
 الورعين فاني استحييهم واجلمهم ان اوقفهم للحساب • والورع والتقوى اسماي اشتقت
 من معاني شرطها الخوف • فان خلا عن الخوف لم يسم بهذه الاسماي • وكذلك ما ورد
 في فضائل الذكر لا تخفي • وقد جعله تعالى مخصوصا بالخائفين • فقال سبحانه سيدك من
 خشى • وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان • وقال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله
 وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدى خوفين • ولا اجمع له امنين • فاذا امننى في الدنيا
 اخفته يوم القامة • واذا خافنى في الدنيا امنته يوم القامة • وقال صلى الله عليه وسلم
 من خاف الله خافه كل شئ • ومن خاف غير الله خاف من كل شئ • وقال صلى الله عليه وسلم

احسنكم عقلا اشدكم به خوفا واحسنكم فيما امر الله تعالى به ونهى عنه نظرا. وقال يحيى
ابن معاذ رحمه الله مسكين ان زاد من خوف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة. وقال
ذوالنون من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد له حبه وصح له لبه. وقال ذوالنور انما
سبغى ان يكون الخوف ابلغ من الرجاء. فاذا غلب الرجاء تشوش القلب. وكان ابو الحسين
الضريري يقول علامة السعادة خوف الشقاوة. لان الخوف ذمام بن الله وسن عبده. فاذا
انقطع ذمامه هلك مع الهالكين. وقد ليجى بن معاذ من آمن الخلق عدا. قال اشد هم
خوفا اليوم. وقال سهل بن عبد الله لا يجد العبد الخوف حتى ياكل المحلال. وقد
للحسن بن ابي سعيد كيف نضع سجاسا قواما بخوفنا حتى تكاد قلوبنا تطير. فقال انك
والله ان تخالط قوما بخوفونك حتى تذكر كل امر خير لك من ان تصعب قوما يومنونك
حتى تذكر كل خوف. وقال ابو سليمان الدرايني رحمه الله ما فارق الخوف قلبا الا حرب.
وقالت عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله الذي يوتون ما آتوا وقلوبهم وجله هو
الرجل سرق ونزى. قال لا بل الرجل يصوم ويتصدق ويصلي ويحاف ان لا يقبل منه.
والثدييات الواردة في الامن من مكر الله تعالى وعذابه لا ينحصر. وكل ذلك ثنا
على الخوف لان مذمة الشيء ثنا للضده الذي يتقيه. وضد الخوف الامن. كما ان ضد
الرجاء الياس. وكما ان مذمة القنوط على فضيلة الرجاء. فكذلك مذمة الامن
على فضيلة الخوف المضاد له. بل يقول كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل
الخوف لانها متلازمان. فان كل من رجوا محبوبا فلا بد وان يخاف فوته. فان كان لا
يخاف فوته فهو اذا لا حبه. فلا يكون بانتظاره راجيا. فالخوف والرجاء متلازمان.
ستحيل ان يفاك احدهما عن الآخر نعم يجوز ان يغلب احدهما على الآخر وهما
مجتمعان. ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الآخر كحال لغفلته عنه.
وهذا لان من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه. اذ المعلوم لا يرجوا ولا يخاف.
فاذا المحبوب الذي يجوز وجوده بجوز عدمه لا محالة فتقدر وجوده يروح القلب
وهو الرجاء. وتقدر عدمه يوجع القلب وهو الخوف. والتقدير ان يتقابلان لا محالة.

اذا كان ذلك الامر المنتظر مشكوكا فيه . فاذا غلب على النظر وجود المحبوب قوى الرجاء
 وخفي الخوف بالاضافة اليه . وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان . ولذلك قال الله
 تعالى ما لكم لا تحزون به وقارا . اى لا تخافون . وكثيرا ما ورد في القران الرجاء معنى الخوف
 وذلك لتلازمهما . اذ عادة العرب التعبير عن الشئ مما يلزمه . بل يقول كل ما ورد
 في فضل النكاح من خشية الله تعالى فهو اظهار لفضيلة الخشية . فان النكاح شره الخشية .
 وقد قال الله تعالى فليضحكوا قليلا وليلبكوا كثيرا . وقال تعالى ونحرون للاذوار يبكون
 ونريد هم خشوعا . وقال تعالى افمن هذا الحديث يعجبون ويضحكون ولا يبكون . وقال
 النبي صلى الله عليه وسلم ما من عبد نخرج من عينيه دموع وان كانت مثل راس الزباب
 من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله على النار . وقال صلى الله
 عليه وسلم اذا اشعر قلب المؤمن من خشية الله تعالى تحاتت عنه خطاياها كما تتحات عن
 الشجرة ورقها . وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار احد بكي من خشية الله حتى يعود
 اللبن في الضرع . وقال عقبه من عامر للنبي صلى الله عليه وسلم ما الجنة يا رسول الله . قال
 امسك عليك لسانك . وليسعك بيتك . وابك على خطيئتك . وقالت عائشة رضيت الله عنها
 قلت يا رسول الله يدخل الجنة من امتك احد بغير حساب . قال نعم من ذكر ذنوبه فبكي .
 وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة احب الى الله تعالى من قطره دمع من خشية الله . او
 قطرة دم اهرتقت في سبيل الله . وقال صلى الله عليه وسلم اللهم ارزقني عيني هطالتين
 سقمان بذروهما والدمع قبل ان يصير الدمع دما والاضرار من حمرا . وقال صلى الله عليه
 وسلم سبعة نكروا الله يوم لا ظل الا ظله . وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت عيناه .
 وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع ان يبكي فليبك . ومن لم يستطع فليبتاك .
 وكان محمد بن المنكدر اذا بكى مسح وجهه ولحيته من دموعه . ويقول بلغني ان النار
 لا تاكل موضع ما شته الدموع . وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ابكوا . فان
 لم يبكوا اقتباكوا . فوالذي نفسي بيده لو تعلم العلم احدكم لصرخ حتى ينقطع صوته . وصلى
 حتى ينكسر صلبه . وقال ابو سليمان الداراني ما تغرغرت عين بما يها الا لم يرهق وجه

في ظلمه

صاحبها قتر ولا ذلة يوم القامة فان سالت دموعه اطفى باول قطره منها بحار نيران
ولو ان رجلا يبكي في امة ما عذبت ملكا لامة. وقال ابو سلمان البكا يكون من الخوف
والرجا والطرب والشوق. وقال كعب الاحبار والذي يفضي بيده لان ابكي من خشية الله
احب الي من ان تصدق بالف دينار. وروى عن حنظلة رضي الله عنه قال كنا عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة وجلت منها القلوب ودرفت منها العيون
وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فدرت مني المرأة وجركي بيننا من حديث الدنيا فسيت
ما كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنت فيه
وقلت في نفسي قد نافت حتى تحول عني ما كنت منه من الخوف والرقه فخرج وجعل
انا ركي نافت حنظلة فاستقبلني ابو بكر الصديق رضي الله عنه فقال كلا لم تنافق يا
حنظلة فدخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وانا اقول نافت حنظلة نافت حنظلة فقال
صلى الله عليه وسلم كلام نافت حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة
وجلت منها القلوب ودرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فاخذنا في
حديث الدنيا وسيت ما كنا عندك عليه فقال يا حنظلة لو انكم ابداكم على ملك الحاله
لصا فحتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظله ساعة فساعة والاخبار في فضل
الخوف كثيره والله اعلم قوله عز وجل **واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا**
الاختيار افتعال من لفظ الخيار يقال اختار الشئ اذا اخذ خيره وخياره والمعنى
واختار موسى من قومه فحذف كلمة من وذلك شايح في العربية لدلالة الكلام عليه
قال اصحاب الاخبار ان موسى عليه السلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر وكانوا
اشس وسبعين فقال لتخلف منكم رجلا نقتاحوا فقال لمن قعد منكم مثل اجر من خرج
مفعلا يوشع بن نون وكان بن يوفنا. وقال انه لم يجد الا ستين شحا فواحي الله اليه
ان يختار من الشباب عشرا فاخترهم فاصبحوا شيوخا فامرهم ان يصوموا ويتطهروا
ويتطهروا وشابهم ثم ذهب بهم الى ميقات ربه واختلف اهل التفسير في ذلك الميقات
فقال انه الميقات الذي كلمه فيه ربه وسال فيه الروية وذلك انه لما خرج الى طور سيناء

اخذ معه هولا السبعين فلما دنا موسى من الجبل ووقع عليه عمود من الغمام حتى
 احاط بالجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى دخلوا في الغمام
 ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى بامر وسنهاه **افعل كذا لا تفعل كذا**
 فلما انكشف الغمام اقبلوا على موسى وقالوا لنؤمن لك حتى تترك الله جهره فاخذتهم
 الصاعقة وهي المراد من الرجفة المذكورة في هذه الآية **وقال السيد ان الله**
 امر موسى عليه السلام ان ياتي في ناس من بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل
 ووعدهم موعدا فاختر موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميثقات ربه
 ليبتدروا فلما اتوا ذلك المكان قالوا لنؤمن لك يا موسى حتى تترك الله جهره فانك
 قد كلمته فارناه فاخذتهم الصاعقة فماتوا فقام موسى عليه السلام بكى ويدعوا
 الله تعالى ويقول رب ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم رب
 لوشت اهلكتم من قبل واياي **وقال محمد بن اسحق** اختار موسى عليه السلام من بني
 اسرائيل سبعين رجلا الخير فالخير **وقال** انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتكم
 وسلوه التوبة على من تركتم وراكم من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا وشابكم فخرج
 بهم الى طور سيناء لميثقات وقته له ربه وكان لا ياتي الا باذن منه **وعلم فقال**
 السبعون فيما ذكر لي حين فعلوا ما امرهم به وخرجوا معه للقاربة لموسى **اطلب**
 لنا سمع كلام ربنا فقال **افعل** فلما دنا موسى من الجبل ووقع عليه عمود الغمام حتى غشي
 الجبل كله ودنا موسى فدخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان موسى اذا كلمه ربه ووقع
 على جبهته نور ساطع لا يستطيع احد من بني ادم ان ينظر اليه فضرب من دونه بالحجاب
 ودنا القوم حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى بامر وسنهاه
افعل كذا ولا تفعل كذا فلما فرغ اليه من امره انكشف عن موسى الغمام فاقبل اليهم فقالوا
 له لنؤمن لك حتى تترك الله جهره فاخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا
 فقام موسى بناشد ربه ويدعوه ويرغب اليه يقول رب لوشت اهلكتم من قبل واياي
وقال ابن عباس رضي الله عنه كان الله تعالى امر موسى عليه السلام ان يختار من قومه

سبعين رجلا فاختر سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا الله ان
قالوا اللهم اعطنا ما لم نعط احدنا قبلنا ولا تعطه احدنا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم
فاخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وقيل انما اخذهم الرجفة
من اجل انهم ادعوا على موسى انه قتل هارون قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه انطلق
موسى وهرون الى سفح جبل فقام هرون على سريره فوفاه الله فلما رجع موسى الى بني
اسرايل والواله انت قتلته حسدنا على خلقه ولينه وكان هرون حسن الخلق
محببا في بني اسرايل فعاق لهم موسى اختاروا من شتم فاختروا سبعين رجلا فلما
انتهوا اليه قالوا يا هرون من قتلك قال ما قتلني احد ولكن الله توفاني فاخذتهم
الرجفة فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ويقول يا رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي
الآية قال فاحياهم الله عز وجل وقيل انما اخذهم الرجفة لتركهم فراق عبدة
العجل لانهم كانوا من عبدة قال ابن عباس انما تلتنا ولتم الرجفة لانهم لم يزلوا
القوم حين نصبوا العجل وقد كرهوا ان يجامعوه عليه قال ابن جرير فلما خرجوا
ودعوا الله امامتهم ثم احياهم وقال مجاهد واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا
والميقات الموعد فلما اخذتهم الرجفة بعد ان خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون
الله تعالى وسالونه ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى انهم قد اصابوا من المعصية
ما اصاب قومهم وقال محمد بن كعب القرظي لم يستجب لهم من اجل انهم لم يهتدوا عن
المنكر ولم يامرهم بالمعروف فاخذتهم الرجفة فماتوا ثم احياهم الله تعالى وروى
ابو بكر بن ابي شيبة بسند عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال انطلق موسى وهرون
وانطلق شبر وشبير وهما ابنا هرون وانتهوا الى جبل فنه سرير فقام عليه
هرون فقبض روحه فرجع موسى الى قومه فقالوا انت قتلته حسدنا على لينة وعلى
خلقته قال كيف اقلته ومعى ابناه قال فاختروا من شتم فاختروا من كل سبط
عشره قال فذاك قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فانتهوا اليه
فقالوا من قتلك يا هرون قال ما قتلني احد ولكن الله توفاني قالوا يا موسى ما نعصى

اى موسى

فاخذتم الرجفة فجعلوا يرددون سمينا وشمالا . ويقول لو شئت اهلكتم من قبل
واياى . اهلكنا بما فعل السفهانا . ان هي الا فتشك . قال فدعا الله فاحياهم وجعلهم
انبياء . **وقل** اخذتم الرجفة لقولهم ارنا الله جهره . **وقل** انما اخذتم الرجفة
لانهم لم ينهوا من عبد العجل . ولم يرضوا عبادته . **وقل** ان هولاء السبعين غير
من والوا ارنا الله جهره . **وقال** وهب ما ماتوا . ولكن اخذتم الرجفة من الهيبة
حتى كادت ان تبين مفاصلهم . وخاف موسى عليهم الموت . **وقيل** ماتوا يوما وليله . **وقيل**
غير هذا في معنى اخذهم بالرجفة . والله تعالى اعلم بحقيقة حالهم . **وقوله تعالى فاما**
اخذتم الرجفة قال العلماء اصل الرجف الاضطراب الشديد الذي حصل معه التغير
او الهلاك . ولهذا اختلفوا في تلك الرجفة التي حصلت لهؤلاء هل كان معها موت ام لا .
فمعظم الروايات التي تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة . **وقال** وهب بن منبه
لم تكن تلك الرجفة موتا . ولكن القوم لما راوا تلك الهيبة اخذهم الرعدة وقلقوا
ورجفوا حتى كادت ان تبين مفاصلهم . فلما راي موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت .
واشد عليه فقد هم . وكانوا له وزرا على الخير سامعين مطيعين . فعند ذلك دعا موسى
وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك الرجفة . فاطمانوا وسمعوا كلام الله . فذلك قوله
فلما اخذهم الرجفة **قال** اى قال موسى عليه السلام **رب اى بارب لو شئت اهلكتم من قبل**
بمعنى من قبل عبادتكم العجل **واياى** وذلك انه خاف ان يتهمه بنوا اسرائيل على السبعين
اذا رجع اليهم وما هم معه ولم يصدقوه بانهم ماتوا . **فقال** رب لو شئت اهلكتم بمعنى
قل خروجهم الى المنقات . **واياى معهم** فكأن بنوا اسرائيل يعاينون ذلك ولا يتهمونى .
اتهلكنا بما فعل السفهانا **قال** الفرائض موسى انهم اهلكوا ما اتخذوا اصحاب العجل
العجل . **فقال** اهلكنا بما فعل السفهانا . بمعنى عبدة العجل . وانما اهلكوا بسبب مسالمتهم
الروية . وهو قولهم ارنا الله جهره . وهذا قول الكلبى وجماعة . **وقال** جماعة من
اهل العلم لا يجوز ان ينظر بموسى ان الله تعالى يهلك قوما بذنوب غيرهم . ولكن اهلكنا
بما فعل السفهانا استفهام بمعنى الحمد . اى لست تفعل ذلك . وهذا قول ابن البارى .

وهو كثير في كلام العرب. واذا كان نقياً كان معنى الاجاب. كما قال الشاعر
الستم خير من ركب المطايا. واندي العالمين بطون راج.
وقال المبرد هذا استفهام استعطاف. اي لا تهلكنا. وقد علم موسى ان الله لا
يهلك احداً بذنب غيره. ولكنه كقول عيسى عليه السلام ان تعد بهم فائهم عبادك. وقوله
ان هي الافتتنك قال الواحدي الكتاب في هي ترجع الى الفتنة. كما نقول ان هو الا يزيد.
والمعنى ان تلك الفتنة التي وقع فيها السفها لم يكن الا فتك. اي اختيارك وابتلاوك.
وهذا تأكيد لقوله اهلك كما فعل السفها منا. لان معناه لا تهلكنا بفعلهم. فان تلك
الفتنة كانت اختياراً منك وابتلاءً اضلت بها قوماً فافتنوا. وهدت قوماً فغصتهم
حتى ثبتوا على دينك. وهو المراد من قوله **تضل بها من يشاء وتهدى من يشاء** قال
الواحدي وهذه الالة من كبح الظاهرة على القدرة. التي لا يبقى لهم معها عذرا **انت ولينا**
بمعنى انت بارنا ناصرنا وحافظنا. وهذا بقيد المحضر. اي لا ولي لنا ولا ناصر ولا حافظ
الا انت **فاغفر لنا** قال العلماء سال موسى عليه السلام لنفسه ولقومه الغفران. اما
لنفسه فلقوله ان هي الافتتنك. وهذا فانه اقدم على الحضرة المقدسة. واما
لقومه فلقولهم اربنا الله جهرة. وفي هذا اقدم على الحضرة المقدسة فلهذا السبب
سال موسى الغفران له ولقومه. وقوله **وارحمنا** اي واشملنا برحمتك التي وسعت كل
شي **وانت خير الغافرين** يعني ان كل من سواك انما يغفر الذنب طلباً للثنا الجميل.
اولدفع ضرره. واما انت بارب فتغفر ذنوب عبادك. لا لطلب عوض ولا عرض. بل
لمحضر الفضل والكرم. فان خير الغافرين **قوله تعالى واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة**
وفي الآخرة يعني قال موسى عليه السلام في دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة.
اي واجعلنا ممن كتب له حسنة. وهي ثواب الاعمال الصالحة. و**البعصم** واكتب لنا.
بمعنى واثبت لنا واقسم لنا في هذه الدنيا حسنة اي عافيةً وحياة طيبة. او توفيقاً في
الطاعة. وفي الآخرة الجنة **انا هدنا اليك** قال ابن عباس معناه اتا ثبنا اليك. وهذا
قول جميع المفسرين. واصل اليهود الرجوع برفق. قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان

اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخ شريعتهم صار اسم ذم وهو لا زمر لهم وقال بعضهم
 يقال هاد الرجل يهود اذا رجع وتاب واليهود جمع هايد والهاد هو التائب
 وانشد بعضهم

يا ركب الذنوب هُدْ هُدْ واسجد كما نك هُدْ هُدْ

قال **عذابي اصيب به من اشأ** يعني قال الله عز وجل لموسى عليه السلام عذابي اصيب به
 من اشأ من خلقي وليس لاحد على اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف في خالص
 ملكه وليس لاحد عليه اعتراض **ورحمتي وسعت كل شيء** يعني ان رحمة سبحانه وتعالى
 عمت خلقه كلهم لانها لانها لانهما لها ومن دخل فيها لم تجز عنه وقال بعضهم هذا
 من العام الذي به الخاص فرحمة الله عمت الابر والفاجر في الدنيا وهي للمؤمن خاصة
 في الآخرة وقبل للمؤمن خاصة في الدنيا والآخرة ولكن الكافر رزق ويدفع عنه
 ببركة المؤمن لسعة رحمة الله تعالى له فاذا كان يوم القامة وجب للمؤمن خاصة
 قال جماعة من المفسرين لما نزلت **ورحمتي وسعت كل شيء** تطال اليها ابليس وقال انا
 من ذلك الشيء فنزعها الله من ابليس بقوله **فساكتها للذين يسقون ويوتون الزكاة**
والذين هم باياتنا يؤمنون فابليس ابليس منها وطالت اليهود نحن شقي ونوتى الزكاة ونومن
 بايات ربنا فنزعها الله من اليهود واشبهت هذه الامة بقوله الذين يشعرون الرسول
 النبي الامي الالة وقال نوف البكاي لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا قال الله
 لموسى اجعل لك الارض مسجدا وطهورا تفلون حيث ادركتكم الصلاة الا عند مرض
 او حمما وقبر واجعل السكينة في قلوبكم واجعلكم بصراون التوراة عن ظهر قلوبكم
 نقرأها الرجل والمرأة والحرة والعبد والصغير والكبير فقال ذلك موسى لقومه
 فقالوا لا نريد ان نصلي الا في الكمايس ولا نستطيع حمل السكينة في قلوبنا ولا نستطيع
 ان نقرأ التوراة عن ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقرأها الا نقرأ قال الله تعالى فساكتها
 للذين يسقون الى قوله اولادهم المفلحون فجعلها الله تعالى لهذه الامة فقال
 موسى رب اجعلني نبيا قال نبيا منهم يا موسى قال رب اجعلني منهم قال تعالى

انك لن تدركهم قال موسى يا رب اثبتك بوفد بني اسرائيل فجعلت وفادتنا لغربنا
فانزل الله عز وجل ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضى موسى عليه السلام
قال نواف البكالي فاحمد والله الذي جعل وفادة بني اسرائيل لكم **واما** التفسير
فقوله تعالى فساكنتها للذين يسقون **يعني** يسقون الشرك وسائر ما انفوا عنه لان جميع
الكالف محصورة في نوعين **الاول** التروك وهي الاشياء التي يجب على الانسان تركها
والاحترار عنها ولا تقربها **والية** الاشارة بقوله الذين يسقون **والثاني** الافعال
المامور بها **وتلك** الاعمال بدنية اوقلبية **اما** البدنية **فالمها** الاشارة بقوله
ويوتون الزكاة وهذه وان كانت في حق المال لكن تختص البدن باخراجها **والاعمال**
القلبية هي الايمان والمعرفة **والية** الاشارة بقوله والذين هم باياتنا يؤمنون
وقال عطية العوفي في قوله ورحمتي وسعت كل شيء **قال** ولكنها لا تجب الا للمتقين
وذلك ان الكافر يرزق ويدفع عنه بالمومن لسعة رحمة الله للمومنين فيعيش فيها
فاذا صار الى الآخرة وجب للمومنين خاصة **كالمستضي** نار غيره اذا ذهب صاحب
السراج بسراجه **قوله** عز وجل **الذين يتبعون الرسول النبي الامي** هذه الالفاظ
كما ذكرنا اخرجت اليهود والنصارى من الاشتراك الذي يظهر في قوله فساكنتها للذين
تسقون وخلصت هذه العدة لامة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذا قول ابن عباس
وسعيد بن جبير وغيرهما **وقوله** الذين يسعون الرسول **يعني** في شرعه ودينه وما جابه
والرسول والنبي اسمان لمعنيين فان الرسول اخص من النبي **وقدم** الرسول اهتماما للمعنى
الرساله **والا** فعنى النبوة هو المتقدم **ولذلك** رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على البراء
ابن عازب حين قال امنت بخابك الذي انزلت ورسو لك الذي ارسلت **فقال** له قل
وبنيك الذي ارسلت **وايضاً** في قوله ورسو لك الذي ارسلت تكرر الرساله فيكون المعنى
واحد فنصر كالحشو الذي لا فائدة فيه **مخلاف** قوله وبيك الذي ارسلت **فانما**
لا تكرر فيهما **وعلى** هذا فكل رسول نبي **وليس** كل نبي رسولا **لان** الرسول والنبي قد
اشتركا في امر عام **وهو** النبا **وافترقا** في امر وهي الرسالة **فاذا** قلت محمد رسول

من عند الله تضمن انه نبي ورسول. وكذلك من الانسا صلوات الله عليهم وقوله الاتي
 هو منسوب الي الامة الامية التي هي اصل ولادتها. اي لم يتعلم الكتابة ولا قرا بها.
 قال ابن عباس رضي الله عنه كان نبيكم صلى الله عليه وسلم لا يكتب ولا يقرا ولا حسب. قال
 الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك. وروى الصحيح عن ابن
 عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا امة امية لا نكتب ولا نحسب الحث
 وقل معنى الامي اي منسوب الي امر القري وهي مكة حرسها الله. وذكر الامام فخر الدين
 الرازي في معنى هذه التبعيه وهو قول الذين يتبعون الرسول الى اخره وجهين احدهما ان
 المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا صفة في التوراة اذ لا يجوز
 ان يتبعوه في شرايعه قبل ان يبعث الى الخلق. قال وفي قوله تعالى والابجيل ان المراد
 وسجدونه مكتوبا في الابجيل لان من المحال ان يجدوه فيه قبل ما انزل الله الابجيل
 الوجه الثاني ان المراد من نحو من بني اسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فبين تعالى ان هؤلاء الاحقيس لا نكت لهم رحمة الاخرة الا اذا اتبعوه. قال وهذا
 القول اقرب لان اتباعه قبل ان يبعث لا يمكن فبين سبحانه بهذه الالة ان هذه
 الرحمة لا تفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى وآتى الزكوة وآمن بالايات في زمن موسى
 ومن كانت هذه صفته في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك متبعا للنبي
 صلى الله عليه وسلم في شرايعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتبعون
 الرسول من بني اسرائيل خاصة. وجمهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد بهم
 جميع امته الذين امنوا به واتبعوه سواء كان من بني اسرائيل او غيرهم. واجمع المفسرون
 على ان المراد بقوله الذين يتبعون الرسول هو سيدنا ونسبنا محمد صلى الله عليه وسلم وصفه
 لكونه رسولا. لانه الواسطة بين الله وبين خلقه. المبلغ رسالاته واوامره ونواهيته
 وشرايعه اليهم. ثم وصفه بكونه نبيا. وهذا ايضا من اعلا المراتب واشرفها.
 وذلك يدل على انه رفيع القدر والدرجة عند الله المخبر عنه. ثم وصفه بالامي.
 قال ابن عباس رضي الله عنه هو نبيكم صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يكتب ولا يقرا ولا حسب

وقال الزجاج في معنى الامي هو الذي على صفة امة العرب لان العرب اكثرهم لاكتت ولا
نقرا ولا حسب فالنبي صلى الله عليه وسلم كان كذلك ولهذا وصفه الله تعالى بكونه اميا
وصح في الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال نحن امة امية لانكتت ولا حسب قال اهل
التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان اميا فهو من اكرم معجزاته واعظمها وببينا انه
انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا الكتاب العظيم الذي اعجز الخلائق فصاحته وبلاغته وكان
نقراوه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان منه ولا تغيير فدل ذلك
على معجزته وهو قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى وقد انه لو كان بحسن الكتابة
ثم انه اتى بهذا القرآن العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه ونقله عن غيره
فما كان اميا واتى بهذا الكتاب العظيم الذي فيه علم الاولين والاخرين والمغيبات
دل ذلك على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وايضا فان الكتابة تغير الانسان على
الاشتغال بالعلوم وتحصيلها ثم انه اتى بهذه الشريعة الشريفة والاداب الحسنة
مع علوم كثيرة وحقايق دقيقة من غير مطالعة كتب والاشتغال على احد ذلك
على كونه معجزة له صلى الله عليه وسلم وقد في معنى الامي الذي هو منسوب الى امته
كانه لم يخرج بعد عن ما ولدته وقد سمي اميا لانه منسوب الى ام القرى كما قدمنا
في القول الاول وقوله تعالى الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
يعني يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبة عندهم يعرفها علماءهم واجبارهم ولكنهم
كتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا منهم له وخوفا على زوال رياستهم وقد حصل لهم
ما كانوا يخافونه فقد زالت رياستهم ووقعوا في الذل والهوان وروى البخاري
عن عطاء بن يسار قال لقيت عبدا لله من عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله
صلى الله عليه وسلم في التوراه فقال اجل انه لم يوصف في التوراه ببعض صفته في القرآن
ما بها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للامين انت عبدك ورسولي
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسنة السنة
ولكن يعفوا ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجا بان يقولوا لا اله الا الله

وفتح به اعيانها. واذانها. وقلوبها غلظا. شرح غريب الفاظ هذا اكد. قوله ليس بفظ. اللفظ السي الخلق. والغلظ هو الجاف في القاسي. وقوله ولا سخار بالسين والصاد. وهو الكسر الصياح في الاسواق. وقوله حتى تقوم به المله العوجا. والملة العوجا هو الكفرة. والقلب الاغلف هو الذي لا يصل اليه شئ سفعة. شبهه بالاغلف كانه في غلاف. وروي البغوي سنده عن كعب الاحبار قال اني اجد في التوراة مكتوبا محمد رسول الله لافظ ولا غليظ. ولا سخاب في الاسواق. ولا جزى بالسيئة. ولكن بعفوا وصفح. امته احامدون محمدون الله في كل منزلة. ويكبرونه على كل نجد. ماترزون على انصافهم. ويوضيئون اطرافهم. صنفهم في الصلاة. وصفهم في القتال سوا. مناديم نادى في جوالسما. لهم في خوف الليل دوي كدوي النحل. مولده بمكة. ومهاجره بطيبة. وملكه بالشام. وفي رواية عن ابن اسحق ولا صخب في الاسواق. ولا مترن بالفحش. ولا قوال للحناء. اسدده لكل جميل. واهب له كل خلق كريم. واجعل السكنة لباسه. والبر شعاره. والتقوى ضميره. والحكمة معقوله. والصدق والوفا طبيعته. والعفو والمعروف خلقه. والعدل سيرته. والحقو شرعته. والهدى امامه. والاسلام ملته. واحمد اسمته. اهدي به بعد الضلاله. واعلم به بعد الجهالة. وارفع به بعد الخماله. واسمى به بعد النكره. واكثر به بعد القلة. واعنى به بعد العيلة. واجمع به بعد الفرقة. واولف به بين قلوب مختلفة. واهو امسشتة. وامم متفرقه. واجعل امته خيرامة اخرجت للناس. وفي حديث اخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التوراة عبدي احمد المختار. مولده بمكة. ومهاجره بالمدننة. اوقال طيبة. امته احتمدون الله على كل حال. وزاد كعب الاحبار في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مولده بمكة. وهجرته بطابه. وملكه بالشام. وامته حمادون محمدون الله على كل حال. وفي كل منزل. يوضيئون اطرافهم. ويترزون الى انصاف سوقهم. رعاة الشمس. يصلون الصلاة حيث

7
ما ادركتهم. ولو على ظهر الكناسه. صفهم في القتال كصفهم في الصلاة. ثم قال ان الله
حب الذين يقابلون في سبيله صفا كما هم بنيان مرصوص. **وروي** الواقدى رحمه الله
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأل ابا مالك عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في النبوة.
وكان من علمنا اليهود. فقال صفته في كتاب بنى هرون الذي لم يغير ولم يبدل
احد من ولد اسمعيل بن ابراهيم. وهو آخر الانبياء. وهو النبي الامي العزبي الذي
ياتي بدن ابراهيم الحنيف. ياتزر على وسطه. بغسل اطرافه. وهو في عينيه حمرة.
ويشك فيه خاتم النبوة مثل زرا كجمله. ليس بالقصير. ولا بالطويل. ويلبس الشملة.
ويجتزى بالبلغة. ويركب الحمار. ويمشي في الاسواق. معه حرب وقتل وسبي.
سيّفه على عاتقه. لا يبالى من لقي من الناس. معه صلاة لو كانت في قوم نوح لما اهلكوا
بالطوفان. ولو كانت في عاد ما اهلكوا بالريح. ولو كانت في ثمود ما اهلكوا بالصيحة.
مولده بمكة. ومنشأه بها. ودار هجرته يثرب. بين حرة ونخل. وهو امي. لا
يكتب بيده. وهو الحماذ يحمده الله على كل شدة ورحا. سلطانه بالشام. صاحبه
من الملائكة جبريل. يلقي من قومه اذكى شديدا. ويحبّهونه جبهاشديدا.
ثم يبدل على قومه فحصدهم حصدا الجرس. يكون له وقعات يثرب. منها له.
ومنها عليه. ثم تكون له العاقبة بعد. معه اقوامهم الى الموت اسرع من الماء في
راس الجبل الى اسفله. صدورهم اناجيلهم. قربانهم دماؤهم. ليوت النهار.
ورهبان الليل. يرعب منه عدوه مسيرة شهر. يباشر القبال نفسه. حتى
يجرح وتكلم. لا شرط معه. ولا حرس بحرسه. صلوات الله وسلامه عليه. ن
وقوله. **يا مرهم بالمعروف** يعني بالايمان وتوحيد الله تعالى. **وقل** يا مرهم خلع
الانذار وانصاف العباد. **وقل** خلع الانذار ومكارم الاخلاق **وسنهاهم عن المنكر**
يعني عن الشرك بالله. **وقل** المعروف ما عرف في الشريعة والسنة. والمنكر ما لا
يعرف في شريعة ولا سنة **ويجل لهم الطيبات** يعني بذلك ما كان محرما عليهم في التوراة
من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر. **وقل** هو ما كانوا

حرمونه على انفسهم في الجاهلية من الجحائر والسوايب والوصايل والكماي وقيل
 هي المستلذات التي تستطسها الانفس وقال بعضهم الطيب ما طاب في الشريعة
 مما ذكر اسم الله عليه من الذبايح وما خلا كسبه من السحت **وحرم عليهم الخبايث**
 قال ابن عباس رضي الله عنه يريد الميتة والدم ولحم الخنزير وقيل هو كل ما
 يستخبثه الطبع وتستفدرة النفس فان الاصل في المضار الحرمه الاماله
 دليل منفصل بالحل وقال بعضهم الخبايث ما خبث في الحكم كالربا والرثوة
 وخوفا من المكاسب الخبيثة **ويضع عنهم اصرهم** يعني ثقلهم واصل الاصر الثقل
 الذي ياصر صاحبه اي يحسه عن الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العمد
 والمثاق الذي اخذ على بني اسرائيل ان يعملوا بما في التوراة من الاحكام وكانت
 تلك شديده **والاغلال التي كانت عليهم** يعني ويضع الاثقال والشدايد التي كانت
 عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطية
 وقرض النجاسة عن البدن والثوب بالمقراض وتعيين القصاص في القتل وتحريم
 اخذ الدية وترك العمد في السبت وان صلاتهم لا تجوز الا في الكنايس وتتبع العرو
 من اللحم وغير ذلك من الشدايد التي كانت على بني اسرائيل شبهت بالاغلال مجازا
 لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت بالاغلال
 التي تجمع اليد الى الغنم كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذا لا تمتد
 الى الحرام التي نهى عنه وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه السلام
 فلما جابني محمد صلى الله عليه وسلم نسخ ذلك كله ويديل عليه قوله صلى الله
 عليه وسلم بعث بالحنيفيه السهلة السمحة وقال بعضهم ايضا ومن الاثقال التي
 كانت على اليهود ترك الاشغال يوم السبت فانه روي ان موسى عليه السلام راي
 يوم السبت رجلا يحمل قصبا فضرب عنقه قال المفسرون ولم يكن في بني اسرائيل
 الدية وانما كان القصاص وامروا بقول انفسهم علامة لتوهم الى غير ذلك فشبته
 ذلك بالاغلال كما قال **الساعر**

فليس كعهد الدار بدار ما لك؛ ولكن احاطت بالرقاب السلاسل؛
وعاد الفتى كالكلب ليس يقايل؛ سوى العذل شيئا فاستراح العواذل؛
فشبه حدود الاسلام وموانعه عن التخطي الى المحظورات بالسلاسل المحيطان بالرقاب
ومن هذا المعنى قول ابي احمد بن حنبل لا يبي سفين
اذ هبت بها اذ هبت بها؛ بطوقها طوق الكمامة؛
اى لزمك عارها يقال طوف فلان كذا اذ لزمه
وقرأ ابن عامر ويضع عنهم اصابهم باجمع؛ مثلا اعمالهم فجمعه لاختلاف ضروب
المآثم؛ وقرأ الباقر بالتوحيد؛ لانه مصدر يقع على القليل والكثير من جنسه مع
افراد لفظه والله اعلم وقوله تعالى **فالدنيا منوابة** يعنى سدا محمد صلى الله عليه وسلم
فالايمان به واجب متعين لا يتم ايمان الا به؛ ولا يصح الاسلام الا معه؛ قال الله تعالى ومن
لم يؤمن بالله ورسوله فانا نعتد بالكافرين سعييرا؛ وعن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ويؤمنوا بي
وبما جئت به؛ فاذا فعلوا ذلك عصمت امني دماهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله
قال القاضي عياض رحمه الله الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته ورسالته
الله له في جميع ما جاء به وما قاله؛ ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان
بانه رسول الله؛ فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان
ثم الايمان به والتصديق له كما ورد في هذا الحديث بنفسه من رواية عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وقد زاده وضوحا في حديث جبريل عليه السلام اذ قال اخبرني عن الاسلام قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهدان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر ان
الاسلام ثم ساله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله احدث
فقد قرر صلى الله عليه وسلم ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام به
مضطر الى النطق باللسان وهذه هي الحال المحموده التامة؛ **واما الحال المذمومة**

فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جازك
 المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله شهيد ان المنافقين
 لكاذبون اى كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه
 فلما لم يصدق ذلك ضمائرهم لم يسمعهم ان يقولوا بالستيم ما ليس في قلوبهم فخرجوا
 عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين في
 الدرر الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام ما ظهروا به شهادة اللسان في احكام
 الدنيا المتعلقة بالامة وحكام المسلمين لذر احكامهم على الطواغر مما اظهره من
 علامات الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السراير ولا امروا بالبحث عنها
 بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذر ذلك وقال فلا شقت عن قلبه
 والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل الشهادة من الاسلام
 والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان بين هذين احدهما ان يصدق
 قلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من
 من تمام الايمان القول والشهادة به وراه بعضهم مونا مستوجبا للجنة لقول
 النبي صلى الله عليه وسلم نخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم
 يذكر سوى ما في القلب وهذا مومن بقلبه غير عاص ولا مفطر بترك غيره وهذا
 هو الصحيح في هذا الوجه **الثانية** ان يصدق بقلبه ويطول مهلة وعلم ما
 يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة فهذا اختلف
 فيه ايضا فقل هو مومن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص
 بتركها غير مخلد وقيل ليس بمومن حتى يفارق عقده شهادة اللسان اذ
 الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يصح التصديق
 مع المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وقوله تعالى **وعزروه** يعنى وقروه وعظموه
 واصل التعزير المنع والنصرة وتعزير النبي تعظيمه واجلاله ودفع الاعداء عنه
 ونظر هذه الالة قوله تعالى ويعزروه وبوقروه الالة قال ابن عباس يعزروه اى

بجلوه • وقال المبرد بعزروه سالغوا في تعظيمه • وقال الاخفش بصرونه • وقال
الطبري بعينونه وفركي وتعززوه بزايين من العز • ونهى سبحانه عن التقديم بين يديه
بالقول وسؤال الادب لسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره • وقال سهل بن عبد الله
لا تقولوا قبل ان يقول • واذا قال فاستمعوا له وانصتوا • ونهى عن التقدم والتعجل
بقضا امر قبل قضايه فيه • وان يفتاتوا بشي من ذلك في قتال او غيره من امردينهم
الا بامره ولا سبقوه به • والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي
والثوري رحمهم الله • ومما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم في تعظيمه وبوقيره امرور
اشتهر ذكره • ومن ذلك ما حدث ثريد بن ابي حبيب عن ابن شماسه المهرقي قال حضرنا
عمر بن العاص وهو في ساقه الموت فبكي ثم حول وجهه الى الجدار فذكر حديثا طويلا
وفيه وما كان احدا يحب الى من سؤل الله صلى الله عليه وسلم • ولا اجل في عيني منه •
وما كنت اطيعون اذ املا عيني منه • وروى الترمذي عن انس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيم ابوبكر
وعمر • فلا يرفع احد منهم اليه بصره • الا ابوبكر وعمر • فانما كانا ينظران اليه وينظر
اليهما • ويتبسمان اليه • ويتبسم اليهما • وروى اسامة بن شريك رضي الله عنه قال اتيت
النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله جلوسا كما نما على رؤسهم الطير • وروى عمرو
ابن مسعود الثقفي رضي الله عنه حين وجهته قرش عام القضية الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وراى من تعظيم اصحابه له ما راى • وانه لا يتوضا الا ابتدروا وضوه وكادوا
تقتلوه عليه • ولا صوت يوافقا ولا تتخمر تخامة الا بلقوها باكفهم فدلوا بها
وجوههم واجسادهم • ولا سقط منه شعرة الا ابتدروها • واذا امرهم بامر ابتدروا
امره • واذا تكلم خفوا اصواتهم عنده • وما تحدثون اليه النظر عظيماله • فلما
رجع الى قرش قال يا معشر قرش اني جئت كسرى في ملكه • وقبصر في ملكه • والنجاشي
في ملكه • واني والله ما زلت ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه • وفي رواية ان زانت
ملكاً قط بعظمه اصحابه ما عظم محمداً اصحابه • وقد رأت قوما لا سلمونه ابداً

طويلا

وعن اسر رضي الله عنه قال لقد رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه
 واطاق به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجله ومن هذا ايضا
 لما اذنت قرش لعثمان بن عفان في الطواف بالبيت حين وجهه رسول الله صلى الله
 عليه وسلم اليهم في القضية اُني وقال ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وفي حديث طلحة رضي الله عنه ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والوالاعراب
 جاهل سلة عمر رضي عنه وكانوا بها بونه وبوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ
 طلع طلحة رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من قضي خبئه وفي
 حديث قيله فلما رأت النبي صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء اُرعدت من
 الفرق وذلك بعظيماله وهيبه وفي حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه كان
 اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرعون بابها بالاطافير وقال البراء بن عازب
 رضي الله عنه لقد كنت اريد ان اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاوخر
 سنين من هيبته واعلم رحمك الله ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
 وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره وذكر حديثه
 وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة اله وعترته وتعظيم اهله بيته وصحابته
 قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مومن متى ذكره او ذكر عنده ان يخشع ويخضع
 وتوقر ويسكن من حركته وياخذ في هيبته واجلاله مما كان ياخذ به نفسه لو
 كان بين يديه ويتادب مما ادبنا الله به قال القاضي عياض رحمه الله وهذه
 كانت سيرة سلفنا الصالح وابتدنا الماض رضي الله عنهم من ذلك ما روى يعقوب
 ابن اسحق بن ابي اسرايل عن ابن حنبل قال ناظر ابو جعفر المنصور الامام مالك بن
 انس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الامام مالك يا امير المؤمنين
 لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم
 فوق صوت النبي الاله ومدح قوما فقال ان الذين يعضون اصواتهم عند رسول الله
 الية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون الاله

وان حرمة ميتا كحرمة حيا. فاستكان لها ابو جعفر. وقال يا ابا عبد الله استقبل
القبلة وادعوا. اما استقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال ولم تصرف وجهك عنه
فهو وسيلتك ووسيلة ابيك ادم عليه السلام الى الله يوم القيامة. بل استقباله
واستشفع به فيشفعك الله. قال الله تعالى ولوانهم اذ ظلموا انفسهم جاؤا واستغفروا
الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله بوابا رحيمًا. وقال الامام مالك وقد سئل
عن ايوب السخيتياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه. قال وجم حجتين فكننت
ارمقه فلا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه. فلما
رايت منه ما رايت واجلا له النبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه. وقال مصعب بن
عبد الله كان الامام مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم تتغير لونه ويحني حتى يصعب
ذلك على جلسائه. فقل له يوما في ذلك. فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم علي ما ترون.
لقد كنت اري محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لانكاد نساله عن حديث الا يبكي حتى
ترحمه. ولقد كنت اري جعفر بن محمد وكان كثير الدعاية والتبسم فاذا ذكر عنده
النبي صلى الله عليه وسلم اصفر لونه وما رايتته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا على طهارة. ولقد اختلف اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال. اما
مصليا. واما صامتا. واما بقرا القرآن. ولا تتكلم فيما لا يعنيه. وكان من العلماء
والعباد الذين خشون الله عز وجل. وكان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله
عليه وسلم فننظر الى لونه كأنه نثر من الدم. وقد جف لسانه في ضمه هيبته لرسول
الله صلى الله عليه وسلم. ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه
فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع. ولقد رايت
الزهري وكان من اهلنا الناس واقربهم. فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكانه
ما عرفك ولا عرفته. ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين
فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى ولا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه.
وروي عن قياده انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل. ولما اكثر

على الامام مالك الناس قبل له لوجعلت مستمليا يسمعهم . فقال قال الله تعالى يا ايها
 الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي . وخرمته حيا كحرمة ميتاه . وكان
 عبد الرحمن بن مهدي اذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم امره بالسكوت وقال لا
 ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي . وتناول انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه
 ما يجب له عند سماع قوله **فصل** في سرية السلف في عظيم رواية حديث رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وسنته . روى مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود
 رضي الله عنه سنة فما سمعته يقول قال رسول الله . الا انه حدث يوما فجرى على لسانه
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأت العرق يتحد ر عن جبهته . ثم قال
 هكذا ان شا الله . اوفوق ذا . او ما دون ذا . او ما هو قريبا من ذا . وفي رواية فتزيد
 وجهه . وفي رواية وقد تفرغرت عيناه وانتفخ اوداجه . وقال ابراهيم بن عبد الله
 ابن قريمة الانصاري قاضي المدينة من الامام مالك بن انس على ابن حازم وهو يحدث
 فحازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه . فكرهت ان آخذ حديث رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وانا قائم . وقال الامام مالك جا رجل الى ابن المسيب فسأله عن حديث وهو
 مضطجع فجلس وحديثه . فقال الرجل وددت انك لم تتعز . فقال اني كرهت ان احدثك
 عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع . وروى عن محمد بن سيرين انه قد يكون
 نضحك فاذا ذكر عنده حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم خشع . وقال ابو مصعب
 كان مالك بن انس لا يحدث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء . احلالا له
 وحكي الامام مالك ذلك عن جعفر بن محمد . وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس
 اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضع يديه ولبس ثيابا به ثم يحدث . قال مصعب
 فسيل عن ذلك . فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال مطرف بن عبد الله
 كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث
 او المسائل . فان قالوا المسائل خرج اليهم . وان قالوا الحديث دخل مغتسلا واغتسل
 وتطيب ولبس ثيابا جادا ولبس ساجه وتعمم ووضع على راسه رداه ويلقى له

مَنْصَةٌ يَخْرُجُ فَيَجْلِسُ عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ الْخَشْوَعُ . وَلَا يَنْزَالُ بِخَيْرٍ مَا الْعُودُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حَدِيثِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ غَيْرُهُ وَلَمْ يَكُنْ يَجْلِسُ عَلَى تِلْكَ الْمَنْصَةِ إِلَّا إِذَا حَدَّثَ
عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ فَقِيلَ لِمَا لَكَ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي ذَلِكَ . فَقَالَ
أُحِبُّ أَنْ أُعْظِمَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَلَا أُحَدِّثُ بِهِ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ مُتَمَكِّنًا .
قَالَ وَكَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ فِي الطَّرِيقِ . أَوْ هُوَ قَائِمٌ . أَوْ مُسْتَجِدٌّ . وَقَالَ أُحِبُّ أَنْ أَفْهَمَ
حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمَسَارِكِ كُنْتُ عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَهُوَ
يَحْدِثُنَا فَلَدَغْتُهُ عَقْرِبٌ سِتِّ عَشْرَةَ مَرَّةً وَهُوَ تَغْيِيرُ لَوْنِهِ وَيَبْضُرُ وَلَا يَقْطَعُ حَدِيثَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَلَمَّا فَرَّخَ مِنَ الْمَجْلِسِ وَتَفَرَّقَ عَنْهُ النَّاسُ قُلْتُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ
لِقَدْرَاتِ مَنْكَ الْيَوْمَ عَجَبًا . قَالَ نَعَمْ . إِنَّمَا صَبَرْتُ أَجْلَالَ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ . وَقَالَ ابْنُ مَهْدِيٍّ مَشَيْتُ يَوْمًا مَعَ مَالِكِ إِلَى الْعَقِيقِ . فَسَأَلْتُهُ عَنْ حَدِيثِ فَاتَتْهُرْنِي
وَقَالَ لِي كُنْتُ فِي أَجْلِ مَنْزِلٍ أَنْ تَسْأَلَ عَنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَرَجْتُ مَشْيًا .
وَسَأَلَنِي جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْقَاضِي عَنْ حَدِيثِ وَهُوَ قَائِمٌ فَأَمَرَ بِجَسَدِهِ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهُ
قَاضٍ فَقَالَ الْقَاضِي أَحْوَجُ مِنْ أَدَبٍ . وَذَكَرَ أَنَّ هِشَامَ بْنَ الْغَارِزِيِّ سَأَلَ مَالِكًَا عَنْ حَدِيثِ
وَهُوَ وَقَفٌ فَضْرِبُهُ عَشْرِينَ سَوْطًا . ثُمَّ اشْفَقَ فَحَدَّثَهُ عَشْرِينَ حَدِيثًا . فَقَالَ هِشَامُ
وَدِدْتُ لَوْ زَادَنِي سَيَاطُا وَيَزِيدَنِي حَدِيثًا . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ وَاللَّيْثُ كَانَ الْإِمَامَ
مَالِكًَا وَاللَّيْثُ لَا مَكْتَبَانَ لِحَدِيثِ الْأَوْهَامِ طَاهِرَانَ . وَكَانَ قِتَادَةً سَجِيحًا أَنْ لَا يَقْرَأَ
أَحَادِيثَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا عَلَى وَضْوٍ . وَلَا يَحْدِثُ إِلَّا عَلَى طَهَارَةٍ . وَكَانَ الْأَعْمَشُ
إِذَا ارَادَ أَنْ يَحْدِثَ وَهُوَ عَلَى غَيْرِ وَضْوٍ يَتِيمٌ **فَضْلٌ** وَمِنْ تَوْقِيرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِرِّهِ
بِرَّ آلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَزْوَاجِهِ كَمَا حَضَرَ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ . وَسَلَكَهُ
السَّلَفُ الصَّالِحُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا سَرِيحُ اللَّهِ لِيَذْهَبَ عَنْكُمْ الرَّجْسُ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَقَالَ تَعَالَى وَأَزْوَاجَهُ أُمَّهَاتِهِمْ . وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدُّ كَرَامَةً وَأَهْلُ بَيْتِي . بَلَا مَا . فَلَنَا زَيْدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ . قَالَ آلُ عَلِيٍّ . وَآلُ
جَعْفَرٍ . وَآلُ عَقِيلٍ . وَآلُ الْعَبَّاسِ . وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ

به لن تفلوا • كتاب الله • وعترتي اهل سني • فانظروا كيف تخلفوني فيهما • وقال صلى
 الله عليه وسلم معرفة آل محمد براءة من النار • وحب آل محمد جواز على الصراط • والولاية
 لآل محمد امان من العذاب • قال بعض العظماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله
 عليه وسلم • فاذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه • وعن عمر
 ابن ابي سلمة قال لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهرهم تطهيرا
 وذلك في ست ام سلمة • دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم
 بكاء وعلني خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل سني • فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا •
 وعن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال لما نزلت اية المباهلة دعي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهل سني • وقال صلى الله عليه وسلم في علي
 من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه • وعاد من عاداه • وقال فيه ايضا لا
 تحبك الامومين • ولا بعضك الامناق • وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب
 رجل الايمان حتى يحبكم به ورسوله • ومن آذى عمي فقد آذاني • وانما عم الرجل صنوابيه •
 وقال للعباس ايضا اغد علي يا عمر مع ولدك فجمعهم وجللهم بجلالاته • وقال هذا عمي
 وصنوابي • وهو لا اهل بيتي • فاسترهم من النار كسترى اياهم • فامنت اسكفة الباب
 وحوايط البيت آمين امين • وكان صلى الله عليه وسلم ياخذ اسامة بن زيد والحسن
 ويقول اللهم اني احبهما • فاجبهما • وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته •
 وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من
 قرابتي • وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا • وقال من احبني واحب هذين
 و اشار الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة • وقال صلى الله
 عليه وسلم من اهان قرشنا اهاننا الله • وقال صلى الله عليه وسلم قد موافق قرشنا ولا تقدر مواها •
 وقال صلى الله عليه وسلم لا مسلمة لا تؤذي في عايشة • وعن عقبه من اكارث قال رأت
 ابا بكر رضي الله عنه وجعل احسن علي عنقه وهو يقول يا بني شبيهة بالنبي ليس شبيها بعلي •
 وعلي يضحك • وروى عن عبدالله بن الحسن رضي الله عنهما قال اتيت عمر بن عبد العزيز في

حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي اواكتب فاني استحي من الله ان يراك على
بابي . وروى عن الشعبي قال صلى زيد بن ثابت على جنازة امته ثم قربت اليه بغله
ليركبها فجا ابن عباس فاخذ بركابها فقال زيد دخل عنك يا ابن عمر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال هكذا تفعل بالعلماء . فقبل زيد ابن عباس . وقال هكذا امرنا ان نفعل
باهلست نبينا صلى الله عليه وسلم . وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها
فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يديه بين يديه ويدها في ثيابه ومشى بها حتى
اجلسها على مجلسه وجلس بين يديها . وما ترك لها حاجة الا قضاها . ولما مرض
عمر بن الخطاب فرض لابنه عبدالله في بلانة الاف . ولأسامة بن زيد في بلانة الاف
وخمسمائة . فقال عبدالله لابي لم فضلته فوالله ما سبقني الي مشهد . فقال له لان
زيدا كان احب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم من اييك . واسامة احب اليه منك . فآثرت
حُب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي . وبلغ معوية ان كابس بن ربيعة يشبه رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل من
عينيه واقطعه المترغاب لشبهه صورته رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروى ان مالك
ابن انس رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشا عليه دخل
عليه الناس فافاق . فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي في جبل . فسيل بعد ذلك فقال
خفت ان اموت فالقي النبي صلى الله عليه وسلم فاستحي منه ان يدخل بعض اله النار بسببي
وقبل ان المنصور اقادته من جعفر . فقال اعوذ بالله . والله ما ارتفع منها سوط علي
جسمي الا وقد جعلته في جبل لقربته من رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولان اخر من
السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما . وقبل لابن عباس ماتت فلانة لبعض
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد . فقل له انجد هذه الساعة . فقال اليس طار رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم اية فاسجدوا . واتي آية اعظم من ذهاب ازواج رسول
الله صلى الله عليه وسلم **فصل** ومن ثوقيره صلى الله عليه وسلم ثوقرا صحابه وبرهم

ومعرفة حقهم. والافتدابهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم. والامساك عما
 شجر منهم. ومعاداة من عاداهم. والاضراب عن اخبار المورخين وجفلة الرواة
 وضلال الشيعة والمبتدعين القارحة في احد منهم. وان يلبس لهم فيما نقل من مثل
 ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات. وتخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل
 ذلك. ولا يذكر احد منهم سوء. ولا يخص عليه امر. بل يذكر جناتهم وفضائلهم
 وحيد سيرتهم. ويذكرت عمما ورا ذلك. كما قال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فاسكوا.
 قال الله عز وجل محمد رسول الله. والذين معه اشدا على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة.
 وقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الى اخر الاية. وقال تعالى
 لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة. وقال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
 الله عليه الاية. وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 اقتدوا بالذئب من بعدى ابي بكر وعمر. وقال صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايتهم
 اقتدتم اهتدتم. وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي
 كمثل الملح في الطعام. لا يصلح الطعام الا به. وقال صلى الله عليه وسلم الله في اصحابي لا
 تتخذوهم غرضا بعدى فمن احبهم فحبي احبهم. ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم. ومن
 اذاهم فقد اذاني. ومن اذاني فقد اذى الله. ومن اذى الله نوشك ان ياخذه. وقال
 صلى الله عليه وسلم لا تشبوا اصحابي فلو ابقوا اخدمكم مثل اخدمها ما يبلغ مد احدهم
 ولا يضيفه. وقال صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس
 اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا. وقال صلى الله عليه وسلم اذا ذكر اصحابي فاسكوا.
 وقال في حديث جابر ان الله تعالى اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين.
 واختار لي منهم اربعة. ابا بكر وعمر وعثمان وعلي. فجعلهم خيرا اصحابي. وفي اصحابي كلهم
 خير. وقال صلى الله عليه وسلم من احب عمر فقد احبني. ومن ابغض عمر فقد ابغضني.
 وقال الامام مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم طيسر له في المسلمين
 حق. وتزع باية الحشر. والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين

سبقوا بالامان الاله . وقال ايضا من غاظه احد من اصحاب رسول الله فهو كافر .
 قال الله تعالى ليغيظهم الكفار . وقال عبد الله بن المبارك حضرتان من كانتا فيه
 نحي الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وقال ابو السخستاني من احب ابا
 بكر فقد اقام الدين . ومن احب عمر فقد اوضح السبيل . ومن احب عثمان فقد استنصا
 بنور الله . ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى . ومن احب الثنا على اصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم فقد برى من النفاق . ومن اسقى احد منهم فهو مبتدع مخالف للسنة
 والسلف الصالح . واخاف ان لا يصعد له عمل الى السما حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه
 سليما . وفي حديث خالد بن سعيد رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك . ايها الناس اني راض عن عمر فاعرفوا له ذلك
 وعن علي وعن عثمان وعن طلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا
 لهم ذلك . ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر والمحدثين . ايها الناس احفظوني في اصحابي
 واصهارى واختاني لا يظالبنكم احد منهم مظلمة . فانها مظلمة لا توهب في القامة
 غدا . وقال رجل للمعاوية بن عمران ان عمر بن عبد العزيز نال من معوية فقضب
 وقال لا تقاس يا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد . معوية صاحبه وصهره وامينه على
 وحى الله عز وجل . واثنى النبي صلى الله عليه وسلم بجنارته رجل فلم يصل عليه . وقال كان
 يبغض عثمان فابغضه الله . وقال صلى الله عليه وسلم في الانصار اعفوا عن مسيئتهم .
 واقبلوا من محسنهم . وقال صلى الله عليه وسلم احفظوني في اصحابي واصهارى فانه
 من حفظني فهم حفظه الله في الدنيا والاخرة . ومن لم يحفظني فهم تخلى الله منه . ومن
 تخلى الله منه بوشك ان ياخذه . وقال صلى الله عليه وسلم من حفظني في اصحابي كنت له
 حافظا يوم القامة . وقال صلى الله عليه وسلم من حفظني في اصحابي ورد على الحوض . ومن
 لم يحفظني في اصحابي لم يرد على الحوض . ولم يرنى الا من يعيد . قال الامام مالك رحمه الله
 هذا النبي صلى الله عليه وسلم مودب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين خرج
 في جوف الليل الى البقيع فندعوا لهم وستغفر لهم كما لو دع لهم . وبذلك امره الله عز وجل .

وامر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم. وروى عن كعب قال
ليس احد من اصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الا وله شفاععة يوم القيامة. وطلب من
المغيرة بن نوفل ان شفيع له يوم القيامة. وقال سهل بن عبد الله التستري لم يومن
بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز امره **فصل** ومن توقره واعظامه واكباره
اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده ومالمسه
صلى الله عليه وسلم او عرف به. وروى عن صفية بنت خديجة قالت كانت لابي محذورة
قصة في مقدم راسه اذا قعد وارسلها اصابته الارض فقتله الا تحلقها. فقال لم
الذي اكن احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده. وكانت في قلنوة خالد
ابن الوليد رضى الله عنه شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم فسقطت فلتسوته في بعض
حروب فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثره من قتل فيها. فقال
لم اظلمها بسبب القلنوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم ليلا اسلب بركتها
وتقع في ايدي المشركين. ولهذا كان الامام مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة
وكان يقول استحي من الله ان اطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كافر دابة
وروى عنه انه ذهب للامام الشافعي كراعا كثيرا كان عنده. فقال له الشافعي امسك منها
دابة فاجابه مثل هذا الجواب. وقد حكى ابو عبد الرحمن السلمي عن احمد بن فضالوية
الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ
بلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ القوس بيده. وقد اتى الامام مالك رحمه الله فيمن
قال تربة المدينة ردية يضرب بلش ذرة. وامر بحبسه وكان له قدر. وقال ما
احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير
طيبة. وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة من احدث فيها حدثا او اوك
محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا.
وحكى ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عمارة رضى الله عنه
وتناوله ليكرهه على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته فقطعها

ومات قبل الحول . وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على منبرك كاذبا فليتبوا مقعده
من النار . وروى ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها
ترجل ومشي يا كيا يمشد يقول .
ولما راينا رسما من لم يدع لنا فوادا لعرفان الرسوم والالباب .
نزلنا عن الاكوار بمشي كرامة . لمن بان عنه ان نلّم به ركبنا .
وحكي عن بعض المرء من انه لما اشرف على المدينة الشريفه النبويه انشا يقول مثملا
رفع الحجاب لنا فلاح لناظر . فمتر تقطع دونه الا وهام .
واذا المطى بنا بلعن محمدا . فظهورهن على الرجال حرام .
قربنا من خير من وطى الشرك . فلها علينا حرمة وذمام .
وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقتله في ذلك فقال العبد الا بقى لانا في اليا ب
مولاه راكبا . لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي . قال القاضي عياض
رحمه الله وجد ير لمواطن عمرت بالوحى والتزويل . وتردد فيها جبريل ومكاييل .
وعرجت فيها الملائكة والروح . وضجت عرصاتها بالقدس والشبح . واشتمت ترستها
على حسد سيد البشر وانتشر عنها من ذنابه وسنة رسوله ما انتشر مدارس ايات .
ومساجد وصلوات . ومشاهد الفضائل والخيرات . ومعاهد الپرايين والمعجزات .
ومناسك الدين . ومشاعر المسلمين . ومواقف سيد المرسلين . ومنبوا خاتم النبیین .
حيث انفجر النبوة واين فاض عبا بها . ومواطن مهبط الرسالة واوارض مسر جلد
المصطفى ترا بها . ان تعظم عرصاتها . وتنتسم نفحاتها . وتقبّل ربوعها وجدراتها .
يا دار خير المرسلين ومن به . هدى الانام وخص بالايات .
عندى لا جلك لوعة وصباة . وتشوق متوقد الكمرات .
وعلى عهد ان ملات محاجرک . من تلكم الجدرات والعرضات .
لا عفرن مصون شيبى سنها . من كثره البقيل والرشفات .
لولا العوادى والاعادى زرتها ابدان . ولو سجا على الوجنات .

تلم

لكن سَأهدى من حَفِيل حَيْتِي **•** لِقَطِين بِلَد الدار والحجرات **•**
 اذ كِي من المسك المفتون نَفْحَةً **•** تَغْشَاه بِالْأَصَال والبكرات **•**
 وتَحْصَهُ بِزواكِي الصلوات **•** ونواحي التسليم والبر كات **•**
 فهذا بيان قول الله تعالى فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه **•** يعني على أعدائه **•** واتبعوا
النور الذي انزل معه يعني القرآن **•** وسمى القرآن نورا لان به يستنير قلب المؤمن فخرج
 به من ظلمات الشك والجهالة الى ضياء النفس والعلم **•** **اولئك هم المفلحون** يعني هم الناجون
 الفايزون بالهداية **•** وقيل الفايزون بكل خير **•** والناجون من كل شر **•** قوله
 تعالى **قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا** هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
 والمعنى قل يا محمد للناس اني رسول الله اليكم جميعا **•** لا الى بعضكم دون بعض **•** ففي الآية دلالة
 على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قول الله تعالى يا أيها الناس خطاب عام يدخل
 فيه جميع الناس **•** ثم امره الله تعالى بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا **•** وهذا
 يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس **•** فان كل رسول بعث الى قومه خاصة **•** وبعث
 سدا محمد صلى الله عليه وسلم الى **•** كافة الانس وكافة الجن **•** وروى في الصحيحين
 عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطها احد
 قبلي **•** كان كل نبي بعث الى قومه خاصة **•** وبعث الى **•** كل احمر واسود **•** واحلت لي
 الغنائم ولم تحل لاحد قبلي **•** وجعلت لي الارض طيبة وطهورا **•** ومسجدا **•** فايما رجل
 ادركته الصلاة صلى حيث كان **•** ونصرت بالرعب على العدو **•** وبين يدي مسيره شهر **•**
 واعطيت الشفاعة **•** وفي رواية اعطيت خمسا لم يعطها احد من الانبياء قبلي **•** نصرت
 بالرعب مسيره شهر **•** وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا **•** فايما رجل من امتي ادركته
 الصلاة فلنصل **•** واحلت لي الغنائم **•** ولم تحل لاحد قبلي **•** واعطيت الشفاعة **•** وكان
 النبي بعث الى قومه خاصة **•** وبعث الى الناس عامة **•** وقوله في الرواية الاولى وبعث
 الى كل احمر واسود **•** قيل اراد بالاحمر العجم **•** وبالاسود العرب **•** وقيل اراد بالاحمر
 الانس وبالاسود الجن **•** فعلى هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة

المخلوق من الانس والجن . وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فضلت على الانبياء است اعطيت جوامع الكلم . ونصرت بالرعب واحللت لي
الغنائم . وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا . وارسلت الى المخلوق كافة . وختمت بي النبيون .
وقوله تعالى الذي له ملك السموات والارض لما امر الله رسوله سدا بمحمد صلى الله عليه
وسلم بان يقول يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا اردفه مما يدل على صحة دعواه .
يعني ان الذي له ملك السموات والارض وهو مدبرها وما كد امرها هو الذي ارسلني اليكم
وامرني ان اقول لكم اني رسوله اليكم جميعا **لا اله الا هو يحيى ويميت** وصف الله تعالى نفسه
بالالهية . وانه لا شريك له فيهما . وانه القادر على احيا خلقه واما تتمم . ومن كان كذلك
فهو القادر على ارسال الرسل الى خلقه . قال بعضهم في قوله لا اله الا هو بيان للجمله
قبلها . لان من ملك العالم كان هو الاله على الكفنة . وفي قوله يحيى ويميت بيان
لاختصاصه بالالهية . اذ لا يقدر على الاحيا والاماتة غيره **فآمنوا بالله ورسوله**
لما امر سبحانه رسوله سدا بمحمد صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس اني رسول الله اليكم
جميعا امر سبحانه جميع خلقه بالامان به ورسوله . وذلك لان الامان بالله هو الاصل
والامان برسوله فرع عليه . فلماذا بدأ بالامان بالله . ثم ثنى بالامان برسوله فقال وآمنوا
بالله ورسوله . ثم وصفه بقوله **النبى الايى** وتقدم بفسرها **الذى يومئذ بالله وكلماته**
طاب قتاده المراد بكلماته اياته . وهى القران . وقال مجاهد والسدي اراد بكلماته
عيسى مرمر . لانه خلق بكونه كن . وكان **وقل هو على العموم** يعنى يومئذ جميع كلمات الله
وقل اراد بكلماته الكت المنزله **واتبعوه** يعنى واقتدوا به ايها الناس فيما يامركم
به او نهاكم عنه . **وقل المتابعة** على قسمين متابعة فى الاقوال . ومتابعة فى الافعال .
اما المتابعة فى الاقوال بان تمثل التابع جميع ما يامر به المتبوع على طريقه الامر
والنهي والترغيب والترهيب . واما المتابعة فى الافعال بان تقدي به فى جميع
افعاله وادابه . الا ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت الدليل انه من خصايصه
فلا متابعة فيه . وقوله **لعلكم تهتدون** يعنى لكي تهتدوا وترشدوا وتصيبوا

الحق والصواب في متابعتكم اياه . عن العرابض من سارفة رضى الله عنه قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في مواعظته . عليكم سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين .
 عصوا عليها بالنواجذ . واياكم ومحدثات الامور . فان كل محدثة بدعة وكل
 بدعة ضلالة . زاد في حديث آخر وكل ضلاله في النار . وفي حديث ابي رافع عنه
 صلى الله عليه وسلم لا الفيين احدكم متكئا على اريكته ياتنه الا امر من امرى مما
 امرت به او نهي عن فبقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله تعالى اتبعناه . وفي حديث
 عائشة رضى الله عنها قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه فتنره عنه
 قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم محمد الله ثم قال ما بال اقوام يتنزهون عن الشئ
 اصنعه . فوالله انى لا علمهم بالله واشدهم له خشية . وروى عنه صلى الله عليه وسلم
 انه قال القرآن صعب مستصعب على من كرهه . وهو الحكم فمن استمسك بحديثي
 وفهمه وحفظه جامع القرآن . ومن تهان بالقران وحديثي خسر الدنيا والاخرة .
 امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امرى . ويتبعوا سنتى . فمن رضى بقولي فقد
 رضى بالقران . قال الله تعالى وما اياكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . وقال
 صلى الله عليه وسلم من اقتدى بي فهو منى . ومن رغب عن سنتى فليس منى . وعن ابى هريرة
 رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله . وخير الهدي
 هدى محمد صلى الله عليه وسلم . وشرا الامور محدثاتها . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
 رضى الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة . فما سوى ذلك فهو فضل . انه محكمة
 او سنة قايمة . او فريضة عادلة . وعن الحسن بن ابي الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم
 عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة . وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل
 العبد الجنة بالسنة تمسك بها . وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
 انه قال المتمسك سنتى عند فساد امتى له اجر مائة شهيد . وقال صلى الله عليه وسلم
 ان نبي اسرايل افرقوا على اثنتى وسبعين ملة . وان امتى تفرق على ثلاث وسبعين
 كلها في النار الا واحدة . فالوا ومنهم يا رسول الله . قال الذى انا عليه اليوم واصحابى .

وعن النبي صلى الله عليه وآله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحيأ سنتي فقد أحيأني
ومن أحيأني كإن معي. وعن عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لبلال بن الحرث من أحيأ سنة من سنتي قد أميتت بعدى فإن له من الأجر مثل من
عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا. ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضى الله
ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا. **وَأَمَّا**
ما ورد عن السلف والائمة من اتباع سنته والاقتداء بهديه وسيرته فكثر من ذلك
ما روى مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل جابر بن أسيد أنه سأل عبد الله بن عمر فقال
يا أبا عبد الرحمن إننا نجد صلاة الخوف وصلاة الكسوف في القرآن ولا نجد صلاة السفر.
فقال ابن عمر يا ابن أخي إن الله تعالى بعث الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا
فإنما نفعل ما رأيناه يفعل. **وَالْأَمْرُ بِعَبْدِ الْعَزِيزِ سُنَّةٌ** رسول الله صلى الله عليه وسلم
وولاية الأمر بعده شيئا. **الْأَخَذُ بِهَا تَصَدَّقَ لِكِتَابِ اللَّهِ** واستعمال طاعة الله وقوه
على من الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدك
بها مهتد. **وَمَنْ اتَّصَرَ بِهَا مِنْضُورٌ** ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه الله
ما تولى وأصلاه جهنم وسآت مصيرا. **وَالْأَسْهُابُ بِلُغْنَا عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ**
وَالْوَالِ الْأَعْتَصَامُ بِالسَّنَةِ نَجَاةٌ وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول القصد في
السنة خير من الاجتهاد في البدعة. **وَالْأَسْهُابُ بِلُغْنَا عَنْ رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِ**
من خالف السنة كفر. **وَقَالَ أَبُو بَرْكَاتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عليكم بالسبيل والسنة فإنه ما
على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله فيعذبه
الله أبدا. **وَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَبْدِ عَلَى السَّبِيلِ وَالسَّنَةِ** ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده
من خشية الله تعالى إلا كان مثله كمثل شجرة قد بس ورقها فهي كذلك إذا أصابتها
ريح شديده فتحات عنها ورقها. **فَاتَّعْتَصَمُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** وسنة خير من اجتهاد
في خلاف سبيل وسنة. **وَلَا تَنْظُرُوا** إن يكون عملكم إن كان اجتهادا واقتصادا أن يكون
على منهاج الأنبياء وسنتهم. **وَكُتِبَ** بعض عمال عمر بن عبد العزيز إلى عمر حال بلده

وكثرة لصوصه هل ياخذهم بالنظنة او حكمهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب
 اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا يصلحهم الله
 وعن عطاء في قوله تعالى فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول اى الى كتاب الله
 وسنة رسوله وقال الامام الشافعي رحمه الله ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الا اتباعها وقال عمر رضي الله عنه ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر
 ولولا اني رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورى عبد
 الله بن عمر يد يرهاقة في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رأت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عمان الحيري من امر السنة على نفسه قولا
 وفعلنا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل بن
 عبد الله التستري اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق
 والافعال والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاعمال وجاء في تفسير قول
 الله عز وجل والعهد الصالح يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي
 عن الامام احمد بن حنبل رحمه الله انه قال كما نوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء
 فاستعملت الحديث من كان يوم من الله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بميزر ولم
 تجرد فرأت بك الله قايلا بقول لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك
 السنة وجعلك اما ما يقتدى بك فقلت من انت قال جبريل **فصل** ومخالفة امر
 رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان
 والعذاب قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تضيقهم فتنة او يصيبهم
 عذاب اليم وقال تعالى ومن شاق الرسول من بعد ما تبس له الهدى ويتبع غير سبيل
 المؤمنين بوله ما تولى الاله وروى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 خرج الى المقبره وذكر الحديث في صفة امته فليذادت رجال عن حوضي كما يذاد
 البعير الضال فاناد بهم الاله الاله الاله فقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول
 فسحقا فسحقا فسحقا وروى اسر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب

عن سنتي فليس مني . وقال صلى الله عليه وسلم من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد .
وروي ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا الفير احدكم متكئا على
اربعته ياتي به الامر من امرى مما امرت به او يهيب عنه فنقول لا ادرك ما وجدنا
في كتاب الله اتبعناه . زاد في حديث المقدم الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل ما حرم الله . وقال صلى الله عليه وسلم هلك المتنطعون . وقال ابو بكر الصديق رضي الله
عنه لست تارك شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل به الاتخاذه اني اخشى ان تركت
شامرا من امره ان ازيغ . فذلك قوله تعالى واتبعوه لعلكم تهتدون . فان قيل
هلا قال صلى الله عليه وسلم فامنوا بالله وبى بعد قوله اني رسول الله اليكم جميعا قبله
عدا عن المضمرا الى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي اجرت عليه . ولما في
طريقة الالتفات من مزية البلاغة . وليعلم ان الذي وجب الايمان به هو هذا الشخص
الموصوف بانه النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته كما ينما من كان انا وغيرى . اطهارا
للنصف . وتفاديا من العصبية لنفسه . والله اعلم **قوله** عز وجل **ومن قوم موسى**
بعض من بني اسرائيل **امة** اي جماعة **يهدون بالحق** يعني يهتدون بالحق ويستقيمون عليه
ويحلون به ويترشدون اليه **وبه يعدلون** يعني وبالحق يحكمون وبالعدل يخذلون
ويعطون وينصفون . واختلفوا في هولاء من هم . فقل لهم الذين اسلموا من بني اسرائيل
مثل عبد الله بن سلام واصحابه . فانهم امنوا موسى والتوراه . وامنوا اسدنا محمد صلى الله عليه
وسلم والقران . واعترض على هذا بانهم كانوا قليلا . ولفظ الامة يقتضي الكثرة .
واجيب عنه بانهم لما كانوا مخلصين في الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم كما في
قوله تعالى ان ابراهيم كان امة . وقيل هم قوم بقوا على الدين الحق الذي جاء به موسى عليه
السلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه . وقال السدي وان خرج وجماعة
من المفسرين ان بني اسرائيل لما قتلوا ابناءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرا
سبط منهم مما صنعوا واعتدروا وسالوا الله ان يفرق بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح
الله لهم برفقا في الارض فساروا منه حتى خرجوا من ورا الصين فمهم هناك حنفا

مسلمون مستقبليون قبلتنا قال ابن جريج قال ابن عباس رضي الله عنه ساروا في
 السرب سنة ونصفا وحكي النعوى عن الكلبى والضحاك والربيع والواهم قوم خلف
 الصبي ما قضى الشرق على نهر جري الرمل يسمى بهراردان ليس لاحد منهم مال دون
 صاحبه مطرون بالليل ويصحون بالنهار ونزرعون ولا يصل اليهم احد منا وهم على
 الحق وذكرنا ان جبريل عليه السلام ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليله اسرى به
 فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من يكلمون والوالا قال هذا محمد النبي الامى
 فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى واصانا ان من ادركك منكم احد فليقره منى عليه
 السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على موسى وعليهم السلام واقدمهم عشر سور
 من القران نزلت عليه بمكة وامرهم بالصلاة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم
 وكانوا سبوتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وبين الناس وسنهم كرا لا يصل
 اليهم سببه فلا يصل لنا منهم احد ولا منا اليهم احد وروى بعض المفسرين ان النبي
 صلى الله عليه وسلم لما ذهب اليهم ليله المعراج قال لهم هل لكم مكيال وميزان قالوا لا
 قال فمن اين معاشكم والوا تخرج الى البرية وتزرع فاذا حصدا وضعناه هناك
 فاذا احتاج احدنا اليه ياخذ حاجته قال واين نساوكم والوا في باجبة منا
 فاذا احتاج احدنا الزوجته صار اليها في وقت الحاجة قال فكذب احدكم في
 حديثه والوا لو فعل ذلك احدنا اخذته لظى اى النار تنزل فتخرقه قال فما بال
 بيوتكم مستوية والوا لا يعلا بعضنا على بعض قال فما بال قبوركم على ابوابكم والوا
 ليلنا تغفل عن ذكر الموت ثم لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدنيا ليله
 الاسراء نزل عليه قوله تعالى ومن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون بعن امة
 سدا محمد صلى الله عليه وسلم يعلمه تعالى ان الذى اعطيت موسى في قومه اعطيتك
 في امتك وقال صاحب الكشاف قال بعضهم لو كانوا في طرف من الدنيا متمسكين
 بشرعة ولم يبلغهم سخنها كانوا معدورين قال وهذا من باب الفرض والتقدير
 والا فقد طار الخبر شرعة سدا محمد صلى الله عليه وسلم الى كل افق وتغلغل في كل نفق

ولم يبق له اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر في مشارق الارض
ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملا به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه
يوم القامة والله تعالى اعلم قوله عز وجل **وقطعناهم** يعني وفرقنا بني اسرائيل **اثني**
عشر اسباطا يعني من اولاد يعقوب لان يعقوب هو اسرائيل واولاده الاسباط وكانوا
اثني عشر ولدا **قال** بعضهم الاسباط هم اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثني عشر قبله
من ابني عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام **والاسباط** في ولد اسحق كالقبائل في ولد
اسماعيل **عدسجانه** نعتة علي بن اسرائيل وجعلهم اسباطا ليكون كل سبط معروفا
من جهة رئيسهم فيخف الامر على موسى عليه السلام ومنه قوله تعالى **وبعثنا منهم اثني**
عشر نفسا وقوله **اثني عشر** والسبط مذكر لان بعده لفظة **امما** فذهب اليه
الي الامم ولو قال **اثني عشر** لتذكير السبط جاز وهذا قول الفراء **وقل** اراد بالاسباط
القبائل والفروع ولذلك اثبت العدد **كما قال الشاعر** ه
وان قرشا كلها عشر ابطن وانت بركي من قبائلها العشر
فذهب بالبطن الي القبيلة والفضيلة فلذلك اثبتها والبطن مذكر كما ان الاسباط
جمع مذكر **وقال الزجاج** المعنى **قطعناهم** اثني عشر فرقة وقوله اسباطا بدل
من اثني عشر **امما** نعت لقوله اسباطا والله اعلم وقوله **امما** يعني جماعات وقبائل
قال بعضهم **امما** بدل من قوله **اثني عشر** المعنى وقطعناهم **امما** لان كل اسباط كانت
امة عظيمة وكل واحدة كانت تامر بخلاف ما امر الاخرى **واوجينا الي موسى** اذ
استسقاها قومه يعني في التيه **ان اضرب بعصا الحجر** وهي العصا التي حملها ادم من
الجنة وتوارثها الانبا الي ان وصلت اليك واسمها بنعة في احد اقوال المفسرين وطولها
عشرة اذرع وكان لها شجرتان تتقدان نورا وكانت من اسر اجنه وذلك ان بني
اسرايل عطشوا في التيه فدعى لهم موسى بالسقيا فقتله اضرب بعصا الحجر
واللام للعهد والاشارة الي حجر معلوم وروى انه حجر طوري حمله موسى معه لما
رجع من المناجاة وكان خفيفا مربعا كراس الرجل له اربعة اوجه كان ينبع من كل

وجه ثلاث اعين لكل سبط عين . وكانوا ستماية الف . وسعة معسكرهم اثنا عشر ميلا .
 وهو الحجر الذي ضرب به موسى لما فرثوبه حس رمته بنوا اسرائيل بالادرة . فقال له
 جبريل ارفعه فان الله فيه قدرة . وكذا معجزة . وقد ان هذا الحجر اهبطه ادم من الجنة
 فتوارثه بنوه حتى وقع الى شعب عليه اللام . فدفعه الى موسى مع العصا . وقال
 بعضهم اللام في الحجر للجنس . اي اضرب الشئ الذي يقال له الحجر . وهذا اظهر في الحجة
 وايين في القدرة . وقوله **فاننجست** اي فانفجرت . والفان متعلقه محذوف ونقديره
 فضرب فانفجرت اي سالت بكثرة . وقد اننجست اي عرفقت . وهو الا بنجاس منه
 اي من اكل **اثنا عشر عينا** يعني لكل سبط عين . وعينا تمييز **قد علم كل اناس** اي كل
 سبط **مشربهم** اي عيهم التي شربون منها . لا يدخل سبط على سبط في مشربهم **وظللنا**
عليهم الغمام يعني في التيه يقهم حر الشمس . وذلك ان الله تعالى سخر لهم السحاب يسير يسيرهم
 يظلمهم من الشمس . وينزل بالليل عمود من نار يسرون في ضوه . وثياهم لا تتسخ ولا
 تبلى **وانزلنا عليهم المن والسلوى** فالمن هو الترخيبي . كان ينزل عليهم مثل الثلج من
 طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان منهم صاع . والسلوى جنس من الطير . وهي السماني
 او طائر شبه السمانا . كان بعث الله ريح الجنوب عليهم فتخسر عليهم السلوى جعل
 الله ذلك طعامهم في التيه **كلوا من طيبات ما رزقناكم** اي وقلنا لهم كلوا من طيبات اي
 حالات . وقل لذيات ما رزقناكم **وما ظلمونا** اي وما راجع اليها ضرر ظلمهم
 بكفرانهم النعم **ولكن كانوا انفسهم يظلمون** وفي الكلام حذف ترك ذكره للاستغناء عنه
 ودلالة الكلام عليه . فقد ربه كلوا من طيبات ما رزقناكم . فاجموا ذلك وساموه .
 وقالوا لئلا يضر على طعام واحد . وسالوه غيره . لان المكلف اذا امر بشئ فتركه وعدل
 عنه الى غيره يكون عاصيا بفعله ذلك . فلهمذا قال تعالى **وما ظلمونا** يعني وما ادخلوا
 علينا في ملكنا وسلطاننا نقصا محسالتهم ما سالوا . ولكن كانوا انفسهم يظلمون . يعني
 مخالفتهم ما امروا به . وقد تقدم بسط الكلام على بضر هذه الالة في سورة البقرة
 فاعني عن الاعادة والله اعلم وقوله تعالى **واذ قيل لهم** اي واذا ذكرنا محمد لقومك

اذ قتلهم يعني لبي اسرائيل **اسكنوا هذه القرية** يعني بيت المقدس اوارحاً وقال في سورة
البقرة ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لان كل ساكن في موضع لا بد له من الدخول
اليه **وكلوا منها حيث شئتم** يعني وكلوا من ثمار القرية وزروعها وحبوبها ويقولها
حيث شئتم وايين شئتم **وقال** في سورة البقرة فكلوا بالفا وهن بالواو والفرق
بينهما ان الدخول خاله مقتضية للاكل عقب الدخول **محسن** دخول الفاء التي هي للتفقت
ولما كانت السكنى خاله استمرار حسن دخول الواو عقب السكنى فيكون الاكل حاصل متى
شاوا وانما قال في سورة البقرة رغدا ولم يقله هنا لان الاكل عقب الدخول الذي
واكمل **واما الاكل مع السكنى** والاستمرار فليس كذلك **محسن** دخول لفظه رغدا هناك
مخلاف هنا **وقولوا حطة** فحطة من اخط كالجلسة وهي خبر مبتدأ محذوف تقديره
مسالتنا حطة او امر كحطة والاصل النصب وقد قرى به بمعنى خط عناذوننا
حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات **وقال امرنا حطة** اي ان نخط في هذه
القرية ونستقر فيها **وعن علي رضي الله عنه** قال هو لسمر الله الرحمن الرحيم **وعن عكرمة**
قال يعني حطه قول لا اله الا الله **وادخلوا الباب** يعني باب القرية او باب القبلة التي
كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه السلام وانما دخلوا
الباب في حيوته ودخلوا بيت المقدس بعده **قال** تعالى في سورة البقرة عكس هذا اللفظ
ولا منافاة في ذلك لان المقصود من ذلك بعظيم امر الله واظهار الخضوع والخشوع له
فلم تتفاوت الحال بحسب التقدم والتأخير **وقوله سجدا** حال وهو جمع ساجد
امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكر الله وتواضعا **تعفروا لكم خطاياكم** يعني تغفر
لكم ذنوبكم ولا نواخذكم بها **فراهد المدينة** وان عامر تغفر لكم **وقرا** اس عامر خطيتكم
ونافع خطيتكم **وابوعمر وخطاياكم** والخطايا جمع خطية وهي الذنب والمقصود
عفوان ذنوبهم سواء كانت قليلة او كثيرة اذا اتوا بالدعاء والتضرع **سنزيد المحسنين**
اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة ثوابه ومن كان مسيا كانت له
توبة ومغفرة **قال** تعالى في سورة البقرة **وسنزيد بالواو** ومعناه انه وعد شيئين

بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بذلك المعنى لانه
 استيناف مرتب على بقدر قول القايل وما ذا بعد الغفران فقبله سنزله من زيد المحسنين
فبدل الذر ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم يعني فغير الذر ظلموا انفسهم مخالفة
 امرنا من بني اسرائيل فقالوا غير الذي قيل لهم وأمرنا به فوذلك انهم امروا ان
 يقولوا حطة فقالوا حنطة في شعره فكان ذلك تبدل بهم وبغيرهم وقتلوا
 بلغة النبطية حطاً شمقاً ثاً اي حنطة حمراء وذلك استهزامهم مما قيل لهم
 وعدوا ولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما شتهون من ارض الدنيا **فارسلنا عليهم**
رجزاً من السماء يعني بعثنا عليهم عذاباً من السماء اهلكهم ولا منافاة بين قوله هنا ارسلنا
 وسن قوله في سورة البقرة انزلنا لانها لا تكون الا من اعلا الى اسفل وقيل سنها
 فرق وهو ان الانزال لا تستعمل بالكثرة والارسال شعر بذلك فكانه تعالى يبدى انزال
 العذاب قليلاً ثم ارسله عليهم كثيراً **بما كانوا يظلمون** يعني ان ارسال العذاب عليهم
 بسبب ظلمهم ومخالفتهم امر الله تعالى واول في سورة البقرة بما كانوا يفسقون
 واجمع سنها انهم لما ظلموا انفسهم بما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة
 الله تعالى والكلم من واد واحد والله اعلم باسرار كلامه العظيم **قوله عز وجل**
واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
 والمعنى سأل بالمحمد هو لا اليهود الذين هم جيرانك عن حال اهل القرية وهذا السؤال
 سؤال توبيخ وتقريع لاسؤال استعلام لانه صلى الله عليه وسلم كان قد علم حال هذه
 القرية بوحي الله عز وجل اليه واخباره اياه حالهم وانما المقصود من هذا السؤال
 تقرير اعتدال اليهود واقدامهم على الكفر والمعاصي قديماً وان اصرارهم على الكفر
 بنبي محمد صلى الله عليه وسلم وانكار نبوته ومعجزاته ليس بشياً قد حدث الان في
 زمانه بل اصرارهم على الكفر كان حاصله في اسلافهم في قدم الزمان وفي الاخبار
 بهذه القصة معجزه للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان انما لم يقرأ الكتب القديمة ولم
 يعرف اخبار الاولين ثم اخبرهم بما جرى لاسلافهم في قدم الزمان وانهم مخالفتهم

امراه عزوجل مسخو اقردة. واختلف المفسرون في هذه القرية. فقال ابن عباس
هي ايلة بن مصر والمدينة. والعرب تسمى المدينة قرية. وقال الزهري هي طبرية الشام.
وفي رواية عن ابن عباس قال هي مدين بين ايله والطور. وقد هي متعنا بن مدين
وعينونا. وقال بعض المفسرين ايضا كان في هذا السؤال علامة لصدق النبي صلى الله عليه
وسلم اذا طلعه الله تعالى على ملك الامور من غير تعلم. وكانوا يقولون يعني اليهود نحن اننا
الله واجباوه. لاننا من سبط خليله ابراهيم. ومن سبط اسرايل. ومن سبط ولده عزير.
فخر من اولادهم. فقال الله عزوجل سلمهم بالمحمد عن القرية. اما عند بناهم بذنوبهم.
وكانت اليهود يكتنون هذه القصة لما فيها من الشناعة عليهم. وقوله التي كانت حاضرة
البحر اى سلمهم عن القرية التي كانت على ساحل البحر وقربة منه **اذ بعدون في السبت**
يعني تجاوز وزحدا لله فيه. وما امرهم به من عظمة. فخالفوا امر الله وصادوا فيه
السمك. يقال سبتت اليهود اذا تركوا العمل في سبتهم. وسبت الرجل سباتا. اذا
اخذه مثل الخرس. واسبت اذا سكن فلم يتحرك. والقوم صاروا في السبت. واليهود دخلوا
في السبت وهو اليوم المعروف. وهو من الراحة والقطع. وجمع على اسبت وسبوت.
واسبات. وفي الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من احتج يوم السبت فاصابه
برص فلا يلوم من الانفسه. قال بعض العلماء وذلك لان الدم يجد يوم السبت **اذ تاتتهم**
حيث انهم يوم سبتهم شرعا يعني ظاهرة على الما كثيرة. وقال الضحاك تاتتهم متتابعة
يتبع بعضها بعضا. وقال كانت تاتتهم يوم السبت مثل الكباش السماء البيض. الهما
الله تعالى انها لا تضاد يوم السبت لنهيته تعالى اليهود عن صيدها فيه. فكانت ترد يوم
السبت ظاهرة على وجه الما كثيرة رافعة روسها **ويوم لا سبتون لا تاتتهم** يعني الجتان.
كذلك نبلوهم مما كانوا يفسقون يعني مثل هذا الاختبار الشديد تختبرهم وخر اعلم
كالمهم سبب فسقهم وخر وجههم عن طاعة الله تعالى وما امروا به. قال اهل التفسير
ان اليهود امروا بسوم الجحمة فركوه واختاروا السبت فابتلوا به. وهو ان الله تعالى
امرهم بعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد. فلما اراد الله عزوجل ان

بتلبيهم كان الجيتان تظهر لهم في يوم السبت سظرون اليها في الحجر فاذا انقضى السبت
 ذهبت فلم تثر الى السبت المقبل بلا ابتلوا به فوسوس اليهم الشيطان وقال ان الله نقر
 لم ينهكم عن الاصطياد انما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقتلانه وسوس اليهم
 انكم انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضاً على ساحل البحر وسوقوا اليها الحيات
 يوم السبت فاذا كان يوم الاحد اخذوها ففعلوا ذلك زماناً ثم انهم تجروا على
 السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاصطادوا واكلوا وباعوا فصار اهل
 القرية احزاً بالامام وكانوا نحو من سبعين الفا فثلث نهبوا عن الاصطياد وثلث
 سكتوا ولم ينهوا وقالوا لناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث هم اصحاب
 الخبيثة الذين خالفوا امر الله واصطادوا وباعوا واكلوا فلما لم ينهوا عما هم فيه
 من المعصية قال لناهون والله لاساكنكم في قرية واحدة ابدا فقسّموا القرية بينهم
 بحدار لناهين باب يدخلون منه ويخرجون وللعاينين باب ولعنهم داود عليه
 السلام وكانوا في زمنه فاصبح لناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتد بر احد
 فقالوا ان لهم شانا لعل الخمر قد غلبتكم فعلموا على الحدار الذي بينهم فاذا هم
 قد مسحوا قردة ففتحو عليهم الباب ودخلوا اليهم فصار القردة تعرفون اسماهم
 من الناس ولم يعرف الناس اسماهم من القردة فحلت القردة تاتي اسماها من الناس
 فتشم ثيابهم فيقول لهم اهلوهم المرنهكم فتقول القردة بروسها نعم فتجا لناهون
 وهكذا سايرهن وروى عن الحسن انه قال اكلوا والله او خما كلة اكلها اهلها
 اثقلها حزننا في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة هاهنا وايم الله ما حوت اخذه
 قوم فاكوه اعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعداً والساعة
 ادهى وامرر وذكر الثعلبي هذه القصة بزيادة فيها فقال قال ابن عباس ووهب
 ابن منبه ان قوما من بني اسرائيل سكنوا قرية على شاطئ البحر من مصر ومدس يقال لها
 ايلة حرما لله عليهم صيد الجيتان وساير العمد يوم السبت وامرهم ان تنفر غوا العبادة
 ربهم ذلك اليوم وذلك في زمن داود عليه السلام وكان اذا دخل يوم السبت لم يبق

حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى يخرج خراطيمهم من الماء لا تنهت حتى لا يرى الماء
من كثرتهم فاذا مضى السبت تفرقوا ولزم من مقل البحر لا يرى منهم الا القليل فذلك
قوله تعالى اذ بانهم جيتانهم يوم سبتهم شرعا الاية وسبيل الحسين بن الفضل
هل تجرد في كتاب الله الجلال لا ياتك الا قوتا والحرام ياتك جرفا جرفا والنعري
قصة داود وابيلة اذ بانهم جيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا سبتون لا ياتهم
قال فوجد رجال منهم محضروا الجبل من حول البحر وشرعوا منها اليها الانهار فاذا
كانت عشة الجمعة فتحو تلك الانهار فاقبل الموج بالمجيتان الى الانهار فلانظيوا الخرج
منها بعد عفتها وقله الماء فاذا كان يوما لاحدا خذوها وقيل انهم كانوا يصبون
المجايل والشصوص يوم الجمعة وخرجونها يوما لاحد قال ابن زيد كانوا قد
قرمو للمجيتان وكان في غير يوم السبت لا ياتهم حوت واحد فاخذ رجل منهم حوتا
وربط في ذنبه خيطا ثم ربطه الى خشبة بالساحل ثم تركه في الماء الى يوم الاحد
فاخذه وشواه فوجد جاره له ريح الحوت فقال له يا فلان اني اجد في سترك ريح الحوت
فانكر فاطلع الجار في منوره فاذا هو في سته فقال اني اركى الله سيعد بك فلما لم
يره عذب ولم يجعل عليه بالعذاب اخذ في السبت الاخر حوتين اسنين قال فلما
راوا ان العذاب لا ينزل عليهم اخذوا واكلوا وملحوا وباعوا فاشروا وكثرت اموالهم
ولم تنزل عليهم عقوبة ففقت قلوبهم وتجرؤا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا
قد احل لنا واما حرم ذلك على ابائنا لانهم قتلوا ابائهم فلما فعلوا ذلك صار
اهل القرية وكانوا سبعين الفا بلائهم اصابهم صنفا مسك ونهي وصنفا مسك
ولم ينه وصنفا انتهك الحرمه وكان الذين بها اثني عشر الفا فلما ابى المجرمون
قبول بصيحتهم قال الناهون والمسكون والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقتلوا القرية
بحدار ومكثوا سنين على ذلك ولعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية
فخرج الناهون ذات يوم من باهم والمجرمون لم يفتخوا باهم ولم يخرج منهم احد
فلما ابطوا تسورا عليهم الحايط فاذا هم جميعا قرده فذلك قوله تعالى اخر الابه

ولما اعتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسيس . ونظر هذه الالة قوله تعالى ولقد
 علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت قلنا لهم كونوا قردة خاسيس . وقوله لعن الذين كفروا
 من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم . فالذين لعنوا على لسان داود هم عصاة اهل
 ايله . والذين لعنوا على لسان عيسى بن مريم كفارا اصحاب المايدة . **قال** صاحب الرواية
 فلما دخلوا عليهم وراوهم قد مسحوا عرفات القرد واسابها من الانس . ولم يعرفوا الانس
 انسابهم من القرد . فجعل القرد منهم ياتي نسيبه من الانس فينشتم ثيابه ويسكن فيقول
 له الم منهمكم . فنقول براسه نعم . فما نحي الا الذين نهوا . وهكذا سايرهم . ثم برز
 المسوخون من المدينة وهاموا على وجوههم متخبرين . وملكوا بلادهم ايام ثم هلكوا .
 وكذلك لم يمكث مسوخ فوق ثلاثة ايام . ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا . ثم بعث الله
 عليهم ريحا ومطرا فمذهم في البحر . فاذا كان يوم القمامة اعادهم الى صورهم الاول
 البشرية فيدخلهم النار . **وعن** ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ما هلك الله قوما ولا قرنا ولا امة بعد اب من السما منذ انزل السورة
 على وجه الارض غير اهل القرية الذين مسحوا قردة . الم تسمع الله تعالى يقول ولقد اتينا
 موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى . الى اخر الالة . **وقال** بعض المفسرين
 روي انه ما نحي الا الذين نهوا . وهكذا سايرهم . **فغلى** هذا القول ان بني اسرائيل لغترو
 الا فرقين . ويكون المعنى في قوله واذا قال امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم .
 اى قال الفاعلون للوعظ حين وعظوهم اذا علمتم ان الله مهلكنا فلم تعظونا .
 فسخطهم الله قردة . **وقال** جمهور المفسرين ان بني اسرائيل افتترقت ثلاث فرق وهو
 الظاهر من الضمير في الالة . فرقة عصب وصادت . وكانوا نحو من سبعين الفا .
 وفرقة يهت واعتزلت وكانوا اثني عشر الفا . وفرقة اعتزلت ولم تنه ولم تعص .
 وان هذه الطائفة قالت للناهيية لم تعظون قوما . يريد العاصية . الله مهلكهم
 او معد بهم على غلبة الظن وما عهد من فعل الله حينئذ بالامم العاصية . ثم اختلف
 بعد هذا . فعالت فرقة ان الطائفة التي لم تعص ولم تنه هلكت مع العاصية عقوبة

على ترك النهي . وهذا قول ابن عباس . وروى عنه ايضا انه قال ما ادرك ما فعل بهم
وهو الظاهر . فانهم الباقون الى يوم القنامة . والله اعلم باسرار كتابه الكريم . وذلك قوله
تعالى **واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا وما**
فالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفذ فيهم فالوا معذرة الى ربكم يعني ان موغظتنا اياهم
معذرة الى ربكم . فمن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب علينا فموغظتنا لهولا
عذر لنا عند الله . وفي لفظ اخر موغظتنا ابدأ عذرا الى الله لئلا ينسب في النهي عن
المنكر الى التفريط **ولعلمهم شهون** اي وجايز عندنا ان نتفعلوا بالموغظة فسقوا
الله وشركوها ما هم منه من الصبيحة وقوله تعالى **فلما نسوا ما ذكروا به** اي فلما تركوا ما
وعظوا به . والسيان سطلق على الساهي والعامد التارك لهوله فلما نسوا ما ذكروا به .
اي تركوه عن قصد . ومنه قوله تعالى فسيهم . **وقال بعضهم فلما نسوا ما ذكروا به** اي
لما تركوا ما ذكرهم الصالحون ترك الناسي لما ينساه **انجيبا الذين ينهون عن السوء** من
العذاب الشديد وهم الفرقة الناهية **واخذنا الذين ظلموا** يعني الفرقة المعتدلة
العاصية **بعذاب ببس** اي شديد وجيع من البأس وهو الشدة . وفي لفظه ببس
احد عشر قرارة ذكرها القرأ وقوله **بما كانوا يفسقون** يعني انا اخذناهم بالعذاب
بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا . روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما
قال اسمع الله عز وجل يقول انجيبا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب
ببس فلا ادرك ما فعل الفرقة الساكتة **وجعل يبكي** قال عكرمة فقلت له جعلني
الله فذاك الاثرهم قد انكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم .
وان لم يقل الله تعالى انجيبهم لم يقل اهلكهم . قال فاعجبه فولى ورضي به وامر لي ببرد
فكساينها وقال نجت الساكتة . **وقال** بمان بن زيان نجت الطائفتان الذين قالوا
لم تعظون والذين قالوا معذرة . **واهلك الله الذين اخذوا الحيتان** . وهذا قول الحسن .
وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقان . وهذه اشد اية في ترك النهي عن
المنكر . وقد مضى في سورة عمران والمائدة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ومضى

